الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة الجزائر 02
أبو القاسم سعد الله
معهد الآثار
Algiers University 02
Abou Al- Qacem Saadallah
Institute of Archeology

العمران الإسلامي لمدن أقاليم المغرب الأوسط من خلال المصادر المكتوبة والمادية، مدن: تنس–مرسى الدجاج–مستغانم–هنين (ق2هـ – 9هـ / 8م – 15م) أنموذجا، دراسة تاريخية وأثرية

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه (ل م د) في الآثـار، تخصص: آثار إسلامية

إعداد الطالب:
حكيم قدورطاهري
تحت إشراف الدكتور:
علي بوتشيشة

السنة الجامعية 2023-2024

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة الجزائر 02 Algiers University 02
أبو القاسم سعد الله Abu Al- Qacem Saadallah
معهد الآثار Institute of Archaeology

العمران الإسلامي لمدن أقاليم المغرب الأوسط من خلال المصادر المكتوبة والمادية، مدن: تنس–مرسى الدجاج–مستغانم–هنين (ق2هـ - 9هـ / 8م - 15م) أنموذجا، دراسة تاريخية وأثرية

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه (ل م د) في الآثـــار، تخصص: آثار إسلامية

إعداد الطالب:
حكيم قدورطاهري

تحت إشراف الدكتور:
علي بوتشيشة

لجنة المناقشة

اسم ولقب الاستاذ	الرتبة	الإنتماء	الصفة
إسماعيل بن نعمان	أستاذ التعليم العالي	معهد الآثار جامعة الجزائر 02	رئيسًا
علي بوتشيشة	أستاذ محاضر أ	معهد الآثار جامعة الجزائر 02	مشرفا مقررًا
عائشة حنفي	أستاذة التعليم العالي	معهد الآثار جامعة الجزائر 02	عضوًا ممتحنًا
محفوظ بوطبة	أستاذ محاضر أ	معهد الآثار جامعة الجزائر 02	عضوًا ممتحنًا
النذير قوادرية	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد بوضياف المسيلة	عضوًا ممتحنًا
فؤاد بوزيد	أستاذ محاضر أ	جامعة 8 ماي 1954 قالمة	عضوًا ممتحنًا

السنة الجامعية 2024/2023


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء:

قال الله تعالى: « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78)»

سورة النحل 78.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طريقًا إلى الجنَّةِ، وإنَّ الملائِكَةَ لتَضعُ أجنحتَها لطالِبِ العلمِ رضًا بما يصنعُ وإنَّ العالم ليستغفِرُ لَهُ مَن في السَّمواتِ ومن في الأرضِ، حتَّى الحيتانِ في الماءِ، وفضلَ العالمِ على العابدِ كفَضلِ القمرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العُلَماءَ ورثةُ الأنبياءِ إنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا إنَّما ورَّثوا العلمَ فمَن أخذَهُ أخذَ بحظٍّ وافرٍ" صحيح أبي داود.

أهدي هذا العمل للعائلة الكريمة: للوالدين وإخوتي وكل زملائي وأصدقائي، وكل من كان له فضل علينا من قريب أو بعيد.

حكيم قدورطاهري

شكـــــر وعـــــرفان:

نحمد الله على فضله ونعمه الذي فضلنا على الكثير من عباده، وصلى الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور:**علي بوتشيشة** التي تابع هذا البحث منذ البداية إلى أن أصبح على هذه الصورة، وهذا بفضل توجيهاته القيمـــة وملاحظاتـــــه المنهجية والمتابعة المستمرة، فنسأل الله أن يحفظه ويجازيه خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

كما نشكر كل أساتذة معهد الآثار وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور إسماعيل بن نعمان والأستادة الدكتورة حنفي عائشة، وكل الزملاء الذين قدمـــــوا لنا يـــــد العـــــون من قريب أو بعيد.

1- التعريف بالموضوع:

لقد شهد المغرب الإسلامي نهضة عمرانية واسعة مع بداية الفتوحات الإسلامية، وكانت بدايته من مدينة القيروان التي أسسها عقبة بن نافع الفهري ثم تاكيروان التي شيدها أبو المهاجر الدينار في المغرب الأدنى، لتتواصل هذه الظاهرة مع كل امتداد وتوسع وتنافس بين القادة الفاتحين، وقد برز هذا التنافس مع ظهور الدويلات المستقلة الذين اقتسموا هذه الرقعة الجغرافية بينهم، تتسع أيام قوتهم وتضيق ساعة ضعفهم وانهيارهم، فهذا التسابق والتنافس حمل معه العديد من المخرجات الإيجابية والسلبية بخصوص العمران، فهناك مدن شيدت على أساس تلك القوة والتوسع وهناك من ضعفت وخُرِبَتْ بسبب ذلك.

إن إقليم المغرب الأوسط هو أحد الأقاليم الثلاثة التي كان لها صدى في المغرب الإسلامي، فقد ظهرت عليه مجموعة من الدويلات المستقلة عبر مراحل مختلفة، بداية من الدولة الرستمية ثم الحمادية ثم الزيانية، وهناك دويلات أخرى توسعت على مجاله الجغرافي وكان لها أثر في ذلك على غرار الدولة الزيرية والفاطمية والمرابطية والموحدية والمرينية، فنظرية المد والجزر لهذه الدول ساهمت في بروز مدن كبرى وهي العواصم ومدن صغرى، هذه الأخيرة هي التي كانت مركزًا للصراع والتنافس بينهم؛ وهذا لما تحظى به من مميزات وخصائص جعلتها تنفرد عن العواصم.

وتعد المدن الصغرى أو مدن الأقاليم إحدى النماذج الحضارية التي أنشئت عند ملتقى القوافل التجارية والموانئ الساحلية، وشهدت حركة عمرانية مميزة في ظل الدور التي كسبته جراء موقعها وموضعها في إقليم المغرب الأوسط، لكن هذه المكانة العمرانية لم تستمر في ظل الصراعات التي حدثت بين تلك الدويلات المستقلة أو القبائل البربرية، بحيث خربت القصور والأسوار والدُور وحتى المساجد لم تسلم من ذلك، مع العلم أن هذا الخراب لم يكن محصورًا بفترة معينة أو بسبب واحد، بل تعدت للعوامل الطبيعية مثل الزلازل والفيضانات والحرائق وغيرها، وحتى العامل البشري من خلال الإستدمار الفرنسي أو التعدي على بعض المعالم من قبل المواطنين، هذا هو حال بعض المدن الأثرية في بلاد المغرب الأوسط.

إن الدَارِسَ للعمران الإسلامي لأي مدينة كانت يستوجب عليه الإطلاع على كتب المصادر الجغرافية والتاريخية، التي تحمل في طياتها الكثير من الأوصاف والأحداث في شتى المجالات؛ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمعمارية والعمرانية، هذه الأخيرة أولاها الحكام والسلاطين أهمية كبيرة من خلال تسخير العديد من الإمكانات المادية والمعنوية، كل هذا من أجل بناء مدينة نموذجية وفق الشروط التي أقرها العلماء والفقهاء؛ غير أن هذا التصور الكامل لا يمكن ملاحظته على المدن الأثرية حاليا في ظل عدم وجود نموذج حي عن

المدينة الإسلامية ببلاد المغرب الأوسط، لكن من الممكن ربط تلك الأوصاف المصدرية مع المخلفات الأثرية الباقية.

2- دوافع اختياره :

وتماشيا مع تلك المعطيات كان اختيارنا لموضوع العمران الإسلامي لمدن أقاليم المغرب الأوسط من خلال المصادر المكتوبة والمادية مدن: تنس-مرسى الدجاج-مستغانم-هنين (ق2هـ - 9هـ / 8م - 15م) أنموذجا، دراسة تاريخية وأثرية، فهذه إحدى المواضيع المهمة في الدراسات الأكاديمية الحالية، وهو بحث شيق وواسع يجمع بين علمين لا يمكن الاستغناء عنهما وهما التاريخ والآثار، فكلاهما مرتبط ارتباطًا وثيقًا لا انفصال بينهما، وعليه فالمصادر وصفت والآثار وجدت وبينهما نقائص، وكل واحد يكمل الآخر في ذلك النقص.

إن هذه المدن المختارة هي إحدى النماذج المهمة في عمارة وعمران المغرب الأوسط، حتى وإن تم تصنيفها ضمن المدن المندثرة في ظل غياب عمرانها كاملا، إلا أنها مازلت تحافظ على بعض السمات التي تدخل ضمن العمران، أضف لذلك موقعها على ساحل البحر المتوسط ودورها التجاري بين عواصم المغرب الأوسط ومدن الأندلس، ومنها انتقال التأثيرات المعمارية والعمرانية والحرفية بين تلك المدن.

يمكن تقسيم دوافع اختيارنا لموضوع العمران الإسلامي لمدن أقاليم المغرب الأوسط بين المصادر المكتوبة والأثرية لشقيين أحدهما موضوعي والآخر ذاتي، ويمكن أن نلخص كل واحد منهما في مجموعة من النقاط:

أما الأسباب الموضوعية فهي كثيرة ومتعددة في ظل القيمة العلمية التي يتميز بها هذا الموضوع، ويمكن حصر هذه الدوافع فيما يلي:

- ثراء المصادر التاريخية والجغرافية بمصطلحات العمارة والعمران، وهذا من خلال المصطلحات الصريحة أو العبارات التي تدل على ذلك في نصوصهم.
- القيمة الحضارية التي كانت تتميز بها مدن الأقاليم في شتى المجالات خاصة الجانب المعماري والعمراني.
- محاولة البحث في شؤون العمران الإسلامي بالمغرب الأوسط أي هناك نقص نوعًا ما في هذا الجانب رغم أنه توجد دراسات مهتمة بالعواصم، وبعض الدراسات المنفردة على بعض المدن الصغرى.
- موقع وموضع المدن الساحلية وعلاقتهما بالدويلات المستقلة خاصة العواصم، فهذا سبب جعلنا نفتش عن هذه العلاقة المتبادلة فيما بينهما، خاصة عندما نتكلم عن الجانب الحضاري وهو الأكثر تأثيرًا وتأثرًا.

– أهمية المصادر المكتوبة للباحث الأثري والتي لا يمكن الاستغناء عنها أبدا في أبحاثه، لهذا فقراءتها وتمحصيها أثريا وسد الفجوات الموجودة بين الجانبين من خلال النقص أو الخطأ هي من الأمور التي دفعتنا للبحث في هذا الموضوع.

– الإهمال الذي تعاني منه تلك المدن من خلال عملية التشويه والطمس وتخريب معالمها الأثرية والتاريخية، هذا ما حز في أنفسنا ودفعنا للعمل والبحث في شؤون هذه المدن، من أجل إعطاء صورة واضحة وتقريبية عن تلك الحضارة.

– ومن بين الدوافع أيضا تضارب واختلاف أقوال المصادر الجغرافية والتاريخية حول تلك المدن، بحيث أننا نجد الكثير من التشابه رغم مرور فترات من الزمن وكأن المدينة لم تتطور وتتغير، وحتى من وصفوا بدقة لم يزورا تلك المدن وهنا نقصد البكري، هذا ما يجعل الباحث يشك في مصداقية تلك المصادر، والشك هنا يدفع الإنسان للبحث والتقصي في الموضوع.

أما الأسباب الذاتية فهي تتمثل في إطلاعي المستمر على كتب المصادر بمختلف أنواعها، أضف إلى ذلك ما تحمل من معلومات قيمة ونادرة في شتى المجالات، خاصة ما تعلق بالجانب المعماري والعمراني، والذي يقصيه بعض الباحثين في دراساتهم الأكاديمية رغم أنه أساس قيام ودوام وتطور الجوانب الأخرى، كذلك هناك دافع ذاتي آخر ولو أنه برز مؤخرا في بعض الدراسات الحديثة؛ وهو محاولة قراءة أثرية من خلال المصادر المكتوبة، وهذا لا يعني أنه لا توجد أبحاث ودراسات في المجال، بل هناك رسائل دكتوراه وماجستير عالجت مواضيع مختلفة لكن كان أغلبها متخصصًا ومنفردًا في عنصر معين.

3– الإشكالية:

إن البحث في شؤون العمران الإسلامي يعد من المواضيع الهامة في الدراسات الأكاديمية، وهو يتطلب وقتًا كبيرًا وجهدًا جبارًا من أجل الإلمام بالعديد من الجوانب سواء كان هذا البحث جزئيًا أو كليًا، بحيث أن جل الدراسات التي تطرقت لهذا الشأن كانت تتركز أغلبها على الحواضر الكبرى أي العواصم، وهذا نظرًا لقيمتهما ومركزيتهما بالنسبة للعالم الإسلامي والدويلات التي شيدتها، ويمكن أن نضرب عدة أمثلة في المشرق والمغرب الإسلامي؛ وهنا نقصد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم النموذج الأول للعمران الإسلامي، وتبعته مدن أخرى مثل مدينة بغداد، ودمشق والفسطاط وغيرها، أما في بلاد المغرب الإسلامي فكانت البداية مع القيروان ثم تاكيروان وفاس وقلعة بني حماد وتلمسان وغيرها من العواصم الكبرى التي كان لها صدى واضح في هذه البلاد، خاصة في مجال الإنجازات الحضارية التي تميزها وتنفرد بها.

وعلى العكس من ذلك هناك مدن صغرى حضارية تميزت عن العواصم بوظيفتها وموقعها وموضعها وعمرانها، هذا ما جعل المصادر التاريخية والجغرافية تتطرق لها في عدة نصوص مختلفة، فتنس ومرسى الدجاج ومستغانم وهنين هي نماذج حية للمدن الصغرى، والتي اشتهرت في إقليم المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي بصفة عامة، وكان لها أثر واضح جراء تلك ذاك في مجالها العمراني، لهذا خصصنا بحثنا حول هذه النماذج الأربعة من أجل الإجابة على بعض الإشكاليات، وأساسها سؤال محوري ينبثق منه عدة أسئلة فرعية:

أما السؤال المحوري فهو:

- كيف يمكن دراسة وتفسير العمران الإسلامي في مدن المغرب الأوسط من خلال تحليل المصادر المكتوبة والشواهد المادية ؟

وأما الأسئلة الفرعية فتمثلت فيما يلي:

- ما هي الخدمة التي قدمتها لنا المصادر المكتوبة في شؤون عمارة وعمران المغرب الأوسط؟
- هل بإمكاننا وضع مخطط تقريبي للنسيج العمراني لتلك المدن من خلال آثارها الباقية؟
- ما هي العوامل التي ساهمت في نشوء وتطور هذه المدن؟
- فيما تتمثل الأساليب المستخدمة في بناء عمارة هذه المدن ؟ وهل هناك مواد بناء مشتركة ؟
- ما هي أسباب تدهور وخراب عمران مدن أقاليم المغرب الأوسط عبر التاريخ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، ونظرا لاتساع الموضوع تم تحديد تلك النماذج الأربعة (تنس-مرسى الدجاج-مستغانم-هنين)، ونلفت انتباه القارئ أننا نركز على الموضع التي بنيت عليه تلك المدن، لأنه من الصعب دراستهما وفق التقسيم الإداري الحالي، أما الإطار الزمني فهو يمتد من القرن (ق2هـ - 9هـ / 8م - 15م) وهنا نتكلم عن الفترات التاريخية التي مرت عليها هذه النماذج المدروسة، فالمدة طويلة جدا والأحداث متشعبة خلال الفترة الوسيطة، وهذا في ظل التغيرات التي طرأت على الإقليم خاصة مع ظهور الدويلات المستقلة وسياسة توسعهما على مدن الأقاليم، فتلك النماذج هي الأكثر تأثرًا جراء تلك الأحداث سواء من ناحية الإيجابية؛ التجارة والسياسة والعمران، أو من الناحية السلبية وهنا نقصد ضعفهما وخرابهما وغيرها من التأثيرات، لهذا فالموضوع يحتاج إلى إلمام وتوسع معرفي في شتى العلوم.

4- منهجية الدراسة:

تم معالجة هذا الموضوع وفق محورين رئيسين وهما:

المحور الأول يتعلق بالدراسة النظرية من خلال جمعنا للمادة العلمية من كتب المصادر التاريخية والجغرافية، ووضع مصنفات علمية لها مع مراعاة النماذج المختارة، كذلك الإطلاع على الدراسات والأبحاث على شاكلة المراجع والتقارير والأرشيف وغيرها من الأوعية

المعلوماتية سواء كانت الكترونية أو ورقية، فالموضوع الذي تطرقنا له لا يسعه هذا البحث في ظل المكانة الحضارية لتلك المدن، لهذا فدراستنا مختلفة نوعًا ما من خلال سردنا لأوصاف المصادر والتعليق وتحليل مضمونها ومقارنة بعضها البعض، كذلك محاولة إسقاطها على واقع المخلفات الأثرية الباقية، وتم إحصاء كلي للمعالم والمصطلحات الأثرية التي وردت في كتابات المصادر مع معرفة ما بقى منها في تلك المدن.

المحور الثاني يتعلق بالدراسة الميدانية العلمية، والتي تقوم على أساس الرفع الأثري للمعالم الباقية، سواء من خلال الوصف والتصوير والقياس والرسم وغيرها، ويكون العمل مدعومًا بالروايات الشفهية التي تحدثنا عن بعض الجوانب كأسماء المعالم ومواقعها وسبب خرابها وترميمها، وحتى مواد البناء التي استخدمت وجلبت من المقالع، لأن الرواية الشفهية هنا هي جزء من العمل الميداني ولا يمكن أن نتخلى عنها.

5- المناهج البحث:

وفيما يخص المنهج المتبع في البحث فهو محصور في أربعة مناهج وهي:

- المنهج التاريخي: دراسة تاريخ المغرب الأوسط والمدن المختارة، وذلك من خلال تتبع الأحداث والوقائع التاريخية لفهم التطور العمراني خلال الفترات المدروسة

- المنهج الوصفي: تقديم وصف تفصيلي للعمائر الباقية في المدن المدروسة؛ مما يتيح فهما فهمًا دقيقًا للبنية العمرانية والأساليب الفنية المستخدمة.

- المنهج الاستقرائي: استقراء وتحليل النصوص التاريخية، الوثائق، الخرائط، المخططات، ونتائج البحوث الأثرية لاستخلاص المعلومات المتعلقة بالعمران الإسلامي في المدن المختارة.

- المنهج التحليلي : تحليل العبارات الوصفية من المصادر المختلفة وإسقاطها على الواقع المعمارية لتلك المدن، مما يساعد في تقديم تفسير معمق وشامل للعناصر العمرانية المدروسة.

-منهج المقارنة: أتاح لنا المنهج الجمع بين الأوصاف ومقارنتها واستخلاص التشابه والاختلاف مع تبيان سمات تلك المدن المختارة.

6- هيكل الدراسة:

بناءا على ما تم الوصول إليه من مادة علمية مختلفة تم تقسيم دراستنا إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، كما دعمت هذه الفصول بملاحق للخرائط والمخططات والأشكال والصور، فالمقدمة هي تبيان لأهمية الموضوع ودوافع اختياره بين الموضوعية والذاتية، مع إبراز الإشكالية التي قامت عليها الدراسة، إضافة لذلك المناهج المستعملة والمنهجية المستخدمة مع ذكر الدراسات السابقة المعتمدة، وكذلك المصادر والمراجع التي استنبطت منها المعلومات الخاصة بتلك المدن.

يضم الفصل الأول الإطار الجغرافي والتاريخي لإقليم المغرب الأوسط، بحيث تحدثنا فيه عن موقعه من خلال التركيز على أقوال المصادر التاريخية والجغرافية وأصل تسميته وغيرها، ثم تطرقنا للفتح الإسلامي وأهم المراحل التي مر بها بداية من عقبة بن نافع إلى عهد الولاة، ثم أشرنا للدويلات المستقلة سواء بهذا الإقليم أو الذي توسعت على حسابه.

أما الفصل الثاني فيتعلق بالعمارة والعمران الإسلامي، من خلال شرح مفصل للمفاهيم بداية من العمران ثم المدينة، وتكون هذه التفصيلات ضمن مفهومها اللغوي والاصطلاحي، بالإضافة لتطرقنا إليها من جانب القرآن الكريم والسنة النبوية، وكذلك أقوال المصادر التاريخية والجغرافية والفقهية، كما كان لنا حديث عن شروط بناء المدينة الإسلامية وضوابط تنظيمها، والنقطة الأخرى التي تطرقنا لها هي عوامل وأسباب خراب العمران، مع تفصيل في الكثير من الجوانب، وأنهينا هذا الجزء بالحديث عن عمران عواصم المغرب الأوسط باعتباره تقديمًا للموضوع.

وفيما يخص الفصل الثالث الذي تم تخصيصه للمدن الأربعة؛ بحيث تحدثنا فيه عن الإطار الجغرافي والتاريخي والخصائص الطبيعية لكل مدينة، وقد حاولنا التفصيل قدر الممكن في ذلك الجانب، مع الاستعانة ببعض الأرقام على غرار الفلكية ونسبة تساقط الأمطار ونسبة الارتفاع عن سطح البحر وغيرها، كما كان لنا الحديث عن بعض العناصر المهمة في شؤون المدن كالموقع والموضع ومساحة المدينة، إضافة لذلك ذكرنا المراحل التاريخية التي مرت بها كل مدينة بداية من فترة ما قبل التاريخ ثم الفترة القديمة وتليها الفترة الإسلامية بمراحلها وبعدها دخول العنصر العثماني والإسباني.

أما الفصل الرابع الذي خصصناه لمدن الأقاليم من خلال المصادر المكتوبة، وفيه تحدثنا بالتفصيل عن تلك الأوصاف التي ذكرت لنا تلك المدن، وتطرقنا لجميع الأقوال دون إهمال أي منها، مع محاول التعليق والتفصيل في الأوصاف التي تتعلق بالعمران والعمارة، وقد تم مراعاة كل ما كُتِبْ ونقلناه دون إنقاص أو تحريف، مع الاستعانة بآراء الباحثين والدارسين في هذا الموضوع، وأنهينا هذا الفصل بخلاصة جمعنا فيها العديد من المعطيات التي تجمع تلك المدن

وفي الفصل الخامس وهو الدراسة الوصفية لتلك المدن بحيث تم التركيز على المخلفات الأثرية، بحيث تحدثنا فيها عن أهم الأبحاث التي أجريت بتلك المدن، ثم قدمنا وصفا لكل معلم أثري مع الاستعانة ببعض المخططات لباحثين سابقين، كما تكلمنا عن مواد وتقنيات البناء المستعلمة في تلك العمائر، وفي نهاية الفصل حاولنا التطرق لبعض المميزات والخصائص التي تجمع وتفرق تلك المدن.

خاتمة هذه الدراسة تحمل جملة من الاستنتاجات المتوصل إليها، مع محاولة الإجابة عن الإشكالية المحورية التي طرحت بالإضافة للأسئلة الفرعية، كما قدمنا بعض التوصيات التي تصب في الموضوع بصفة خاصة وفي علم الآثار بصفة عامة.

وقد أرفقنا هذه الدراسة بملاحق مختلفة بداية من ملحق الخرائط وهو توضيح لتوسع الدويلات الإسلامية في المغرب الإسلامي والطرق التجارية كذلك، وملحق ثان يتعلق بالمخططات والأشكال وهو توضيح لبعض المعالم التي ذكرت في الفصل الرابع، وهناك ملحق ثالث خاص بالصور، بالإضافة لملاحق أخرى تتعلق بالأعلام والمدن والقبائل والجماعات، وكذلك ملحق الفهرس وفيه تقسيم للبحث بصفحات.

7- مصادر ومراجع البحث:

بما أن دراستنا تتمحور حول العمران الإسلامي بإقليم المغرب الأوسط، فمن المؤكد أن هذا البحث يحظى بثراء معرفي ومعلومات كثيرة ومتباين ومتعددة بين المصادر التاريخية والجغرافية والمراجع، فقد تم الإطلاع على العديد من الكتب المصدرية على غرار الرحلات الجغرافية والتاريخية والفقهية والسياسية ومعاجم اللغوية وكتب الأنساب والتراجم، واستفدنا منها كثيرًا في العديد من القضايا والشروح بخصوص موضوع بحثنا، وعلى سبيل المثال نذكر:

يعد كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك لأحمد بن شهاب الدين بن الربيع من بين المصادر التي استفدنا منها كثيرًا خاصة ما تعلق بالعمران الإسلامي وشروط بناء المدن وأسس تنظيمها، فمن خلال تلك الأحكام حاولنا إسقاطها على تلك المدن المختارة؛ من حيث تطبيقها وإتباعها في البناء والتشييد، ونفس الأمر ينطبق على كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق المَلك وسياسة المُلك لمؤلفه الماوردي؛ والذي تحدث كثيرًا عن العمران وكيفية بناء المدينة الإسلامية من خلال تكلمه عن جملة من الأسس التي يجب مراعاتها في الاختيار والبناء، وهذا ما تم ملاحظته في مدن أقاليم المغرب الأوسط.

لقد اعتمدنا في هذا البحث كثيرًا على كتاب المسالك والممالك للبكري فهو أحد المصادر الجغرافية التي وصفت لنا العديد من المدن الإسلامية، وتحدثت عن العديد من المجالات والجوانب منها؛ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية، هذه الأخيرة تدخل ضمنها العمارة والعمران التي تطرق لها في معظم كتابه سواء الجزء الأول أو الثاني، فتركيزنا نحن كان محصور في الجزء الثاني؛ بحيث ذكر لنا تلك المدن المختارة من بداية نشأتها إلى تطورها وأهم المراحل التي مرت عليها.

ورغم أن تلك المصادر تختلف زمانياً ومكانياً إلا أنها حملت الكثير من المعلومات ولو كانت محصورة في بعض العبارات والمجالات، ولا يمكن أن نقارنها مع ما جاء به البكري

في كتابه، لكن على العموم اعتمدنا على العديد منها مثل كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، وكتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق للإدريسي، وكتاب العبر لأبن خلدون، فهذه بعض المصادر التي استفدنا منها في بحثنا، حتى وإن كانت الاستفادة متباينة من مصدر لآخر إلا أنها مهمة وضرورية في مجال العمران وتاريخ المغرب الإسلامي.

وفيما يخص المراجع فهي كثيرة جداً ومتنوعةُ ومتعددة بين الكتب العربية والأجنبية والرسائل الجامعية والمقالات وغيرها، وكان اعتمادنا عليها حسب المعلومات التي توردها، فهناك مراجع إهتمت بالمجال التاريخي لبلاد المغرب الإسلامي مثل: عبد العزيز الثعالبي الذي تحدث في كتابه عن تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، وعبد الرحمن الجيلالي الذي تطرق في كتابه تاريخ الجزائر العام عن العديد من القضايا التاريخية منذ دخول الإسلام لهذه البلاد خاصة في الجزء الثاني، ونفس الأمر ينطبق على الهادي روجي إدريس وكتابه الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، هذا الأخير استفدنا منه قضايا بناء المدن من ناحية التاريخية وأهم الأحداث والتغيرات التي حدثت في ذلك الوقت.

كما اعتمدنا على مراجع مهمة جداً تتعلق بالعمارة والعمران وهنا نذكر كتاب الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية لرشيد بورويبة، والذي تحدث عن العديد من المساجد على غرار مساجد تنس ومستغانم، بحيث أمدنا بمعطيات مهمة حول تأسيس تلك المعالم من ناحية الأثرية من خلال تركيزه على الكتابات التأسيسية وبعض السمات المعمارية التي ترجعه لطراز معماري وفني معين، وهذا ما تم ملاحظته على مسجد سيدي بلعباس وحتى مسجد سيدي معيزة بتنس.

ولا يمكن الاستغناء عن المراجع الأجنبية التي كان لها دوراً بارزاً في دراسة العديد من المدن، وتدخل ضمن ذلك كل من تنس وهنين ومستغانم، وتعددت كتاباتهم بين ما هو عام ومتخصص، وعلى سبيل المثال نذكر كل من جورج مارسي(Georges Marçais) كتابه المعنون بـ (L'Architecture musulmanes d'occident)، كذلك هناك كتاب الباحث الجزائري رشيد بورويبة(Apports de L'Algérie a l'architecture religieuse arabo-islamique)، هذه بعض المراجع الأجنبية التي كان بحثنا في طياتها عن بعض المعارف التاريخية والأثرية وقدمت لنا فائدة كبيرة.

ومن بين الدراسات التي تطرقت لهذا الموضوع بطريقة منفصلة من خلال معالجة موضوع تنس، وهنا نتكلم عن رسالة دكتوراه المعنونة بمدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية(3-13هـ/9-19م) والتي أعدها الباحث إسماعيل بن نعمان، وهناك رسالة أخرى تتعلق بالاستحكامات العسكرية الموحدية في بلاد المغرب والأندلس للباحث مصطفى سالم،

وقد تم الاستفادة من هذه الرسائل كثيرًا في العديد من الجوانب والعناصر، إلا أنها محصور بمجال العمارة ولم تتطرق للمجال العمراني.

صراحة لا نجد دراسات كثيرة تتعلق بالعمران سوى رسالة دكتوراه حول تطور العمران للعواصم المغرب الأوسط للباحث عز الدين بويحياوي، والذي تحدث فيها المدن الكبرى ولا نجد أثر لمدن الأقاليم، لهذا كان من الضروري التطرق ومعالجة موضوع مدن الأقاليم في بلاد المغرب الأوسط.

لقد استندنا على قائمة كبيرة من المصادر والمراجع بمختلف أنواعها ومواضيعها، وهذا الأمر لم يكن صدفة ولا عبثا؛ بل عمل قمنا به قبل نجاحنا في شهادة الدكتوراه فكنا نوثق كل بحث نقوم به، وهذا ما جعلنا نستفيد منه في موضوع دراستنا حول عمران المدن، لكن مع تلك الكثرة ينجم عنه التناقض والتضاد والتضارب في الأقوال والأوصاف، وهذا ما لاحظناه في العديد من المرات خاصة في وصف المدن وبعض التواريخ والأحداث. على العموم حاولنا قدر المستطاع توضيح ذلك الغموض مع الاستناد على أعمال الباحثين الحديثة.

8- الصعوبات والعراقيل:

لا يخلو البحث العلمي من بعض العراقيل والصعوبات التي تواجه الباحث أثناء دراسته لأي موضوع كان، فخلال إعدادنا لهذا البحث واجهتنا جملة من العراقيل بداية من الجانب النظري، وهذا أثناء جمع المادة العلمية التي تميزت في بعض المرات بقلتها وتضاربها بين أقوال المصادر، كذلك طريقة الوصف الغامض والاهتمام بجانب على حساب جانب عند بعضهم، أما عن الدراسة الميدانية فقد واجهتنا صعوبة دراسة بعض المعالم في ظل أنها تغيرت بصفة نهائية مثل مسجد أبي الحسن المريني بمستغانم، وكذلك هناك معالم تم منعنا من دراستها في ظل تبعيتها لجهات أمنية مثل برج أمحال، وهناك معالم لم نجد لها أثرًا مع ما تم وصفه من قبل المصادر التاريخية والجغرافية، وعليه فهذه بعض العراقيل التي واجهتنا أثناء إعدادنا لهذا العمل العلمي.

وعليه حاولنا التفصيل والتدقيق في هذا الموضوع مع الإحاطة بجميع الجوانب المتعلقة به، خاصة أن هذه العمل يضم جانبين فالأول متعلق بالمصادر التاريخية والجغرافية، والثاني يتعلق بالجانب الأثري أي الشواهد المادية، والفصول التي تطرقنا لها ستوضح هذا الأمر.

الفصل الأول:

الإطار الجغرافي والتاريخي للمغرب الأوسط

1- الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة.

2- لمحة تاريخية للمغرب الأوسط.

إن دراسة العمران الإسلامي لبعض المدن من المغرب الأوسط يحتم علينا الحديث عن هذا الإقليم وما يميزه عن باقي الأقاليم، فهو وإن كان أحد الرقع الجغرافية المتميز بسماته وخصائصه. إلا أنه يرتبط ارتباطًا وثيقًا بما يدور في هذه البلاد، سواء ما تعلق بالحياة الطبيعية أو الاجتماعية والاقتصادية وغيرها، ومن هذا الباب نريد على الأقل تقديم بعض المعطيات التي تتعلق بالمغرب الأوسط خاصة من الجانب الجغرافي والتاريخي والعمراني، فطبيعة هذه الدراسة تتطلب الإحاطة بالموضوع من عدة جوانب.

1- الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة:

المغرب كما تحدثت عنه المصادر والمراجع هو ما يقابل بلاد المشرق أي الواقع غرب هذه الأمصار لهذا سمي مغربا في اتجاه الشمس[1]، في حين نجد بعض الاختلافات لدى الجغرافيين والرحالة حول حدود المغرب الإسلامي، فكل واحد منهم أعطي نظريته تبعا للفترة التي عاش فيها وكذلك التي سبقته، فهو يطل شمالا على البحر المتوسط ومن الجنوب يمتد نحو الصحراء الكبرى، ومن الغرب المحيط الأطلسي، في حين نجد الاختلاف واضحًا في الجهة الشرقية، فالبعض يحدده من غرب مصر والبعض الآخر يرى أنه يبدأ مـــن مـــدينة الإسكندرية[2]، ولم يقف هذا الاختلاف هنا فقط بل برز فيما بعد حول تحديد الأقاليم الثلاثة لهذه المنطقة الجغرافية وهي:

- المغرب الأدنى (إفريقية): يحدد من منطقة طرابلس إلى تونس وصولا لمدينة بجاية، وهذه أيام حكم الأغالبة والعبيديين فيما بعد.[3]

---

[1]- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص.3. أنظر: الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/1236-1554م)، دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2005/2004م، ص.18.

[2]- محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التاريخ والأسفار، مج.1، تحقيق: علي الزواري ومحفوظ، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ص.45. أنظر: محمد عليلي، الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنيين الأول والثالث الهجريين/ السابع والتاسع الميلاديين، دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2016/2015، ص.36.

[3]- عبد الواحد ذو النون طه وآخرون، تاريخ المغرب العربي، ط.1، دار المدار الإسلامي، طرابلس، الجماهرية العظمى، 2004م، ص.13.

– المغرب الأوسط: ويمتد من بجاية إلى وادي ملوية وجبال تازة، وقاعدته تاهرت في عهد الدولة الرستمية القرن 2هـ/8م.[1]

– المغرب الأقصى: هي المنطقة الممتدة من وادي ملوية إلى المحيط الأطلسي، أي هي القسم الذي يقع غرب بلاد المغرب الأوسط[2].

ومن أجل إبراز أهم ما قيل عن الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط، نستعرض هنا أقوال وأراء المؤرخين والرحالة الجغرافيين الذين تحدثوا عن هذا الإقليم[3]، وللعلم فإن كل واحد منهم عاش في قرن معين وعايش دولة ما، وسمى الأوسط لتوسطه المغربين الأدنى والأقصى فكان له موقع استراتيجي هام مقارنة بهما[4]، وتتمثل أقوالهم فيما يلي:

1-1- أبو عبيد الله البكري (ت487هـ/1092م):

يعد أول واحد تحدث عن المغرب الأوسط في سياق كلامه فقال: " ... وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق ومساجد ومسجد جامع.."[5]، وهنا حدده نسبة لأكبر قبيلة وهي قبيلة

---

[1]– عبد الواحد ذو النون طه وآخرون، تاريخ المغرب العربي، ط.1، دار المدار الإسلامي، طرابلس، الجماهرية العظمى، 2004م، ص.13. أنظر: محمد عبد سوادي وصالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي (الأحوال الجغرافية– الفتوحات الإسلامية– قيام الإمارات والدول–الحضارة الفكرية– الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية)، ط.1، المكتب المصري لتوزيع والمطبوعات، القاهرة، 2004م، ص.26.

[2]– موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص.15. أنظر: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص.4.

[3]– إقليم: بلفظ واحد الأقاليم: موضع بمصر أو بلدة ، وإقليم القصب بالأندلس. أنظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، مج1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1387هـ/1977م، ص.237.

[4]– ابن منظور(أبي الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري)، لسان العرب، ج.6، دار صادر، بيروت، ص.438. أنظر: الأسعد شوشان، الموانئ والمراسي بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة دراسة تاريخية أثرية، ماجستير في علوم التراث، تخصص: آثار إسلامية، جامعة تونس، 2010/2009م، ص.24.

[5]– أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة،ج.2، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ص ص.259.

زناتة[1] التي كانت تقطن بنواحي تلمسان[2]، غير أن البكري هنا لا يشير للجهة الشرقية لحدود هذا الإقليم، فهو لم يزر المنطقة بل نقل معظم كلامه عن سابقيه.

1-2- الشريف الإدريسي (ت560هـ/1164م) :

ذكر المغرب الأوسط قائلا: " ...ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد"[3]، ويذكر هنا الإدريسي مصطلح الغرب بدل المغرب أي يستعمل مصطلح الاتجاه، في حين نجده يذكر لنا مجموعة من المدن في هذا الإقليم من الجهة الشرقية وصولا لمدينة قسنطينة[4] والتي دخلها بنو حماد ولهم معالم أثرية في ذلك، أما الناحية الغربية فيذكر بأن تلمسان[5] هي قفل المغرب ويقف عند هذا الحد[6]، على العموم فهذا الجغرافي أعطى إضافات جديدة حول ما ضمه المغرب الأوسط.

---

[1]- زناتة: هي إحدى القبائل الي كان لها دور كبير في بناء تاريخ المغرب الإسلامي، وقد أختلف في نسب هذه القبيلة فهناك من قال أنها من حمير أو العمالقة، وهناك من ردها لبلاد الشام بتحديد فلسطين، لكن يتفقون جميعا على أن زناتة من البتر نسبة إلى مادغس الأبتر، وكانت هذه القبيلة غير مستقرة في مكان معين بل هم رحل، مما صعب تحديد موقعهم. أنظر: محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م ص ص.16-17.

[2]- سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)، ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009/2008م، ص.24.

[3]- الإدريسي(أبي عبيد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميدي الحسني)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مج.1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م، ص. 260.

[4]- قسنطينية: مدينة وقلعة يقال لها قسنطينية الهواء، وهي قلعة كبيرة جدا حصينة عالية لا يصلها الطير إلا بجهد، وهي من حدود إفريقية مما يلي المغرب لها طريق واتصال بأماكن متناسقة جبنوبيها تمتد منخفضة حتى تساوي الأرض وحولها مزارع كثيرة. أنظر: ياقوت بن عبد الله شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، مج.4، دار صادر، بيروت، لبنان، 1387هـ/1977م، ص.349.

[5]- تلمسان: بكسرتين، وسكون الميم، وسين مهملة وبعضهم يقول تِنِمْسَان، بالنون عوض اللام، بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان، بينهما رمية حجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب، واسمها تافرزت، واسم القديمة أقادير. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.1، ص.44.

[6]- الإدريسي، المصدر السابق، ص.250.

1-3- مؤلف الاستبصار:

وفيما يخص صاحب الاستبصار (عاش خلال القرن 6 هـ/12م) فقد أورد هـــذا الإقــليم في قوله:" وفيه مدن كثيرة وقاعدتها تلمسان، وحد المغرب الأوسط من وادي مجمع، و هو نصف الطريق بين مليانة ومدينة تلمسان بلاد تازا من بلاد المغرب في الطول، وفي العرض من البحر الذي على ساحل البلاد التي ذكرنا في البلاد"[1]، فصاحب الاستبصار هنا يشير أن المغرب الأوسط يمتد إلى منطقة تازا[2] غربا وهي آخر حد لهذا الإقليم، ومن الناحية الشرقية لم نجد معلومات ثابتة عن تلك الحدود الفاصلة، ومن الراجح أنها تتوقف عند مدينة بجاية حسب ما ذكر سابقا.

1-4- عبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1249م):

جاء على لسانه ذكر لبعض المدن التي كانت تابعة للدولة الحمادية دون تحديد مصطلح المغرب الأوسط، فيقول في هذا السياق:"... ومن قسطنطينة المغرب إلى بجاية خمس مراحل على الرفق وبجاية هذه هي دار ملك بني حماد الصنهاجيين الذين تنتسب قلعة بني حماد إليهم وكانوا يملكون من قسنطينية إلى موضع يعرف بسيو سيرات[3]، وقد تقدم هذا الموضع بينه وبين بجاية قريب من تسع مراحل ...ومن تنس إلى مدينة وهران سبع مراحل ومن مدينة وهران إلى مدينة سبتة[4] على

---

[1]- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب لكاتب مراكشي من القرن السادس الهجري -12م-)، تعليق: سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص.176.

[2]- مدينة تازا : مدينة كبيرة لا يقل نبلها عن قوتها، وتعيش في رخاء على أرض خصبة، أسسها الأفارقة القدماء على بعد نحو خمسة أميال من الأطلس، وتبتعد تقريباً عن فاس المتوسط بنحو 50 ميلاً، تشتمل هذه المدينة عللا ما يقرب من خمسة ألاف كانون، لكن دُوْرُهَا غير جميلة، باستثناء قصور الأشراف والمدارس والمساجد المبنية بجدران في غاية الإتقان، وينحدر من الأطلس نهر صغير يمر بالمدينة ويخترق الجامع الكبير. أنظر: حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج.1، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ص.354.

[3]- نهر سيرات: يجري هذا النهر تحت قلعة هوارة بالقرب من تيهرت. أنظر: محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ/296هـ)، ط.3، دار القلم للنشر والتوزيع، 1408هـ/1987م، ص.16.

[4]- سبتة: وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مراسي على البحر، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة، وهي مدينة حصينة تشبه المهدية التي بإفريقية على ما قيل لأنها ضاربة في البحر داخلة كدخول كف على زند، وهي ذات أخياف وخمس ثنايا مستقبلة الشمال وبحر

التقريب"[1]، إن المراكشي هنا يعطي لنا معلومات عن الدول التي حكمت بالمغرب الأوسط بداية من بني حماد ثم يتكلم عن الموحديين، لهذا لا نجد مصطلح المغرب الأوسط يذكر عنده.

1-5- ابن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م):

ورد لفظ المغرب الأوسط في قوله: « وفي شرقيها قاعدة المغرب الأوسط بجاية ...وموضوع قسنطينة في جنوبيها، حيث الطول ...وهذه المدينة على آخر سلطنة بجاية "[2]، كما ذكر مجموعة من المدن التي تدخل تحت سياق هذا الإقليم مثل مستغانم وتنس وجزائر بني مزغنة[3] وغيرها، فيرى أن قسنطينة هي آخر سلطنة بجاية أو المغرب الأوسط، فهذا الجغرافي يعطي مجالاً واسعًا عن بلاد المغرب الأوسط، وقد يكون هذا الامتداد ظرفي لمدة معينة فقط، من خلال توسع دولة عن أخرى.

1-6- أبي الفداء (ت732هـ/ 1331-1332م):

تحدث عن المغرب الأوسط في قوله: " والقطعة الثانية تعرف بالمغرب الأوسط وهي من شرقي وهران عن تلمسان مسيرة يوم في شرقيها إلى آخر حدود مملكة بجاية من الشرق"[4]، وهنا يتكلم عن الإقليم بحدوده الجغرافية سواء الشرقية التي تقف عند بجاية أو الغربية عند تلمسان، بحيث لم يعطينا

الزقاق، ومن جنوبيها بحر الزقاق، وبينهما وبين فاس عشرة أيام. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.3، ص ص.182-183.

[1]- محي الدين أبي محمد عبد الواحد أبي علي التميمي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، 1881م، ص.257.

[2]- أبي الحسن علي بن موسى ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، ط.1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م، ص.142.

[3]-جزائر بني مزغنة: اسم لمدينة على ضفة البحر بين إفريقية والمغرب، بينها وبين بجاية أربعة أيام، كانت من الخواص بلاد بني حماد بن مناد الصنهاجي، وتعرف كذلك بالجزائر وجزائر بني مزغناي، وهي مدينة جليلة قديمة البنيان فيها آثار للأول عجيبة وآزاج محكمة تدل على أنها كانت دار ملك لسالف الأمم، وصحن الملعب الذي فيها قد فرش بحجارة ملونة صغار مثل الفسيفساء، فيها صور الحيوانات بأحكم عمل وأبدع صناعة، لم يغير تقادم الزمان، ولها أسواق ومسجد جامع، ومرساها مأمون له عين عذبة يقصد إليها أصحاب السفن من إفريقية والأندلس وغيرهما. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.2، ص.132.

[4]- عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، 1830م، ص.122.

تفصيل عن هذا الإقليم ولا عن غيره، بل ذكر ذلك في سياق الكلام عن بعض الأحداث التاريخية والسياسية.

1-7- ابن خلدون (ت 808هـ/1406م):

يعتبر هذا المصدر من أدق المصادر التاريخية تفصيلا وتدقيقا في سرد المعلومات فيقول: " وأما المغرب الأوسط فهو في الأغلب ديار زناتة كان لمغراوة[1] وبني يفرن[2]، وكان معهم مديونة[3] ومغيلة[4] وكومية[5] ومطغرة[6] ومطماطة[1]، ثم صار من بعدهم لبني ومانوا[2] وبني يلومي[3]، ثم صار لبني عبد الواد

[1]-مغراوة: وهم أبناء مغراو بن يصلتين، وجدهم الأكبر هو زانا بني يحي، وهم أخوة بني يفرن، وبني واسين، ومن أهم بطون مغراوة: لقواط أو لغواط، وريغة، وبنو سنجاس، وبنو ورا، وكان أميرهم يسمى صولات بن وزمار، وتمتد مواطنهم في المغرب الأوسط من تلمسان إلى شلف وحتى جبال مديونة، وكذلك متيجة. أنظر: بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها -مواطنها -أعيانها، ج.1، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، 2007م، ص ص.270-279.

[2]- بني يفرن: وهم أبناء يفرن بن يصلتين، وجدهم الأكبر هو زانا بن يحي، وإخوانهم هم: مغراوة وبنو يرنيان وبنو واسين، وهم أشهر القبائل وأكثرها تأثيرا في مرحلتي الفتح والولاة، كان استقرارها في البداية بإفريقية وجبل أوراس والمغرب الأوسط، ثم انسحبوا إلى الناحية الغربية من بلاد المغرب تحت ضغط قبيلتي هوارة ولواتة المنتشرتان بين طرابلس وجبل الأوراس وهم من بطون زناتة، وهم يستقرون في مواطن بإفريقية وجبال الأوراس ونواحي تلمسان وتيهرت. أنظر: بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج.1، ص ص.263-270. أنظر: إلياس حاج عيسى، « زناتة المغرب الأوسط القبيلة والمجال»، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، المجلد:3، العدد:1، يناير 2020م، ص.181.

[3]- مديونة: وهم من بني فاتن، وكان لها دور هام في تاريخ الأندلس بعد أن أجازوا إليها أيام الفتح، من قبائل المغرب الأوسط ومن مواطنهم جبل بني راشد وجبل مديونة وهي حاليا بولاية غيلزان. أنظر: بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج.1، ص 180-181- 186. أنظر: صابرة فراحتية ونعيمة سعادة، القبائل الأمازيغية من وفاة الكاهنة إلى نهاية الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط، ماستر أكاديمي في التاريخ، تخصص: تاريخ القرون الوسطى، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017/2016م، ص. 10.

[4]-مغيلة: هم من بني فاتن، وقد كان لها تأثير خلال الفتح الإسلامي خاصة في القيروان، كما مان لها دور في نشر دعوة إدريس الأكبر بجانب قبيلة أوربة، أما مواطنهم فكانت بنواحي نهر شلف بضواحي مازونة وكذلك بمدينة فاس ومكناس وتازة. أنظر: بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج.1، ص ص. 199،216.

[5]- كومية: هم من أبناء فاتن، وكانت هذه القبيلة تعرف في القديم باسم صطفورة، وتفرعت عنها ثلاثة بطون هم بنو يلول، وصغارّة، وندرومة، وكومية هي قبيلة عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدية. أنظر: بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج.1، ص 140.

[6]- مطغرة: يرجع نسبهم إلى بني فاتن وتعتبر مطغرة من بين القبائل المدرية، التي اختارت حياة الاستقرار في الأرياف، وفي بعض الواحات، والقصور الجنوبية، وكان لها تأثير في المغرب الإسلامي، وهذا عند مواجهة ولاة بني

وتوجين[4] من بني مادين وقاعدته لهذا العهد تلمسان، وهي دار ملكه ويجاوره من جهة المشرق بلاد صنهاجة[5] من الجزائر ومتيجة وما يليها إلى بجاية"[6]، أما هنا فيعطي تحديدًا قبليًا للمغرب الأوسط، فهو يذكر مجموعة من القبائل التي تنتسب لقبيلة زناتة أصل المغرب الأوسط، إن هذا التحديد قد يراه ابن خلدون منطقيًا ومقبولاً بفعل سيطرة واستقرار معظم تلك القبائل بإقليم المغرب الأوسط، لكن قد ينكر بعض الباحثين هذا التحديد القبلي لأسباب مختلفة، فبعض القبائل التي ذكرها كانت ممتدة نحو المغرب

أمية بقيادة ميسرة المطغري، ومن مواطنهم بعض تلول من المغرب الأوسط والأقصى محاذين للبحر، كما أرادوا إقامة إمارة بندرومة. أنظر: بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج.1، ص ص.187،193.

[1]– مطماطة: من بني فاتن ومطماط لقب لأبيهم؛ أما اسمه فهو مصكاب، كان لها دور كبير في دولة الزيرية والدولة الحمادية، أما مواطنهم في كثيرة في ربوع المغرب الإسلامي كله، مثل فاس وجبل وانشريس وجبل كزول من نواحي تيهرت. أنظر: بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج.1، ص ص .195–198.

[2]-بني وامانوا: ذكر ابن خلدون أنه لا يعرف تسلسل نسبهم، وإن كان يجعلهم من بين قبائل زناتة تبعا لروايات النسابين، وينو وامانوا هؤلاء كانوا حلفاء لإخوانهم القبيلتان من التغلب على ربوع المغرب الأوسط، أما عن كواطنهم فهي في المغرب الأوسط شرق وادي ميناس (مينا حاليا) بمنداس؛ وحتى أسافل شلف ويجاورهم على الضفة الغربية؛ لوادي ميناس بنو يلومي. أنظر: بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج.1، ص ص .302–304.

[3]-بنو يلومي: كل ما قيل عن بني ومانوا ينطبق على بني يلومي؛ لأن هاذين الحيين يجمعهما مصير واحد؛ نظرا لتلاحمهما وتحالفهما؛ وذلك بالإضافة إلى النسب الواحد الذي جمعهما، فقد كانوا موالين للمرابطين، ومن مواطنهم في المغرب الأوسط؛ نجد الضفة الغربية لوادي ميناس (مينا)، بالجعبات والبطحاء، وسيك (سيق) وسيرات، وجبل هوارة، وبني راشد. أنظر: بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج.1، ص ص.306–307–308.

[4]- بنو توجين وبنو عبد الواد: هم فرع من الطبقة الثانية من قبيلة زناتة وهم من أبناء بادين المعروفين بين زناتة الأولى ببني واسين، فكان موطن توجين شرقي بني عبد الواد، وجنوبي مغراوة، فيما بين سعيدة والمدية، وحياتهم بدوية كمغراوة، وكانوا يبلغون رحلة الشتاء إلى مزاب والزاب الغربي وموطنهم كان جبل الونشريس، أما بني عبد الواد استقروا منذ أزمة طويلة بالمغرب الأوسط، ما بين نواحي تلمسان إلى وادي زاغ غربا، وكان يحدهم من ناحية القبلة موطن توجين، ومن الناحية الشرقية موطن مغراوة، وكان الصراع بين بني عبد الواد الزيانيين، وبين القبيلتين على أشد منذ دخولهم التل. أنظر: الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633–962هـ/1236–1554م)، دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2004–2005م، ص.20.

[5]- صنهاجة: هي من أوفر قبائل البربر، وهي أكثر أهل الغرب لهذا العهد وما بعده، لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط، حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم البربر، ويرجع نسبهم من ولد صنهاج وهو صناط، بالصاد الشمة بالزاي والكاف القريبة، وهو عند نسابه البربر من بطون البُرانس من ولد برنس بن بر. أنظر: أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي الأشبيلي ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج.6، دار الفكر، بيروت، 2000م، ص.134.

[6]– المصدر نفسه.

الأدنى والأقصى وحتى طرابلس، بالإضافة إلى انتقال تلك القبائل من منطقة إلى أخرى بحثا عن الكلأ والماء وممارسة التجارة والفلاحة قد أثر في ضبط حدود المغرب الأوسط، لهذا نجد ابن خلدون في نصه هذا يذكر لنا عبارة " في الأغلب" وهنا تعبر عن الكثرة والوسع لهذا الإقليم مع أنه لم يجزم بصدق هذا الرأي.

1-8- عبد المنعم الحميري (ت.900هـ/1495م):

مما ينقله عن المغرب الأوسط قائلا:" بجاية: قاعدة الغرب الأوسط، مدينة عظيمة على ضفة البحر"[1]، ويقول أيضا:" تلمسان: قاعدة المغرب الأوسط، وحد واد يسمى مجمع وهو في نصف الطريق من مدينة مليانة[2]" ويضيف أيضا:" وكان هذا الغرب الأوسط قد تملكه العلويون"[3] ما هو معلوم أن الحميري يعرض هنا مصطلحات ومفاهيم عن هذا الإقليم دون تفصيل وتحديد كلي له، فهو لم ير المنطقة بقدر ما نقل كلامه من الجغرافيين والرحالة الذين سبقوه، فبمجرد أن تقرأ ما كتب تدرك أنه نقل كلامه من عند ابن سعيد المغربي، لكن يبقى كلامه يزيد و يثبت ما قيل سابقا.

هذه بعض المصادر الجغرافية والتاريخية التي ذكرت المغرب الأوسط كمفهوم صريح في كتاباتهم، غير أننا نجد الآخرين يذكرون هذا الإقليم وفق تقسيم آخر، مثلما نجده عند ابن حوقل الذي يقسم المغرب على قسمين، قسم شرقي يبدأ من برقة إلى إفريقية إلى البحر المحيط، والقسم الغربي هي بلاد مسكونة ومدن متصلة[4]، وهنا جعل المغرب واسعً ومفتوحًا ولم يحدد أقاليم المغرب الإسلامي فهو تحدث عنه بصفة عامة ولم يكن مقسمًا في ذلك الوقت، فحتى المقدسي لم يوظف مصطلح المغرب الأوسط في حديثه بل استعمل إقليم إفريقية الذي كان يضم مدينة الخرز، وعنابة، ودار ملول، وطبنة[5]،

---

[1]- محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط.1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص.80.

[2]- مليانة: هي أحدى مدن المغرب الأوسط، وقديمة معلقة في سفح جبل زكار الغربي على ارتفاع 740م، فوق مستوى سطح البحر، تبعد 132كلم عن مدينة الجزائر العاصمة، وقد جددها زيري بن مناد الصنهاجي، وهي إحدى المدن تابعة لولاية عين الدفلى حاليا أنظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاثة، الجزائر، المدية، مليانة، ط.2، مطبعة صاري بدر الدين وأبنائه، الجزائر، 1972م، ص.296.

[3]- الحميري، المصدر السابق، ص.135.

[4]- أبي القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م، ص.64.

[5]- طبنة: هي من أعظم مدن بلاد الزاب، وهي مدينة كبيرة لها حصن قديم عليه سور من حجر جليل متقن البناء من عمل الأول، ولها أرباض واسعة، بينها وبين المسيلة مرحلتان، وحي حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن

ومقرة[1]، وجيجل، وسطيف، وإيكجان[2]، ومرسى الدجاج، وأشير[3]، أما عن إقليم تاهرت فكان يضم **كلاً** من وهران، وشلف، وسوق إبراهيم[4]، والبطحاء[5]، واريفن، وتنس، وفكان[6]، فبعض من هذه المدن أصبحت تابعة للمغرب الأوسط فيما بعد على غرار تاهرت ومرسى الدجاج وتنس ووهران وغيرها.

من الصعب وضع خريطة جغرافية لبلاد المغرب الأوسط وهذا لعدة اعتبارات، فمعظم المصادر الجغرافية والتاريخية أعطت أراء مختلفة حسب الفترة التي عايشوها، فالبعض منهم اعتمد في تحديد هذا الإقليم على أساس توزيع القبائل وهذا ما نجده عند ابن خلدون، وهناك من وصف هذه الأقاليم على أساس انتماء سياسي وإداري مثل الأصطخري، وهناك من وصف هذا الإقليم على أساس قيمة

واللحنطة والشعير، وتشق طبنة جداول الماء العذب، ولها نهر يشق غابتها، وقد بني له صهريج كبير يقع فيه وتسقى منه جميع بساتينها وأرضها، وهي ممن فتح موسى بن نصير حين دخل بلاد إفريقية، وهي إحدى المدن تابعة لولاية باتنة حاليا. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص.387.

[1]– مقرة: هي مدينة بالمغرب في بر البربر قريبة من قلعة بن حماد بينها وطبنة ثمانية فراسخ، وكان بها مسلحة للسلطان ضابطة للطريق ينسب إليها عبد الله بن محمد بن الحسن المقري، وهي إحدى المدن تابعة لولاية المسيلة حاليا. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.5، ص.175.

[2]–انكجان (إيكجان): مدينة بالمغرب من بلاد البربر، ثم من بلاد كتامة منهم؛ كان أكثر مقام لأبي عبد الله الشيعي، ويسميها دار الهجرة، وسمعت بعضهم يقول إيكجان الباء، وهي بجبل بقرب سطيف على مرحلة ونصف من بجاية وبه قبائل كتامة وبه حصن حصين ومعقل منيع، وهي إحدى المناطق تابعة لدائرة بني عزيز ولاية سطيف. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج.1، ص.273. أنظر: فرات محمود ميران الخزاعلي، الدولة الفاطمية في بلد المغرب دراسة سياسية، ماجستير تاريخ إسلامي، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ص.55.

[3]– أشير: بكسر ثانيه، وياء ساكنة، وراء: مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف إفريقية الغربي مقابل بجاية، وكان أول من عمرها هو زيري بن مناد الصنهاجي، وبنيت سنة 324هـ/936م، وهي على أحسن حال، وهي إحدى المناطق تابعة لبلدية الكاف الأخضر ولاية المدية.أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1، ص ص.202–203.

[4]– مدينة سوق إبراهيم: تقع أسفل جبل الزكار بينها وبين تنس مرحلتين، أسسها إبراهيم بن سليمان، وتقع هذه المدينة قرب مدينة الشلف حاليا. أنظر: محمد مقيدش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواوي ومحمد محفوظ، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ص ص 76–77.

[5]–البطحاء: مدينة كبيرة متحضرة جدا وآهلة بالسكان، بناها الأفارقة، وقد كانت قائمة عام 513ه/1119م عندما نزل بها محمد بن تومرت، ,فاستقبله عبد المؤمن بن علي، وهي بسهل فسيح به القمح بكثرة، لكنها خربت بعد الحروب التي قامت بين ملوك تلمسان وأقربهم من ونشريس، ولم يبقى منها سوى أسس الجدران، ويجري بالقرب منها نهر صغير كانت على ضفافه بساتين وحقول في غاية الخصب، وشيدت هذه المدينة قرب ضفاف وادي الشلف إلى غليزان حاليا. أنظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص ص.27–28.

[6]– أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط.3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411ه/1991م، ص ص.217–218–219.

وحضارة المدن الكبرى مثل المقدسي، لكن يبقى ابن خلدون من بين أفضل الدارسين في تحديد جغرافية المغرب الأوسط من حيث الدقة والمعلومات[1]، فهو يورد لنا توزع تلك القبائل عبر انتمائها لإقليمها، كما أنه قد استفاد من المصادر السابقة وكذلك تنقله بين الأقاليم الثلاثة لهذا حدد إقليم المغرب الأوسط بشكل دقيق مقارنة بما نقلته المصادر الأخرى.

ولعله من المفيد أن نؤكد بأن الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط بصفة خاصة كانت تخضع لحدود المغربين الأدنى والأقصى، بحيث شكلت إشكالية صعبة في تحديد تلك الأقاليم الثالثة، فالباحثون في هذا المجال يحددون عدة عوامل تحكمت في امتداد وتقلص إقليم ما، وخـــاصة ما تعلق بالتـــضاريس والتي في رأيهم كانت أحد أسباب تحديد تلك الأقاليم الثلاثة[2]، كما يعتبر العامل السياسي أحد العوامل المتحكم في ذلك، فضعف دولة وقوة الأخرى بضرورة أن تبسط الدولة القوية على الدولة الضعيفة، وبهذا تتقلص وتمدد حدود الدول، لكن نشير هنا فقط للدولة الموحدية التي حكمت الأقاليم الثلاثة ووحدت المغرب الإسلامي بأكمله، وبمجرد سقوطها وظهور الدويلات الثلاثة الحفصية بالمغرب الأدنى والزيانية بالمغرب الأوسط والمرينية بالمغرب الأقصى، عادت تلك الصراعات من جديد حول بسط نفوذهم في مرحلة القوة والضعف لكل دولة[3]، بالإضافة لعامل أخر وهو حركة القبائل غير المستقرة في مكان معين بسبب البحث عمّا يلبي حاجاتها اليومية والأمنية[4]، ومع هذه الدويلات الثلاثة

---

[1]– جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، توزيع منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م، ص.117.

[2]– الهدون حامدون، العلاقات الحضارية بين المغرب الأوسط والجمهوريات الإيطالية من القرن 6 هـ –12م حتى القرن 10هـ– 16م، دكتوراه (ل.م.د) في التاريخ، تخصص: التاريخ الحضاري للمغرب الأوسط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، 2018م/2019م، ص.54. أنظر: ادريس بن مصطفى، السياسية الإقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيزة الإيبيرية في عهد الدولة الزيانية، ماجستير، جامعة تلمسان، 2007/2006م، ص 18.

[3]– عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، ج.1، دار الهدي، عين مليلة، 2014م، ص.11. أنظر: الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنيين 6 و7هـ، دار الهدي، 2004، ص.29. أنظر: مريم بوخارش، آثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط 6–10هـ/12–16م، دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2015/2014م، ص.22.

[4]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص. 11. أنظر: الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص.29. أنظر: سكينة عيمور، ريف المغرب الأوسط في القرنين 5 و6هـ/11و12م، دراسة اقتصادية واجتماعية، ماجستير في التاريخ، تخصص: تاريخ الريف والبادية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2013/2012م، ص ص.6–7.

كانت الحدود تبدو ثابتة على العموم، رغم أن بعض المرات تخالف هذه المنطلق، ويبقى هذا الأمر عادي فالتاريخ يشهد على عدة صراعات كبرى ومدمرة في حق الإنسان والحيوان والطبيعة وتغير في الأقاليم.

يفترض على الباحث هنا أن يلتزم بمصداقية البحث وموضوعيته في قراءته النصوص التاريخية، والتي تجره إلى ربح الوقت للوصول إلى مادة علمية كبيرة، وهذا الأمر ينطبق على الرقعة الجغرافية للمغرب الأوسط، ومن البديهي أن نكون أكثر حرصًا في نقل المعلومات بتحفظ دون حذف أو تحريف لكلامهم، فالمدة الزمنية لهذا الأقاليم طويلة جدًا ومرت عليها العديد من القبائل والدويلات، فنحن هنا ملزمون بالدقة والتحقيق في المعلومات المأخوذة من تلك الكتب، خاصة عندما نتكلم عن الحدود التي كتب عنها الكثير، ولا يمكن صراحة إسقاط حدود المغرب الأوسط على أنها الجزائر بحدودها اليوم، ونفس الأمر ينطبق على المغرب الأدنى (تونس) والمغرب الأقصى (المغرب)، لأن التاريخ يقرأ بزمانه ومكانه لا يفسر بمنظور حديث.

2- لمحة تاريخية للمغرب الأوسط:

إن الحديث عن المغرب الأوسط تاريخيا يجرنا للكلام عن ارتباط هذا الإقليم بما أحاط به من أحداث ووقائع تاريخية، ومع ارتباط دراستنا بالإسلام سنحاول في الفقرات القادمة التحدث عن الفتح الإسلامي لهذا الإقليم، كما سنبرز علاقته بتلك الدول المستقلة التي ظهرت في المغرب الإسلامي، وبحكم كثرة الأحداث والاختلاف بين المصادر سنحاول ذكر أهم ما ميز هذا الإقليم حتى لا نطنب ونعيد ما ذكرته الدراسات السابقة التي اعتنت بهذه المنطقة الجغرافية وهي كثيرة جدا:

2-1-الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط:

لم يكن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب سهلاً ولا سريعًا بل دام ثلاثة أرباع القرن (أي 75سنة) في منازلة القوات البيزنطية في مناطق مختلفة، وكذلك بعض القبائل المحلية التي كانت تشن غارات من أماكن شديدة التحصين، وفي فترات مختلفة لصد الفاتحين من دخول المنطقة والاستقرار بها، كانت نظرة الأهالي للفاتحين على أنهم مستعمرون جدد مثل الرومان والوندال والبيزنطيين الذين فرضوا عليهم اضطهادًا كبيرًا، لهذا نجد القبائل البربرية ترفض أي حكم أجنبي وتقاومه، فكانت هذه صفة الإنسان البربري المقاوم والرافض للآخر، بحيث كان يفضل حياة الترحال والقتال على أن يرضى

بالظلم والخضوع، فحتى المسلمون الفاتحون وجدوا مقاومة شديدة مما تسبب في تأخير إتمام الفتح الإسلامي[1].

أما عن بداية هذا الفتح الإسلامي فقد كانت مع عمرو بن العاص[2] سنة 21 هـ أو 22 هـ/641-643م، حين توجه نحو إفريقية مرورا بمناطق برقة[3] وطرابلس وزويلة[4]، ثم عاد إلى الفسطاط[5] بمصر بسبب عدم حصوله على الإذن من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لفتح إفريقية[6]، فكانت غاية عمرو بن العاص من تلك الفتوحات تأمين وحماية المناطق الإسلامية من الأعداء، وهذا قاعدة عسكرية أمنية ليست خاصة بالإسلام فقط، بل منذ القدم إلى اليوم يسعى أي فاتح لأي منطقة إبعاد الخطر عنه من خلال النزوح على المناطق المجاورة لمنطقته، لهذا نجده أرسل سرايا وطلائع للكشف والدعوة للإسلام بقيادة عقبة بن نافع[7] نحو الغرب[8]، فهذه هي مرحلة الاستكشاف من

---

[1]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص.15.

[2]- عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، يرتفع بنسبه إلى الذؤابة القرشية. أنظر: عباس محمود العقاد، عمرو بن العاص، ط.3، دار نهضة للطباعة والنشر، مصر، يونيو 2005م، ص. 10.

[3]- برقة: بفتح أوله والقاف: اسم صُقْع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية، ومن الفسطاط إلى برقة مائتان وعشرون فرسخا، ومن برقة إلى القيروان مدينة إفريقية مائتان وخمسة عشر فرسخا. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.1، ص ص.388-389.

[4]- زويلة: بفتح أوله، وكسر ثانيه، وبعد الياء المثناة من تحت الساكنة لام، بلدان أحدهما زويلة السودان مقابل أجدابية في البر بين بلاد السودان وإفريقية، وزويلة مدينة غير مسورة في وسط الصحراء، وهي أول حدود بلاد السودان. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.3، ص.160.

[5]- الفسطاط: هي المدينة التي شيدها عمرو بن العاص أيام فتوحاته بعد أن دام فتحه لها ستة أشهر حتى فتحها الله عليه، ومن استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سكناها، فكتب إليه لا تنزل بالمسلمين منزلا يحول بيني وبينهم فيه نهر ولا بحر، فقال عمرو لأصحابه أين ننزل فقالوا: نرجع أيها الأمير إلى فسطاطك فنكون على ماء وصحراء، وهي إحدى المدن الأثرية بمصر وتسمى بالحي القديم. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.4، ص.263.

[6]- محمد بن عميرة، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ط.2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2017م، ص.167.

[7]- عقبة بن نافع: هو ابن عبد القيس القرشي الفهري، من أكبر القادة الفاتحين في بلاد المغرب الإسلامي، فقد شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص، وبعدها فتح إفريقية سنة 50هـ/671م وبها شيد مدينته القيروان وتولى حكمها لمدة خمسة سنوات وبعدها تم عزل ثم أعيد توليه عليها سنة 62-63هـ/682م-683م، وأستشهد مع أبو المهاجر بمدينة تهودة ببسكرة على يد كسيلة والكاهنة. أنظر: ابن عذاري ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقسق: ج س كولان وليقي بروقسال، ج.1، ط.3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ص.19.

[8]- موسى لقبال، المرجع السابق، ص ص.18-19.

أجل التوغل والسير نحو الغرب من أجل نشر الإسلام، فهي تسبق مرحلة النزوح العسكري على تلك المناطق فإن رضوا بالإسلام كانوا لهم حصنا منيعا وإن رفضوا فرضت عليهم الجزية، وإن أرادوا مقاومتهم كانوا لهم مقاومين لكفرهم.

ورغم أن عمرو بن العاص كان يأمل ويسعى بمواصلة الفتح الإسلامي نحو إفريقية، لكنه لم يحالفه الحظ في ذلك بحيث لم يتعد مناطق برقة وزويلة وطرابلس، وهذا في ظل الصراعات الداخلية بمصر وحتى بعد مقتل عمر بن الخطاب ومبايعة عثمان بن عفان رضي الله عنهم، فهذا الأخير عزل عمرو بن العاص وعين مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح[1] ليأمره بالسير نحو إفريقية سنة (25هـ/645-646م)، ليصل هذا الأخير لأطراف إفريقيا فاتحا بعض المناطق منها، ويعد أول من دخل هذا الإقليم محققا تقدمًا كبيرًا مقارنةً بمن سبقه[2]، وهذا رغم المقاومة التي واجهها من قبل جرجير جرجير أحد ملوك إفريقيا، لكن كان النصر حليف المسلمين، وبعد وفاة عبد الله بن سعد عين مكانه معاوية ابن حديج الكندي[3] ليواصل الفتح، بحيث حقق عدة انتصارات بالمنطقة فجعل لجشه معسكرا ثابتًا بالقيروان وحفر آبارًا للشرب، كما شيد مساكن من الطوب[4]، تبقى المعلومات الواردة محل إختلاف بين المصادر والمراجع التاريخية حول سنة القدوم والفتح والمكوث بهذا الإقليم، وكذلك الإنجازات التي حققها القادة الفاتحون أيام فتحهم لإفريقيا سواء ما تعلق بدخول القبائل البربرية للإسلام وفرض الجزية على بعضهم وطرد الكفار البزنطيين، وبقيت هذه الإنتصارات متواصلة مع الفاتحيين الذين قدموا فيما بعد.

---

[1]- هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن حبيب بن جذيمة ابن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري، ويكنى أبا يحي، وهو أحد قادة الفتح الإسلامي بالمغرب. أنظر: محمد شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج.1، ط.7، دار الفكر للنشر والتوزيع، 1404هـ/1984م، ص.51.

[2]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج.1، ص.14. أنظر: محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص ص.36-37.

[3]- هو معاوية بن حديج بن جَفْنة بن قنبرة بن حارثة بن عبد شمس ابن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعيد بن أشرس بن شيب بن السكون السكوني، ويكنى أبا نعيم. أنظر: محمد شيت خطاب، المرجع السابق، ج.1، ص.75.

[4]- موسى لقبال، المرجع السابق، ص ص.22، 25-26-27.

ووفق ما ذكرته المصادر أن عقبة بن نافع هو من وضع أساس أول مدينة إسلامية بالمغرب الإسلامي، بحيث أنه نزل قبلها بغدامس[1] سنة 46هـ/667م مع بن أبي أرطأة[2] وشريك بن سمى المرادي، وقيل له أهل إفريقية أنهم ينقضون ويرتدون بعد الفتح، لهذا فكر عقبة في بناء مركز دائم بإفريقية وهي مدينة القيروان التي شيدت سنة 50هـ/671م[3]، وما هو معلوم أن البربر بصفة عامة تعرضوا كثيرا للغزو والاحتلال والاستيطان من قبل عدة أطراف سواء الفينيقيين الرومان والبيزنطيين وغيرهم، لهذا نظر البربر للمسلمين بمنظور أنهم لا يختلفون عن سابقيهم، أي أنهم غزاة ظالمين طامعين في أموالهم وأراضيهم وغيرها، لكن الحقيقة ليست هكذا أبدًا، فالفاتحون كانت رسالتهم نشر الإسلام وحمايتهم وحفظ أرزقاهم من البيزنطيين وتجبر بعض قادة البربر. هذا الشرح الذي ذكرناه إنما هو مخصوص بمصطلحين " ينقضون ويرتدون" ولسنا ندافع هنا عن البربر ولا الفاتحين ولكن بحكم الموضوعية التاريخية التي ذكرتها المصادر والمراجع.

ومن زاوية أخرى فعقبة بن نافع هو أحد القادة الذي كان يعتمد عليهم عمرو بن العاص في جيشه، وقد كلفه بعد حملات عسكرية استطلاعية وفتح بعض المدن على غرار طرابلس وبرقة وزويلة وغيرها، لهذا كسب هذا القائد خبرة ومعرفة كبيرة بهذه المناطق، كما تقرب من بعض القبائل حتى أنه تزوج من سيدة قبيلة لواته[4]، وهذا حسب ما نقلته بعض المراجع[5]، فصفة القرابة التي حصل عليها عقبة كانت نقطة إيجابية للفتح والسير غربا نحو المدن الأخرى، ومنها يصل لإفريقيا ويشيد مدينة القيروان التي كسبت شهرة كبيرة فيما بعد، فحين أراد تشييدها خطب في الناس قائلا: " كانت هذه

---

[1]– غدامس: هي مدينة بالمغرب ثم جنوب ضاربة في بلاد السودان بعد بلاد زافون، وهي مدينة بليبيا حاليا. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.4، ص.187.

[2]– بن أبي أرطأة: هو بسر بن أبي أرطاة، واسم أبي أرطاة: عُمَير بن عويمر بن عمران بن الحُلَيْس بن سَيَّار بن بزِار بن معيص، بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر، يكنى أبا عبد الرحمن وهو من الشام، شهد فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص. أنظر: محمد شيت خطاب، المرجع السابق، ج.1، ص ص.13-14-15.

[3]– أحمد حسن خضيري، صفحات من تاريخ المغرب الإسلامي، ط.1، مكتبة المتنبي، المملكة العربية السعودية، 2005م/1426هـ، ص.40.

[4]– قبيلة لواتة: هي من بطون البربر البتر ينتسبون إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك، ولوا الأصغر هو نفزا وكما قلنا، ولوا اسم أبيهم، وكان لواتة ظواعن في مواطنهم بنواحي برقة، وكان لهم دور في فتنة أبي يزيد آثار، وكان لهم بجيل أوراس أمة عظيمة. أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص ص.152-153.

[5]– موسى لقبال، عقبة بن نافع، صدر عن وزارة الثقافة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م، ص.26-27.

المدينة إذا دخلها إمام أجابوه إلى الاسلام، فإذا خرج منها، رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر "[1]، وبعد أن فرغ من تشييدها عزم على مواصلة الفتح غربا، فهم الآن يملكون قاعدة أو مركزًا عسكريًا ليرتاحوا فيه بعد الفتح وهي القيروان على العكس في فتوحاتهم السابقة كانوا يرجعون لمصر، لكن في ظل التطورات والتغيرات بالمشرق تم في سنة 55هـ/676م عزل عقبة وتولية أبي المهاجر دينار من قبل مسلمة بن مخلد[2] الذي عرضه الخليفة الأموي[3]، فهذه سياسة الولاء التي تبعها بعض القادة في الفتح الإسلامي، فهذا لا يعني إنقاصًا من خبرة وقدر أبي المهاجر وعقبة بل كل واحد منهم له صفات خاصه به، وحقق نتائج باهرة في فتوحاته ببلاد المغرب الإسلامي.

وبمجرد أن عُين أبو المهاجر والياً على إفريقية وفاتحا لبلاد المغرب سنة 55هـ/674م أساء معاملة عقبة وكره أن ينزل مدينته، وبذلك فكر في تشييد مدينته فتكون له عزا يذكر بها، إضافة لذلك تجنب أنصار عقبة وقبيلة فهر، لهذا من البديهي أن يفكر في تشييد مدينة أخرى[4]، وحسب ما كتبته المصادر والمراجع أنه أمر الناس بتعمير مدينته تاكيروان وإحراق مدينة القيروان، وبسبب هذا الفعل يذكر ابن عذاري غضب عقبة وندم أبو المهاجر فيقول:" فخرج عقبة منصرفا... فتوجه إلى المشرق، آسفا على أبي المهاجر، ودعا الله عليه أن يمكنه منه، فبلغت أبا المهاجر دعوته، فقال: هو عبدُ لا ترد دعوته " ولم يزل أبو المهاجر خائفا منه، نادما على ما فعل معه"[5]، لكن ما ذكرته بعض المصادر حول حول إهانة هذا الفاتح لعقبة وإحراق مدينته القيروان قد تكون حادثة تاريخية مبالغ فيها، إما بمبالغة

---

[1]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج.1، ص ص.19–20.

[2]– مسلمة بن مخلد بن الصامت الساعدي، ولي على مصر وإفريقية سنة 50هـ، وهو أول جمع له مصر والمغرب دامت ولايته على مصر وإفريقية ستة عشر سنة، مات بالمدينة سنة62هـ. أنظر: عمرو خليفة بن خياط شباب العصفري(توفي سنة 240هـ)، كتاب الطبقات، حققه: اكرم ضياء العمري، ط.1، مطبعة العاني، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد، 1387هـ/1967م، ص.292. أنظر: موسى رحماني، الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (27–362هـ/637–972م)، ماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ المجتمع المغاربي، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006–2007م، ص.58.

[3]– عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط.2، مؤسسة شباب الجامعية لطباعة والنشر، 1999م، ص.123.

[4]– عبد الواحد دنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، ط.1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004م، ص.111.

[5]– ابن عذاري، المصدر السابق،ج.1، ص.22.

وتحامل بعض من نقل هذا الكلام من الحدث، أو هي مبالغة وصفية لذلك التصرف خاصة ببناء وتشييد أبي المهاجر لمدينة تاكيروان، صراحة قد يخطأ ويتعمد هذا الفاتح تهجير الناس من المدينة لكن أن يصل به الحد لإحراقها فهذا شيء مستبعد إلى حد ما.

لقد كان أبو المهاجر على دراية بما يحدث في إفريقية وأحوالها، وكان على علم بعقلية الفرد البربري الذي كان يرفض أي تدخل أجنبي، لهذا بعد تثبيت مكان تشييد مدينته بدأ في حواره مع القبائل البربرية من أجل الدخول للإسلام، فالمعلومات التي وردته سابقا عن الظلم والتهميش الذي تعرض له البربر سابقا سواء من الكفار أو حتى من بعض الفاتحين، جعلته ينتهج سياسة اللين والمفاوضة في الفتح الإسلامي لهذه المناطق، وأنتهج فكرته التي تقول ليس كل شيء يفتح بالقوة[1]، وعلى هذا المنطلق سار بجيشه نحو الغرب – المغرب الأوسط – ففتح العديد من المدن الصغرى حتى وصل مدينة ميلة وأقام بها، وفيها شيد مسجده الذي مازال لحد ساعة ويطلق عليه اليوم مسجد سيدي غانم[2]، بعدها واصل سيره غربا وصولا لمدينة تلمسان ليواجه قبيلة أوربة وقائدها كسيلة بن ملزم[3] ، وفيها أسلم لما لقيه من معاملة حسنة من قبل أبي المهاجر، وبهذا أصبح مرافقا له في الفتوحات الإسلامية فيما بعد[4]، لقد حقق أبو المهاجر نتائج إيجابية لحد كبير لم يسبقه أحد من قبل، فمعظم المصادر والمراجع التاريخية تشهد له بحسن المعاملة والتفاوض واللين في فتوحاته.

لم تشفع الإنجازات والإنتصارات العظيمة التي حققها أبو المهاجر له، فعزل من منصبه وعين مرة ثانية عقبة بن نافع في سنة 62هـ/681م من قبل يزيد بن معاوية، رغم أن عقبة إشتكى لمعاوية ابن سفيان قبل وفاته سوء معاملة أبي المهاجر، فقال له:" فتحت البلاد، ودانت لي، وبنيت المنازل، واتخذت مسجدا للجماعة، وسكنت الناس، ثم أرسلت عبد الأنصار، فأساء عزلي" فاعتذر له معاوية، وقال له :" قد عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الإمام عثمان، وبذله مهجته، صابرا محتسبا، طع من أطاعه من قومه ومواليه، وأنا أرددك إلى عملك" وتراخى الأمر حتى توفي معاوية وأفضى

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص.17.

[2]– عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص.130.

[3]– كسيلة بن ملزم هو قائد قبيلة أوربة وهو قوي الشخصية غيور على وطنه، وكان البربر يحبونه ويجلونه، وكان نصرانيا متمسكا بدينه. أنظر: محمد شيت خطاب، المرجع السابق، ج.1، ص.140.

[4]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج.1 ، ص. 22. أنظر: عبد الواحد دنون طه، المرجع السابق، ص.113. أنظر: موسى لقبال، عقبة بن نافع الفهري...، ص.48.

الأمر إلى يزيد، فلما علم حال عقبة، قال:" أدركها قبل أن تفسد" فرده واليا على إفريقية، وقطعها على مسلمة بن مخلد وإلى مصر[1]، وبهذا حقق عقبة غايته بالرجوع لإفريقيا والمغرب من أجل إتمام الفتح الإسلامي، وكذلك عزل أبو المهاجر من ولايته التي هو أحق بها حسب شكوته لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، مع رد نفس الفعل الذي فعله معه سواء بتخريب مدينة تاكيروان أو إحراقه[2].

وأثناء رجوعه مر على والي مصر مسلمة بن ملخد ليعتذر هذا الأخير عن فعل أبي المهاجر، وأقسم له أنه خالفه فيما صنع، وأنه كان قد أوصاه بتقوى الله وحسن السيرة، وأن يحسن عشرة عقبة، فقبل منه عقبة، ومضى خنقا على أبي المهاجر، حتى قدم إفريقية، فأوثقه في الحديد، وأمر بتخريب مدينته التي بناها، ورد الناس إلى القيروان، وركب في وجوه العسكر ومن معه من الصحابة والتابعين، فدار بهم حول مدينة القيروان، وهو يدعو لها ويقول" يارب ، إملأها علما وفقها، وإملأها بالمطيعين لك، وإجعلها عزًا لدينك، وذلاً على من كفر بك،" ثم عزم – رضي الله عنه – على الغزو وفي سبيل الله، وترك بها جندا من المسلمين، واستخلف عليهم زهير بن قيس البلوي"[3]، مع العلم أن سياسة الدعوة والفتح لم تنته أبدًا في هذه البلاد، بحيث أكمل عقبة بن نافع فتحه حتى وصل أقصى الغرب – المغرب الأقصى– ويقال أنه لما وصل للبحر أدخل قوائم فرسه في البحر حتى وصل الماء إلى تلابيبه، وقف برهة ثم قال: لأصحابه أرفعوا أيديكم ففعلوا فدعا:" اللهم إني لم أخرج بطرا ولا أشرا، وإنك لتعلم إنما نطلب السبب الذي طلبه عبدك ذو القرنين: وهو أن تعبد ولا يشرك بك شيء، اللهم أنا معاندون لدين الكفر، ومدافعون عن دين الإسلام فكن لنا ولا تكن علينا ياذا الجلال والاكرام"[4]، هذه العبارة الأخيرة دليل على تمام الفتح غربا، وكذلك صدق قائلها إنه لم يرد سلطة ولا حكمًا ومالاً في ذلك سوى نشر دين الله تعالى وفقط.

---

[1]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج.1، ص.22.

[2]– ابن عذاري، المصدر السابق، ص.27. أنظر: موسى لقبال، عقبة بن نافع...، ص.54.

[3]– المصدر نفسه، ج.1، ص.24.

[4]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج.1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م، ص.138. أنظر: موسى لقبال، عقبة بن نافع...، ص.61.

وتجدر الإشارة أنه بعدما تم له الفتح رجع نحو المغرب الأوسط مستغلا طريقا داخليا آخر، حتى وصل مدينة طبنة فأمر معظم جنوده بالرجوع للقيروان وتأمينها من أي عدو، ليسير نحو مدينة تهودة[1] لينظر في أهلها ويصلح أمرها، لكن كان كسيلة بن ملزم وجيشه يترقبانه للإغارة عليه، وهذا بعدما تحالف مع الروم من أجل القضاء عليهم جميعا[2]، وكان ذلك بالفعل سنة 63هـ/683م، ودارت بينهم معركة طاحنة راح ضيحتها الكثير من المسلمين، فاستشهد عقبة وأبو المهاجر وما نجا منهم إلا القليل[3]، وبهذا أصيب المسلمون بنكسة وخيبة وحزن عميق جراء إستشهاد الكثير من الصحابة التابعيين بنمطقة تهودة، وخاصة قائدي الفتح عقبة بن نافع وأبو المهاجر الدينار وهما من حقق إنتصارات وإنجازات عظيمة ببلاد المغرب، بحيث شيدا المدن والمساجد وقبضا الجزية، فكانت خزينة المسلمين ممتلئة من خيرات بلاد المغرب.

ولما بلغ لزهير خبر إستشهاد عقبة وأبى المهاجر وأصحابهما فزع من مكانه، وأصابه الرعب جراء هذه الفاجعة التي أصابت المسلميين بتهودة، ونتيجة لذلك أراد الإنسحاب لمصر خوفا على جيشه، لكن بعض قادته رفضوا ذلك وعلى رأسهم إبن حيان الحضرمي، وقال له: " لا تفعل فإنها هزيمة إلى مصر، لكن بعض القادة رفضوا المواجهة وحتى زهيرا كقائد عليهم، ومن بينهم حنش الصنعاني والذي قال:" لا والله ما نقبل قولك، ولا لك علينا ولاية، ولا عمل أفضل من النجاة بهذه العصابة من المسلمين، إلى مشرقهم" ثم قال:" يا معشر المسلمين من أراد منكم القفول إلى مشرقه فليتبعني، فاتبعه الناس، ولم يبق مع زهير إلا أهل بيته فنهض في إثره"[4]، من خلال هذا القول يظهر أن

---

[1]– تهودة: بالفتح ثم الضم، وسكون الواو، والذال معجمة: إسم لقبيلة من البربر بناحية إفريقية، لهم أرض تعرف بهم، وهي مدينة أزلية، بنيانها بالحجارة، لها أسواق كثيرة، وربض واحد، وبها جامع جليل ومساجد، وفنادق كبار، ويسكنها قوم من البربر، وهي إحدى المدن الأثرية بمدينة سيدي عقبة ولاية بسكرة، أنظر: ابن عذاري، البيان المغرب ...، ج.1، ص.30. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.2، ص.64.

[2]– عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تحقيق: أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، مراجعة: حمادي الساحلي، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م، ص. 54. أنظر: عبد الحميد حاجيات، « حول شخصية عقبة بن نافع الفهري»، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد:01، العدد:01، 01–01–1986م، ص.40.

[3]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج.1، ص ص.29–30. أنظر: أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ص ص.139–140. أنظر: رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص.48.

[4]– محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص ص.115–116.

قيس لم يحظ بتأييد من قبل بعض القادة الذين كانوا ضمن جيشه، فهم يحسبون على عقبة بن نافع، ومن الممكن أنهم طمعوا في تولي الولاية والتسيير في هذه الإقليم.

ومن المفروض أن زهير قد إنسحب إلى برقة إلا أن أمره عبد الملك بن مروان بإستعادة إفريقيا والإنتقام للمسلمين من موقع تهودة، وقد رجع زهير سنة 69هـ/688م لإستعادة القيروان وقتل كسيلة بن ملزم، بعد انتصاره أراد الرجوع لمصر لكن سمع أن الروم والبربر يريدون الإنتقام منه فرجع إليهم، وفيها قتل زهير والكثير من المسلمين، فكانت فاجعة أخرى بالنسبة لمسلمي إفريقيا وخسارة كبيرة للخلافة [1] ، وكانت هذه المعركة شبيهة بمعركة تهودة بسبب عدد الشهداء بها[2]، أما عن المدن التي إفتتحها فهي ليست بالكثيرة بقدر من أنه إستعادها من البربر والروم، فالأحداث التي وقعت في فترة ولاية زهير لم تسمح له نشر الدعوة ومواصلة الفتح، كذلك المدة القصيرة التي تولى فيها الحكم لم تكن بطويلة مقارنة بمن سبقه.

ومن البديهي أن يعين عبد الملك بن مروان واليًا يخلف زهير بن قيس البلوي الذي إستشهد على يد الروم والبربر، فلا يمكن أن يترك دم المسلمين يذهب هدرا ولا ينتقم منهم، فوقع خياره على حسان بن النعمان[3] أحد القادة الذين كانوا بمصر، وأمره بالسير نحو إفريقيا لإستعادة أملاك المسلمين والإنتقام منهم وإكمال الفتح والدعوة، ولما وصل حسان بدأ حملته من قرطاجنة فتغلب على أهلها وطرد من بقى منهم [4]، لكن إختلفت بعض المصادر في سنة قدوم حسان للمغرب الإسلامي، فقيل إنه جاء في المحرم من سنة 68هـ/687م، منهم من قال 69هـ/688م، وهناك من قال سنة 73هـ/692م، والبعض

---

[1]– ابن عذاري، البيان المغرب ...، ج.2، ص ص.30–31–32. أنظر: محمد الطالبي، تاريخ إفريقية، د.ط، دار المعارف التونسية، 1994م، ص.51. أنظر: عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص ص.56–57.

[2]– طاهر راغب حسين، التطور السياسي للمغرب من الفتح الإسلامي إلى آخر القرن العاشر الهجري، ط.3، دار النصر للتوزيع والنشر، جامعة مصر، 1425هـ/2004م، ص.21.

[3]– حسان بن النعمان: هو حسان بن عدي الأزدي الغساني، من أولاد ملوك غسان، قائد ومن رجال السياسة والحرب وهو من المشهورين في الفتوحات الإسلامية، وكان يلقب بالشيخ الأمين. أنظر: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط.7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، مايو 1986م، ص.177.

[4]– أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ج.2، ط.2، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص.331.

رجح سنة 74هـ/693م، وقيل أيضا سنة 78هـ/697م[1]، فهذا التاريخ الأخير هو الذي يرجحه ابن عذاري، وقيل إن تاريخ تعيين حسان من قبل عبد الملك، ويضيف أن هذا الوالي واجه الكاهنة دهيا بنت ماتية ابنت تيفان[2] التي تعد من ملوك البربر وأقواهم بالمنطقة، بحيث زحف إليها حسان عند جبل الأوراس بنهر مكناسة، لكن إنهزم وأسرت العديد من جنوده على رأسهم خالد بن يزيد القيسي، وهذا الأخير كان له دور كبير في هزيمة الكاهنة بعد عودة حسان، وبهذا انسحب نحو قابس ليكتب لعبد الملك عن هذه الخسارة ويطلب منه الدعم[3]، هذه هي أحوال البربر فهم شداد غلاظ لا يرضون بالأجنبي مهما كان، فمن المنطقي أن يجد الفاتحون مقاومة شديدة ضدهم.

ويذكر أن الكاهنة ملكت المغرب كله بعد حسان لمدة خمس سنوات، وحين علمت أن المسلميين أطالوا في الرجوع قالت لمن معها:" إن العرب إنما يكلبون من إفريقية المدائن والذهب والفضة ونحن إنما نريد منها المزارع والمراعي، فلا نرى لكم إلا خراب إفريقية كلها حتى ييئس من العرب، فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدهر" [4]، لكن لم تتوقع الكاهنة أن الرجل الذي تبنته وقربته إليها خالد ابن يزيد هو الذي حظر لهزيمتها بعدما كان يرسل أخبارها سراً لحسان، وزحف إليها وقطع رأسها لتكون هذه نهاية آخر ملوك البربر، ثم إرتحل حسان للقيروان ولا يذكر أنه سار نحو فتح مدن أخرى إلى أن عزله عبد العزيز بن مروان[5]، ففي ظل تولي خليفة جديد كان طبيعيًا أن يغير الولاة ويعين من يحسب عليه، وهذه سياسة ينتهجها كل خليفة أو حاكم يتولى مسؤولية معينة، لهذا فمنطقة أفريقيا والمغرب مر عليها العديد من الولاة بسبب إستشهادهم أو عزلهم من قبل الخلفاء.

وبعد عزل حسان بن النعمان عين الخليفة عبد العزيز بن مروان موسى بن نصير[6] على ولاية إفريقية مع بداية سنة 86هـ/705م، ومنحه الإستقلالية على هذه الولاية ومواصلة الفتح الإسلامي[1]،

---

[1]– محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص.127.

[2]– الكاهنة دهيا بنت ماتية ابنت تيفان: هي ملكة جبل الأوراس وقومها من جرازة ملوك البتر وزعمائها قتلت على يد حسان بن النعمان سنة 83هـ/702م. أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.143. أنظر: محمود شاكر، الفتوحات الإسلامية، ط.1، دار أسامة، الأردن، 2002م، ص.145.

[3]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج.1، ص ص.34–35–37.

[4]– المصدر نفسه، ص.36.

[5]– المصدر نفسه، ص ص.37–38.

[6]– موسى بن نصير: هو عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي، ولد سنة 19هـ/640م وتوفي سنة 98هـ/717م تولى حكم بلاد المغرب الإسلامي بعد حسان بن النعمان سنة 86هـ/705م، وهذا أيام حكم الوليد بن عبد الملك، وقد

فالتولية والولاية لا تتم إلا وفق سمات وخصائص يتميز بها بعض الناس، منها النسب والشجاعة والفضل والنصرة والخبرة، فكانت هذه الخصائص تتوفر في موسى بن نصير، وقد ساعدته وفرضته في تسيير أفريقية والمغرب، هذه الولاية كانت في حاجة ماسة لإدارة مستقرة وهذا ما سعى إليه موسى بن نصير لما وصلها، وحاول كسب القبائل البربرية ومنحهم إمتيازات خاصة بهم شريطة الإسلام ونصرته في الحروب[2]، أما القبائل التي عارضته ورفضته فقد أغار عليها وقتل وسبي الكثير منهم مثل قبيلة هوارة وزناتة وكتامة، فقد كان موسى حريصا على تثبيت الدعوة الإسلامية في هذه المنطقة، ونظم ولايته من خلال تعين العديد من القادة على ولايته مثل طارق بن زياد[3] على ولاية طنجة[4] وما حولها من مدن[5]، حتى وإن إختلفت المصادر والمراجع حول سنة دخول وتعين موسى بن نصير على ولاية إفريقية والمغرب إلا أنها أعطت الفضل له في تثبيت الدعوة وتنظيم الولاية وبداية فتح إقليم جديد وهو إقليم الأندلس، وبهذا ندخل في عهد جديد من الفتوحات الإسلامية.

2-2- عصر الولاة :

إن بداية عصر الولاة في بلاد المغرب كانت مع تمام الفتح الإسلامي للمغرب على يد الفاتح موسى بن نصير، وعودته إلى المشرق بناء على استدعاء الخليفة الأموي الوليد بن عبد الله سنة 95هـ/714م[6]، في حين يذكر ابن الحكم أن أول والٍ هو موسى بن نصير الذي إستقل بإدارة وتسيير

تميز بحسن التسيير والتخطيط وحقق عدة إنتصارات على العديد من القبائل. أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج.1، ص.39.

[1]- محمد بن عميرة، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في كتابات المؤرخين الفرنسيين، ب.ط، الدار الوطنية للكتاب، دراية، الجزائر، ص.215.

[2]- عبد الواحد دنون طه، المرجع السابق، ص.130.

[3]- طارق بن زياد (50-102هـ/670-720م) هو طارق بن زياد الليثي فاتح الأندلس، يعود أصله من البربر وأسلم على يد موسى بن نصير، كان والي على طنجة، وبعدها استولى على جبل وتوغل للأندلس. أنظر: خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ص.217.

[4]- طنجة: هي قاعدة بلاد المغرب وأم مدنه، إذ لم يكن بالمغرب مدينة أعظم ولا أقدم منها، وهي مدينة تابعة للمغرب الأقصى. أنظر: علي ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص.19.

[5]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج.1، ص.42.

[6]- أحمد حسن خضيري، المرجع السابق، ص.64.

المغرب[1]، وقيل إنه ضرب عملة إسلامية جديدة بإفريقية شبيهة بالبيزنطية مع حذف جميع الرموز والعلامات السابقة التي تدل على البيزنطيين وإستبدالها بالشعارات الإسلامية[2]، وعليه تعتبر هذا أحد الإنجازات التي قام بها موسى، وهي تدخل ضمن سياسة الملك وتثبيته في المنطقة وكذلك لإثبات قوة الدعوة الإسلامية.

ومن زاوية أخرى لا يمكن فصل هذه المرحلة (فترة الولاة) عن المرحلة السابقة التي كان أساسها الفتح والدعوة، بل إستمر العمل وفق ما أمرت به الخلافة في المشرق، وقد تداول على هذه البلاد 21 واليًا عينوا عبر مراحل مختلفة[3]، ويحدد فترة حكمهم بداية من سنة 96هـ/715م إلى سنة 184هـ/800م، وعلى سبيل المثال نذكر البعض منهم:

1-محمد بن يزيد سنة 96هـ/715م.

2- إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر 100هـ/719م.

3- يزيد بن أبي مسلم 101هـ/720م.

4- بشر بن صفوان الكلبي 103هـ/722م.

5- عبيد بن عبد الرحمن السلمي 110هـ/728م.

6- عبيد الله بن الحبحاب 116هـ/734م.

7- كلتوم بن عياض 123هـ/741م.

8- حنظلة بن صفوان الكلبي 124هـ/742م.

---

[1]- ابن عبد الحكم، فتوح مصر وبلاد المغرب، حققه وقدم له: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م، ص.231.

[2]- حسين نشيطو، علم المقايس في المغرب الأوسط من بداية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن الهجري (من القرن 06 إلى القرن 15م) (دراسة تاريخية أثرية)، ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف: صالح يوسف بن قربة، معهد الأثار، جامعة الجزائر 2، 2012/2011م، ص.33.

[3]- يوسف بن أحمد حواله، الحياة العلمية في إفريقية " المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (90- 450هـ)ج.1، ط.1، مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2000م، ص.58.

9- محمد بن الأشعث الخزاعي 144هـ/761م.

10- الأغلب بن سالم 148هـ/765م.

11- عمر بن حفص هزار مرد 151هـ/768م.

12- يزيد بن حاتم بن قبيصة بن أبي المهلب 154هـ/771م.

13- روح بن حاتم 171هـ/787م.

14- نصر بن حبيب 174هـ/790م.

15- الفضل بن روح 177هـ/793م.

16 - هرثمة بن أعين (استعفى) 179هـ/795م.

17- محمد بم مقاتل 184هـ/800م ثم عزل الرشيد بإبراهيم بن الأغلب لتبدأ صفحة جديدة وهي ولاية الأغالبة[1].

وفي هذا الإطار نؤكد أن الولاة كان لهم دور كبير في تثبيت الدعوة الإسلامية بين قبائل البربر، والذين خلقوا بعض المشاكل والفتن للحاكم في ظل بعض التصرفات التي صدرت من بعض القادة حول سياسة التسيير وظلم بعض الرعية، كما لا ننسى أن المنطقة الساحلية كانت دائما معرضة للأخطار البحرية، بالإضافة لانتشار بعض الأفكار المتطرفة وغيرها، لكن كان لهم دور إيجابي من فتح بلاد الأندلس في عهد موسى بن نصير بقيادة طارق بن زياد، مع الحرص على تعمير كل المدن التي كانوا يقصدونها، وهذا من خلال بناء المساجد والمدارس والدور وغيرها، كل هذا ساهم بالتأكيد في نمو الحضاري والعمراني للبلاد المغرب الإسلامي[2].

ما نؤكد عليه هنا أن الفتح الإسلامي بمراحله قد مر بمدة طويلة فاقت سبعين سنة، ويرجع لعدة أسباب مختلفة منها صعوبة التضاريس ومقاومة البربر وتحالفهم مع الروم، كذلك البعد عن المركز أو

[1]- طاهر راغب حسين، التطور السياسي للمغرب من الفتح الإسلامي إلى آخر القرن العاشر الهجري، ط.3، دار النصر للتوزيع والنشر، جامعة القاهرة، 1425هـ/2004م، ص ص.100-102.

[2]- عبد الواحد دنون طه وآخرون، المرجع السابق، ص ص.126-127.

الخلافة الإسلامية سواء عن مصر وبلاد الخلافة، بالإضافة لبعض الأحداث التي جرت ببيت الحكم في المشرق الإسلامي[1]، كل هذه الأسباب سهامت في تأخر وتعطل الفتح الإسلامي، لكن رغم ذلك تم فتحه من قبل العديد من الولاة سواء عقبة أو أبو المهاجر وحتى موسى بن نصير وآخرين، فقد كان لهم فضل كبير في نشر وتثبيت الدعوة الإسلامية، ومع تلك الدعوة رافقتها إنجازات عمرانية عظيمة شيدها القادة والولاة بهذا الإقليم.

2-3- الدويلات المستقلة بالمغرب الأوسط:

وننبه هنا القارئ أن مصطلح المغرب الأوسط لم يظهر إلا مع القرن الخامس الهجري (11م)، وعليه أشرنا لبعض الدويلات وربطناها بهذا الإقليم بفعل أنها تمركزت به، وتركت مخلفات عمرانية تم استغلالها من قبل الدويلات الأخرى، كما ربطنا بعض الدويلات بالمغرب الأوسط جراء مخلفاتها الأثرية أو التوسعات التي كانت على حساب هذا الإقليم.

3-1- الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م):

تنسب لعبد الرحمن بن رستم[2] مؤسس الدولة سنة 160هـ /777م، وتعد أول دولة مستقلة في بلاد المغرب الأوسط[3]، وقد كان هذا بعد مقتل أبي الخطاب المعافري بمدينة طرابلس، وجراء ذلك تشتت القبائل الإباضية بسبب الاضطهاد العباسي الذي طاردهم في أقطار المغرب، لهذا كانت هذه الفرقة في حاجة لمن يلم شملها في إقليم معين فرأوا في عبد الرحمن بن رستم ذلك، وكانت مدينة

---

[1]- كمال السيد أبو مصطفى، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2014م، ص ص.17-18.

[2]- عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سام بن كسرى الملك الفارسي مؤسس الدولة الرستمية. أنظر: أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، كتاب السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، ج.1، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1407هـ/1987م، ص.124.

[3]- إسماعيل محمود عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراه، ط.2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1985م، ص.144. أنظر: عبد الواحد الشماخي، المرجع السابق، ص.124.

تيهرت المقر المناسب لهم لنشر عقائد مذهبهم وتأسيس دولتهم[1]، إن هذا التأسيس كان عن دعاية مسبقة لمذهبهم في المنطقة، وهذا من أجل خلق حليف داخلي بربري يكون لهم سندا في تأسيس دولتهم ونشر مذهبهم[2]، ولا يختلف اثنان أن أي دولة قبل أن تتأسس إلا وكانت لها جماعة مسبقة ترضاها وتقبل أفكارها، بحيث تكون تلك الدعاية عبارة عن شعارات إسلامية وكلمات مثالية بالإضافة إلى أنهم يستعملون سياسة العطايا من أموال وهدايا، وكذلك وعدهم بمناصب في الدولة التي ستتأسس.

ومما يذكر عن عبد الرحمن بن رستم على لسان الدرجيني: " فلما وصلوا إلى وادي أجج وهو جبل منيع قصده عبد الرحمان وتحصن به...لحقه هنالك ستون شيخا من شيوخ الإباضية من طرابلس..."[3]، وهنا إشارة لهروب عبد الرحمن ولجوءه لجبل أجج ولحاق مجموعة من الشيوخ الذين بايعوه فيما بعد، فاقترح عليهم بناء مدينة تكون عزا وسندا لهم، فوقع اختيارهم على مدينة تدعى تيهرت ذات الهواء النقي والتربة الخصبة، تعرف بكثرة المياه وقابلة للتعمير بحيث أنها آمنة من الأعداء وحصن طبيعي لهم[4]، وعليه تم مبايعته مرة ثانية سنة 160هـ أو 161هـ/777م ومنها أعلن عن تأسيس الدولة الرستمية[5]، فقد كان في نظر رعيته الفقيهَ والإمامَ والقاضيَ العادلَ والحاكمَ السياسي والقائد القوي، وجنبهم الحروب والفتن مع العديد من القبائل، كما أنه عرف مشايخ الإباضية في المشرق والمغرب[6]، وهذا ما أهله ليكون إماماً وحاكما عليهم.

---

[1]- بلحاج بن بنوح معروف، العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي مزاب، دكتوراه في تاريخ العمارة الإسلامية، قسم علم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1423هـ/مارس 2002م، ص.36.

[2]- عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1411هـ/1991م، ص.30.

[3]- الدرجيني (أبي العباس أحمد بن سعيد المتوفى 670هـ/1272م)، طبقات المشائخ بالمغرب، حققه: إبراهيم طلاي، ج.1، د.ط، د.ت، 1974، ص.35.

[4]- إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ط.1، الشركة العالمية للكتاب، مكتبة المدرسة الدار الإفريقية العربية، 1989م، ص.164. أنظر: محمود شيت خطاب، قادة الفتح الإسلامي، المغرب الكبير، ط.1، دار الفكر العربي، 1386هـ/1966م، ص.218.

[5]- عبد الحفيظ منصور، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد الإمارة الرستمية، دبلوم للدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1984م، ص ص.11-12.

[6]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص.421.

ومن بين الصفات التي تميز بها حكام بني رستم العدل والمساواة، لهذا كانت الكثير من القبائل تقصدهم سواء من أجل التجارة أو الاستقرار بينهم، فحتى اليهود والمسيحيون كانت لهم تجارة وديار بينهم، فالأئمة ووفروا لهم مقاصد الكسب وسهروا على حمايتهم و راحتهم[1]، وعلى هذا المنوال فقد توسعت الدولة الرستمية على العديد من المدن بحيث امتدت من منطقة منداس شمالا إلى قرب غليزان، ومن غليزان إلى فرندة، أما شرقا يمكن أن نحددها من جبل عمور إلى ميزاب وورقلة إلى جنوب الأغواط، يعني أن الدولة الرستمية سيطرت على جميع الزاب الجزائري الحالي[2]، على العموم لا يمكن أن نحدد الرقعة الجغرافية لهذه دولة بصفة قطعيا وهذا لعدة أسباب وأحداث تاريخية إنما هي مجرد تقريبات على موقع القرب لا البعد، فهناك مناطق كانت تابعة لدولة الرستمية وهي خارج حدودها مثل نفوسة وطرابلس (الخريطة رقم: 01).

لقد اهتم بنو رستم بالتشييد والبناء فتنافسوا على القصور والدور والمساجد، فكانت لهم قصبة مشرفة وحدائق وحصون، فمعظم المصادر التاريخية وصفت ذلك الإبداع العمراني والمعماري، لهذا نجدهم يلقبونها بعراق المغرب وبلخ المغرب وغيرها من الأسماء[3]، فقيل هذه دار لفلان الكوفي وهذه للبصري وهذه للقروي، وهذا مسجد القرويين وهذا مسجد البصريين[4]، إن عظمة العمران الذي وصل إليه بنو رستم لم يصل إليه أحد في تلك المنطقة، غير أن هذه العظمة خربت من قبل العبيديين سنة 296هـ/909م عندما قضوا على الدولة الرستمية[5].

إن التطور الذي لحقت إليه الدولة الرستمية يعد إنجازًا عظيمًا في بلاد المغرب الإسلامي، فرغم أنها أول دولة مستقلة بهذا المجال الجغرافي الكبير ومع تلك الصراعات والأحداث إلا أنها خلقت لنفسها مكاناً عظيمًا تأثرت به العديد من الجماعات التي زارتها، ولو عدنا لوصف المصادر لهذه

---

[1]- ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، ص.17. أنظر: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص.22.

[2]- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج.3، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010م، ص.445. أنظر: إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط.2، نشر جمعية التراث، القرارة، ص.98.

[3]- الدرجيني، المصدر السابق، ج.1، ص ص.42-43-44.

[4]- ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص.32.

[5]- محمد عيسي الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296هـ)، ط.3، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1408هـ/1987م، ص ص.185-186.

المدينة حول العمران لوجدنا طرازًا خاصًا بهم، وهم من أثروا في عمران الدويلات التي جاءت بعدهم، صراحة هذه الدولة تحتاج لدارسة وبحث أعمق خاصة في مجال عمرانها، فالحفريات التي أقيمت عليها ليست كافية على الإطلاق بقدر عظمة عمرانها.

3-2- الدولة الإدريسية (172- 364هـ/788 -974م) :

تنسب الدولة الإدريسية لإدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني وتذكره المصادر والمراجع بإسم إدريس الأول[1]، ويرجع نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وقد فر من بني العباس، وتوجه نحو بلاد المغرب متخفيا حتى وصل مدينة تلمسان ثم مدينة طنجة[2]، وفي يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان سنة 172هـ 6 فبراير 789م بويع بالحكم من قبل عدة قبائل خاصة قبيلة أوربة ثم بايعته قبائل مكناسة[3] وزناتة[4]، فتم بذلك تنصيب أول ملك على الدولة الإدريسية بمدينة ويللي[5]، وعليه حقق غايته في تأسيس دولته[6]، فمن البديهي أن ينجح ويؤسس دولة مستقلة وهذا وهذا يرجع لعدة أسباب مختلفة، فمن بينها نسبه المرتبط بالرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك وجود أرضية خصبة لنشر تعاليم الإسلام، بالإضافة لحاجة هذه القبائل لرجل يجمعهم على كلمة واحدة.

وفي منتصف رجب 172هـ/ 8 كانون الثاني 789م دخل المغرب الأوسط من بوابة تلمسان، فاستقبلت قبائل بني يفرن الزناتيين وعلى رأسهم محمد بن خزر من ولد صولات المغراوي، وبايعوه

---

[1]- محمد حجي، معلمة المغرب، ج.1، مطابع السلام، ص.261.

[2]- علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972م، ص ص.18-19-20.

[3]- مكناسة: مدينة بالمغرب في بلاد البربر على البر الأعظم، بينها وبين مراكش أربع عشرة مراحل نحو الشرق، وهي مدينتان صغيرتان على ثنية بيضاء بينهما حصن جواد، اختط إحداهما يوسف ابن تاشفين ملك المغرب من الملثمين والأخرى قديمة. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.5، ص.181.

[4]- أحمد حسن خضيري، المرجع السابق، ص.99.

[5]- ويللي: مدينة بالمغرب الأقصى قرب طنجة. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.5، ص.442.

[6]- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مج.4، 1407هـ/1987م، ص.12.

على الطاعة والولاء، وأمر إدريس بتعليم القرآن وبناء المساجد وشيد مسجد أغادير[1]، ومن بين ما أورده ابن ابي زرع نصا مفصلا عن دخول إدريس تلمسان فيقول:" ثم خرج في نصف رجب المذكور (8 ديسمبر- 789م) برسم مدينة تلمسان ومن بها من قبائل مغراوة وبني يفرن، فوصل مدينة تلمسان، ونزل بخارجها، فأتاه أميرها محمد بن خزر بن صولات المغراوي الخزري فطلب منه الأمان إدريس، وبايعه محمد بن خزر وجميع من معه بتلمسان من قبائل زناتة، فدخل إدريس المدينة صلحا وأمن أهلها وبنى مسجدها وأتقنه وصنع فيه منبرًا وكتب عليه (باسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر بها إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وذلك في شهر صفر سنة أربع وسبعين ومئة"[2]، في هذا نص إشارة أنه شيد مسجدًا بهذا المدينة وأتقن بناءه، وصنع منبرا وكتب عليه كتابة تذكارية، لكن نفس المصدر يذكر نصًا آخر مختلفاً عن الأول قائلا: "" ودخل مدينة تلمسان، فنظر في أحوالها وأصلح أسوارها وجامعها وصنع فيه منبرا"[3]، يفهم من هذه العبارة أن المدينة كان بها مسجد وهي محصنة بأسوار، فهو يذكر هنا مصطلح " أصلح " أي هناك عمارة، فهو فقط رممها ووسع في بناءها، وقد يكون النص الثاني أقرب للصحة، فالمدينة شهدت تواجد المسلمين منذ الفتح وقد ترك بها من يعلمهم الدين ويحميهم من الكفار.

لقد استقر إدريس بتلمسان لثلاث سنوات ثم رجع إلى المغرب الأقصى بعد أن ضبط الحدود بينه وبين الأغالبة[4]، بحيث يمتد نطاق حكمهم من السوس الأقصى إلى تلمسان، وكانت عاصمتهم مدينة فاس ثم البصرة (مدينة بالمغرب الأقصى)، وقد زال حكمهم بعدما حكموا لقرنين وثلاث سنين (172هـ-375هـ/788م-958م)، وبقيت حدود الأدارسة تتراوح بين مدينة تلمسان ومدينة وجدة وهذا بسبب الصراع القائم بينها والرستميين، وبعدها مع العبيدين لتسقط على أيديهم فيما بعد[5]، فقوة بني عبيد جعلتهم ينسحبون لبلاد الصحراء طمعا في إحياء دولتهم من جديد، وخاصة وجود قبائل موالية لهم وعدوة لبني عبيد بسبب مذهبهم وظلمهم في هذه البلاد (الخريطة رقم:01).

---

[1]- عباس نصر الله سعدون، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 172-223هـ/788-835م، ط.1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1408هـ/1987م، ص ص.74-75-76.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص.21.

[3]- المصدر نفسه، ص.50.

[4]- عبد الله شريط ومحمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، ط.1، مكتبة البعث، قسنطينة، ماي 1965م، ص.65.

[5]- حسن خضيري أحمد، المرجع السابق، ص.107.

أما من الناحية العمرانية فلم يبق في المغرب الأوسط سوى بعض البقايا من قاعة الصلاة لمسجد أغادير، والذي أختلف في مؤسسه أو حتى سنة تأسيسه بين المصادر، وهذا رغم وجود تضارب في قول ابن أبي زرع بين البناء والإصلاح، فالمسجد بني بحجارة رومانية لمدينة قديمة تدعى بوماريا[1]، والأمر ينطبق على المئذنة الزيانية[2]، في حين نجد معظم مخلفاتهم الأثرية بالمغرب الأقصى بداية من مدينة وليلي ثم مدينة فاس التي شيد بها إدريس الثاني عدوة الأندلسيين سنة 192هـ/808م، ثم عدوة القرويين بعدها بسنة، كما شيدوا العديد من المساجد على غرار جامع القرويين وجامع الأشياخ وجامع الشرفاء، بالإضافة للقصور والدور كدار القبطون، وشيد الأسواق والقيسارية[3]، وتبقى هذه بعض المعالم التي شيدها بنو إدريس في بلاد المغرب الأقصى، مع العلم أنهم لم يتوسعوا كثيرا في الأقاليم الثلاثة بل حصروا أعمالهم وإنجازاتهم بإقليم واحد على الأكثر.

3- 3-الدولة الأغلبية (184- 296هـ/ 800- 909م) :

ويرجع نسب الأغالبة إلى الأغلب بن سالم[4]، لكن مؤسسها الفعلي هو إبراهيم بن الأغلب قائد منطقة الزاب[5]، بحيث يعود نشأتها لسنة 184هـ/800م نظرا لعدة ظروف داخل إفريقية والمشرق الإسلامي، وكذلك لعدة صراعات بين البربر والعرب وقد استغل إبراهيم بن أغلب ذلك فوحد شملهم

---

[1]- بوماريا: أطلق الرومان هذه الاسم على موقع تلمسان، ومعناه مدينة البساتين والحدائق، كانت بوماريا في أول نشأتها معسكرا رومانيا في ظل السلطة العسكرية الرومانية، وقد شيد الرومان قناة لحمل المياه العذبة من عيون اللوريط إلى بوماريا، مازالت تعرف هذه القناة عند السكان بساقية النصراني، وهي مدينة قديمة لتلمسان. أنظر: خالد بلعربي، تلمسان من الفتح الإسلامي إلى الدولة الزيانية (55-633هـ/675م-1235م)، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ص.9.

[2]- محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2007م، ص.12.

[3]- إسماعيل محمود، الأدارسة (172- 375هـ) حقائق جديدة، ط.1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ-1991م، ص.59. أنظر: عباس نصر الله سعدون، المرجع السابق، ص ص. 149، 159.

[4]- هو الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، وهو عربي من قبيلة تميم التي أسهمت في القضاء على الخلافة الأموية وقيام الدولة العباسية، وكان الأغلب بن سالم من أصحاب أبي مسلم الخراساني ومن أشجع رجاله، ثم شغل مركزا مرموقا في جيش محمد بن الأشعث بمصر، وقد ولاه ابن الأشعث بلاد الزاب فاتخذ من طبنة مقرا له، ثم تولى ولاية إفريقية.أنظر: اسماعيل محمود، الأغالبة 184هـ-296م سياستهم الخارجية، ط.3، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000م، ص.19.

[5]- ابن حزم أبي محمد علي أحمد بن سعيد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق : عبد السلام هارون، ط.5، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص.221. أنظر: محمود إسماعيل، الأغالبة ...، ص ص 19،28.

وأسس دولته التي كان يحلم بها[1]، في حين تمتد الإمارة الأغلبية من البحر الأبيض المتوسط شمالا، وغربا إلى جبل كتامة أي بلاد القبائل الصغرى، وينحدر أولا إلى الجنوب، ثم يمر غرب سطيف ويصل إلى أوربه، وهي أخر بلاد ملك الأغالبة غربا[2]، وعليه هذه هي الحدود التي يتفق عليها الكثير من المصادر وتنقلها لنا المراجع التاريخية (الخريطة رقم: 01).

ومن أهم الإنجازات المعمارية للأغالبة في المغرب الأدنى بناء مدينة العباسية أو القصر القديم من قبل إبراهيم بن الأغلب وشيد بها مسجداً جامعًا وقصرًا ودارًا لضرب السكة وأحاط بمدينته سورًا يحميها، كما جدد زيادة الله الأول مسجد القيروان من خلال إعادة بناء السقف وزيادة في ارتفاعه، كما هدم الرواقين التاسع والعاشر وجعل رواقا واحدا يتوسط الجميع ويتميز عن باقي الأروقة بارتفاعه واتساعه، وحتى أنه تم تجديد مسجد الزيتونة [3]، مما يذكر كذلك أنهم شيدوا مدينة رقادة على عهد إبراهيم الثاني الأغلبي، وهي على بعد ثمانية أميال من القيروان، بحيث قدر طولها بأربعة وعشرين ألفا وأربعين ذراعا في سنة 263هـ/876م، وشيد بها العديد من القصور على غرار قصر البغداد والمختار والفتح[4]، ومن بين الإنجازات التي تنسب لهم كذلك القناطر للمسافرين والسابلة في الطرق المؤدية لمدينة القيروان، كل هذا من أجل تسهيل انتقال الناس بين المدن[5]، إذن هذه بعض الإنجازات المعمارية والعمرانية للدولة الأغلبية، ومازلت بعض المعالم تشهد على تلك الحقبة الزمنية في المغرب الأدنى (تونس).

أما عن العلاقة التي تربطها بإقليم المغرب الأوسط هي علاقة توسعية على حدود الدولة الرستمية والوصول حتى الدولة الإدريسية، ويبقى هذا الامتداد مرتبطًا بقوتها وضعفها أيام حكمها، لهذا

---

[1]– ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط.1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1408هـ/1988م، ص.04.

[2]– محمد الطالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184–296هـ/800–909م)، تعريب: المنجي الصيادي، تحقيق: حمادي الساحلي، ط.1، دار الغرب الإسلامي، 1405هـ/1985م، ص ص.146–147.

[3]– ابن وردان، المصدر السابق، ص.36. أنظر: فاطمة عبد القادر رضوان، مدينة القيروان في عهد الأغالبة 184هـ–296م، دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1412هـ/1991م، ص ص. 85–86.

[4]– حسن ممدوح، إفريقية في عصر الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي قراءة جدية تكشف افتراءات دعاة الفاطميين، ط.1، دار عمار، عمان، الأردن، 1417هـ/1997م، ص ص.62–63.

[5]– فاطمة عبد القادر رضوان، المرجع السابق، ص.97.

ذكرنا هذه الدولة وفق مجال التداخل بين الأقاليم، فقد نجد مستقبلا بقايا أثرية أو حتى تأثيرات فنية لم تذكرها لنا المصادر التاريخية ولا الجغرافية، فالبحث الأثري هو أحد العوامل المساهمة في تحديد أقاليم المدن والأنماط الفنية التي تنسب إليها.

3-4- الدولة العبيدية (297-362هـ/910-972م):

تنسب الدولة العبيدية لعبيد الله المهدي[1]، والذي يرجع نسبه إلى الحسين بن علي عليهما السلام[2]، واتخذ من مدينة المهدية عاصمة له، ثم انتقلت إلى مصر وعرفت هناك باسم الدولة الفاطمية[3]، وقد تأسست بالدعاية الدينية والحنكة السياسية اللتين كانتا لأبي عبد الله الشيعي، ويعد المؤسس الحقيقي فهو من افتتح العديد من المدن، ومهد الولاية للمهدي[4]، كما لا يمكن أن ننسى الدور البارز لقبيلة كتامة في التوسع لبني عبيد، وخاصة عندما نتحدث عن الجيش الكتامي الذي حارب في صفوفهم[5]، فالعديد من الكتابات التاريخية أشارت أن الفكر الشيعي في بلاد المغرب قد أنطلق من تلك القبيلة، خاصة دور الرجلين الحلواني[6] وأبي سفيان[7] فقد أرسلهما جعفر الصادق[8] لبلاد المغرب، وقال لهما أنها أرض بور بور فاذهبا واحرثاها حتى يجيء صاحب البذر، وقد نزل أحدهما ببلدة مراغة ولآخر بسوق جمار،

---

[1]- عبيد الله المهدي: هو عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدّق بن محمد المكتوم، الفاطمي، من ولد جعفر الصادق. أنظر: خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ص.197.

[2]- أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ص.35.

[3]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج.2، ص ص.130-131.

[4]- أبي الله بن حماد، المصدر السابق، ص.16.

[5]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج.2، ص.134.

[6]- الحلواني: هو عبد الله بن علي بن أحمد الحلواني، وهو عراقي الأصل، وهو من نشر الدعوة الإسماعيلية بالمغرب. أنظر: فرات محمود ميران الخزاعلي، الدولة الفاطمية في بلد المغرب دراسة سياسية، ماجستير تاريخ إسلامي، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ص.47.

[7]- أبي سفيان: هو أبو سفيان بن بكار من أحد دعاة الإسماعيلية الشيعية بالمغرب. أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، السابق، ج.4، ص.32. أنظر: فرات محمود ميران الخزاعلي، الرجع السابق، ص.47.

[8]- جعفر الصادق: هو أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسن السيط بن علي بن أبي طالب، أحد الأئمة الإثني عشر على مذهب الإمامية، ولد سنة 80هـ/699م، وتوفي سنة 148هـ/766م بالمدينة. أنظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، إشراف وتحقيق: شعيب أرنؤوط وحسين الأسد، ج.6، ط.11، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1996م، ص ص.255-269. أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج.1، ص ص.327-328.

وكلاهما أرض كتامة[1]، فهذه الأخيرة كان لها دورٌ بارزٌ في نشر الدعوة الإسماعيلية[2]، فقد ذكرت بعض المراجع أن رجالاً من الكتاميين لما قصدوا الحج هناك اختلطوا بقادة هذا الفكر[3].

ليس بضرورة أن يكون جميع من يقطن كتامة له علاقة ببني عبيد، فمن الممكن أن يكون بعض من القادة والمشايخ قد تأثروا بهذا الفكر خاصة عندما قصدوا الحج، وفي تلك الرحلة التقوا شخصيات تقود وتدعي هذه العقيدة، وهذا ما نراه في حنكة عبد الله التي جعلت من الناس يرون فيه صفة القائد وعالم الدين والقاضي في أحكامهم، هذا ما ساعده في بسط نفوذه ونشر أفكاره بين الناس وبذلك أصبح يتطلع لتأسيس دولته بالمغرب الإسلامي.

وبعد أن استوى الأمر لأبي عبد الله في المغرب أرسل بعضاً من جنده لعبيد الله المهدي في سجلماسة، وهذا ليخبروه أن أمر المغرب أصبح بين أيديهم وما عليه إلا القدوم[4]، وهذا بعد القضاء على على دولة الأغالبة والدولة الرستمية سنة 297هـ/910م، وقد اتخذ من مدينة إيكجان مركزًا لدعوته وحملاته العسكرية، وهذه المدينة قريبة من سطيف حاليا على بعد 37كلم من الشمال الشرقي[5]، غير أن أن المهدي وقع اختياره على مدينة المهدية لبناء عاصمة لدولته، فالموقع من أملاك قبائل البرانس وهم أعداء البتر، أي كسب حليفا مدافعًا عنه، وبهذا يؤسس لنظامِ حكمٍ جديد تحت مذهب شيعي خارجي[6]، ومن الممكن أن مدينة إيكجان لم تعجب المهدي لهذا وقع إختياره على المهدية فيما بعد، وربما لا يريد تأسيس مدينته وفق خيار عبد الله، وهذا لعدة أسباب ربما تتعلق بخلاف بين الرجلين أو يريد بث حكمه وفق أفكاره وهذه صفات القائد والحاكم الجديد.

---

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج.4، ص.31. أنظر: صاحب الاستبصار، المصدر السابق، ص.203. أنظر: عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص. 40.

[2]– الشيعية الإسماعلية: هي الفرقة التي أقرت أن إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق بعد وفاة أبيه، وهو من أكبر أولاده ولد سنة 110هـ/720م في المدينة المنورة، ولهم عقائد مختلفة مثل أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض ويقوم بأمر الناس وغيرها . أنظر: فرات محمود ميران الخزاعلي، المرجع السابق، ص ص.21–22.

[3]– Chaibi Karim, de Stifis à Sétif, éditions dalimen, Algérie, 2010, P.55.

[4]– أحمد بن علي تقي الدين المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطمين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، ج.1، ط.2، القاهرة، 1416هـ/1996م، ص.60.

[5]– لخضر سيفر، التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي، ج.2، د.ط، دار الأمل، 2006م، ص.142.

[6]– عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي من الفتح وحتى قيام الدولة الفاطمية، ط.1، الدار الثقافة للنشر، القاهرة، 1428هـ/2007م، ص ص.392–393.

أما علاقة هذه الدولة بهذا الإقليم الذي أصطلح عليه فيما بعد بالمغرب الأوسط فهي علاقة توسع وصراع مع بعض القبائل، وصراع مع الدويلات التي امتدت عليه سواء الدولة الرستمية أو دولة الأدارسة، غير أن العبيدين قضوا على هاتين الدولتين وخربوا عمرانهما وشردوا أهاليهما، في حين جعلوا ولاة على أهم المدن لهم لينشرون مذهبهم ويشيدون مساجد على طريقتهم، ومن بين المدن التي سيطر عليها بنو عبيد في إقليم المغرب الأوسط نجد؛ تيهرت وتنس، ووهران وبني مزغنة، وتلمسان وغيرها[1]، وبقي جزء كبير من المغرب الإسلامي تحت حكم العبيدين إلى أن رحلوا لمصر، وهذا بعدما تولى إمامتهم المعز لدين الله الفاطمي[2] عام 341هـ/953م واستخلف بلكين بن زيري الصنهاجي[3] في شهر رمضان 362هـ/973م[4]، أي تركوا بلاد المغرب الإسلامي مع استخلاف أحد ولاتهم من بني زيري، وبهذا تغير الحكم والتسيير والفكر بالمنطقة، كما أنها بداية لظهور دويلات وتقسيم جديد بهذا الإقليم الواسع، وبعدها تظهر مصطلحات جديدة متعلقة بهذا التقسيم. (الخريطة رقم: 02)

أما على المستوى العمراني والمعماري لهذه الدولة بالمغرب الأوسط فهي قليلة جدًا، فمعظم المدن التي شيدتها الدولة العبيدية هي خارج حدود المغرب الأوسط، وعلى سبيل المثال نذكر مدينة إيكجان وتازروت وحتى مدينة المسيلة أو ما تسمى في عهدهم المحمدية، وقد بناها حكام بني عبيد سنة 313هـ/926م[5]، وتبقى بعض المخلفات الأثرية شاهدًا على وجودهم بتلك المناطق سواء في المواقع

---

[1]- فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296- 365هـ / 909- 975م) التاريخ السياسي والمؤسسات، ترجمة: حمادي الساحلي، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م، ص ص.194-195. أنظر: عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص547.

[2]- المعز لدين لله: هو أبو تميم معد بن المنصور الملقب بالمعز لدين لله الفاطمي، تولى الحكم ف سنة 341هـ من آذار 951م وعمره اثنان وعشرون عاما.أنظر: فرات محمود ميران الخزاعلي، المرجع السابق، ص.118.

[3]- بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي وسماه يوسف ولقبه بسيف الدولة أبا الفتوح، وحكم من سنة 361هـ/971م إلى أن توفي في سنة 373هـ/983م. أنظر: سفيان سالم العلياني الحجايا، بدر الجمالي وتأثيره في أحوال الدولة الفاطمية السياسية والاقتصادية، ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة مؤتة، 2006م، ص.67.

[4]- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر، د.ط، دار العلوم، عنابة، 2002، ص.64.

[5]- مختار حساني، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج.1، دار الهدى، الجزائر، 2011م، ص.104. أنظر: المهدي البوعبدلي ، تاريخ المدن، جمعه: دويب عبد الرحمان، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2013م، ص.397.

أو ما هو موجود بالمتاحف حاليا كمتحف سطيف وقسنطينة[1]، أما عن أهم إنجازاتهم في المغرب الأدنى فهي تتمثل في عاصمتهم المهدية التي شيدها المهدي سنة 303هـ/915م، وأحاط به سور عظيما محكماً وأبواب كبيرة، وشيد دار لصناعة السفن الحربية الكبيرة، فأصبحت بعده مرفأ هاماً يقصده الكثير من السفن، وفرغ من بناءها سنة 305هـ/918م، لينتقل إليها بعدها المهدي في سنة 308هـ/920م، كما أمر المهدي ببناء مدينة أخرى بجوار المهدية ، وجعل بين المدينتين ميداناً فسيحا وأحاطها بسور وأبواب وحراس وسماها زويلة، وجعل بتلك قصور ومنازل ومساجد وغيرها من المرافق العامة[2]، هذه بعض المعالم المعمارية التي شيدها فالفاطميون ببلاد المغرب الإسلامي، وبعدما انتقلوا لمصر أسسوا القاهرة والعديد من المعالم من قصور ومساجد.

لكن بحكم حدود الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط الموصوف في كتب الجغرافيين والرحالة لا نجد مخلفات أثرية لبني عبيد، فربما أنها خربت من قبل بني زيري أو بني حماد، لكن هذا أمر مستبعد نظرا للمدة التي قضاها بني عبيد في المنطقة بالإضافة أنهم كانوا غير مهتمين بالعمارة بعكس من سبقهم من بني رستم وبني حماد بعدهم، وكذلك لشدة نفور العديد من القبائل لهذه الدولة مما أدخلهم في صراع دائم معهم.

3-5- الدولة الزيرية(362-543هـ/972-1148م) :

تنسب هذه الدولة لبلكين بن زيري الصنهاجي من قبيلة صنهاجة إحدى فروع قبيلة تلكانة[3]، وتمتد حدودها من طرابلس شرقا إلى المسيلة وقسنطينة غربا، ومن البحر المتوسط إلى بلاد الجريد جنوبا[4]، أما عن بداية نشأة فقد كانت عبارة عن ولاية تابعة للفاطميين في مصر، أي بعد أن قرر الخليفة

---

[1]- نوال لعرابة، آثار الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط من خلال المواقع الأثرية ومجموعة متحفي سطيف وقسنطينة (280هـ-893م/362هـ-973م) دراسة أثرية وفنية، ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2015/2014م، ص ص.55- 56، 65-66.

[2]- فرات محمود ميران الخزاعلي، المرجع السابق، ص.93.

[3]- ابن أبي دينار القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، المكتبة الوطنية، سوق المطارين، تونس، ص.71. أنظر: لطيفة بنت محمد البسام، الحياة العلمية في إفريقية في عصر بني زيري، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1422هـ/2001م، ص.6.

[4]- المرجع نفسه، ص.7.

الفاطمي المعز[1] الرحيل إلى مصر سنة 361هـ/971م، فحاول إختيار من يخلفه في تسيير بلاد المغرب، فوقع خياره على شخصيتين هما جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي وبلكين بن زيري، غير أن الأول اشترط عليه شروطًا شبه مستحيلة كالاستقلالية بهذا الإقليم، وعدم محاسبته على الأموال، وجعل القضاء والخراج بيده، وهذا ما لم يتقبله المعز فصرفه عن هذا الأمر، ثم استدعى بلكين ابن زيري من بلاد الصنهاجة، فأجابه بلكين وعرض عليه المعز أمر التسيير لهذه البلاد، غير أنه في البداية رفض هذا الأمر لعدة أسباب منها خشيته أنه يُمتحن في ذلك، أي إن كان طامعًا في الملك أو لا، وخوفه من عدم إجابته وقبوله من قبل الرعية في هذه البلاد، من خلال أنه بربري من بلاد صنهاجة أي بدوي لا يفقه في نظام الحكم والتسيير، وبهذا أصبح بلكين يحكم جزءًا كبيرً من بلاد المغرب الإسلامي بتبعيته للفاطميين، وقد لقي هذا القائد دعمًا كبيرًا من قبيلة صنهاجة، في حين عارضتهم بعض القبائل بحكم قيادة ساداتهم الطامعة في الحكم والسلطة[2].

وبمجرد أن بدأ بلكين بتسيير شؤون هذه البلاد حتى اضطربت عليه الأوضاع، وثارت عليه قبائل المغرب خاصة قبيلة زناتة، والتي أرادت السيطرة على بعض المدن، فأفسدت وخربت وقتلت الكثير من الناس، فتجهز لها الحاكم الزيري على رأس من جيش مكون من قبيلة كتامة وصنهاجة، فهزم زناتة وفتح ديارهم وقتل ونهب أموالهم وأحرق عمرانهم، وحاصر مدينة تلمسان وطرد أهلها منها[3]، ومن الطبيعي أن تثور قبيلة زناتة على بني زيري، فهذه القبيلة أشد عداء لقبيلة صنهاجة وقد دخلت معها في حروب كثيرة، والغاية دائما من هذا الصراع هي المنافسة على الثروات والحدود، وكذلك حب السيادة والملك.

ولم تدم تبعية بني زيري للفاطميين طويلا حتى فسخوا عقودهم معهم، ورجعوا في كفالة الدولة العباسية في خطبهم وتجارتهم وذلك في سنة 435هـ/1043م[4]، ويذكر على لسان ابن عذاري أن المعز بن باديس اتخذ مجموعة من الإجراءات لمقاطعة الفاطميين، فمن بينها أن يلبسوا السواد محاكاة لبني عباس، وأمرهم بتخريب دُوْرْ الإسماعيلية، ومدارسهم بالقيروان، وتشريد كل من له علاقة بالدعوة

---

[1]– هو أبو تميم معد بن المنصور الملقب بالمعز لدين لله الفاطمي، تولى الحكم ف سنة 341هـ من آذار 951م وعمره اثنان وعشرون عاما. أنظر: فرات محمود ميران الخزاعلي، المرجع السابق، ص.118.

[2]– حسن خضيري أحمد، المرجع السابق، ص.136.

[3]– المرجع نفسه، ص.139.

[4]– لطيفة بنت محمد البسام، المرجع السابق، ص.14.

الشيعية في هذه البلاد، هذا بالإضافة إلى لعن الفاطميين على منابر البلاد[1]، وهذا من سنن الملك بمعنى أن أي حاكم أو دولة تصل لمرحلة من القوة في شتى مجالاتها تنكر غيرها وتحاربهما سواء حربًا عسكريةً أو سياسيةً.

وبخصوص مخلفات بني زيري في المغرب الأوسط فيمكن أن نحددها في بعض المدن، وعلى سبيل المثال نذكر مدينة أشير والتي شيدها زيري بن مناد الصنهاجي سنة 324هـ/935م ، وقد جلب لها البنائين والحرفيين من مدن حمزة وطبنة والمسيلة[2]، فموقعها الجغرافي المحصن الطبيعي وكثرة عيونها وسعة فضائها وحسن منظرها، وهي منطقة غير آهلة بالناس ساعدته في تثبيت حكمه ودوامه، وجعل لها مدخلاً واحدًا يحرسه عشرة رجال، ولم يتوقف هنا فقط بل ضرب السكة واعتنى بالجند والعمال والناس، وبهذا صارت مدينة مشهورة في بلاد المغرب الأوسط يقصدها العديد من القبـــائل بغـــية التجارة أو الاستقرار بها[3]، ومما ذكر الباحث مارسي أن مباني بني زيري شبيهة بمباني بني حماد، ولكنها أكثر رشاقة في خطوطها وشكلها، وكثيرة في زخارفها[4]، وهكذا تبقى بعض المخلفات الأثرية اليوم بمدينة أشير شاهدًا على تلك الفترة، رغم أنهم أسسوا مدناً أخرى على غرار مليانة وجددوا مدينة المسيلة[5] لكن لا وجود لشاهد أثري على ذلك، في حين تبقى الأبحاث الأثرية مستمرة للكشف عن مخلفات هذه الدولة في هذا الإقليم.

3-6- الدولة الحمادية: (408-547هـ/1007-1152م):

يرجع تأسيس هذه الدولة لحماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي، والذي شيدها بمنطقة المعاضيد بجبل كيانة سنة 398هـ/1007م، على جبل محصن ومنيع يصعب على الأعداء اختراقه[6]، وقد

---

[1]- حسن خضيري أحمد، المرجع السابق، ص.159.

[2]- الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ترجمة: حمادي الساحلي، ج.1، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م، ص.44.

[3]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.1، ص ص.202-203.

[4]- جورج مارسي، المرجع السابق، ص.217.

[5]- المسيلة: مدينة من بلاد الزاب بالمغرب بقرب من قلعة أبي طويل، وهي مدينة جليلة على نهر يسمى في بساط من الأرض، ومنبع نهر سهر من مدينة الغدير، وأسس المسيلة أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله الشيعي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، وكان المتولي لبنائها علي بن حمدون بن سماك الجذامي المعروف بابن الأندلسي. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص. 559.

[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.309.

حرص مؤسسها على نقل العديد من القبائل على اختلاف مشاربهم ومهنهم وتجارتهم وخرب تلك المدن التي نقل منها الناس لمدينته، وهنا نذكر قبيلة جراوة[1] وسوق حمزة ومدينة أشير[2]، فأصبحت قلعة بن حماد عاصمة المغرب الأوسط وفاقت مدينة المسيلة عاصمة بني حمدون وأشير العاصمة الزيرية[3]، وبطبيعة الحال تكون مدينة عظيمة فهي جمعت العديد من الشرائح البشرية، فهو ركز على تشييد مدينة نموذجية وفق ما أقرته مصادر وفقهاء العمران.

إن حنكة حماد في إدارة شؤون الحكم وتسيير أمور الـــناس وعـــدله ســـاعدته على بناء دولة قوية في هذه المنطقة، ومن بين الأسباب التي جعلته يؤسس هذه الدولة، وهي مساهمة في استقرار الدولة الزيرية وكيف أبعد عنها الخطر الزناتي في العديد من المرات، فهو كان أحد القادة التابعين للدولة الزيرية، ولما اشتدت قوة قبيلة زناتة طلب الحاكم الزيري باديس من حماد القضاء على هذه القبيلة، وهنا أتيحت له الفرصة في بناء دولته التي كان يحلم بها، فاشترط حماد على باديس أن يوليه المغرب الأوسط والمدن التي يفتحها، وأن تكون تحت حكمه وتسييره دون أن يتدخل فيها، ولم يكن له حل سوى الموافقة على تلك الشروط مقابل القضاء على زناتة والقبائل الأخرى[4]، وخاصة أن الدولة الزيرية كانت تمر بمرحلة ضعف جراء الصراعات الداخلية حول الحكم، وكذلك جيشهم المنهك من الحروب ضد الفاطميين والقبائل، لهذا اغتنم الفرصة حماد وأسس دولته.

لم تعرف الدولة الحمادية حدودا ثابتة لطبيعة تسارع الأحداث في المنطقة، وتداول الحكام عليها وحتى في عصر حاكم واحد، فسياسة التوسعات الجغرافية لدولة على أخرى زادت من نطاقها وقلصت من نطاق الدولة الأخرى، ورغم ذلك اتفق الكثير من الجغرافيين على أن الدولة الحمادية شملت نطاقها

---

[1]– قبيلة جراوة: وهم أبناء جراو بن الديرت بن جانا (زانا)، وقد برز دور جراوة منذ بداية الفتح الإسلامي؛ وهذا عندما كانت الكاهنة تتزعم هذه القبيلة، وفيما يخص مواطنهم فقد كانت إفريقية والمغرب الأوسط ثم نزحوا نحو المغرب الأقصى. أنظر: بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج.1، ص ص.248–263.

[2]– محمد العروي، مجمل تاريخ المغرب 2، ط.2، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، 2000، ص.79. أنظر: عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص563– 564.

[3]– رشيد بورويبة، مدن مندثرة، تاهرت، سدارتة، أشير، قلعة بن حماد، سلسلة فن و ثقافة وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1981م، ص.98.

[4]– حسن خضيري أحمد، المرجع السابق، ص.165.

بلاد المغرب الأوسط على الغالب[1]، في حين نجد توسعاتها في بعض الفترات تصل للقيروان وتونس والجريد و جزيرة جربة، لكن ما اتفق عليه أن حدودها الشرقية كانت تقف عند بونة[2] على أقصى تقدير[3]، وأما الحدود الغربية يرى البعض أنها تقف عند فاس[4]، والبعض الأخر عند مدينة معسكر في وادي سيق [5]، صراحة يبقى المجال الحدودي لأي دولة مرتبطًا بقوتها وضعفها، لهذا فالدولة الحمادية في أزهي قوتها كانت تصل إلى ما وراء تلمسان، في حين يتقلص مجالها في حالة الضعف إلى وهران ووادي الشلف، لهذا نلقى صعوبة في تحديد نطاقها مع تضارب أقوال المصادر واختلاف المراجع (الخريطة رقم: 03).

لقد أولى بنو حماد اهتماما كبيرًا بالفن المعماري فسخروا له الصناع والبنائيين وأهل الفن من أجل منافسة أبناء عمومتهم في افريقية، فشيدوا المساجد والمدارس والقصور فكانت بذلك مدينتي القلعة وبجاية فيما بعد مركز تأثير واستلهام لبعض الخصائص المعمارية والفنية، فالمخلفات الأثرية سواء الموجودة في المواقع أو المتاحف هي من تبرز ذلك الفن والتاريخ العظيم لبني حماد[6]، فقصر أميمون وقصر النجوم، وقصر اللؤلؤة وأصغر مصلى هي بعض الإنجازات لبني حماد، التي تحدثت عن المصادر الجغرافية والتاريخية، ومازال البعض منها باقيًا لحد اليوم[7].

---

[1] - Georges Marçais,« Mélanges d' histoire et d'archéologie de L'occident Musulmane», Tom 1 (Articles et conférences), Alger,1957, P. 20.

[2]– بونة: عنابة: مدينة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط على بعد نحو مائة وعشرين ميلا غربا، وكانت تسمى أوربونة، وفيها سان أوكيستان حين كانت خاضعة للقوط (الوندال)، وقد بنيت بعدها مدينة أخرى تبعد عن الأولى بنحو ميلين واستعملت في بنائها أحجار المدينة القديمة. أنظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.61.

[3]– بونة: مدينة من بلاد إفريقية قريبة من فحص القل، وهي مدينة قديمة من بناء الأول وبها آثار كثيرة، وهي على ساحل البحر في نشز من الأرض مشرف على البحر وعلى فحوصها وقراها، وهي من أنزه البلاد وأكثر لبنا ولحما وعسلا وحوتا، والبحر يضرب في سورها وفيها بئر على ضفة البحر منقورة في حجر صلد وماؤها أعذب ماء وأنقعه، وببونة مساجد وأسواق وحمام، وهي ذات ثمر وزرع ، وقد سورت بونة بعد الخمسين والأربعمائة، ومن العجائب أن في هذا الجبل مسجداً لا ينزل عليه الثلج. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص.115.

[4]– مبارك الميلي، المرجع السابق، ج.2، ص.234.

[5]–عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط.2، دار صحوة، دار الوفاء، القاهرة، 1411هـ، ص.96.

[6]– محمد الطمار، المرجع السابق، ص.221.

[7]– محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة، تاريخ بجاية في ظل الأنظمة السياسية من عهد القرطاجين إلى العهد الأتراك العثمانيين، ط.1، دار الفاروق، الجزائر، 1436هـ/2015م، ص.53.

بعدما أصبحت قلعة بني حماد محل خطر من قبل العديد من القبائل خاصة قبائل بني هلال، شرع الناصر بن علناس[1] في اختيار مدينة آمنة من كل الأخطار، فوقع الاختيار على مدينة بجاية، وبدأ في تعميرها سنة 460هـ/1067م وانتقل إليها سنة 461هـ/1068م، وقد نقل إليها الناصر القبائل التي كانت تقطن بالقلعة، وكذلك شجع العديد من الناس للهجرة إليها ومنحهم امتيازات كثيرة خاصة من ناحية التعمير والبناء، لهذا نجد الكثير من المصادر تصف لنا جمالية تلك المساجد والقصور والحصون[2]، لكن لم يدم الوجود الحمادي كثيرا سوى قرن ونصف حتى سقطت على أيدي الموحديين سنة 547ه/1153م[3]، وحري بنا أن نؤكد على قيمة الحفريات الأثرية التي أجريت على القلعة وبجاية من قبل الباحثين الأجانب والجزائريين، والتي أفرزت لنا نتائج كثيرة ومميزة غيرت العديد من المعطيات من أوصاف المصادر، لكن بقدر ما هي إيجابية إلا أنها صراحة ليست بالكافية إطلاقاً بقدر عظمة عمران وعمارة بني حماد التي وصفتها المصادر.

3-7- الدولة المرابطية (448- 541هـ/1056- 1146م):

يرجع أصل المرابطين إلى قبيلة لمتونة إحدى بطون صنهاجة والتي تضم نحو سبعين قبيلة وجميعها صحراوية، وهي قبيلة عربية من حمير كان أول سيرهم من اليمن إلى الشام إلى أن استقروا في الصحراء ما بين جنوب المغرب والسودان[4]، ويرجع بعض الباحثين أصل اسم المرابطين أو الملثمين إلى الثوب البسيط (اللمت أو اللثام) لذلك فهم قوم بدو رحل[5]، وترجع بعض المصادر إلى أن

---

[1]- الناصر بن علناس هو أحد أبناء حماد حكم من سنة 454هـ/1062م، كان جريئا عللا سفك الدماء، شديد الغيرة على النساء، جواداً كريماً يأمله الناس، من أكثر أمراء وملوك الدولة الحمادية دهاء وحزما بل هو أعظم أمراء هذه الدولة. أنظر: عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص.124-125.

[2]- الحميري، المصدر السابق، ص.80. أنظر:

- Allaoua Amara, La mer et les milieux mystiques d'après la production hagiographique du Maghreb occidental (XIIE-XVE siècle), R REMMM130, 2012, P.34.

[3]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص.163،103.

[4]- ابن الأثير(أبي الحسن علي بن الكرم بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المتوفي سنة 630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، مراجعة: محمد يوسف الدقاق، مج.8، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1408هـ/1987م، ص ص.327-328.

[5]- جورج مارسيه، المرجع السابق، ص.175.

اللثام سنة توارثها خلف عن سلف لقبيلة لمتونة[1]، فيما يرى ابن حوقل أن الفم حسبهم سوءة تستحق الستر كالعورة[2]، على أي حال كل أعطى رأيه في أصل تسمية المرابطين واختلفوا فيما بينهم[3]، وهي أراء تستحق التدقيق والتمحيص، غير أننا نرى بأن البيئة القاسية التي كانوا يعيشون سواء درجة الحرارة المرتفعة والزوابع الرملية وغيرها، قد تكون هذه عاملاً أساسيًا في تغطية الوجه لا غير.

وجدير بالذكر أن نبرز الدور الهام لعبد الله بن ياسين[4] في نشر الإسلام ودعوته وفضله في تأسيس هذه الدولة، وهذا رغم وجود معارضة له وكادوا يقتلوه لولا فطنته، ففكر بالهجرة وتأسيس الرباط ليعلم فيه القرآن ويدعوهم للجهاد في سبيل الله قرب نهر السنغال[5]، وبعدما قوت شكوتهم في الصحراء توسعوا شمالا على قبائل زناتة حتى وصلوا ساحل البحر المتوسط، وبهذا مهدوا لبناء دولتهم المرابطية والتي تأسست سنة 440هـ/1048م، وخاصة مع القائد أبي بكر اللمتوني[6] الذي سيطر على على معظم بلاد المغرب الأقصى، وهذا لقوته وحنكته في تسيير الحروب، وبهذا رضخت له العديد من القبائل البربرية[7]، هذه السيطرة والقوة التي طبقها عبد الله بن ياسين وأبو بكر اللمتوني لم تأت من

---

[1]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، ج.2، د.ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ص ص.3–4.

[2]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص.99.

[3]– علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، ط.3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1430هـ/2009م، ص.16.

[4]– عبد الله بن ياسين: هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجزولي أصله من قرية تماماناوت في صحراء غانة، درس الفقه، ودخل الأندلس في عهد ملوك الطوائف، عمل على نشر الإسلام وتعاليمه وتصحيح أخطاء الملثمين في قبيلة جدالة، ثم انتقل لقبيلة لمتونة، ثم اختار رباطه المشهور على مصب نهر الستغال، وهو المؤسس الروحي لدولة المرابطية. أنظر: علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص.27. أنظر: حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، ط.2، دار الفكر العربي، 1416هـ/1996م، ص.103

[5]– فتحي زعروت، الجيوش الإسلامية وحركة التغير في دولتي المرابطين والموحدين، ط.1، دار الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ص.20.

[6]– هو الأمير أبو بكر بن عمر بن تلاكاكين بن ورتانطق اللمتوني المحمدي، وهو أحد القادة الملثمين في الدولة المرابطية كان مرشح لخلافة عبد الله بن ياسين بعد مع أجمع عليه شيوخ المرابطين، لكن تنازل عن لحكم ليوسف بن تاشفين بعد شهرة هذا الأخير بين الناس، لهذا رجع نحو الصحراء لمحاربة أهل الفتن هناك. أنظر: حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص ص.190–191. أنظر: إبن أبي زرع، المصدر السابق، ص.133.

[7]–حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، تاريخ وفكر، وحضارة وتراث، ج.1، ط.1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996م، ص. 67.

الفراغ، فهما يعلمان بقوة بعض القبائل البربرية خاصة زناتة، لهذا كان عليهما إخضاع العديد من القبائل سواء كانت بطريقة سلمية أو عسكرية. (الخريطة رقم: 04)

لكن مرحلة قوة الدولة المرابطية من كل النواحي كانت مع يوسف بن تاشفين[1]، فهو كان بمثابة المؤسس للدولة رغم أنه هنا كان مجرد قائد في الجيش والذي ولاه أبو بكر اللمتوني[2]، وهم أبناء عمومة لهذا تميز عهده بالوفاء لقائده ولم يكن طامعًا في الملك إلا بعدما رجع أبو بكر لبلاد الصحراء من أجل القضاء على الثورات، لكن بمجرد رجوعه وجد أن أحوال الدولة تغيرت وأصبح الحكم بيد يوسف، فلم يستطع مجابهته في ذلك فتنازل عن الحكم، ورجع أبو بكر للصحراء وتوفي في إحدى المعارك سنة 470هـ/1078م[3]، وبعد ذلك زاد طمع يوسف في السيطرة على المغرب بأقاليمه الثلاثة الثلاثة وحتى بلاد الأندلس، وهذا أمر منطقي نظرا لقوته سواء من ناحية العتاد أو الجند، كل هذا من أجل ترسيخ أفكار عبد الله بن ياسين.

إن أول دخول للمرابطين للمغرب الأوسط يرجع لسنة 468هـ/1075م، حيث جهز يوسف بن تاشفين جيشا ضخما وكلف ابن عمه مزدلي اللمتوني وبعثه نحو تلمسان، ولما علم أهل تلمسان بقدومه طلبوا منه العفو والسلم، وهكذا دخلها الأمير اللمتوني دون قتال فولى عليهم إبنه يحي بن مزدلي ورجع هو لمراكش[4]، كما أعاد يوسف بن تاشفين غزوه للمغرب الأوسط فدخل مدينة تلمسان وحارب ملوك

---

[1]– يوسف بن تاشفين: هو ابن إبراهيم بن أرتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتلمي إبن تالميت الحميري من قبيلة لمتونة الصنهاجية ولد سنة 400هـ/1009م، وتوفي سنة 500هـ/1109م، فقد كان يوسف أسمر اللون نقيه، معتدل القامة، نحيف الجسم، خفيف العارضين رقيق الصوت، أكحل العينين، أقنى الأنف، له وفرة تبلغ شحمة الأذن، مقرون الحاجبين، أجعد الشعر، وقد تلقى تعاليمه الأولى في قلب الصحراء من أفواه المحدثين والفقهاء، ونما وترعرع وتربى على تعاليم الإمام الفقيه ابن ياسين. أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ص.113. أنظر: علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص ص.67–68. أنظر: ليلى بلول و فاطمة ضو، أمهات الكتب المتداولة في الدولة المرابطية وآثارها على الحركة العلمية 448–541هـ، ماستر في التاريخ، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2021/2020م، ص. 13.

[2]– عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، د.ط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ص.251.

[3]– رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط.3، دار الهدى، الجزائر، 2000م، ص.164.

[4]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج.4، ص.29.

مغراوة سنة 473هـ /1080م وقضى على قائدهم معلي بن يعلي المغراوي[1]، وهذا ابن أبي زرع يورد لنا قولاً في فتوحات يوسف لبلاد المغرب الأوسط فيقول:" ثم دخلت سنة أربع وسبعين، فيها طلع يوسف بن تاشفين إلى وجدة ففتحها وفتح مدينة تنس ووهران وجبال وانشريس[2] وأعمال شلف...إلى الجزائر، ورجع إلى مراكش فدخلها في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وأربعمائة.."[3]، ولم تتوقف توسعات المرابطين أبدا بل زادت أكثر وصولا لجزائر بني مزغنة حتى بجاية[4]، ومن المحتمل أنهم قد توسعوا إلى ما بعد بجاية نظرا لقوة عدتهم وعتادهم وخبرة قائدهم في الحملات العسكرية، فهم قد وجدوا بن حماد في ضعف كبير مما سمح ليوسف بن تاشفين بالتوسع شرقا على المغرب الأوسط، لهذا من الطبيعي أن يحلم بتوحيد بلاد المغرب الإسلامي.

ورغم تلك العظمة والقوة للدولة المرابطية إلا أنها ضعفت وأنتشرت فيها الفوضى لعدة أسباب منها، تغير نظام الحكم من الشوري للوراثي، وكذلك الجفاف والجراد والأمراض التي أهلكت الناس وقضت على اقتصاد الدولة، أما السبب الرئيسي فهو ظهور دعوة الموحدين مع بداية القرن السادس الهجري، والدخول في صراع معهم مما أضعفهم و قضى عليهم[5]، ومن باب الموضوعية فإن الدولة المرابطية حققت التزامًا صريحًا وواضحًا للدعوة الإسلامية، وقد كانت مسالمة مع القبائل والدويلات المجاورة لها خاصة دولة بني حماد، فكان المرابطون يركزون على نشر الإسلام بصبغته الأولى لعهد الرسول صلى الله وسلم.

---

[1]– أبي زرع، المصدر السابق، ص143. أنظر: إبن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص29. أنظر: حاج عبد القادر يخلف، الدور السياسي والإسهام الفكري لصنهاجة بالأندلس من القرن 4هـ إلى نهاية القرن 6هـ / 10م– 12م، دكتوراه في التاريخ المغرب الوسيط، قسم التاريخ و الآثار، جامعة أحمد بن بلة، 2016–2017، ص.208.

[2]- جبل ونشريس: هذا الجبل شاهق تسكنه قبيلة نبيلة، حاربت ملوك تلمسان عدة مرات ودامت هذه الحروب أكثر من ستين عاماً بسبب مساندة ملوك فاس، هذا الجبل جيد كثير العيون، وفي قمته الشديدة الوعرة كمية وافرة من معدن التوتيا(الزنك). أنظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.45.

[3]– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.143.

[4]– عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، ط.1، مكتبة الثقافة الدينية، 1997م، ص ص.28–29. أنظر: علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص.72. أنظر: عبد العزيز شاكي، الحروب والثورات والفتن الداخلية في دولة المرابطين (447 – 541هـ/1056–1146م)، دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2015/2016م، ص ص.113–114.

[5]– علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص.237.

ومن الضروري أن نشير هنا للمخلفات الأثرية لهذه الدولة في المغرب الأوسط، فقد تعدت واختلفت بين العمارة الدينية والعسكرية والمدينة، لكن أغلب عمائر المرابطين الباقية حاليا هي دينية وعسكرية، على غرار المسجد الجامع بالجزائر العاصمة، والذي شيده يوسف بن تاشفين سنة 460هـ/1068م، وهذا أيام زحفه لفتح المغرب الأوسط، فقد حرص على بناء المسجد وفق مساجد فاس، وتقدر مساحته بألفي متر مربع[1]، أما المسجد الكبير المرابطي بتلمسان فقد بدأ بناءه يوسف سنة 475هـ/1082م وتم الانتهاء منه على يد إبنه علي سنة 530هـ/1136م، وكذلك هناك مسجد ندرومة الذي يمثل نموذج حقيقي للعمارة المسجدية المرابطية[2].

وعليه يمكن القول إن عمارة المرابطين بالمغرب الأوسط تنوعت خاصة في مدينة تلمسان وضواحيها، بحيث تميزت عمارتهم بالبساطة والخشونة في البداية، ثم تغيرت من خلال الانفتاح على الأندلسيين الذين أبدعوا في فن الزخرفة والكتابة[3]، وهذا ما نلاحظه في مساجدهم خاصة واجهة المحراب مثل الزخارف الجصية والكتابية وزخرفة القباب التي تسبق المحراب[4]، إن هذه الآثار المرابطية الباقية هي شاهد على عظمة تلك الدولة في شتى مجالاتها وخاصة مجال العمارة، فهي مصدر معلومات لا تقبل الشك أو الطعن وخاصة عندما تكون بكتابة شاهدية أو تذكارية، غير أن البحوث والحفريات الأثرية التي أجريت مازالت لم تحقق ما هو موصوف في المصادر الجغرافية والتاريخية.

---

[1]– غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط.3، طبع دار إحياء الكتب العربية، 1956م، ص.259.

[2]– عثمان عثمان إسماعيل، العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، دولة المرابطين والطراز المغربي الأندلسي، ج.2، ط.1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م، ص.146.

[3]– سلامة محمد سلمان الهرفي، الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضارة لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (500– 537هـ)، ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1402هـ/1982م، ص.425.

[4]– عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج.2، ص ص.163، 171، 177.

3-8- الدولة الموحدية(515-668هـ/1121-1269م):

يرجع تأسيس الدولة الموحدية لمحمد بن عبد الله بن تومرت[1] فهو من وضع أسس بناء هذه الدولة[2]، ويمكن القول إن الموحدين ظهروا على عاتق المرابطين بطريقة غير مباشرة، بحيث كانت دعوتهم تشيع بين الناس وهم في مناطق المرابطين، ولما برزت دعوتهم للعلن دخلوا في صراع معهم في العديد من المعارك، فكانت الغلبة دائما فيها للموحدين فتوسعوا في مناطق من المغرب الأوسط على غرار تلمسان ووهران وأحواز الشلف وهذا سنة 539هـ/1144م[3]، إن الدعوة السرية التي اتخذها ابن تومرت في بلاد المغرب الإسلامي كان لها صدى كبير في كسب الناس، لهذا فتأسيس هذه الدولة لم يأت من العدم خاصة أنها بدأت بأفكار دينية تعارض وتنكر ذلك الفساد الذي ساد في دويلات المغرب الإسلامي وهنا نقصد الدولة المرابطية.

تعتبر الدولة الموحدية من أعظم الدول الإسلامية التي حكمت المغرب الإسلامي قوة ورهبة من كل النواحي، فلقد وصل مجالها الجغرافي من طرابلس شرقا إلى مشارف المحيط الأطلسي غربا، ومن جبال الشارات في الأندلس شمالا إلى ما يعرف اليوم بالسنغال جنوبا[4]، فهذه الدولة حققت ما لم تحققه الدول السابقة، وخاصة الدولة المرابطية التي كانت تريد توحيد المغرب الإسلامي، ومن أسباب نجاح هذه الدولة هو الاهتمام بالقبائل البربرية وإعطاء قادتهم مناصب في الجيش والدولة، فعبد المؤمن بن علي[5] رجل بربري من قبيلة كومية إحدى فروع قبيلة زناتة[1]، لهذا كسب أكبر حليف في المغرب

---

[1]-محمد بن عبد الله المعروف بن تومرت ابن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر ابن يحيا بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وينتسب لقبيلة هرغة من قبيلة مصمودة الجبلية الضاربة بالمغرب الأقصى. أنظر: حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، ط.2، دار الفكر العربي، 1416هـ/1996م، ص.153-154. أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص. 172.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص255.

[3]- علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص.332.

[4]- عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط.1، دار الشروق، بيروت، 1403هـ-1983م، ص.76.

[5]-هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن يعلا بن مروان بن نصر بن عامر بن الأمير بن موسا بن عون الله بن يحيا بن ورزايغ بن صطفور ابن نفور بن مطماط بن هود بن مادغيس بن بر بن قيس بن عيلان بن نزار بن معد بن عدنان، فهو زناتي الأصل وكان والده علي فخارا يعمل النوافخ، فمر به المهدي حين أقبل إلى المغرب، فضمه إليه لما أراده الله

الإسلامي وهي قبيلة زناتة، وهذا أحد العوامل المحفزة في تثبيت الدولة الموحدية في هذا الإقليم، إن شخصية عبد المؤمن وتأثره بأفكار ابن تومرت جعلته يظهر بصفة القائد ورجل الدين بينهم، فحقق بذلك انتصارات وتوسعات في بلاد المغرب (الخريطة رقم: 05).

أما عن ظهورهم بالمغرب الأوسط فيرجع لسنة 534هـ/1139م بقيادة عبد المؤمن بن علي، فقد بدأ بأقرب المناطق إليه وهي المدن الصغرى لتلمسان على غرار وجدة وهنين وأغادير وصولا لعاصمة المغرب الأوسط تلمسان، غير أنه لقي من يصده عن ذلك وهم المرابطون بقيادة علي بن يوسف بن تاشفين، فهذا الأخير لقي حتفه بعدما سقط من الجبل سنة 539هـ الموافق لـ 27 من رمضان 1145م[2]، ليتولى بعده تاشفين الحكم وقد حدثت انشقاقات في القبائل التي أنظمت للموحدين[3]، مما تسبب في تأجيل التوسع نظرا للمشاكل داخل الجيش الموحدي، لكن رجع مرة ثانية ليتوسع في المغرب الأوسط بداية من سنة 547هـ/1152م، فغزى جزائر بني مزغنة وبجاية وقلعة بني حماد، وولى على المغرب الأوسط ابنه عبد الله بن عبد المؤمن وعهد إليه في مواصلة الفتوحات شرقا وعاد هو إلى مراكش[4]، فعبد المؤمن بن علي كان هنا صارمًا في تسيير شؤون الدولة واعتمد على مركزية الحكم[5]، أي أنه اعتمد على مراقبة ولاته وقادته في المدن التي تحت سيطرتهم، وقد ولىّ من يثق فيهم وليس لهم طمع في السلطة، لهذا كان لدولة الموحدية دور كبير في بسط نفوذها على معظم بلاد المغرب الإسلامي.

تعالى من أمره، والذي ثبت من خبره أنه رجل زناتي الأصل من كومية هنين من موضع يعرف بتاجرة على ثلاثة أميال من مرسى هنين. أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.183.

[1]– صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م، ص.05.

[2]– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص. 123.عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ...، ص.697.

[3]– عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج.2، ط.7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص.8. أنظر: حورية سكاكو، التحولات الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهدين الموحدي والزياني من القرنيين (6–10هـ/12–16م) دراسة مقارنة، ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014/2013م، ص.15.

[4]– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.109. أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.232.

[5]– عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج.1، دار موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص.13.

ومع مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي بدأت الأوضاع تتغير في بلاد المغرب الإسلامي حيث بدأت تضعف في شتى المجالات، وهذا لعدة أسباب مختلفة منها الثورات التي أضعفتها؛ على غرار ثورة بني غانية[1]، ثورة بني سليم، وثورة بني هلال[2]، وثورة ابن هود وثورة محمد بن مردنيش في الأندلس، بالإضافة لصراع الحكام على السلطة، والترف والانغماس في الشهوات من قبل الحكام، مع ظهور دعوات جديدة داخل الدولة الموحدية[3]، ممهدة لبروز دويلات أخرى مثل دولة بني مرين وبني زيان وبني حفص[4]، ورغم هذا تبقى تلك الدولة من أعظم الدولة الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس، فهي حققت توسعًا كبيرًا جراء تنظيم والتخطيط الذي سار عليه خاصة عبد المؤمن بن علي، غير أن الدول أحوال وأعمار فلا عظمة تدوم ولا قوة تبقى، وليس كل الحكام مثل بعض في تسيير أمور الدولة.

ولابد من التأكيد على أن الموحدين هم مدرسة في فنون العمارة والزخرفة الإسلامية، بضخامتها المهيبة واتزانها الصائب مع البساطة في التكوينات الزخرفية، والورع والالتزام التام بتوجيهات الإسلام ومواقفه فيما يخص العمارة والفن، ورغم أن المستشرقين أنكروا عليهم هذا الإبداع، في حين مؤرخو المغرب التزموا بالموضوعية من خلال إثبات أسماء الأندلسيين الذين ساهموا في ذلك الإنتاج المعماري والفني[5]، أما عن مخلفاتهم بالمغرب الأوسط فهي محدودة تنحصر خاصة في بعض المعالم

---

[1]– بنو غانية هم من قبيلة مسوفة الصنهاجية بصحراء لمتونة، إحدى أعظم قبيلتين قامت عليهما الدولة المرابطية، وتسمى غانية بعهد أبيها أو امرأة من حظايا القصر من غانة ولهذا فالصواب تشديد الياء وفتحها في قراءة هذا الاسم. أنظر: عبد الله طويلب، « بجاية تت حكم بني غانية»، مجلة القرطاس، العدد:03، جانفي 2017م، ص.106.

[2]– بني هلال: ينتسبون إلى هلال ابن صعصعة بن بمعاوية بن بكر بن هزان بن منصور بن عكرمة بن قيس بن علان بن مضر من العدنانية، هم من مضر لم يزالوا بادين منذ الدولة العباسية وكانوا أحياء ناجعة محلاتهم من بعد الحجاز بنجد، وكان بنو هلال في جبل غزوان عند الطائف وربما كانوا يطوفون في رحلة الصيف والشتاء أطراف العراق، وقد نزلوا بالصعيد في العدوة الشرقية من بحر النيل فأقاموا هناك، وكان لهم أضرار بالبلاد، فأرسلهم لبلاد المغرب من أجل الإنتقام من بن زيري وبني حماد، وخربوا العديد من المدن في المغرب الإسلامي. أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص ص.18–25. أنظر: أبو فوز البغدادي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ/1989م، ص.160. أنظر: عبد الجبار صديقي، سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات، ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014/2013م، ص.100.

[3]– علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص ص.422–427.

[4]– عبد الجبار صديقي، المرجع السابق، ص.100.

[5]– عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج.3، ص.101.

والمدن، على غرار مدينة هنين التي بناها عبد المؤمن، والسور الذي جدده كذلك في مدينة تاكرارت[1]، وخاصة أن هذا القائد إهتم كثيرًا بالمدن الساحلية مثل مدينة وهران وهنين وتنس، بحيث جهزهم بأسطول بحري وشيد بهم مراكز مراقبة والراحة لجيشه[2]، إن هذا الاهتمام بالجانب المعماري من قبل قادة الموحدين لم يأت من الفراغ أبدا، بل من أجل تثبيت حكمهم وتقريب الناس منهم، كسياسة للعدل والمراقبة وتشجيعهم على البناء والتشييد، فالملاحظ فيما خلفه الموحدون بالمغرب الأوسط قليلة جدا مقارنة بما هو في الأندلس والمغرب الأقصى.

3-9- الدولة الحفصية (625هـ-941هـ/1231م-1534م):

يعود نسبهم إلي أبي حفص بن يحي بن محمد بن والد بن علي بن أحمد بن إدريس بن خالد بن اليسع بن إلياس بن عمر بن وافتن بن محمد بن محبة بن كعب بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[3]، ينتسبون لقبيلة هنتاتة أحد فروع قبيلة مصمودة من ضواحي مراكش، ويعد أبو حفص من الذين عملوا مع الحكام الموحديين وكان قريبا من الإمام المهدي بن تومرت وعبد المؤمن بن علي الكومي[4]، وقد تأسست على يد أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص، وكان مركز حكمها تونس وضمت العديد من المدن على غرار طرابلس وعنابة وقسنطينة وبجاية، ودلس غربا إلى ما بعد ورقلة في الصحراء، وسقطت الدولة الحفصية على يد الإسبان بعد عدة اضطرابات داخلية وخارجية[5] (الخريطة رقم: 06).

أما فيما يخص مخلفاتهم المعمارية والعمرانية في بلاد المغرب الأوسط فلا وجود لها، ولم تذكر لنا المصادر ذلك خلال توسعاتهم في هذا الإقليم، غير أننا نجد بعض المعالم في إقليم المغرب الأدنى على غرار جامع القصبة الذي شيده أبو زكرياء الأول الحفصي، بحيث شرع في بناءه سنة 629هـ/

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.189. أنظر: عبد العزيز سالم، المغرب في العصر الإسلامي...، ص ص.773-774.

[2]- أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج.2، ص.128.

[3]- أبو عبد الله محمد بن أحمد الشماع، الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1980م، ص.48.

[4]- مختار حساني، تاريخ الجزائر الوسيط، ج.1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2013م، ص.184.

[5]- محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م، ص ص.653-654.

1232م، وفرغ منه سنة 633هـ/1236م، ومن إنجازاته كذلك المصلى الذي شيده خارج باب المنارة، وجعل له أبراجاً، كما شيد المستنصر الأول أسوارًا دفاعية، وشيدت الأميرة عطف زوجة أبي زكرياء الأول جامع التوفيق[1]، هذه بعض المعالم التي شيدها وأبدع فيها بنو حفص رغم الصراعات التي واجهتهم مع العديد من الأطراف سواء القبائل أو الدويلات الأخرى.

3-10- الدولة الزيانية (633-962هـ/1235-1554م):

يرجع نسب بني عبد الواد لفروع الطبقة الثانية لقبيلة زناتة البربرية من المغرب الأوسط، فهي أكثر البطون في المنطقة وينسب لها العديد من الشخصيات[2]، فقد كانت هذه القبائل كثيرا ما تقصد ساحل البحر خاصة مدينة وهران التي استقروا فيها لمدة معينة قبل انتقالهم لتلمسان، فهم كانوا سندا للموحديين في حروبهم ضد المرابطين وتجارتهم، وجراء على ذلك تم تعين يغمراسن عاملا على تلمسان وبلاد زناتة سنة 624هـ/1227م، فقد انفرد هذا العامل بهذا الإقليم بعد سقوط دولة الموحديين[3]، وأعلن يغمراسن[4] عن تأسيس دولته بالمغرب الأوسط وهذا سنة 633هـ/1235م[5]، فقد كان هذا القائد يفكر من البداية في كيفية استقلال بهذا الإقليم خصوصا أنه كسب تأييدًا من قبائل المغرب الأوسط، وكسب ثقة الموحدين أيام كان والي هذه المنطقة.

لقد بقيت الحدود الجغرافية للدول المستقلة في المغرب الإسلامي غير ثابتة إلى حد كبير، وهذا ما ينطبق على الدولة الزيانية التي عرفت حدودها توسعا وتقلصًا في بعض المرات، ويرجع سبب ذلك لحالة القوة والضعف، كما تتوقف على حالة استقرار الدولة مع القبائل التي تدخل تحت نطاقها[6]، ومن المدن التي كانت تابعة لإمارة تلمسان أو بني زيان هي ندورمة[7]، وهنين، ووهران، وتلموت،

---

[1]- المرجع نفسه، ص ص. 131،159،213،235.

[2]- بن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص. 97.

[3]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص.787.

[4]- يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد ينتمي إلى قبيلة بني عبد الواد الذين هم من زناتة. أنظر: الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص.20.

[5]- ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، تحقيق: هاني سلامة، ط.1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2001م، ص.9. أنظر: أنظر: الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص.28.

[6]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج.1، ص.43.

[7]- ندرومة: مدينة في طرف جبل تاجرا بأرض المغرب، وهي مدينة حسنة كثيرة الزرع والفواكه رخيصة الأسعار، ولها بسائط خصبية ومزارع كثيرة، وبينها وبين البحر نحو عشرة أميال، ولها مرسى مأمون مقصود وعليه رباط حسن

وتامزدكت، ومستغانم، وشرشال[1]، وبرشك[2]، والبطحاء، ومازونة[3]، ووانشريس، ومليانة، والقصاب، والمدية، وجميع بلاد بني عبد الواد، وبلاد بني توجين، وبلاد مغراوة، وهذا البيان يدل على أن إمارة تلمسان كانت واسعة حقا تشمل كل الجزء الشرقي من المغرب الأوسط من الساحل إلى الصحراء[4]، وبعد انسحاب بني مرين أعاد بنو زيان السيطرة على مدن المغرب الأوسط[5]، وبقيت مدينة بجاية محل صراع بين بني زيان وبني حفص[6]، إن هذا المد والجزر على إقليم المغرب الأوسط لم يتوقف أبدا بل زاد كلما ضعفت دولة وتقوت أخرى فهذا مبدأ القوة في قانون الدول، لكن يبقى الجانب الأكبر من نصيب بني زيان في ظل سياسة الحكم اللينة التي اتبعها بنو عبد الواد. (الخريطة رقم: 06).

ومن بين أهم المنشآت المعمارية لبني زيان مئذنة المسجد المرابطي بالجزائر وتلمسان وندرومة ومئذنة مسجد أغادير، وقد شيد يغمراسن بن زيان قصر المشور[7]، والذي يعد أحد العمائر الفريدة من

به، ويقال أنه من أتى فيه منكراً لم تتأخر عقوبته، قد عرف ذلك من بركته ومن صنع الله فيه. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص.576.

[1]– شرشال: مدينة في المغرب في ناحية برشك بينهما عشرون ميلا، وهي متحضرة بها مياه جارية وآبار عذبة وفواكه كثيرة وسفرجل عظيم الجرم ذو أعناق كأعناق القرع الصغار، والنحل عندهم كثير والعسل ممكن، وبشرشال آثار للأول، وأظنها الآن غير مسكونة، وفيها بنيان عجيب يسمى محراب سليمان عليه السلام قد علا في الهواء ويقابلها من الآندلس مرسى لقنت. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص.340.

[2]– برشك: بين تنس وبرشك في الساحل ستة وثلاثون ميلا، وبرشك مدينة صغيرة على تل وعليها سور تراب، وهي على ضفة البحر، وشرب أهلها من عيون وماؤها عذب، وبها فواكه وجملة مزارع وحنطة كثيرة وشعير، ومنها إلى شرشال عشرون ميلا وكان طاغية صقلية أخذها واستولى عليها. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص.88.

[3]–مازونة: مدينة بالمغرب بالقرب من مستغانم تابعة لولاية غليزان حاليا، وهي على ستة أميال من البحر، وهي مدينة بين أجبل، ولها مزارع وبساتين وأسواق عامرة، ولها يوم يجتمع فيه لسوقها أصناف البربر بضروب من الفواكه والألبان والسمن، والعسل بها كثير، وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصبا. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص ص.521–522.

[4]– ابن الأحمر، المصدر السابق، ص.27.

[5]– المصدر نفسه، ص.41.

[6]– مؤلف مجهول، زهرة البستان في دولة بني زيان، تحقيق: بوزيان الدراجي،ج.2، مؤسسة للنشر والتوزيع، ص.19. أنظر: يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، تحقيق، عبد الحميد حاجيات، ج.2، مطبعة الأخوين الشرفاء، 2010م، ص.161. أنظر: أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي خلال القرنيين 7–8 هـ، دراسة تحليلية لرسائله، الرباط، ج.2، 2007م، ص.284.

[7]– ابن الأحمر، المصدر السابق، ص.49. أنظر: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ص.109.

نوعها ببلاد المغرب الأوسط، سواء من ناحية الهيكل المعماري أو حتى الزخارف والزليج، كما تم بناء مسجد سيدي أبي الحسن والذي بناه أبو سعيد عثمان سنة 696هـ/1296م[1]، ويتميز هذا الأخير بزخارف فنية قوامها زخارف هندسية ونباتية وسقف سقفه بخشب الأرز، ويعد محرابه من أجمل المحاريب من خلال قبته المزينة بالمقرنصات بحيث لا نجد هذه في المغرب الإسلامي[2]، وقد شيد العديد من المدارس على غرار مدرسة أولاد الإمام التي بنيت من قبل أبي حمو الأول[3] سنة 718هـ/1319م، وكذلك المدرسة التاشفينية التي شيدت من قبل أبي تاشفين عبد الرحمان الأول في نفس سنة، كما أقام السلطان أبو حمو موسى الثاني المدرسة اليعقوبية سنة 765هـ/1364م[4].

صراحة تبقى الإنجازات المعمارية والعمرانية لبني زيان الباقية ببلاد المغرب الأوسط (الجزائر) من أفضل وأجمل الآثار هندسة وإتقانًا فنيًا وزخرفيًا بهذا الإقليم، لكن مقارنة مع أوصاف المصادر التاريخية والجغرافية فهي قليلة جدا وهذا لعدة أسباب: منها الصراع الذي كان قائمًا بينهم وبني مرين أدى لتخريب تلك المعالم، وكذلك الإستدمار الفرنسي الذي خرب العديد من المعالم الإسلامية من أجل طمس كل ما له علاقة بالإسلام، بالإضافة للظروف الطبيعية سواء الزلازل أو الفيضانات أو حتى الرطوبة التي أثرت في لون الزليج ولون المعلم الأثري، ولا ننكر فضل الإنسان في ترميم تلك المعالم لكن استعماله بعض المواد غير الملائمة مع المعلم جعلته يفقد أصله إلى حد ما، أما من ناحية البحث الأثري حول هذه المعالم الزيانية فهو غير كاف رغم اجتهادات بعض الباحثين.

---

[1]– محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري(15م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص.81.

[2]–William Marçais et Georges Marçais, Les monuments arabes de Tlemcen, Paris, Albert Fonteoing Éditeur, 1903, P.173.

[3]– هو السلطان أبي حمو موسى الأول ابن عثمان بن يغمراسن تولى السلطة بعد وفاة أخيه أبي زيان سنة 707هـ/1307م، استمر حكمه إلى سنة 718هـ/1318م، ومات مقتولا بتدبير إبنه أبي تاشفين الأول. أنظر: حسين تواتي، حكامة التسير في الدولة الزيانية في المجالين السياسي والاقتصادي من خلال أنموذجي يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني، دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2018/2017م، ص.30.

[4]– بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1555م)، ماجستير في التاريخ، التاريخ، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1422هـ/2002م، ص ص.240-241.

3-11- الدولة المرينية (610-869هـ/1213-1465م):

ظهرت الدولة المرينية مع أواخر سنة 610 هـ/1213م أيام الأمير الأول عبد الحق بن محيو[1]، ثم قامت بصفة رسمية سنة 616هـ/1219م في عهد عثمان بن عبد الحق[2]، وبنو مرين هم من قبيلة زناتة البربرية إحدى بطون البتر، وينتسبون إلى جدهم الأعلى مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج أو حديج بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد الله بن ورتين أو ورتنيص بن المعز بن إبراهيم بن سجيح أو سحيك بن واسين بن ضريس وهو جالوت ملك البربر ابن رجيح بن مادغيس الأبتر بن بُر[3]، مما زاد قوة بني مرين هو انتسابهم لقبيلة زناتة البربرية، والتي كان لها صيت كبير في بلاد المغرب الإسلامي، وقد تحكمت في العديد من المدن في بلاد المغرب الأوسط خاصة وهنا نذكر تلمسان ووهران وأحواز الشلف ومستغانم، لهذا وجد بنو مرين سندًا في قيام دولتهم ولم يلقوا مشاكل مثل دويلات الأخرى.

وقد استقر بنو مرين في المغرب الأوسط أيام الموحدين من الزاب إلى تلمسان، لكن بعد توسعات عبد المؤمن بن علي في المغرب الأوسط كلف بني عبد الواد بطردهم نحو جنوب الصحراء وهذا سنة 540هـ/1146م[4]، لكن بعد قيام دولتهم في المغرب الأقصى بفاس عزموا على الإغارة على المغرب الأوسط بقيادة يوسف بن يعقوب[5] (698هـ/1298م) الذي حاصر مدينة تلمسان وشيد مدينة المنصورة، كما سيطر على عدة مدن على غرار هنين وندرومة ومستغانم وغيرها من المدن[6]، وحتى بعد تولية أبي الحسن واصل في توسعه على المغرب الأوسط من خلال سيطرته على الموانئ

---

[1]- عبد الحق محيو: هو الأمير أبو محمد عبد الحق، ابن الأمير أبي خالد محيو، بن أبي بكر بن حمامة الزناتي المريني ثم الحمامي، أمير ابن أمير إلى مرين ابن ورتاج ابن ماخوخ، تميز بالفضل والدين والصلاح والبركة واليقين. أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص.284-285.

[2]- محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ط.3، مطبعة النجاح الجديدة، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، 1420هـ/2000م، ص.14.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.343. أنظر: إبن أبي زرع، المصدر السابق، ص.218.

[4]- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج.2، دار الرشاد الحديثة، 2000م، ص.9.

[5]- يوسف بن يعقوب: هو عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق، كنيته يعقوب، ولقبه الناصر لدين الله، ولد في شهر ربيع الأول من سنة 638هـ، بويع له بالخلافة بالجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس، من بين أعماله محاصر بني زيان وبناء مدينة المنصورة. أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص. 374،379.

[6]- المصدر نفسه، ص.386.

الساحلية مثل ميناء هنين والمرسي الكبير ومدينة تلمسان[1]، ويبقى السلطان يوسف بن يعقوب أحد أفضل الحكام الذين حكموا بني مرين وحقق نتائج عظيمة مثل حصاره مدينة تلمسان وتشييده لمدينة المنصورة، ولم يتوقف هذا الحاكم هنا فقط، بل توسع على حساب أحواز تلمسان ووهران، فالحصار الذي دام مدة طويلة جعلت من بني مرين قبلة للعديد من القبائل طلبا الحماية والتجارة وغيرها(الخريطة رقم:06).

أما عن مخلفات بني مرين فتظهر في مدينة المنصورة العاصمة الثانية بعد فاس، والتي شيدها السلطان يوسف بن يعقوب أيام حصاره الطويل لتلمسان سنة 698هـ/1298م، فقد بلغ ثماني سنوات من الحصار[2]، فقد شيدوا قصرا لسلطانهم واتخذوا مسجدا جامعا وحصنوا مدينتهم على نطاق واسع، فقال عنها ابن خلدون:" ...ضرب يوسف بن يعقوب عليها سياجًا من الأسوار محيطاً بها، وفتح أبوابًا مداخل لحربها، واختط لنزله إلى جانب مدينة سماها المنصورة "[3]، وقد تعددت المساجد المرينية فلم يبق إلا بعض المعالم منها مئذنة مسجد المنصورة وبعض أسواره ومسجد العباد ومسجد أبي مدين ومسجد سيدي الحلوي، أما عن الجانب الفني والزخرفي فقد تركوا لنا جانبًا كبيرًا من هذا الفن خاصة عندما نتحدث عن الزليج والتشبيكات والمعينات التي تظهر في المآذن، ولا ننسى زخرفة المحاريب والقباب التي تسبقه، وتبقى المعالم الأثرية المرينية بتلمسان إحدى إبداعات الفن الإسلامي التي تؤرخ للفنان المريني ببلاد المغرب الأوسط.

2-4- خلاصة الفصل:

ومما لا شك فيه أن تاريخ المغرب الأوسط لا يسعه هذه الأسطر فقط، وما كتبته المصادر الجغرافية والتاريخية وحتى المراجع الجزائرية والغربية إلا دليل على عمق هذا التاريخ، ولا ننسى البحوث الأثرية التي أقيمت على العديد من المدن ببلاد المغرب الأوسط، والتي أكدت وأثبت عظمة تلك الحضارات أو الدويلات التي استقرت بهذا الإقليم، وكما أسلفنا سابقا إن مصطلح المغرب الأوسط

---

[1]- محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م، ص.403.

[2]- محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م-869هـ/1465م)، ط.1، دار القلم، الكويت، 1405هـ/1985م، ص.320.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص ص. 126-127.

لم يظهر إلا بعد القرن الخامس مع البكري، ومن الممكن أن نحدد ظهوره مع الدولة الحمادية إلى حد كبير، ويبقى مجال البحث هنا مفتوحًا قابلاً للنقد والتغيير نظرا لتعدد وجهات النظر بين المؤرخين والباحثين في مجال التاريخ والآثار.

ووفق المعطيات المصدرية والمراجع التاريخية لا يمكن الحكم على الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط أنها كانت ثابتة ثباتًا مطلقًا، ولا يمكن إسقاطها على حدود الجزائر حاليا، وهذا نظرا لعدة أسباب تحكمت في هذا التقسيم والتحديد، فالدويلات المستقلة بين القوة والضعف تغيرت في حدودها عدة مرات، وعليه فقد فصلنا في شؤون هذه الدول المستقلة، وقدمنا بعض المعلومات حول حدود إقليم المغرب الأوسط وفق ما ذكرته المصادر، كما أشرنا لبعض المخلفات الأثرية لتلك الدويلات من عمارة وعمران الباقية منها والمندثرة.

الفصل الثاني:

العمران الإسلامي.

1- مفاهيم بحثية:

2- عوامل خراب العمران الإسلامي

3- نماذج للعمران الإسلامي بالمغرب الأوسط:

4- خلاصة الفصل:

1- مفاهيم بحثية:

1-1- تعريف العمران:

1-1-1- لغة:

يعرفه ابن منظور بقوله: " عمرُ الرجل يُعَمِر عُمرا وعمارة عاش وبقى زمانا طويلا، وعمره الله أبقاه وعمر نفسه قدر له قدرا محدودا، يقال أعمرته الدار أي جعلتها له يسكنها مدة عمره، فإذا مات عادت إلي، وعمر الرجال ماله وبيته يعمره عمارة وعمرا وعمرانا لزمه[1]، ويعرف أيضا:" عَمَرَ المكان أي كان مسكونا بالناس وعَمَرَ الدار أي بناها، والعمران هو البنيان أو ما يعمر به البلد بواسطة الصناعة والتجارة والبناء"[2]، أما أبو الحسن فقد أعطي تعريفا مفصلا عن المصدر العمران فقال:" ومن الباب عمارة الأرض، يقال عَمَرَ الناس الأرض عِمارةُ، وهم يَعْمُرُونها، وهي عامرة معمورةُ. وقولهم: عامرة، محمولُ على عَمَرتِ الأرضُ، والمعمورة من عُمِرت. والاسم والمصدر العُمران؛ واستعمر الله تعالى الناس في الأرض[3]، وهذه بعض التعريفات اللغوية لمصدر العمران فكل واحد منهم يشرح هذا المصطلح لغويا بطريقته، لكن يتفقون على مفهوم واحد وهو تفصيل من عَمَرَ وأعْمَرَ وعِمَارَةُ ومعمورة ومنه المصدر العمران.

1-1-2- اصطلاحا:

نبدأه مع من ينسب إليه هذا العلم وهو ابن خلدون فيقول :" العمران وهو التساكن والتنازل في مصر أو حِلةٍ للانس بالعشير واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش كما نبينه، ومن هذا العمران ما يكون بدويا، وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلل المنتجعة في القفار وأطراف الرمال ومنه ما يكون حضريا وهو الذي بالامصار والقرى والمدن والمدر للاعتصام

---

[1]- ابن منظور، المصدر السابق، مج.4، ص.602.

[2]-المعجم العربي الأساسي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، طبعة لاروس، 1989م، ص.866. أنظر: مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المعجم الوسيط، ط.4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1425هـ/2004م، ص.626.

[3]- أبي الحسن أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج.4، دار الفكر، مجمع العامي العربي الإسلامي، محمد الداية، 1499هـ/1979م، ص141. أنظر: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج.2، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، ص.137.

بها والتحصن بجدرانها"[1]، من خلال هذا القول يمكن التركيز على بعض المصطلحات مثل التساكن والتنازل، المِصْرْ، العمران البدوي والحضري، هذه مصطلحات أساسية وضرورية في مفهوم العمران، فهو هنا يربط لنا العمران بإجتماع وتعاون وتدافع وتطور، وتغير من أجل بناء مجتمع متكامل ومترابط وبهذه السمات والخصائص يطلق عليها مصطلح العمران[2].

وإن كان ابن خلدون يفسر لنا العمران بأنه غاية اجتماعية ضرورية حتمتها طبائع البشر من أجل الاستمرارية والعيش بقوله:" إن الاجتماع الإنساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران"[3]، فصراحة هذا القول أبلغ وأعمق كمفهوم للعمران، فالإنسان اجتماعي بطبعه ولا يرضى بالوحدة في حياته، فمن خلال ذلك الاجتماع والتساكن والبناء والتعمير يولد لنا عمران حضاري، إذن فهذه نزعة وغاية إنسانية لتلبية حاجاته الأساسية في العيش والدوام وضمان الاستقرار بمفهوم التكاثر والحفاظ على نسله بتحقيق المصالح الذاتية[4].

وإذا عدنا للقرآن الكريم وجدنا في بعض الآيات القرآنية ذكر لمصطلح العمران بوزن عَمَرَ؛ قال الله تعالى:" **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**"[5]، ومصطلح عَمَرُوهَا هنا بصيغة الكثرة وهي دليل على العمران الواسع بمفهومه الاجتماعي بكثرة الناس وبمفهومه العمراني بكثرة العمارة، إذن العمران يمثل إطارًا ماديًا يجمع

---

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق،ج.1، ص.53.

[2]– عبد المحسن العصيمي، مختصر مقدمة ابن خلدون، ط.3، قرطبة للنشر والتوزيع، 2013، ص.8. أنظر: البدالي المترجي، « تكامل القواعد الأصولية والفقهية في بناء الحضارة الإسلامية " البيئة والعمران"»، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، العدد العاشر، أكتوبر، 2021م، ص.40.

[3]– ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص.54.

[4]– علي العظم وسليمان الدقور، « مفهوم العمران في الفكر الإنساني»، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد:103، ربيع 1443هـ/2022م، ص.213.

[5]– سورة الروم، الآية 9.

ويحوي جماعة من الناس غايتهم التدافع والتطور والتعمير في حيز معين[1]، ولا يمكن أن نتصور عمران حضاري دون اجتماع الناس ودون غاية أو إقليم معين.

وفي نفس الصدد فهناك من يفسر العمران وفق منظورين أحدهما يرى العمران "نتيجة" والأخر يراه "وسيلة"؛ فالطرح الأول يرى بأنه نتيجة تفاعل ذكاء الإنسان مع البيئة الطبيعية في استفاء حاجاته المادية والروحية"، أما الطرح الثاني فيعتبره وسيلة وأداة لصياغة وتجديد معارفه ومفاهيمه الأساسية وشحذ طاقات أفراده الإبداعية، وهذا المفهوم يقر بالقوة الكامنة في العمران وقدرتها في التأثير على المجتمع وتنميته والتعبير عن هويته، على العموم فالاتجاهان يقران بالعلاقة المتلاومة بين بالإنسان والعمران[2]، وعليه تبقى المعادلة واضحة في فكر الإنسان في الاجتماع والترابط مع غيره ومنه تشكيل مدينة وهي العمران.

فالعمران بصفة عامة هو تلك الأماكن التي يستقر فيها الإنسان بصفة دائمة وذلك تميزا له عن مظاهر السكن المؤقتة الأخرى التي لا تأخذ سمة الاستقرار الدائم مثل الخيام، ويمكن تصنيف الهياكل العمرانية إلى أنماط متباينة تبعا لأحجامها وأشكالها ووظائفها[3]، أما العمران الإسلامي هو المرتبط بالدين ويخضع لمبادئ الشريعة والأعراف المحلية ولنا مثال من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجده[4]، ومنها أسس للمدينة فقهها الذي وجب أن تقوم عليه، وهذا هو العمران بصيغته الواسعة والذي أحكمه فيما بعد بعض العلماء بمبادئ جديدة تتوافق مع الشريعة الإسلامية.

1-2- تعريف المدينة:

يعرفها ابن منظور: مدن: مَدَن بالمكان: أقام به، والمدينة: الحصن يبنى في أصطمة الأرض، مشتق من ذلك، وكل أرض يبني بها حصن في اصطمتها فهي مدينة[5]، في حين يرجعها عبد الستار

---

[1]- منال محمد أسامة، انعكاس الثقافات الوافدة على العمارة والعمران في مصر، رسالة ماجستير، قسم عمارة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، 1997م، ص.49.

[2]- البدالي المترجي، المرجع السابق، ص.41.

[3]- علي إبراهيم، جغرافية المدن (دارسة منهجية تطبيقية)، د.ط، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر، 2008م، ص.11. أنظر: فتحي حسن ملكاوي، «العمران في منظومة القَيم الحَاكِمة»، مجلة إسلامية المعرفة، السنة:15، العدد:59، شتاء 1431هـ/2010م، ص.10.

[4]- أيمن صالح وآخرون، «أثر التدخل السياسي في نشأة المدن القديمة والحديثة (حالة الدول الإسلامية)»، مجلة كلية الهندسة، جامعة الفيوم، ص.02.

[5]- ابن منظور، المصدر السابق، مج.13، ص.402.

لكلمة دين، وهي من أصل آرامي ذات أصل سامي، وعرفت عند الأكاديين والآشوريين بالدين أي القانون، كما أن الديّان يقصد بها في الآرامية والعبرية القاضي، وإضافة على ذلك فإن مصدرها في الآرامية مدينتا وتعني القضاء[1].

أما أهل اللغة ويتقدمهم الجوهري فيقول: " مدن: مَدَنَ بالمكان: أقام به ومنه سميت المَدينَةُ وهي فَعيلَةُ، وتجمع على مَدائِنَ بالهمز، وتجمع أيضا على مُدْنٍ ومُدُنٍ، بالتخفيف والتثقيل، وفيه قول آخر: أنها مَفْعِلَةُ من دِنْتُ، أي مَلَكْتُ، وفلان مَدَّنَ المَدائِن، كما يقال مَصَّرَ الأمصار"[2]، فهم أرجعوا أصل كلمة مدينة لغويا إلى جذر دين، المراد به الملك والتملك إنما يدل دلالة أكيدة على وضوح فهم العرب ورؤيتهم إلى العلاقة الجدلية بين المدينة والقانون[3].

كما يعرفها البعض بأنها المكان أو الرقعة من الأرض التي يجتمع فيها الناس و يقيمون فيها ولها حدود ثابتة[4]، في حين يعتبرها أحد الباحثين ظاهرة جغرافية تشغل بقعة مساحية من سطح الأرض، نشأت من تكاثف التجمعات العمرانية التي أقامها الإنسان لتكون موطنا له في شكل علاقة متبادلة بينه وبين البيئة التي اختارها مكانه، حتى أصبحت بمثابة كائن حي يخضع للعديد من العوامل الطبيعية والبشرية، فرضت نفسها عليه، وعلى سكانه أدت إلى نموها بمعدل سريع[5].

ومن المعاني التي قد تطلق على المدينة نجد الحاضرة وهي عكس البادية، و يقال فلان من أهل الحاضرة وفلان من البادية، أو فلان حَضَريٌّ وفلان بدويٌّ[6]، أي أن العرب لم يكتفوا باستعمال مصطلح المدينة فقط بل أعطوا مفاهيم أخرى مثل قصبة ومصر وحاضرة وحصن وغيرها[7]، على كل حال

---

[1]– عبد الستار عثمان، «المدينة الإسلامية»، مجلة عالم المعرفة، العدد: 128، المجلس الوطني الثقافي والفنون والآداب، الكويت، أعسطس 1988م، ص ص.15–16. أنظر: مصطفي عباس الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1982م، ص.350.

[2]– أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت.398هـ/1008م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف، دار الحديث، القاهرة،1430هـ/2009م، ص.1069.

[3]– عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، ط.1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 2001م، ص.58.

[4]– المرجع نفسه، ص61.

[5]– الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص.60.

[6]– أبي نصر الجوهري، المصدر السابق، ص.259.

[7]– عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص.59.

فالمدينة تاريخيا تعد وحدة تشكيلية قديمة خبرها المجتمع الإنساني منذ زمن يرجع إلى سبع آلاف سنة، فالمدينة بحق أعظم منجزات الإنسان الحضارية فقد عرفها الإنسان المدني منذ الألف الثالثة قبل الميلاد[1].

1-3- المدينة من خلال القرآن الكريم:

واستنادا للقرآن الكريم نجد أن كلمة المدينة ذكرت في العديد من الآيات، بحيث ذكرت في 17 موضع بين كلمة المدينة والمدائن، كما وردت بمعنى القرية أو الـــقرى في 57 موضعًا، وكل موضع تحمل تفسيرًا معينا حسب من فسر كتاب الله تعالى على غرار ابن كثير والطبري وابن سرين وغيرهم، لهذا سنحاول ذكر بعض الآيات القرآنية التي ذُكِرَ فيها مصطلح المدينة أو معانيها وهي مفسرة من قبل الطبري.

وقد جاء على لسان فرعون ذكر كلمة المدينة فقال الله تعالى: " **قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ** "[2] وتفسيرها بأن فرعون قال للسحرة بعدما صدقوا موسى عليه السلام أنها لخدعة خدعتم من في مدينتنا لتخرجوهم منها[3]، وهنا إشارة لقيمة المدينة من ناحية الحاكم والمحكوم، وأي فساد أو ظلم بالضرورة الحتمية يكون له تأثير على المدينة سواء بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

أما في موضع آخر فيقول الله تعالى: " **وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ** "[4]، وهنا يذكر القوم الذين حول المدينة من الأعراب منافقون[5]، هنا وصف لمصطلح المدينة مع ربطها بأهلها وبيان فسادهم مع وعدهم بالعذاب مرتين.

---

[1]- مصطفى عباس الموسوي، المرجع السابق، ص.15.

[2]- سورة الأعراف، الآية 123.

[3]- الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مج.3، ط.1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ/1994م، ص ص.481-482.

[4]- سورة التوبة، الآية 101.

[5]- الطبري، المصدر السابق، مج.4، ص.154.

وفي إحدى آيات الذكر الحكيم من سورة يوسف عليه السلام يقول الله تعالى: " **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**"[1]، وجاء ذكر المدينة على أنها مدينة مصر[2]، من خلال هذه الآية الكريمة يمكن الإشارة لبعض النقاط منها كلمة النسوة وهي دليل على الكثرة ومنها تبين بوجود مجتمع وعمران، أما مصطلح المدينة فهو واضح حسب التفسير، وفيما يخص الإشارة الأخرى هي امرأة العزيز فالعزيز هنا هو الحاكم، وهو الذي يحمي حرمه ويدافع عن عرضه وأسرته ورعيته، ومنه يلجأ إليه الضعفاء والمظلومون للفصل في قضاياهم ومشاكلهم[3]، إذن فالمنصب الذي يتقلده العزيز هو من شارات الحكم في الدولة، وكل هذا يدل على شيء واحد وهو وجود دولة بكل متطلباتها من حاكم وعمارة وتجارة ورعية وغيرها.

ومن بين المعاني التي ذكرت عليها هي القرية، فقال الله تعالى: " **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً** "[4]، فالموضع الذي ذكرت فيه القرية هنا هي مكة التي كانت آمنة مطمئنة يأتيها أكلها وشربها من كل مكان[5]، وقد يحمل مصطلح قرية آمنة يحمل معنيين؛ معني معيشي متعلق بالغذاء والماء، ومعنى آخر يتعلق بالحماية وسلامة النفس، صراحة فلولا مكانة هذه القرية العظيمة من شتى النواحي لما ذكرت في القرآن الكريم، حتى أن هذه المصطلح تطور فيما بعد بعدة تسميات مثل أم القرى والبلد الأمين وبكة وغيرها[6]، وعبر تلك الفترات الزمنية تطورت تلك المدينة تطورا عمرانيا واسعًا وكبيرًا، وما رواه الإِخْبَارِيُون في كتبهم إلا دليل على عظمتها وتطورها.

---

[1]– سورة يوسف، الآية 30.

[2]– الطبري، المصدر السابق، مج.4، ص.348.

[3]– الحسن بن عبد الله العباسي(ت 710هـ/1310م)، آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ج.1، ط.1، دار الجيل، بيروت، 1409هـ/1989م، ص.59، 222. أنظر: أبو حمو موسى الثاني الزياني (723هـ–791هـ/1321م–1389م)، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق وتعليق: محمود بوترعة، دار الشيماء، دار النعمان، برج الكيفان، الجزائر، 2012م، ص.51.

[4]– سورة النحل الآية 112.

[5]– الطبري، المصدر السابق، مج.4، ص.563.

[6]– ربيع عولمي، مكة ودورها الثقافي والديني في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، ماجستير في التاريخ القديم، تخصص: تاريخ الحضارات القديمة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008/2007م، ص.26.

1-4- المدينة من خلال الأحاديث النبوية:

أما في الأحاديث النبوية الشريفة فقد ذكر مصطلح المدينة بعدة معان حسب كل سياق وحادثة رواها الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومن بين الأحاديث التي ذكرت فيها؛ عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" المدينة حَرَمٌ ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ، فمن أحـــدث فيها حَدَثًا، أو آوى مُحْدِثًا؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"[1]، وهنا يقصد المدينة المنورة وأي واحد يحدث فيها شيء غير صالح فلعنة الله عليه، كما نجد حديثًا عن عـــــناية الرسول صلى الله عليه وســـلم بالمدينة فيقول:" حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ناحية من المدينة بريداً، لا يخبط شجرة ولا يعـــضد إلا ما يساق به الجمل"[2]، وهنا دليل قاطع على اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بما يحيط بالمدينة المنورة من سور أو شجر وغيرها.

وفي أحد الأحاديث التي تروى عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " المدينة كالكير تنفي خبثها، وينصع طيبها "[3]، فتقديس المدينة في السنة دليل على أهميتها الدينية والعلمية و العمرانية والاجتماعية، لهذا لا يمكن أن تدوم مدينة بها حاكم ظالم ورعية مفسدة وخبيثة ومفسدة، ولنا أدلة كثيرة في القرآن على المدن التي أصابها الخراب جراء عدة عوامل لا أخلاقية، أما عن أبي أيوب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ستفتح عليكم الأمصار وستكون جنود مجندة"[4]، وهنا إشارة لمجموعة من المدن التي ستفتح وهذا دليل عن وجود حياة سكنية وعمرانية التي سيدخلها الإسلام، وعليه فإن مصطلح المدينة واسع في الإسلام سواء ما ذكر في القرآن الكريم أو السنة النبـــوية بحـــيث تختلف في معانيها مع الحفاظ عليها كمصطلح أصيل.

---

[1]- أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت.275هـــ/889م)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، ج.2، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1416هـــ/1996م، ص.80.

[2]- المصدر نفسه، ص.81.

[3]- محمد بن عيسى الترميذي، الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، مج.6، ط.1، دار الغرب الإسلامي، 1996م، ص.205.

[4]- أبي داود السجستاني، المصدر السابق، ج.2، ص.219.

1- 5- أراء المصادر الجغرافية والتاريخية في المدينة الإسلامية:

إن مفهوم المدينة عند أهل التاريخ والجغرافيا هو مصطلح واسع المفهوم مقيد بشروط بنائها، فكل واحد يعطي رأيه وما شاهده أو سمعه عن المدن التي شيدت في العالم الإسلامي، لكن يبقى دائما القرآن والسنة النبوية الشريفة منطلق فكرهم الإسلامي، فلكل مصدر عصر عايشه وكتب فيه كتابه وأعطي لنا معلومات وتعريفات وأوصاف عن مدن مختلفة.

ويعد المقدسي أحد الجغرافيين الذين أعطوا إشارة حول المدينة فقال:" إعلم أنَّا جعلنا الأمصار كالملوك والقصبات كالحجاب والمدن كالجند والقرى كالرجالة وقد إختلف في الأمصار فقالت الفقهاء المصر كل بلد جامع يقام فيه الحدود ويحله أمير ويقوم بنفقته ويجمع رستاقه[1]....وأما نحن فجعلنا المصر كل بلد حله السلطان الأعظم وجمعت إليه الدواوين وقلدت منه الأعمال وأضيف إليه مدن الأقاليم"[2]، والمصر هنا هو المدينة فلابد من حاكم وأحكام أو قوانين حتى نقول أنها مدينة، وهذا ما يراه هذا الجغرافي، في حين يرى آخر أن الأمصار هي الأوطان الجامعة[3]، أي لابد أن تتوفر فيها شروط ومؤهلات حتى تكون مدينة بمعناها الحقيقي.

إن الباحث في كتب المصادر يجد الذين ذكروا مصطلح المدينة أنهم يشيرون إشارة صريحة لشروط اختيار مواقع وبناء المدينة، فكل واحد منهم وضع المبادئ التي تقوم عليها، وإذا أردنا التفصيل في ذلك فلابد من التحدث عن ابن الربيع واضع أسس وشروط بناء وتنظيم المدينة الإسلامية، وتبعه العديد من أهل العلم مثل المقدسي والماوردي وابن الأزرق وابن خلدون، وهذا الأخير يعد المصدر الوحيد الذي شرح وفصل في شكل المدينة بطريقة منهجية متسلسلة، وإن تكلم عليها بطريقة أخرى من خلال تخصيص فصل يختص بالعمران، وهذا لا يعني أن الآخرين لم يتكلموا عن الموضوع بل نجد معلومات هامة ومختلفة عن ذلك.

---

[1]- رستق: اللحياني: الرُّزتاق والرُّستاق واحد، فارسي معرب، ألحقوه بقرطاس ويقال: رزداق، ورستاق، والجميع الرساتيق وهي السواد. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج.10، ص.116.

[2]- المقدسي، المصدر السابق، ص.47.

[3]- أبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق المَلك وسياسة المُلك، تحقيق: محي هلال السرحان و حسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص.162.

يتفق كل من ابن الربيع والماوردي وابن خلدون وابن الأزرق على أن عمارة الأمصار لا تكون إلا إذا اجتمع خمس مبادئ، أولها اجتماع الناس غايتهم السكون والاستقرار والدعة، وأســـاس ذلك التـــرف وهو مبدأ الإنشاء، عندما تحضر الأموال يكثر العمال ويزيد العمـــران وتتكاثر المدن، ويحقـــقون غايتهم في الاستقرار، أما النقطة الثانية فهي حفظ ما كسب من المال وعدم الإسراف فيه في عمارة غير ضرورية في وقتها، أو اللهو والمجون غريب عليهم، والغاية الثالثة من ذلك صيانة حرمتهم وحريمهم عن غيرهم سواء قريب أو بعيد، في حين لابد من التركيز على ما هو ضروري من بناء يلتمسون فيه حاجاتهم الخاصة مثل الأسواق وهذه هي النقطة الرابعة، أما الخامسة من ذلك الاجتماع هو طلب الكسب أو الرزق من تجارة وصناعة و فلاحة[1]، هذا ما أوضحته هذه المصادر التي اهتمت بشؤون المدن، من مبادئ وغايات يرون بأنها ضرورية وحتمية من أجل بناء مدينة في مكان معين، وإن حدثت خلل في الشروط الخمس التي أُقِرَتْ، فلا يمكن أن تبنى ولا أن يجتمع الناس على ذلك إن لم نقل مستحيل.

1- 1- 6- شروط اختيار بناء المدينة الإسلامية:

ومن أجل تحقيق الغايات التي بنيت عليها الأمصار أو المدن، فقد أقروا شروطًا لتثبيتها على موقع أو منطقة ما أو ما يسمى بعبارة أخرى شروط بناء المدن، فهذه الركائز الشرطية التي وضعها ابن الربيع وأخذ عنه الماوردي وابن الأزرق، وحتى ابن خلدون الذي أعطى صورة واضحة عن ذلك، وتتمثل هذه الشروط المتفق عليها في ستة نقاط وهي:

- سعة المياه المستغدبة.

- إمكان الميرة المستمدة.

- اعتدال المكان وجودة الهواء.

- القرب من المراعي والاحتطاب.

[1]- شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: عارف أحمد بعد الغني، دار كنان للطباعة والنشر، دمشق، ص ص.105-106. أنظر: أبي الحسن علي بن محمد الماوردي، المصدر السابق، ص.162. أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.426.

- تحصين المنازل من الأعداء والذعار[1].

- أن يحيط بها سواد يعين أهلها[2]

وإذا وفيت هذه الشروط بتمامها وكمالها حسبهم فإننا نحصل على مدينة نموذجية لها مكانتها في المنطقة الجغرافية التي شيدت بها، وتصبح مقصد الناس بمختلف رتبهم ومهنهم فتتطور المدينة ويزداد بنيانها، في حين يركز ابن خلدون على عنصرين أساسين في شروط بناء المدينة الإسلامية، بحيث يورد لنا هاتين النقطتين في دفع المضار وجلب المنافع، مع أنه يفصل فيهما بتدقيق وتحليل وهي على النحو التالي:

إن أول قصد يبدأ به ابن خلدون في شروط اختيار موقع المدينة هو دفع المـــــضار وهذا ما جـــــاء في قوله:" وجب أن يراعي فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها... فيراعي لها أن يدار على منازلها جميعا سياج الأسوار وأن يكون وضع ذلك في متمنع من الأمكنة إما على هضبة متوعرة من الجبل وإما باستدارة بحر أو نهر بها حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها"[3]، من خلال هذه العبارة المقتطفة من كلامه فهو يعطي لنا إشارة على أهمية الموقع الذي تبني عليه المدينة سواء على جبل أو هضبة، وأن يكون بحر أو نهر يحيط بها على أحد جوانبها، ويقصد هنا بأن يحيط بها خندق للحماية والتحصين، فهذه الأخيرة لا تشمل الأعداء فقط فحتى الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات والـــزلازل تـــشكل خطر على المـــدينة لهذا إشترط بـــأن تكون على جـــبل أو هضبة[4].

ويضيف ابن خلدون في دفع المضار فيقول: " ومما يراعي في ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الأمراض، فإن الهواء إذا كان راكدا خبيثا أو مجاور للمياه الفاسدة أو منافع متعفنة أو مروج خبيثة أسرع إليها العفن من مجاورتها فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة

---

[1]- الذعار : الذُّعْرُ؛ بالضم الخوف والفزع. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج.4، ص.306.

[2]- ابن أبي الربيع، المصدر السابق، ص.106. أنظر: أبي الحسن علي بن محمد الماوردي، المصدر السابق، ص.163.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص ص.432-433

[4]- مريم هاشمي، الروابط الثقافية لمدينة بجاية مع حواضر بلاد المغرب الإسلامي – دارسة نماذج- (تلمسان – فاس – تونس) من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجريين /12-15م، دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، في العصر الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2019/2018م، ص.19.

وهذا مشاهد، والمدن التي لم يراع فيها طيب الهواء كثيرة الأمراض في الغالب"[1]، لا يمكن التغاضي أبدا عن دور الهواء في استقرار الإنسان في موقع ما، فهو متنفس الإنسان والحيوان والنبات أو كل خلق خلقه الله، فبمجرد فساده يؤثر تلقائيا على من يتغذى به ويصبح خطرًا على استقرار الإنسان فيهلكه ويساهم في تخريب بنيانه.

أما القصد الثاني الذي اشترطه ابن خلدون هو جلب المنافع والمرافق ويقول في هذا الصدد: " وأما جلب المنافع والمرافق للبلد؛ فيراعي فيه أمور منها الماء بأن يكون البلد على نهر أو بإزائها عيون ثرة فإن وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء، وهي ضرورية فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة "[2]، وهنا يركز على ما هو ضروري وهو الماء وأساسه الأنهار أو العيون أو الآبار وغيرها من مشارب المياه، لكن تركيزه على مياه العيون مهم جدا فهي متجددة وطيبة الذوق ومطهرة من السموم والأمراض[3]، وعليه فعند توفر هذا الشرط فإنه يحصل الاجتماع ومنه الاستقرار والتشييد وبناء المدينة.

ويكمل قوله في جلب المرافق قائلا:" ومما يراعي من المرافق في المدن طيب المراعي لِسَائِمَتِهِمْ إذ صاحب كل قرار لا بد له من دَوَجِنِ الحيوان للنتاج والضرع والركوب ولا بد لها من المراعي فإذا كان قريبا طيبا كان ذلك أرفق بحالهم لما يعانون من المشقة في بعده، ومما يراعي أيضا المزارع فإن الزروع هي الأقوات، فإذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك أسهل في اتخاذه وأقرب في تحصيله، ومن ذلك الشجر للحطب والبناء...والخشب أيضا ضروري لسقفهم وكثير مما يستعمل فيه الخشب من ضرورياتهم..."[4]، مستنتج هذه العبارة هي تركيز على الحياة اليومية للإنسان والضروريات التي يجب أن تتوفر له من غذاء وركوب ومبيت ومزارع له ولدوابه، أي لما نجد تلك الخصائص الحيوية فإنها تساعده على الاستقرار، ولما لا نستند على القرآن الكريم في إحدى آياته عندما وصف أهل سبإ فقال الله تعالى:**"لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا**

---

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.433.

[2]– المصدر نفسه، ص. 434.

[3]– أبي علي الحسين بن علي بن سينا، القانون في الطب، ج.1، ط.1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420هـ/1999م، ص.125.

[4]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.434.

مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ" سورة سبإ"[1]، وهنا إشارة إلى الرزق من غذاء وماء وزرع وختمها الله تعالى بكلمة بلدة طيبة، وهذا يعني الاستقرار والأمن والتشييد والبناء جراء هذه الخصائص الطيبة التي منحهم الله تعالى.

ومن بين الشروط التي أضافها ابن خلدون عن المدن التي قد تشيد على ساحل البحر، فقال:" ومما يراعي في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل أو تكون بين أمة من الأمم موفورة العدد تكون صريخا للمدينة متى طرقها طارق من العدو، والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت حاضرة البحر؛ ولم يكن بساحتها عمران للقبائل أهل العصبيات ولا موضعها متوعر من الجبل كانت في غرة للبيات، وسهل طروقها في الأساطيل البحرية على عدوها، وتحيفة لها لما يأمن من وجود الصريخ لها"[2]، يقصد من هذا وجود تجمعات سكانية في ضواحي المدينة تكون عوناً وسنداً لها إذا حوصرت من قبل الأعداء، وهذا العبارة نجدها عند ابن الربيع بمعنى السواد، وللعلم أن المدن الساحلية أكثر عرضة لتخريب من قبل الأعداء، لهذا بالضرورة أن تتوفر على هذا الشرط مع الحرص عليه.

إضافة على ما ذكره ابن الربيع والماوردي وابن خلدون فهناك مصادر أخرى أضافت شروطاً مختلفةً عن ذلك، وهناك من غيرت في المسميات فقط ولخصت بعضها، ومن بين من تكلم على هذا نجد ابن أبي زرع الفاسي فقال:" أحسن مواضع المدن أن تجمع خمسة أشياء: وهي النهر الجاري، والمحرث الطيب، والحطب القريب، والسور الحصين والسلطان، إذ به صلاح حالها، وأمن سبلها وكف جبابرتها"[3]، يركيز هذا المصدر في آخر كلامه على السلطان؛ من خلال عدله وحماية سبل المدينة من كل الفتن، وبالأحرى الحاكم هو من يطور المدينة ويخربها بتصرفاته وتسييره للدولة، ويضيف آخر:" لا تستوطن إلا بلدا فيه سلطان حاضر، وطبيب ماهر، ونهر جار، وقاض عادل، وعالم عامل، وأسواق قائمة"[4]، ما قيل هنا لا يختلف كثيرا عما سبق سوى في إضافة بعض العناصر مثل

---

[1]– سور سبأ، الآية 15.

[2]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص. 435.

[3]– علي ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص.33. أنظر: علي الجزنائي، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1991م، ص.33.

[4]–أحمد ابن القاضي الفاسي، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ج.1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ص.42. أنظر: علي الجزنائي، المصدر السابق، ص.33.

السلطان العادل أو القاهر، وطبيب الماهر، والقاضي، والعالم والأسواق، غير أن هذه العناصر لا تظهر إلا بعد اختيار الموقع وبناء المدينة، وبعدها يعين السلطان والقاضي والفقيه، وتحدد أماكن الأسواق.

إن استشارة الحكام والسلاطين والأمراء للحكماء والعلماء لم تأت من الفراغ أبدا، فهم من تَجَوَلَوُا أو ساحوا في الكثير من أرجاء الأرض وعلى هذا المنوال يقول القزويني:" ويعرفون أصلحها من سيئتها، لهذا نجدهم اختاروا أفضل ناحية في البلاد، وأفضل مكان في الناحية، وأعلى منزل في المكان من السواحل والجبال ومهب الشمال، لأنها تفيد صحة أبدان أهلها وحسن أمزجتها... واتخذوا للمدن سورًا حصينا مانعا، وللسور أبوابًا عدة"[1]، وهذه المشورة التي نالها العلماء والحكماء لم تنحصر على المدن الإسلامية فقط، بل كانت سائدة في الحضارات القديمة كذلك من خلال ما شيد من عمران، فحتى القرآن الكريم أوضح هذه العناية بمشورة من له خبرة في البناء والتشييد **فقال الله تعالى: " وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ"**[2]، وصرح هنا بناء عظيم يريد به فرعون الإطلاع على إله موسى عليه السلام، فلو لا عِلْمْ هامان بشتى العلوم وقدرته في التخطيط والبناء لما طلب فرعون منه هذا الأمر، والقرآن واضح في أمر مكانة العلماء.

ومن بين ما أورده الطبيب بن سينا قول بليغ في عمارة المساكن فيقول:"... ينبغي لمن يختار المساكن أن يعرف تربة الأرض وحالها في الارتفاع والانخفاض والاكتشاف والانكشاف والاستتار، وماءها وجوهر مائها وحالة في البروز والانكشاف أو الارتفاع والانخفاض، وهل هي معرضة للرياح أو غائرا في الأرض، ويعرف رياحهم، هل هي الصحيحة الباردة وما الذي يجاورها من البحار والبطائح والجبال والمعادن، ويتعرف حال أهل البلد في الصحة والأمراض، وأي الأمراض يعتاد بهم، ويتعرف قوتهم وهضمهم وجنس أغذيتهم، ويتعرف حال مائها وهل هو واسع منفتح أو ضيق المداخل مخنوق المنافس، ثم يجب أن يجعل الكوى والأبواب شرقية شمالية ويكون العمدة على تمكين الرياح المشرقية من مداخلة الأبنية وتمكين الشمس من الوصول إلى كل موضع فيها، فإنها هي المُصلّحة للهواء، ومجاورة المياه العذبة الكريمة الجارية الغمرة النظيفة التي تبرد شتاء، وتسخن صيفا خلاف

[1]– زكرياء بن محمد بن محمود القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص.8.

[2]– سورة غافر، الآية 36.

الكامنة أمر جيد منتفع به"[1]، هذه أحد النصوص التي فصلت في اختيار بناء المدينة ولو بطريقة غير مباشرة، وقد جاءت هذه الإرشادات برعاية طبية علمية من ابن سينا.

إن ما ذكرته المصادر التاريخية والجغرافية من الشروط الستة واجب إتباعها في إختيار مواقع المدن، لكن ليس محصورا على ذلك العدد فقط بل تعدته لشروط أخرى، فأساس المدن هو الحاكم التقي العادل، بالإضافة لوجود النهر الجاري والمحراث الطيب، وتحصين المدنية سواء طبيعيًا أو إنشائيًا[2]، هذه النقاط اتفق عليها الكثير من المصادر والمراجع، فأصبحت مبدأ في بناء المدن منذ القدم لهذا تقول الحكمة: " المدائن لا تبنى إلا على ثلاثة أشياء: على الماء والكلأ والمُحْتَطَب[3]، هذا ما قيل عن شروط بناء المدينة الإسلامية.

1-1- 7- ضوابط وأسس تنظيم المدينة الإسلامية:

ومن أجل أن تتم تلك الشروط أوجبت تلك المصادر ضوابط و أعمال لترتيب وتنظيم تلك المدينة، وابن الربيع أول من أشار لتلك الضوابط التي وجب على الحاكم إتباعها في المدينة، ولخصها في ثماني أعمال وهي:

- أن يسوق إليها الماء العذب ليشرب، حتى يسهل تناوله من غير عسف[4].

- أن يقدر طرقها وشوارعها، حتى تتناسب و لا تضيق.

- أن يبني فيها جامعا للصلاة في وسطها، ليقرب على الجميع أهلها.

- أن يقدر أسواقها بحسب كفايتها، ولينال سكانها حوائجهم من قرب.

- أن يميز بين قبائل ساكنها بأن لا يجمع أضدادا مختلفة متباينة.

---

[1]- ابن سينا، المصدر السابق، ج.1، ص.129.

[2]- أحمد السراج، العمارة الإسلامية خصائص وآثار، تقديم: أحمد عابد، 1436هـ/2015م، غزة، فلسطين، ص.31.

[3]- أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت.276هـ/890م)، عيون الأخبار، مج.1، دار الكتاب العربي، دار الكتب المصرية، بيروت، لبنان، 1343هـ/1925م، ص.213.

[4]- عسف: العَسْفُ: السير بغير هداية والأخْذُ على غير الطريق، والعسف في الأصل أن يأخذ المسافر على غير طريق ولا جادة ولا علم فنقل إلى الظلم والجور. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج.9، ص.245.

- إن أراد سكانها فليسكن أفسح أطرافها، وأن يجعل خواصه كفالة من سائر جهاته.

- أن يحوطها بسور، خوف اغتيال الأعداء، لأنها بجملتها دار واحدة.

- أن ينقل إليها أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها، حتى يكتفوا بهم و يستغنوا عن الخروج إلى غيرها[1].

لقد اعتنى الكثير من الباحثين بدراسة ما اشترطه ابن الربيع على الحاكم لتنظيم المدينة، فقد فسروا تلك النقاط كل واحد حسب فكره وتوجهه، ولا نجد أي اختلاف بينهم سوى في بعض الحيثيات سواء تعلق بتقديم أو تأخير أو اختلاف في فهم وشرح تلك العناصر، كما أنهم أضافوا عناصر جديدة لابد أن يلتزم بها الحاكم أو مؤسس المدينة، فالشرط الأول المتعلق بأن يسوق لها الماء، وهو أن يختار لها أفضل العيون الطيبة ويصنع لها سواقي الماء لكل دار إن استطاع وضروري أن يوصله للحي الذي يسكنه الناس، وهذا لكي يتجنب غبن الرعية وينظم استغلال الماء لشرب الإنسان والحيوان والغسل ويحرص على نظافته[2]، فالماء هو أساس الحياة لهذا يراعي الحاكم لهذه المدينة أعذب وأغزر العيون لرعيته وبهائمهم ويقسمها بينهم بالعدل من خلال قنوات ناقلة لهذا العنصر الحي، وكل هذا ليتجنب المشاكل التي قد تنجر بين الرعية حول الماء.

أما عن النقطة الثانية المتعلقة بأن يقدر طرقها وشوارعها، حتى تتناسب ولا تضيق، فهذا أمر تنظيمي للمدينة الإسلامية وجب إتباعه وتطبيقه، فهذا شرط أخذ مكانة علمية وفقهية لدى أهل الفقه ونوازل[3] العمران، فهم حددوا سعة الطريق من ثمانية أذرع أو تسع على ما وصفت لا ينبغي لأحد التزيد عن طريق المسلمين، وينبغي للقاضي أن يتقدم في ذلك إلى الناس وينهاهم ألا يحدث أحد بنيانا في طريق المسلمين[4]، وهذا حتى تتناسب مع استخدام الإنسان لها يوميا سواء عن طريق وسائل النقل التي كانت تتم على الدواب أو ما يحمله شخصيا هو، وإذا تم تعدٍ على تلك المبادئ التنظيمية بزيادة

---

[1]- ابن أبي الربيع، المصدر السابق، ص ص.107-108.

[2]- محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي، ج.2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1417هـ/1996م، ص ص.11-12.

[3]- النازلة: الشديدة تنزل بالقوم، وجمعها النوازل المحكم، والنازِلة الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج.11، ص.659.

[4]- عيسى بن موسى التطلبلي (ت. 238هـ/992م)، الجدار، تحقيق: إبراهيم بن محمد الفايز، ط.1، دار روائع الكتب للنشر و التوزيع، 1417هـ/1996م، ص.265. أنظر: الحسين بن عبد الله العباسي، المصدر السابق، ص.323.

عليها فإنه يتم تهديمها وتخريب ما زيد على ذلك مع معاقبة من تعدى على ذلك، فعمل المراقبة هنا يقوم بها المحتسب الذي عينه السلطان فيقف على كل كبيرة وصغيرة تتعلق بالمدينة منها البنيان[1].

وبمنطق قول المقدسي:" لا مدينة في مقياس علمنا إلا بمنبر"[2]، أي مسجد جامع يبرز خاصية المدينة الإسلامية، لهذا نجد ابن الربيع يركز على المسجد الجامع ولابد أن يكون في المركز وقريبًا من الجميع، فالنبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر للمدينة النبوية أول شيء شيده المسجد الجامع، فالقصة معروفة كيف تم اختيار موضع المسجد وهذا من أجل أن يكون لهم مقرا لصلاة ومركز للحكم في نفس الوقت، باعتبار أن الإسلام تنطلق أحكامه من مواضع مقدسة لا فيها لغط أو شك[3]، ولا يتوقف عمل الحاكم على البناء فقط بل يحرص على إصلاحها إن وقع فيها خلل أو تخريب، والقيام بدفع رواتب من يقوم عليها من العمال والعلماء وغيرهم[4]، كما كانت بيوت المساجد جامعة للقضاء والتسيير والتخطيط ومركز للفصل في كل قضية [5]، وقد شيدت المساجد في العديد من الأمصار على مختلف أشكالها الكبيرة أو الصغيرة لكن حافظت على منطلقها الأساسي وهو مسجد الرسول.

أما مقصده من أن يقدر أسواقها بحسب كفايتها، ولينال سكانها حوائجهم عن قرب، أي أن يراعي أهم السلع التي يحتاجها الإنسان، فيوفر له دكاكين تباع وتشترى منها، ولابد أن تكون قريبة من سكانها ليقضوا حوائجهم، لهذا نجد أن معظم الأسواق الإسلامية تكون قريبة غالبا من المساجد، وهذا نظرا لحركة الناس اتجاه هذا المعلم الديني[6]، وقد نظم الحاكم الأسواق وفق الشريعة الإسلامية قياسا لحديث النبي صلى الله عليه لا ضرر ولا ضرار[7]، فجعل كل سلعة تباع بنظرية القرب أو البعد للمدينة حسب

---

[1]– محمد بن أحمد ابن بسام المحتسب، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، العراق، 1968م، ص.19.

[2]– المقديسي، المصدر السابق، ص.88.

[3]– مصطفى شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ج.1، د.ط، لسان العرب، 1988م، ص.24.

[4]– الحسين بن عبد الله العباسي، المصدر السابق، ص.324.

[5]– حسين مؤنس، «المساجد»، مجلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد: 37،، الكويت، يناير 1981م، ص.30.

[6]– هالة عبد الرازق، أسواق فاس العصر المريني(646–869هـ/1248–1465م)،ط.1، مكتبة الثقافة الدينية، 1434هـ/2013م، ص.78.

[7]– جاء في الحديث النبوي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا ضَرَرَ ولا ضِرَارْ في الإسلام "، قال: ولكل واحد من من اللفظين معنى غير الآخر: فمعنى قوله لا ضَرَرَ أي لا يَضُرُ الرجل أخاه، وهو ضد النفع، وقوله: لا ضِرَارْ أي لا

حسب منفعتها وضررها، وهذا حتى لا تختلط الصنائع الخسيسة مع الصنائع النفيسة، كما أنه يُفْرِدْ كل جهة بساعة معينة إن استطاع مثل؛ سوق لسلع الأكل والشرب مثل الطعام والخضر والفواكه وهذا لتعلقها بصحة الرعية، في حين يخصص سوق للصنائع معزولة عن المدينة لما فيها من ضرر سواء على الإنسان أو نظافة المدينة مثل المسالخ والمدابغ ومسابك الزجاج والحديد[1]، فهذه الأحكام المتعلقة بالمنع والنهي والتنظيم في الأسواق هو تطور للفكر الإسلامي مع استمداد بعض التجارب القديمة من الرومان قديما خاصة ما تعلق بالارتفاع واتساع السوق[2]، غير أنها تطورت وتغيرت هذه الأسواق مع مولد كل عصر وحضارة مع مراعاتها مبادئ الدين الإسلامي في درء المفسدة وتقريب المصلحة.

ويذكر ابن الربيع في العمل الخامس عن السكان: أن يميز بين قبائل ساكنها بأن لا يجمع أضدادا مختلفة متباينة[3]، وهنا يعني لا يجمع بين اختلافهم دينا وفكرا ونسبا، فالغاية من ذلك تجنب خلق المشاكل أو الفوضى أو تحالفات والتي قد تمس وتهدد المدينة ومنها الدولة، ويعد هذا الشرط من مبادئ العمران وتطوره فالحاكم عندما ينزل كل جماعة من الناس موضعا أو شارعًا أو سوقًا، يصبح للمدينة أهمية كبيرة ولكل قبيلة دور هام يقتضي التنافس والمحافظة على شارعه وطريقه ومقر اجتماعه ومسجده، لهذا يقول الخوارزمي عن التقسيم من الحاكم:"...والرعية على خمسة طبقات فينزل الملك كل طبقة في موضعها حتى ينتظم أمر مملكته فمن نزل الناس منازلهم أمن غوائلهم"[4]، والقصد من هذا

يُضَار كل واحد منهما صاحبه، فالضَّرارُ منهما معا والضَّرَر فعل واحد، كما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا ضرر ولا ضِرَارْ، من ضارّ ضارّه الله ومن شاقّ شاقّ الله عليه)، ومنها لا يجعل في طريق المسلمين وأسواقهم ما يضرّ بهم من أخشاب أو أحجار أو حفر، ويبني عمارة عالية تؤذي جاره وتحجب عنه الشمس، أو نحو ذاك إلا ما كان فيه نفع ومصلحة لهم. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج.4، ص.482. أنظر: عبد الله الهلالي، قاعدة لا ضرر ولا ضرار مقاصدها وتطبيقاتها الفقهية قديما وحديثا، مج.1، ط.1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي الإمارات العربية المتحدة، 1426هـ/2005م، ص ص.103،145.

[1]- الحسين بن عبد الله العباسي، المصدر السابق، ص.323.

[2]- عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر الشيزري (ت 590 هـ/ 1194م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، ط.1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ص.216. أنظر: ابن بسام المحتسب، المصدر السابق، ص.17.

[3]- ابن الربيع، المصدر السابق، ص.108.

[4]- جمال الدين الخوارزمي، مفيد العلوم ومبيد الهموم، طبع على نفقة السيد محمد هاشم الكتبي بدمشق، دار التقدم شارع محمد علي، مصر، 1323هـ/1906م، ص.344.

عدم جمع الأضداد خاصة من ناحية الدينية والنسب لقبيلة معينة، والمعنى هنا واضح جدا وهو التحكم والتسيير والتنظيم من أجل أمن المدينة وسلطة الحاكم.

مما أشار إليه في النقطة السادسة أن الحاكم إذا أراد أن يسكن أطراف المدينة، فعليه اتخاذ أفسح الأماكن وأن يجعل جنده على أطراف قصره ليحافظوا على سلامته من الاعتداءات الداخلية والخارجية، ويحرص الحاكم على أن تكون مدينته تحت حراسة جنده من كل الأطراف، ويقف على العدل ولا يظلم أحدًا فهو أساس المدن ودوامها[1]، وتبقى نظرية بناء قصر الحاكم وإمارته على الأطراف نظرية البارزة إلا في بعض المدن جراء الموقع الطبوغرافي إلى حد كبير، وهذا نظرية سائدة في كل من تنس وهنين وقلعة بني حماد وهنالك أمثلة كثيرة، وهذا النظرية تعزز الحماية والأمن للحاكم وأن يكون بعيدًا عن أي خطر يأتيه من الداخل أو الخارج.

وبمقتضى **قول الله تعالى:" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا "**[2]، وهنا دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام بأن يحفظ الله تعالى بلده، **وقال الله تعالى: " لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ"**[3]، وهذه إشارة على التحصين والجدار الذي يمنع مساس الناس ويؤمن حياتهم، وعلى هذا المنوال أشترط أن يحيط بالمدينة سور يحميهم من الأعداء، ولابد أن تكون محصنة بالعدة المانعة والقوة الدافعة أي بالسلاح والعتاد والقوة البشرية[4]، وهذه سياسة لابد على الحاكم إتباعها في بناء المدينة الإسلامية من تعلية الأسوار وحفر الخنادق وسد الثغر[5]، وقطع المواضع المشرفة عليـــها، وسد المسارب النافذة نحوها وترتيب الرجال بأبراجها والحراس على أســـوارها، والطـــوف بطـــرقاتها وحفظ أبوابها، وتوكيل الثقات من الرجال بحفظها، وإن كـــان البـــلد صغيرا فيقلل أبوابها إن أمـــكن

---

[1]– الماوردي، المصدر السابق، ص.163.

[2]– سورة البقرة، الآية 126.

[3]– سورة الحشر، الآية 14.

[4]– أبي القسم ابن رضوان المالقي (ت.783هـــ/1381م)، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ط.1، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، 1404هـــ/1984م، ص.74.

[5]– الثغر: الثُّغْرُ والثُغْرَةُ: كل فُرْجَةٍ في جبل أو بطن واد أو طريق مسلوك، وهذه مدينة فيها ثَغْرُ وثَلْمُ، والثُغْرُ: ما يلي دار الحرب، والثُّغْرُ: كوضع المخَافَةِ من فروج البلدان، والثُّغَيْرَةُ: الناحية من الأرض. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج.4، ص ص.103–104. أنظر: أبي الحسن بن زكريا، المصدر السابق، ج.1، ص.379.

ويحفظ دروبها ورباعها ولا يهمل أمرها، فإن الملك في مدينته أو قلعته كالرجل في منزله[1]، هذا ما فُصِلَ في التحصين الذي وجب إتباعه في تطور المدينة، ويتسع عمرانها وتنمو تجارتها واقتصادها.

ومما جاء في التحصين والحماية قول الشيزري الذي أعطى بعض المعاني الدقيقة التي تصب في الموضوع فقال:" ومن أركان المملكة هي الحصون: إعلم أن الحصون التي يتحصن بها الملوك ويمتنع بها جانبهم، تنقسم إلى خمسة أقسام، كل نوع منها يحصل به التحصن وامتناع الجانب، وهي المال، والجبال، والمفاوز، والقلاع، والرجال، وأحصن هذه الحصون الرجال، ثم القلاع، وتحصين الرجال بالأموال"[2]، ولا يخفى على أحد أن ركيزة الأمن والاستقرار هم الرجال الثقات في كل المناصب خاصة ما تعلق بالجند، و تحصل الثقة إذا اعتنى الحاكم بهم من كل النواحي من أجل أن يحفظ أمن مدينته.

وآخر عمل يورده ابن الربيع هو أن ينقل إليها (الحاكم) أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها، حتى يكتفوا بهم ويستغنوا عن الخروج إلى غيرها، فلا يمكن أن نتصور مدينة بلا علماء في كل المجالات ودونهم لا يمكن أن نسميها مدينة أصلا، فهم أساس الدولة في مختلف مجالاتهم سواء ما تعلق بالدين وتسيير أمور الحكم والقضاء والحرب والصناعة والحرف وغيرها من مراكز تواجدهم، فالحاجة لهم ضرورية واستمرار وتطور المدينة مرتبطان بهم[3]، ولا مقياس لأي دولة تطورت واستمرت عبر التاريخ بلا أفكارهم واختراعاتهم وحرفهم وصناعاتهم، فبمجرد أن تمس هذه الشريحة إلا وضعفت وخربت المدينة، وعليه يمكن القول أن يجعل مدينته قبلة للناس والسكان لا طاردة لهم أي يوفر لهم ما يحتجون.

إضافة لما أقره ابن الربيع من أعمال واجبُ على الحاكم إتباعها في بناء وتنظيم المدينة، بل زيد عن ذلك من قبل العديد من الجغرافيين وأهل العلم الذين شاهدوا نقصًا في تلك الضوابط أو الأعمال الثمانية، فظرفية الوقت والمكان توجب تغيير في مبادئ البناء والتنظيم للمدينة الإسلامية، كما نشير لفكر الحاكم أو القائد المؤسس لتلك المدينة فهو يريد تطبيق أفكاره والاستفادة من تجارب من سبقه

[1]– الحسين بن عبد الله العباسي، المصدر السابق، ص.321.

[2]–عبد الرحمن الشيزري، المصدر السابق، ص.91.

[3]– محمد عبد الستار، المرجع السابق، ص ص.110–111.

في الاختـــيار والتشييد، فطبيعة الموقع وعقلية المجتمع هي التي تقوده لبناء مدينة وفق نظرية واقعية وعلمية، لكن يبقى أساس ذلك التغيير مراعاة الفقه الإسلامي.

لا يمكن صراحة أن تتم تلك الشروط والأعمال دون أن تتوفر السيرة الحسنة في الحاكم وحاشيته، فالعدل والمساواة قيمة معنوية تأثر في القيم المادية الحسية، فبناء المدينة وتطورها وتكاثر عمرانها وقوة أسواقها وحصانة أسوارها وقلاعها يتم عبر اهتمام الحاكم بمن ينجز هذه الأعمال من بنائين وحرفيين وصناع، فيحرص على النفقة عليهم وتوفير لهم مختلف الوسائل دون عسف أو تعب، كما عليه إقامة حدود الله على الجميع مع احترام من يختلف معهم دون الخروج عن مبادئ الشرع، فإذا التزم الحاكم بهذه الحقوق، فهي السياسة العادلة والسيرة الفاضلة التي تستخلص بها طاعة الرعية وينتظم بها صلاح المملكة، ويتوسع عمرانها وتكثر تجارتها ويخشاها الأعداء من تلك العظمة[1].

2- عوامل خراب العمران الإسلامي:

قد يتساءل أحد منا هل هذه الشروط كافية بتمامها وكمالها في المدن الإسلامية، وهل يمكن أن تساهم في تطورها وتجديدها ؟ وما هي أسباب وعوامل خراب المدن؟ وبما أننا أسلفنا ذكر الشروط في اختيار المواقع ومبادئ تنظيم المدن، وقلنا أن اختلال أحد الشروط قد يهدد تلك المدن، فلا رجعة إلا بتمامها ودقة اختيارها على نهج ما أورده العلماء من جغرافيين وأهل الفقه والدين والتاريخ، وتعتبر تلك الشروط عوامل لتطور واستقرار ودوام المدن الإسلامية، لكن قد ينجر عن بعض العوامل الطبيعية والبشرية ظواهر سلبية تهدد وتخرب العمران وفي بعض الأحيان تزيل تلك المدينة نهائيا، لهذا سنفصل في تلك العوامل التي تهدد وتخرب العمران، وعليه سننتقل من الطبيعة إلى الإنسان باعتبار أنه يوجد ظواهر طبيعية غير عادية فلا تترك شيء بعكس ما يخلفه الإنسان على هذا العمران.

2-1- العامل الطبيعي:

إن الموقع الطبيعي الذي تم اختياره لبناء المدينة يخضع لعدة متطلبات بيئية، فالمناخ المـــلائم وسطح الأرض، ونوعية المياه وكميتها وجودة التربة، والتحصين الطبيعي ومواد البناء وغيرها من المتطلبات[2]، كل هذه المبادئ تتحكم في اختيار الموقع وبناء المدينة ولها تأثير مباشر وغير مباشر في

[1]- الماوردي، المصدر السابق، ص.168.

[2]- خلف الله حسن محمد اللبان، البيئة في التخطيط العمراني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999م، ص.95.

تطورها، فتوفر مواد البناء قرب الموقع الذي تم اختياره يوفر على أهل المدينة الوقت والجهد ويسرع في البناء والتعمير، وشكل سطح الموقع يتحكم في شكل المدينة الذي يراد تشييدها، أما المناخ (الحرارة، البرودة، الرياح، التساقط) فهو يحدد لنا شكل واتجاه المنازل بصفة خاصة والمدينة بصفة عامة[1]، هذه الأبجديات المتعارف عليها عند العام والخاص تساهم بنسبة كبيرة في استقرار الإنسان بهذا الموقع، وممارسة نشاطه من تعمير وفلاحة و تجارة و زراعة.

أما عن مفاسد الجانب الطبيعي وتأثيره على الإنسان ونشاطه العمراني فهي كثيرة، وتختلف من منطقة إلى أخرى وهي ليست محددة بوقت ولا فصل معين، فالأرض والحرارة والهـواء والمـاء والزلازل والفيضانات والأوبئة والمجاعات وغيرها من المظاهر الطبيعية لها تأثير على الجانب العمراني للمدن، ويتمحور هذا التأثير على النحو التالي:

2-1-1- سطح الأرض:

يعد سطح الأرض من الملامح الطبوغرافية التي تؤثر في اختيار ونشأة ونمو وتوزيع العمران بالمدينة[2]، فالموقع الذي قد يتم اختياره ليس بالضروري أن يكون على مستوي نقطة واحدة، فأغلب المدن التي شيدت كانت على مواقع صعبة وذات أرضية يصعب تخطيط المنازل على طريق واحد، وتنس وقلعة بن حماد خير دليل على ذلك، ومنه تم إنشاء منازل متداخلة ومتدرجة في علوها، وينجم عنه كـذلك ضـيق في الشوارع والطرقات[3]، فقد تكون هذه نقطة إيجابية من ناحية الحماية للمدينة، لكن التحرك الجيولوجي لسطح الأرض سواء كانت حجرية أو تربة يتسبب في حركة وتأثير على العمران، وهذا ما نراه في انشقاق الأسوار وتصدع في تكسية الجدران والأرضية، وهذا ما نراه في بعض المواقع مثل هنين وتنس، صراحة قد يكون هذا العامل سبب في خراب العمران إن كان الإختيار مستعجل أملته ظروف عسكرية؛ فيتم إهمال بعض الشروط التي تتسبب في بعض العيوب، لكن تركيز

[1]- عبد المالك ناصري، موقف الفقهاء من التخطيط الحضري للمدن، السلطة والفقهاء والمجتمع في تاريخ المغرب، الائتلاف والاختلاف، سلسلة ندوات في تاريخ المغرب، ص.273.

[2]- خلف الله حسن محمد اللبان، المرجع السابق، ص.17.

[3]- أحمد السراج، العمارة الإسلامية خصائص وآثار، تقديم: أحمد عابد، 1436هـ/2015م، غزة، فلسطين، ص ص.33-34.

المصادر الجغرافية على حسن اختيار الموقع الطبوغرافي دليل على أهميته ودوره البارز في العمران وتطور المدن.

2-1-2- تغير المناخ:

أما عن تغير المناخ فيتمثل في تلوث الهواء والوسط بصفة عامة، فهذا أحد العوامل السلبية المؤثرة على حياة الإنسان والحيوان والنبات، فالحرارة والبرودة والمطر والجفاف والفيضانات عناصر خارج نـــطاق الإنسان ولا يتحكم فيها أبدا وتؤثر عليه في صحته ومسكنه وغذائه وملبسه وحياته اليومية[1]، فالهواء هو أوكسجين يتغذى به الإنسان ويسري في جسده، فإذا وقع فيه سوء أهلكه وأرغمه على الهجرة من تلك المنطقة، كما قد تصيبه الأمراض ويعطل نشاطه اليومي من تجارة وبناء وفلاحة[2]، وجراء ذلك يقع كساد[3] في تلك المدينة وهلعاً بين الناس حول تلك الأمراض، فحتى بخار المـــــاء الصاعد من الأوديـــة أو الآبار المتعفنة بسبب جثث الحيوانات وما شابه ذلك يؤثر في الهواء ومنها إلى جسد الإنسان والحيوان والنبات[4]، هذا نموذج عن خراب العمران بطريقة غير مباشرة، وقد يتسبب في بعض الأحيان في خراب واسع يهدد حياة الإنسان في ذلك الإقليم، باعتبار أن الإنسان هو أصل العمران وبقائه ويساهم في تطوره، وما تحدثت عنه المصادر بخصوص مدينة تنس يتعلق بهذا الأمر.

3-1-2- تأثير الماء:

وقياسا على قول الله تعالى: " **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**"[5]، فهذه نعمة من الله تعالى لخلقه من الإنسان والنبات والحيوان، كما هي عذاب حسب ما ذكره القرآن الكريم قال الله

---

[1]- لور شمبري، المناخ، ترجمة: زينب منعم، ط.1، مكتبة الملك فهد أثناء النشر، الرياض، 1435هـ/2014م، ص.7.

[2]- علا محمود حمود، المجاعات والأوبئة في المغرب والأندلس ق 6- 8هـ//12-14م " دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، جامعة البعث، حمص، سوريا، 1439هـ/2018م، ص.171.

[3]- كساد: الكسادُ: خلاف النُّفاق ونقيضه، والفعل، يَكْسُدُ، وسوق كاسدة: بائرة، وكسد الشيء كساداً، فهو كاسِد وكَسِيدُ، وسلعة كاسدة. وكَسَدَتِ السوق تَكْسُد كَساداً: لم تَنْفَقْ، وسوق كاسدُ، بلا هاء، وكسد المتاع وغيره، وكَسُدَ، فهو كَسِيد كذلك، وأكسَد القومُ: كَسَدتْ سوقهم. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج.3، ص. 380.

[4]- محمود الحاج قاسم محمد، المرجع السابق، ص.70.

[5]- سورة الأنبياء، الآية 30.

تعالى:" إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ"[1]، أي أن الماء تجاوز حده المعروف، وهذا زمن الطوفان فَحُمِلُوا في السفينة التي تجري في الماء، وهنا يقصد قوم نوح[2]، فالماء الذي أنزل على قوم نوح كان ماء عذاب ومنهمر أي كثير، وقد تسبب في طوفان على قومه فأغرق الفاسدين وعمرانهم، ولا مناص للنجاة من تلك الظواهر الطبيعية التي في ظاهرها أمر طبيعي لكن باطنها عذاب من الله على تلك الأقوام.

وإن كانت المياه تختلف مشاربها من عيون وأبار ووديان، لهذا فمعظم المدن التي شيدت كانت بجوار تلك المشارب العذبة، لكن قد تصبح فاسدة إذا مسها العفن جراء التلوث الجوي أو الجيفة من حيوان أو جثة إنسان، كذلك المدينة التي تكثر فيها الأمطار قد تسبب لها فيضانات فيخرب عمرانها ويهلك أهلها ويهجر الباقي[3]، ففي سنة 722هـ/1322م شهد المغرب الإسلامي أمطارًا غزيرة تسببت في خراب العمران من أسوار ومنازل وحاصرت العديد من المدن خاصة التي شيدت بجوار الوديان والأنهار[4]، كما أستعمل الماء سلاحًا في الحروب من خلال سد منافذه الآتية من الآبار والعيون وهذا من أجل إسقاط المدن وهلاك أهلها[5]، وهذا الأمر ينطبق على بني زيان الذين أخفوا منابع الشرب التي كانت مدينة تلمسان تستعملها للشرب أيام حربهم مع بني مرين[6]، إلا أن وشاية أحد العملاء لأبي الحسن الحسن المريني تسببت في قـطع الماء عليهم وهدد حياتهم واستقرارهم[7]، وإن كانت الغاية هي الحصار والطرد والسيطرة على المدينة غير أن التأثير رجعِ على العمران وعلى نفسية الإنسان بعدم التشييد والإستقرار.

---

[1]– سورة الحاقة، الآية 11.

[2]– الطبري، المصدر السابق، مج.7، ص.360.

[3]– القزويني، المصدر السابق، ص.169.

[4]– عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص.55.

[5]– محمد ناصري، الحرب والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني – دراسة في انعكاسات الحرب على البنى الاقتصادية والاجتماعية والذهنية (633–962هـ/1235–1554م)، أطروحة دكتوراه (ل.م.د) في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2020م، ص.144.

[6]– مارمول كربخال، إفريقيا، ج.2، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة، 1989م، ص.299.

[7]– العمري، المصدر السابق، ج.4، ص.205.

2-1-4- الجفاف:

يعد الجفاف أكثر الكوارث الطبيعية المهدد للإنسان سواء في مأكله ومسكنه ولباسه أو استقراره بصفة عامة، وقد يطول الجفاف بتلك المنطقة لمدة غير معروفة فهذا أمر مقدر من الله تعالى، فكثير من الأقوام السابقة قد تعرضت لهذه الظاهرة الطبيعية، وهي ليست متوقفة على مدينة معينة فقط أي قد تصيب الأرض بشكل عام، ويذكر أن المغرب الأوسط لحق به جفاف عظيم، وتسبب في خسائر كبيرة للمزارعين وعليه غلاء في الأسعار ونقصها، فَخَلَفَ لنا مجاعات سنة 610هـ/1214م وكذلك في سنة 617هـ/1220م، فأحدثت كسادًا في العمران وهجرة لعدة قبائل من مدينة إلى أخرى[1]، وقيل أيضا إن مدينة بجاية أصابها جفاف عظيم، وراح ضحيتها الكثير من الناس وهجر الباقي للقيروان ومدن أخرى، ومما يروى أن العالم الحرالي (ت637هـ/1240م)[2] أنه كان يتصدق على الفقراء بالماء[3]، فهم فهم كانوا لا يملكون ينابيع ماء وليس لهم المقدرة على بناء مخازن يجمعون فيها الماء، فالجفاف تأثيره قوي جدا نظرا لارتباط عدة أشياء بالماء، فهو يلحق الضرر بالإنسان والعمران والاقتصاد.

2-1-5- الزلازل:

تعد الزلازل من الظواهر الطبيعية الأكثر خراباً للمدن وتهديدا للإنسان، فهو غير قادر على مواجهة هذه الظاهرة ولا يعلم وقتها أبدا، فالكثير من المصادر الجغرافية والتاريخية وصفت لنا الخراب الذي حل بالعديد من المدن، ويذكر لنا عبد الواحد المراكشي الزلزال الذي ضرب المغرب الإسلامي فقال:" وقعت زلزلة عظيمة في بلاد المغرب اهتزت الأرض بها بمن عليها"[4]، ومن خلال قوله يستخلص قوة وعنف الزلازل ومدى الخراب الذي خلفه سواء على الإنسان وتخريباً للعمران، فحتى المغرب الأوسط تعرض لزلزال حسب يحي بن خلدون وهذا يوم 20 ربيع الثاني 766هـ/1368م بمدينة الجزائر[5]، ويمكن الجزم أن أي مدينة إذا أصابها زلزال عنيف فمن الصعب

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص. 288. أنظر: صديقي عبد الجبار، المرجع السابق، ص.138.

[2]- هو علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي، أندلسي الأصل ولد بمراكش ونشأ بها، وتوفي في الشام سنة سبع وثلاثين وستمائة. أنظر: أحمد بابا التنبكتي (ت.963هـ/1036م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم وإشراف: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج.2، ط.1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1398هـ/1989م، ص.318.

[3]- المصدر نفسه، ص.320.

[4]- ابن عذاري، المصدر السابق، ص.402.

[5]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص.149.

أن يبقى عمرانها على حـــاله أو حتى إعادة ترميمه وتجديده فيما بعد، مما يؤدي إلى الهجرة والبحث عن مدينة أخرى آمنة من كل المخاطر.

إن اقتصارنا على أهم الظواهر الطبيعية التي تتسبب في خراب العمران بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ليس غايته الاختيار أو الشائع منها بل جاء وفقًا للتأثيرات التي خلفته ، لهذا فالعمران مرتبط ارتباطاً وثيقاً بما يحدث في هذا الوسط البيئي، لأن سلامة هذا الأخير من تلك الظواهر هو الحياة والصحة والتطور والتمدن بشكل مستمر[1]، وتجدر بنا الإشارة إلى أن أي حادثة قد تطرأ على الوسط الطبيعي تؤثر على حياة الإنسان ونشاطه اليومي من تشييد للعمران وتجارة وزراعة.

2-2- العامل البشري:

يعتبر العامل البشري أحد العوامل المتحكمة في تطور العمران كما قد يكون مخربا له، وتتعدد أساليبه وأسبابه في التطور والخراب، فأما التطور فيقف على من تولي هذه المدينة بصفة حاكم لها، وهو من يأمر بتعميرها وتحصينها ويقيم العدل بين الرعية، وفي هذا الصدد قال أبو حمو موسى الثاني الزياني:" إعلم يا بني أن الملك بناء والعدل أساسه، وإذا قوى الأساس دام البناء، وإن ضعف الأساس إنهار البناء، فلا سلطان إلا بجيش، ولا جيش إلا بمال، ولا مال إلا من جباية، ولا جبايا إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بالعدل، فالعدل أساس"[2]، صراحة أينما قام العدل توسع العمران ودامت الدولة، كما نقل عن المسعودي قوله:" الملك بالجند والجند بالمال، والمال بالخراج، والخراج[3] بالعــمارة، والعمارة بالعدل، والعدل بإصلاح العمال، وإصلاح العمال باستقامة الوزراء، ورأس الكل بافتقاد الملك حال رعياه بنفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ولا تملكه"[4]، وهنا نركز على المــلك والمــال والعدل

---

[1]- محمود الحاج قاسم محمد، المرجع السابق، ص.65.

[2]- أبو حمو موسى الثاني الزياني (723هـ-791هـ/1321م-1389م)، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق وتعليق: محمود بوترعة، دار الشيماء، دار النعمان، برج الكيفان، الجزائر، 2012م، ص.196.

[3]- الخراج: الخَرْجُ والخَرَاجُ، واحد: وهو شيء يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم، وقال الزجاج: الخَرْجُ المصدر؛ والخَرَاجُ: إسم يُخْرجُ، والخَرَاجُ: غلة العبد والأمة، والخَرجُ والخَراج: الإتاوة تؤخذ من أموال الناس، أما الأزهري يقول: والخَرجُ أن يؤدي إليك العبد خراجه أي غلته، والرعية تؤدي الخَرجَ إلى الولاة. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج.2، ص.251.

[4]- عبد المحسن العصيمي، مختصر مقدمة ابن خلدون، ط.3، قرطبة للنشر والتوزيع، 2013م، ص.7.

والعمارة فهذه مرتكزات للتطور، وأساسه ذلك القيمة الأخلاقية وهي العدل، فهذي الخاصية تشمل كل شيء وأساس الأمن والتطور.

لا يـــمكن أن نتصور اختـــيار وبـــناء وتطور مدينة بلا علم، فالمبادئ والشروط التي أقرها العلماء مبنية على دراسات دقيقة وتجارب سابقة، لهذا فتقديم العلماء بمختلف تخصصاتهم في مناصب للدولة هو عامل لتطور المدينة وعمرانها، لهذا فهو شرط لبناء وتنظيم المدينة، لـــهذا يقول ابن القاضي:" لا تستوطن إلا بلدا فيه سلطان حاضر، وطبيب ماهر... وقاض عادل، وعالم عامل"[1]، إن وجود الطبيب والقاضي والعالم في المدينة من الضروريات الحتمية لا يمكن الإستغناء عنها، فلا يمكن أن نتصور بلدة دونهم، ويُعَدُّون دافع لتعمير المدن منذ أن يجتمع الناس على إختيار موقع وتنظيم المدينة، وكذلك على الحاكم الاهتمام بطبقة العمال من الحرفيين والصناع وتوفير الإمكانيات اللازمة لهم[2]، وعلى هذا الأســـاس تعظم المدينة ويتوسع عمرانها، ويزيد ترف وثروة أهلها ويطلب بعد ذلك التنافس وبناء الكماليات والتأنق في الصناعات[3]، هذه بعض عوامل التي يساهم فيها الإنسان من أجل تطوير المدينة وعمرانها.

وحري بنا التطرق إلى العامل البشري وتخريبه للعمران أو المدن بصفة عامة، وتتعدد مظاهر التخريب في عدة نقاط، وسنذكر البعض منها حسب حجم الضرر الذي تخلفه، ومنه سنعطي عدة أمثلة على بلاد المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا، وكيف تم تخريب العديد من المدن التي كانت تشهد حضارة عمرانية متطورة وسريعة، لكن لم يبق من تلك المدن إلا بعض المعالم الأثرية التي مازالت تقاوم الظروف الطبيعية والبشرية، ومن بين عوامل تخريب العمران نجد:

[1]– أحمد ابن القاضي المكناسي، المصدر السابق، ص.42.

[2]– الماوردي، المصدر السابق، ص ص.163– 164.

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق، المقدمة، ص.502.

2-2-1- الحروب:

ومن مُهْلِكَاتْ المدينة وعمرانها الصراعات السياسية والعسكرية داخلياً وخارجياً، وهنا نشير إلى ما يسمى الحروب التي نجمت بين الدول، أو بين قبيلة وأخرى، أو شخص وآخر، فالحرب هي الويل والهلاك سواء القتل أو الجرح، وهي تعدي على الأخر وسلب ما يملكه[1]، ونتائج الحروب كثيرة وتأثيرها مكاني وزماني، فلا عمران باقٍ ولا تجارة رائجة ولا استقرار بشري بتلك المدن التي تتعرض لحروب قوية، ولنا عدة أمثلة عن هذه الحروب سواء ما تعلق بالحضارات القديمة أو الحضارة الإسلامية، وخاصة ما تعلق بالمغرب الإسلامي والذي شهد حروبًا كثيرةً أثرت كثيرا في العمران.

لقد شهد المغرب الإسلامي عدة حروب منذ الفتح الإسلامي إلى ما بعد سقوط آخر دولة مستقلة، وهذا أمر عادي بالنسبة للبربر الذي رفضوا في البداية الوجود الإسلامي، وهذا قول خلد عن الكاهنة في أن العرب يريدون البلاد والذهب والفضة، ونحن إنما نريد المزارع والمراعي، ولا أرى إلا خراب إفريقية حتى يَيْأَسُوُا منها، وهكذا خربت المدن وهدمت الحصون وقطعت الأشجار ونهبت الأموال، ولم يبق من إفريقية إلا الخراب والحجارة هنا وهناك، وقيل أن إفريقية كانت ظلا واحدا وقرى متصلة[2]، وهذا دليل على عظمة العمران أيام الفتوحات الإسلامية، لكن الكاهنة خربت تلك المنشئات العمرانية كي لا يستغلها الفاتحون المسلمون خاصة أيام حربها مع حسان ابن النعمان، صراحة قد لا يقاس هذا التخريب على معظم بلاد المغرب الإسلامي، أي ربما يكون مقتصرًا على بلاد الأوراس التي كانت تتحكم فيها الكاهنة وفقط.

كما أن الصراع الذي قام فيما بعد حول الحدود والحكم بين الدويلات المستقلة، خلف الخراب والقتل فالعديد من مدن المغرب الأوسط لم يسلم منها لا العمران ولا المزروعات ولا الأنعام، ولا حتى عمران البوادي ومنتجاتهم الزراعية[3]، فالخراب مفسدة أو نقمة أو سلوك سيء يمارسه الإنسان حتى مع

---

[1]-المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص ص.163-164. أنظر: أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، المصدر السابق، ص.235.

[2]- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت.733هـ/1333م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، ج.24، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ص.19.

[3]- عبيد بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنيين السابع والتاسع الهجريين (ق.13-15م)، دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي، دار الغرب، وهران، ص ص.158-160.

نفسه، فهو يحب المُلْكْ والسلطة لهذا يستعمل أي شيء من أجل تلك الغاية، لهذا سنحاول التفصيل في هذا العامل السلبي الذي انعكس على العمران بالضعف والتدهور والخـــراب ومنه زوال المدن، ولنا عدة أمثلة في المغرب الأوسط.

إن الحروب والفتن التي قامت في المغرب الإسلامي لم تكن إلا خرابا ودماراً للعمران، فقد أشارت بعض المصادر التاريخية في ثورة أبي يزيد بن مخلد الأنصاري[1] ضد الوجود الفاطمي أنه تم تخريب ثلاثين قرية بإفريقية[2]، مع العلم أن تلك الحروب استعملت فيها جميع الأسلحة مما أدى لتخريب المدن ودمارها وبهذا هُجِرَ سكانها نحو الجبال أو مدن أخرى[3]، ولم تسلم مدينة تيهرت على مر التاريخ من الحروب بداية ومنها أبي عبيد الله الفاطمي أيام زحفه على المغرب الأوسط سنة 296هـ/ 909م، فخرب عمرانها وقتل الكثير من أهلها وطرد الآخرين، ولم يبق من المدينة سوى الأسس وهدمت مكتبتها المشهورة باسم المعصومة وأخذوا كتبها المختلفة[4]، لكن تم تعميرها من جديد في عهدهم واستغلها بنو عبيد كولاية تابعة لهم، وفي عهد الدولة الزيرية خربها بلكين بن زيري وطرد أهلها وأحـــرق ونهب ثرواتها[5]، هذه بعض ما أوردته المصادر حول تخريب مدينة تيهرت التي كانت إحدى أهم وأرقى المدن من شتى النواحي خاصة العمران وهذا حسب ما ذكرته المصادر التاريخية والجغرافية.

---

[1]– أبي يزيد بن مخلد الأنصاري بن سعد الله ابن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن ورميت بن خوبنفر بن سميران المشهور بصاحب الحمار، من قبيلة زناتة، كان يشتغل تاجرا بين السودان وإفريقية. أنظر: ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب(ت.456هـ/1064م)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط.5، دار المعارف، القاهرة، ص.495. أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.18.

[2]– الدرجيني، المصدر السابق، ص.101.

[3]– ابن الأثير، المصدر السابق، ج.6، ص.308.

[4]– حسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج.2، ص. 41. أنظر: سليمان باشا الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مراجعة: محمد علي الصليبي، دار الحكمة، لندن، 2005م، ص.346. أنظر: فطيمة مطهري، مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية (2–3هـ/8–9م)، ماجستير في التاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009–2010م، ص ص. 119–120–121.

[5]– النويري، المصدر السابق، ج.24 ، ص.93. أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.106.

وفي ظل سقوط دولة وظهور أخرى يخلف العمران ويحفظ نسل الناس وأمنهم، وهذا ما يقره ابن خلدون من خلال قوله "... وقد تذهب تلك الدولة المعتدية من أصلها قبل خراب وتجيء الدولة الأخرى فترفعه بجدتها وتجبر النقص الذي كان خفيا فيه فلا يكاد يشعر به إلا أن ذلك في الأقل النادر والمراد من هذا أن حصول النقص في العمران عن الظلم والعدوان أمر واقع لابد منه"[1]، قد تستغل الدويلات الجديدة مواد البناء لمباني المدينة المندثرة أو المخربة لتشييد عمرانها وعمارتها، وقد تقوم على موقعها المخرب، وهذا من أجل استغلال الوقت لنمو عمرانها.

وبعد استقلال الدولة الحمادية بالمغرب الأوسط والولاء للخلافة العباسية بدل الفاطمية، عزم الفاطميون الانتقام منهم من خلال تكليف بني هلال بالقضاء على تلك الدولة مقابل عدة امتيازات سواء كانت أموال أو إعطائهم جزء مما يفتتحونه في المغرب الإسلامي، وهذا ابن خلدون يصف ما فعله بنو هلال في المغرب الأوسط فيقول:"... واستباحت العرب وزناتة خزائن الناصر ومضاربه... ثم لحق بالقلعة فنازلوها وخربوا جنباتها وأحبطوا عروشها، وعاجوا على ما هنالك من الأمصار، ثم طبنة والمسيلة فخربوها وأزعجوا ساكنيها، وعطفوا على المنازل والقرى والضيع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير، وغوروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا في الأرض الفساد، وهدروا ملوك أفريقية والمغرب من صنهاجة وولاة أعمالها في الأمصار، وملكوا عليهم الضواحي يتحيفون جوانبهم ويقعدون لهم بالمرصاد، ويأخذون لهم الإتاوة على التصرف في أوطانهم"[2]، فمن خلال القراءة التاريخية لكتب المصادر نجد أن حجم الخراب الذي مس العمران واسعًا وفظيعًا ولم يسلم منه أحد خاصةً أيام زحف بني هلال على هذا الإقليم.

وفي النصف الأول من القرن السادس برزت نتائج الغزو الهلالي واضحة إذ تخرب عمران المناطق الداخلية واضمحلت أسواقها وسيطر العرب الهلالية على طرقها، ولم يعد الطريق الداخلي الذي يربط بينها يسلك إلا نادرا، فاختفت قلعة بني حماد كمركز تجاري وأصبحت القيروان ممرا

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.356.

[2]– المصدر نفسه، ج.6، ص.27. أنظر: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، مج.1، ص.622. أنظر: عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص.131. أنظر: البشير بوقاعدة، خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ/909 – 547هـ/1152م، ماجستير في تاريخ المشرق والمغرب الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2013/2012م، ص.210.

عابرا[1]، فحتى وإن بقيت تلك المدن سواء في المغرب الأوسط أو الأدنى والأقصى إلا أنها تأثرت بتلك الحروب والفتن على مستوى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والزراعية [2]، كما أن بعض المدن شيدت بأنقاض ومخلفات المدن التي خربت من قبل وهنا نضرب مثالاً عن مدينة بجاية[3]، فهذا الأمر أصبح تقليدًا في تشييد المدن بحيث أصبح المعماري يأخذ ما يستطيع من مواد البناء، وكذلك ما يعجبه من زخرفة عمائرية من تلك المدن المندثرة.

إن سياسة التوسعات التي تبعها المرابطون لم تختلف عن سابقيهم من خلال سيطرة وتخـــريب وقتل من يعارضهم منهجا وسياسة ودينا، وبعد أن دخل يوسف بن تاشفين المغرب الأوسط وسيطر على تلمسان ووهران وتنس وجزائر بني مزغنة وصولا لمدينة أشير التي خربها وطرد أهلها وهذا سنة 495هـــ/1101م[4]، لقد بقي المغرب الأوسط حلقة صراع ومنطقة حرب بين الدويلات المســتقلة والجماعات والقبائل من أجل السيطرة على هذا الإقليم الجغرافي الهام، والذي يحظى بموقع استراتيجي من خلال شريطه الساحلي ومناطقه الداخلية الغنية بالثروات الطبيعية، لهذا تأثر عــمرانه وسكانه من تلك الحروب ونتج عن ذلك القتل والخراب، ومن أجل إحياء ذلك العمران فرضت السلطة المرابطية على السكان ضرائب من أجل تحصين وحماية المدن المرابطية، وقد حدث هذا سنة 519هـــ/1125م[5]، وهذه إحدى السياسات التي كانت تتبع في التعمير والمحافظة على العمران، وتحميل الرعية المسؤولية في البناء والتشييد وكل هذا من أجل الاستمرارية وتطور المدن.

أما عن الموحدين فهم من وحدوا المغرب الإسلامي بأقاليمه الثلاثة (المغرب الأدنى والأوســط والأقصى) بحيث امتد مجالهم الجغرافي من طرابلس شرقا إلى مشارف المحيط الأطلسي

---

[1]– عز الدين أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط.1، دار الشروق، بيروت، 1403هـــ/1983م، ص.308.

[2]– ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، المصدر السابق، ص.37. أنظر: النويري، المصدر السابق، ج.24، ص ص.122–123.انظر: محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة، المرجع السابق، ص.34.

[3]– الإدريسي، المصدر السابق، ص.261.

[4]– ابن خلدون، العبر، ج.7، ص.75. أنظر: محمد علي الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي (فقه التمكين عند الدولة المرابطين)، ج.4، دار البيارق للنشر، عمان ، الأردن، 1998م، ص.192. أنظر: عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص.144. انظر: عبد العزيز شاكي، المرجع السابق، ص ص.113–114.

[5]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج.4، ص.73.

غربا ومن جبال الشارات في الأندلس شمالا إلى ما يعرف اليوم بالسنغال جنوبا[1]، فلولا القتل والتخريب وطرد القبائل وإغراء البعض الأخر لم يكونوا ليحققوا تلك النتائج، فمن بين المدن التي تعرضت لتخريب أيام زحفهم نجد مدينة وهران وهذا سنة 539هـ/1144م، حيث أحرقوا أبوابها وهدموا أسوارها وقتلوا من فيها وطردوا الباقين[2]، فحتى قلعة بني حماد تعرضت للتخريب من قبلهم فأضرموا النار في مساكنها وخربوا أسوارها، وقتلوا من فيها حتى وصل عدد ضحايا ثمانية عشر ألف نسمة[3]، ومما تذكره المراجع التاريخية حول ثورة بن غانية ضد الموحديين التي فاقت خمسة عقود متتالية، بحيث دمرت العمارة وراح ضحيتها الكثير وأضعفت وساهمت في سقوط الدولة الموحدية[4]، ومن بين المدن التي خربت في المغرب الأوسط نجد مدينة الخضراء(عين الدفلى) ومتيجة وسوق حمزة ومرسى الدجاج[5]، وهكذا كان حال الكثير من المدن التي شيدت على مسار الطرق التجارية، والتي كانت أكثر عرضة للتخريب بفعل الطمع في السيطرة على أسواقها وقوافلها التجارية.

ومع سقوط الدولة الموحدية برزت دويلات أخرى على غرار بني مرين بالمغرب الأقصى وبني زيان في المغرب الأوسط وبني حفص بالمغرب الأدنى، فقد برزت صراعات كثيرة وشديدة بينهم حول بسط النفوذ كل واحد على الآخر، ومن بين أشد الصراعات تأثيرا على العمران والمجتمع في المغرب الأوسط هو الصراع الذي قام بين بني مرين وبني زيان، بحيث شهد حصارًا طويلاً لمدة تفوق ثمان سنوات وثلاث أشهر وخمسة أيام، فقد تخللته معارك وتخريب للعمران من قبل بني مرين على مدينة تلمسان[6]، ويذكر الناصري أن السلطان أبي سعيد المريني دخل تلمسان وأحوازها وخرب عمرانها فقال:"...فدخل بلاد بني عبد الواد على هذه التبعية فاكتسح نواحيها...ثم نهض إلى تلمسان فنزل بالملعب من ساحتها وتحصن أبو حمو بالأسوار وغلب السلطان أبو سعيد على معاقلها وسائر

---

[1]– عز الدين عمر أحمد موسى، المرجع السابق، ص.76.

[2]– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.166.

[3]– صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص.40. أنظر: عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص.196.

[4]– عبد الجبار صديقي، المرجع السابق، ص.109.

[5]– نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الحضارة، بئر توتة، الجزائر،2006م ، ص.160.

[6]– نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى 10هـ/16م، أطروحة دكتوراه تاريخ إسلامي، جامعة تلمسان، الجزائر، 1431هـ/2010م، ص.29.

ضواحيها فحطمها حطما ونسفها نسفا "[1]، من خلال هذه المصطلحات التي وردت في هذا القول يستنبط حجم التخريب الواسع الذي مس تلمسان وضواحيها، كما يبين أن بلاد تلمسان كانت حاضرة عمرانية بشكل كبير وهذا لا شك فيه نظرا لموقعها بالنسبة لبلاد المغرب الإسلامي

وهكذا تواصلت الهجمات على مدن المغرب الأوسط مما أثر على عمرانها وتطورها مقارنة بمدن المغربين الأدنى والأقصى، ويضيف ابن خلدون أن السلطان يوسف بن يعقوب في حملته سنة خمس وتسعين وستمائة على المغرب الأوسط خرب العمران وقتل الناس فقال:"..وسار حتى نزل تلمسان فانحجز (فحجز) عثمان وقومه بها، ولاذوا منه بجدرانها، فسار في نواحيها ينسف العمران ويحطم الزرع"[2]، صراحة من البديهي أن يكون المغرب الأوسط محل صراع وحروب، في ظل وجود دولتين المرينية والحفصية شرقا وغربا، واللتان كانتا تتوسعان على إقليم الدولة الزيانية ومنه تظهر نظرية المد والجزر في الحدود تحت عامل القوى والضعف، لكن بحكم ما أوردته المصادر أن معظم حروب بني زيان كانت مع بني مرين.

ومن بين الإحصائيات التي تذكرها بعض المراجع التاريخية أن المغرب الأوسط شهد عدة صراعات خاصة حصار المدن وتخريبها في بعض الأحيان، بحيث تم إحصاء 17 حصار خلال القرن السابع الهجري، وفي القرن الثامن الهجري 38 حصار، وفي القرن التاسع 4 حصارات[3]، لهذا بقي المغرب الأوسط يتخبط في مكانه من الناحية العمرانية وحتى الاقتصادية والاجتماعية وهذا بسبب تلك الحروب والصراعات الداخلية والخارجية، والتي تعد من مفاسد العمران وعامل مهدد للحياة المجتمع.

ولا يمكن أن نغفل ما قد ينجم عن الحروب والحصار من غلاء ونقص في الغذاء ومنها المجاعات[4]، وهذا راجع لعدم دخول المواد الغذائية من خارج المدينة، سواء كانت تبادلات تجارية

---

[1]– أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج.3، ص.105.

[2]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.284.

[3]– محمد ناصري، المرجع السابق، ص.131.

[4]– عرفها أهل اللغة من الفعل جاع يجوع، فهو جائع و جوعان، و الجوع نقيض الشبع، و يعني خلاء البطن من الطعام الطعام جوعا. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج.2، ص ص.431–432. أنظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقوسي، ط.8، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، ص.711.

داخلياً أو خارجيا عن طريق الموانئ مثل ما حدث في ميناء هنين[1]، وبسبب هذه الظروف والتحولات الحاصلة في النظام الغذائي لدى الناس، جنح البعض منهم لأعمال متطرفة كالسرقة والتخريب وغيرها من التصرفات السيئة، وهناك من اعتمد على غذاء غير طبيعي، وهذا بعد استنفاذ كل السبل المتاحة الأخرى بعد استبداد الجوع بهم[2]، وهذا ما حدث عندما تم محاصرة مدينة بجاية سنة 588هـ/1192م، وكذلك سنة 626هـ/1325م من قبل بنوغانية، وراح ضحيته الكثير من الناس وتسبب في تعطيل البناء والتشييد وهدد نشاطها الاقتصادي والحرفي والزراعي[3].

مما ذكره يحي بن خلدون في كتابه بغية الرواد أن من نتائج المجاعة والحصار الذي مس تلمسان بلغ ألف وعشرون ألف شخص بسبب القتل والجوع معا[4]، ويؤكد هذا الكلام السلاوي فقال:" وكانت المدة في ذلك مائة شهر كما قلنا نالهم فيها من الجهد والشدة ما لم ينل من الأمم واضطروا إلى أكل الجيف والقطط والفئران، حتى أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس وخربوا السقوف للوقود وغلت أسعار الأقوات والحبوب وسائر المرافق..."[5]، لهذا من الطبيعي أن تسوء وتتدهور وتخرب المدينة بعمارتها وعمرانها، فأصل العمران هو الإنسان فهو من يطورها أو يخربها بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

إلا أنه على الرغم من توصية أهل العلم بالحذر والحيطة أيام الحرب والحصار، إلا أن هذه الأحداث جرت في عدة مدن من المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط بصفة خاصة، وهذا ابن منكلي يوصى بجملة من الوصايا فقال:"...فالاحتراس من المحاصرة: جمع الطعام والأعلاف والمتاع والحطب وآلة الحرب، وأداة الصناعة، والحديد والصخور، والخشب، وحفر الآبار للماء – إن خافوا

---

[1]-Mahmoud Agha Bouayed: Le port de Hunayn, trait d'union entre le Maghreb central et l'Espagne au Moyen Age, dans:Relacions de la Peninsula Iberica con El Maghreb siglos XII–XVI ; Aatac delcoloqui (Madrid ;17-18 décembre 1987), Madrid, Instituto Hispano- Arabe de cultura, 1988,p.342.

[2]– رشيد عباس، النظام الغذائي بالمغرب الإسلامي من القرن السادس الهجري إلى القرن التاسع الهجري (12م–15م)، أطروحة دكتوراه (ل م د) في التاريخ الإسلامي الوسيط، 2021/2020م، ص.268.

[3]– البشير بوقاعدة، خطة الحصار العسكرية في بلاد المغرب الإسلامي بين القرنين الرابع والثامن الهجريين (10–14م)، دكتوراه علوم في تاريخ المغرب والمشرق الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2017/2016م، ص.457.

[4]– يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص.125.

[5]– أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ص.85.

عوز[1] الماء- أو جمعه أيام الأمطار في الصهاريج"[2]، فالحصار هو المنع والضغط والخـــنق، وهنا يمنع على هذه المدينة ممارسة الحياة اليومية والأنشطة الاقتصادية والعمرانية، مما يخلق سوء في تغذية ونقص فيها، وعلى هذا المنوال تضررت كل النشاطات سواء الاجتماعية أو الاقتصادية أو العمرانية[3].

لا يختلف اثنان بأن الحرب بأشكالها ومشاربها هي السبب الرئيسي في خراب ودمار المدن عبر مختلف العصور، ولم تسلم المدن الإسلامية في المغرب الإسلامي من هذا الفعل أبداً سواء كانت تلك الحروب مع البربر أو الروم أو حتى مع الدويلات الإسلامية فيما بينها، وبمجرد الإطلاع على أوصاف المصادر التاريخية والجغرافية إلا ووجدنا عمرانًا عظيماً خربته تلك الصراعات الدموية والحصار الطويل، ونفي نفس الوقت لا نجد اليوم إلا بعض الآثار المعمارية والعمرانية هنا وهناك، مما صعب علينا دراسة واستنباط تلك القيم الحضارية والخصائص المعمارية لتلك الدول، إذن هذا ما فعلته الحروب بالإنسان والحيوان وجعلت الباحث اليوم يرجع وينظر في العديد من القضايا العلمية، لكن لا ننكر بأن هناك مدن شيدت على أساس الحروب وهنا نقصد مدينة المنصورة.

2-2-2- الظلم:

إن الخراب الذي قد يأتي على العمران جراء ما يفعله الإنسان متعدد ومتشعب بتعدد أدواته، غير أن مبدأه خاصية خلقية سيئة وهي الظلم بتعدد مفاهيمه ومعانيه، لكن نتيجته الخراب والفساد والتهديم وما شابه ذلك، ويورد لنا ابن خلدون عن هذا التأثير قوله:" إن الظلم مخرب للعمران وإن عائدة الخراب في العمران على الدولة بالفساد والانتقاض"[4]، وعلى هذا الأساس صنف الظلم في الدرجة

---

[1]- عوز: العَوَز أن يُعْوِزَك الشيءُ وأنت إليه محتاج، والعَوَزُ، بالفتح العَدَمُ وسوء الحال، والعَوَزُ: ضيق الشيء. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج.5، ص.385. أنظر: أبي الحسن بن زكريا، المصدر السابق، ج.4، ص ص.186-187.

[2]- محمد ابن منكلي الناصري، الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 2000م، ص.379. أنظر: الحسن بن عبد الله العباسي، المصدر السابق، ص.369.

[3]- خالد بلعربي، إضاءات حول تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2018، ص.115. أنظر: محمد ناصري، المرجع السابق، ص ص.123-124.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.355.

الأولى لهلاك الأمم وزوالها وكساد وخراب عمرانها، فالقضية قضية اجتماعية كل يؤثر على الآخر خاصة من له مسؤولية على الآخر مثل الحاكم على الرعية، وخير مثال بعض حكام الدولة الرستمية الذين انشغلوا بالسلطة وملذات الدنيا ومنها ظلموا رعيتهم، مما خلق فجوة بينهم خاصة مع أواخر عهدهم[1]، من المفترض أن هذه الفجوة هي التي جعلت من الرعية تتسبب في الهجرة وتخرب المدينة فيما بعد على أيدي بني عبيد، وهذه طبيعة الإنسان البربري الذي لا يرضى بالظلم.

وإن لنا في القرآن الكريم قصصًا وعِبَرًا يستلهم الإنسان المسلم منها أسباب فساد وخراب الأمم السابقة، وهذا رغم عمرانهما المتين وبنيانهما في الصخور والجبـــال، لكن لم ينفعهم بسبب فســـادهم وظلمهم **فقال الله تعالى:" أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"**[2]، والآية هنا تتحدث عن الذين حرثوا الأرض وزرعوها، وبنَوْا القصور وسكنوها، فلم تنفعهم عِمارتهم ولا طول مدتهم، بعدما ظلموا الرعية وعثوا في الأرض فساداً[3]، وحتى التـــطاول والتعدي على الآخرين ظلم وفساد وخراب **لقول الله تعالى: " قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ"**[4]، وجاء تفسير هذه الآية القرآنية على أن قوم نمرود بنوا بنيان إلى السماء يريدون الاطلاع على الله، فسقط عليهم سقف بنيانهم على رؤوسهم، وقيل عذاب من السماء، لكن رجح تفسيرها أنها سقطت سقوفهم وانهدمت بيوتهم عليهم[5]، وهنا إشارة لتلك البيوت الضخمة والسقوف الثقيلة التي خَرَتْ عليهم.

لا ينفع ولا يبقى مع الظلم شيء فلا قصور ضخمة ولا عروش كثيرة ستبقى مع الظلم **لقول الله تعالى: " فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَـطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ"**[6]، وهنا إشارة لتلك القرية التي أهلكها الله فخرب منازلهم وانهدمت سقوفهم فلم تبق قصورهم المشيدة من

---

[1]– يوسف عبد الكريم جودت، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، 1984م، ص.70.

[2]– سورة الروم، الآية 9.

[3]– الطبري، المصدر السابق، مج.6، ص ص.93–94.

[4]– سورة النحل، الآية 26.

[5]–الطبري، المصدر السابق، مج.4، ص.513.

[6]– سورة الحج، الآية 45.

الصخور والجص ولا بئر شرب[1]، إن العذاب إذا حل بقوم أهلك المدينة بأكملها فتصبح ترابًا كأن لم تكن قصور قد شيدت وزخرفت قبل هذا، فدعوة الله للعباد بعدم الظلم والفساد مع تسخير البنيان لهم في الجبال وتعمير الأرض لقوله تعالى: " **وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**"[2]، فقوم صالح الذين كانوا ينحتون أو ينقبون في الصخر مساكن وبيوتاً، جعلهم آمنين سخاء رخاء وعذبهم بعد ظلمهم وفسادهم فلم تنفعهم القصور ولا المنازل في الجبال[3]، لهذا يوصى بالعدل والمساواة بين الناس حتى تبقى الأمم والمدن في أمن واستقرار.

وإذا كان من المقاصد الشرعية العدل بين العمال، الذين يقومون بخدمة هذه المدينة في مختلف الأعمال من بناء وحرف وصناعات ووظائف مدنية وعسكرية وغيرها، وبمجرد التقليل من شأنهم أو أجورهم يصبحون عاملاً سلبيًا في خراب المدن وعمرانها، وهذا راجع للخدمة التي يقومون بها لهذا يقول الماوردي عن ظلم العمال:" وإن خانوه في ما اجتنبوه من أمواله، وجاروا في ما تقلدوه من أعماله، نقصت مواده، وخربت بلاده، وتغير عليه – لقلة دخله– أعوانه وأجناده وتولد منه ما يكون محل فساد، ويقول بعض العلماء ظلم العمال ظلمة الأعمال"[4]، ومع العدل الذي يلتزم به الحاكم نحو العمال هو الاعتناء بهم معنويا وماديا، ومن الواجب كذلك مراقبتهم والحرص على تأدية الأعمال بطريقة دقيقة ومضبوطة لا مغشوشة ومخدوعة، من خلال تكليف مراقب على هذه الأشغال التي هي أساس المدن وأمنها.

وإذا كان للعمران أسبابه ومقوماته فإن تطوره يحتاج لزمن طويل لكي يؤتي ثماره، غير أن الخراب سببه واحد وإن تشعبت أشكاله، وتعددت أدواته، فالظلم لا يحتاج إلى وقت طويل لكي يؤدي رسالته التي هي الخراب، لأن الخراب يكون بدافع الهدم، والهدم سهل وسريع، وذلك على عكس العمران الذي يأتي نتيجة للبناء، والبناء صعب، ويحتاج إلى وقت كثير وجهد كبير وصبر طويل، إن

---

[1]– الطبري، المصدر السابق، مج.5، ص.327.

[2]– سورة الأعراف، الآية 74.

[3]– الطبري، المصدر السابق، مج.3، ص ص.459–460.

[4]– الماوردي، المصدر السابق، ص.206.

لفظة الظلم بشعة وحصادها أكثر بشاعة، لأنه الخراب[1]، فحتى المنافسة في تشييد العمران تعد سببًا في خرابه بطريقة غير مباشرة، فقد ذكرت المصادر التاريخية أنه لما عزل عقبة بن نافع وتولية أبي المهاجر الدينار شيد مدينة تايكروان لتنافس مدينة القيروان التي شيدها عقبة، غير أنه خربها ونقل سكانها لمدينته، لكن بعد تولية عقبة مرة ثانية أعاد نفس ما فعله أبو المهاجر سواء الإساءة إليه وتهديم مدينته[2]، وتبقى هذه معطيات مصدرية قابلة للنقاش المفتوح، فمن الممكن أن أبي المهاجر أخلى المدينة ولم يخربها، فهذا الفعل بعيد نوعًا ما عنه وعن جميع الفاتحين المسلمين، فالوقت والمكان لا يسمح بهذه الأعمال التخريبية لتلك المدن الإسلامية.

واستخلاصا لما سبق حول العلاقة بين الظلم والعمران فهي علاقة سببية وليست بالعلاقة المباشرة، إنما هي متغير مستقل ومتغير تابع، فالظلم لا ينتج خراب العمران مباشرة، بل يؤذن أو يسمح بخراب العمران، بمعنى هناك دوافع أو متغيرات وسيطة يطلقها الظلم أو يسمح بها؛ ومنها يحل الخراب بالعمران، وهي نتيجة لعملية متدرجة ومركبة[3]، فالظلم وإن كان دافعه نفسيًا ينتج عن عدة أسباب كسبها الإنسان من واقعه المعيشي، لكن نتاجه ومظهره واقعي ومادي يظهر للعيان من خلال عدة أفعال منها تخريب العمران.

2-2-3- العصبية:

وتعد العصبية المذهبية والقبلية إحدى الأسباب المؤدية لخراب المدن، فكثيرا ما سقــطت دول وقتلت ملوك وهدمت منازل وقصور بسبب عصبية الملك أو الحاشية أو الرعية فيما بينهم، وهذا ما حدث ببلاد المشرق والمغرب الإسلامي[4]، وقد تحدث الفقهاء في شروط بناء وتنظيم المدينة عدم جمع أضداد الناس في الشارع أو الحي الواحد، بل من الواجب تفرقتهم وإسكانهم في جهات مختلفة مع مراقبتهم، وهذا الأمر طبقه حماد بن بلكين أيام بنائه للقلعة حين جلب سكان المسيلة وحمزة وأشير وأهل جراوة، وأسكنهم في جهات مختلفة من المدينة، لكن مع ترحيله لتلك الجماعات خرب مدنهم كي

---

[1]- مصطفى الشكعة، الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، ط.3، دار المصرية اللبنانية، 1413هـ/1992م، ص.205.

[2]- النويري، المصدر السابق، مج24، ص.13.

[3]- محمد صفار، « في أن الظلم مؤذن بخراب العمران»، أوراق نماء، مركز نماء للبحوث والدراسات، ص.8.

[4]- الحسين بن عبد الله العباسي، المصدر السابق، ص.322.

لا يعودوا إليها[1]، ويعتبر هذا الفعل عصبية لمدينته التي شيدها، فهو لم يرض بمدن أخرى تكون تنافس القلعة، صراحة لا يمكن أن نصف هذا الفعل إلا بالعصبية، وهو سلوك مبرر مكانياً وزمانياً فكل قائد إذا أراد بناء مدينة لابد له من القضاء على من ينافسه في ذلك، أما نتيجة من ذلك فهو خراب العمارة والعمران.

إن من سياسة الملك في الدولة توفيرَ الأمن والأمان للناس واحترام خصوصياتهم، وتطوير العمران وإنعاشه وترقيــته وتهذيبه وترصيعه بمفاخر المباني[2]، ولا يكون هذا التطور إلا بالأعمال والصنائع والعدل وترك العصبية التي تفرق وتشتت الناس[3]، فقد يبدو للقارئ للوهلة الأولى أن العصبية المذهبية والقبلية ليس لها دخل في تخريب العمران، لكن التدقيق والقراءة في بعض الأحداث الماضية يجد إشارات غير مباشرة تسببت في ذلك، وإن كان المَلِكُ أو السُّلْطَانْ لا يحصل على السلطة إلا بصيغة دينية أو ولاية أو أثر عظيم من الدين، وهنا تظهر قوة الجمع والغِلْظَةَ والولاء لهذا الحاكم[4]، ومنها ما يسمى العصبية المذهبية التي عينته وساعدته في الحكم، لكن في نفس الوقت هي التي تقضي عليه وتزيحه من السلطة، ويتبع ذلك التصرف أعمال مفسدة للدولة والعمران، فمعظم الحروب التي قامت إنما هي من دوافع العصبية سواء كانت مذهبية أو قبلية.

2-3-الركود الاقتصادي:

يرتبط هذا الجانب بشكل مباشر بالإنسان فهو الذي يسير أموره التجارية والاقتصادية، لكن تأثيره ينجم عن عدة أشكال؛ كالغش والإسراف والتبذير والبطالة والسرقة والغلاء، وغيرها من العوامل التي تتسبب في خراب العمران بطريقة غير مباشرة من مجال الركود الاقتصادي، وهذا ابن خلدون يشرح لنا أحد العواملِ المتسببة في ذلك وهو الإسراف، فيقول:" فتعظم نفقات أهــل الحِــضارة وتخرج عن القصد إلى الإسراف...وتذهب مكاسبهم كلها في النفــقات ويتتابعون في الإمــلاق والخاصة، ويغلب عليهم الفقر ويقل المستامون للبضائع فتكسد الأسواق ويفسد حال المدينة وداعية ذلك

---

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص.66،93.

[2]- عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج.3، ص ص.81-82.

[3]- حمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط.6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، أبريل 1994م، ص.148.

[4]- عدة الشيخ، العصبية الدينية دورها في قيام وأفول الدول الإسلامية المرابطية نموذجا، ماجستير في إطار المدرسة الدكتورالية (الدين والمجتمع)، قسم الفلسفة، جامعة وهران، 2012/2011م، ص.41.

كل إفراط الحِضارة والترف، وهذه مفسدات في المدينة على العموم في الأسواق والعمران"[1]، إن طلب الكماليات فوق لزومها دون تمام حاجات المدينة يعد أمرا سلبيًا وإخلالاً في نظـــم التســـيير والتخطيط لبناء المدينة، فلا يمكن بناء منتزهات وحدائق دون تحصين المدينة ومنازلها وقصورها فهذا يعد إسرافًا وتبذير وسوء تخطيط في البناء والتعمير، فقد لا نلقى هذا التأثير واضحاً في المغرب الإسلامي بصفة خاصة، فمن الممكن أن نجده في الأندلس والمشرق الإسلامي.

ومن الآفات التي قد تسود في المدن هي البطالة، وتحدث بسبب الغلاء وكثرة الضرائب وعن الظواهر الطبيعية وغيرها، فتتجر عنها آفات أخرى مثل السرقة والتعدي على أملاك الآخرين، يصبح هذا الإنسان يخرب البيوت ويسرق من أجل كسب المال ولو على حساب أمالك الناس والدولة، بل من الضروري على كل طائفة أن تعكف على شغل من الأشغال أو فن من المصالح العائدِ نفعها عليهم وعلى المدينة[2]، فالبطالة تجر الإنسان لفعل كل شيء دون قيد أو ردع من القانون، لهذا يوصي أهل العلم الحاكم في سياسة ملكه وبناء مدينته بإشغال رعيته في عدة وظائف حتى لا يكونوا عدوا له ويخربوا عمرانه، وعليه الاعتناء بهم وعدم فرض ضرائب أو خراج بقيمة كبيرة عليهم، وقد أشار الطرطوشي لهذه القضية من خلال قوله:" ومثل السلطان إذا حمل على أهل الخراج حتى ضعفوا عن عمارة الأرضيين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع...وإذا ضعف الزَّارِعون عَجَزُوا عن عِمَارَةِ الأرضيين، فَيَتْركونها فَتَخْربُ الأرضُ، ويهرب الزُّراع فَتَضْعُفُ العِمَارةُ "[3]، ولنركز على آخر جملة في هذه القول ويهرب الزراع فتضعف العمارة، بمعنى هناك خلل في شروط تنظيم المدينة الإسلامية وهي عدم وجود اليد العاملة ومنها لا وجود للغذاء بمعنى هناك خراب قادم للعمارة والعمران.

---

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.466.

[2]– الحسين بن عبد الله العباسي، المصدر السابق، ص.322.

[3]– أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي (ت.520هـ/1126م)، سراج الملوك، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، مج.1، ط.1، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1414هـ/1994م، ص.497. أنظر: مراد تجنانت، الأزمات الاقتصادية في الغرب الإسلامي مظاهرها وآثارها أسبابها وطرق معالجتها في القرنين الخامس والسادس الهجريين(11–12م)، دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2016/2015م، ص.72.

إن الهدف من شرط وجود الصناع والحرفيين في المدينة هو استمرارٌ وتطورٌ وحياةُ الإنسان ومنها العمران، فتخيل لو يغيب هذا الشرط في المدن الإسلامية ماذا سيحدث، صراحة لا أتصور بأن يكون هناك عمارة وعمران إطلاقا، وفي حالة وجودهم قد يتعرضون لمضايقات من خلال فرض ضرائب وغرامات عليهم أو حتى منعهم وغلق حوانيتهم ونقلهم لمناطق جديدة، ومنها يجدون فيها غلاء وكراء فاحش بتلك المدن، وهذا الأمر الذي حدث بالقيروان بعدما نقلوا من صنهاجة إلى المنصورية في سنة 405هـ/1014م، وقد لجأ تجار وصناع القيروان لإغلاق حوانيتهم وفنادقهم حتى لم يبق بها إلا بعض حوانيت الأحباس بسبب تلك الأزمة، في حين نجد غلاءًا كبيرًا للحوانيت بالمنصورية، وبسبب هذا الفعل عجل بخراب القيروان[1]، مهما تعددت الأسباب في الجانب الاقتصادي إلا أن خراب العمران هو نتيجة حتمية في الأخير، لهذا فدراسة الأسباب المؤدية إلى هذا توجب علينا سردها بصورة واضحة وفق منهجية علمية.

2-4- مفاسد الأوبئة على العمران:

مما لا شك فيه أن المجاعات كانت مقرونة أحيانا بأوبئة وأمراض فتاكة زادت من تفاقم حدة النزيف البشري بحكم عوامل انتقال العدوى[2]، وتنتقل تلك العدوى عبر الهواء للناس فتصيبهم بالأمراض والأسقام، وفي هذا السياق يورد لنا ابن خلدون سبب وقوع الوباء فيقول:" وقوع الوباء وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبة الفاسدة وإذا فسد الهواء، وهو غذاء الروح الحيواني وملابسه دائما فيسري الفساد...وتمرض الأبدان وتهلك وسبب كثرة العــفن والرطوبة الفاسدة في هذا كله كثرة العمران..."[3]، وعليه يصبح الوباء معطلاً للحياة البشرية ومهددا لهم، وهذا ما ينقله أحد الباحثين على لسان ابن الخطيب السلماني فيقول:"... إذا اتصف الهواء بالصفة الوبائية أفسد الحياة بتعفن الروح الذي في القلب لشدة مخالطته ومجاورته له، وكذلك يضر

[1]- إبن عذاري، المصدر السابق، ج.1، ص.261. أنظر: مراد تجنانت، المرجع السابق، ص.76.

[2]- عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك و ذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق.6هـ-8هـ/12م-14م)، ط.1، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، أغسطس 2008م، ص.24.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.376.

بالنبـــاتات والحيوانات ويضر من يأكلها من الإنسان بظهور الحميات العفنة والجدري والطواعين "[1]، وهنا شرح واضح لخطر الوباء على المجتمع سواء في تهديد حياتهم أو تعطيل حرفهم أو تجارتهم، كما يجعل عمران المدينة راكدًا بفعل انشغال الناس بذلك الوباء.

لقد ذكرت لنا المصادر التاريخية والرحالة الجغرافيون بعض الحواضر التي أصابها الوباء جراء فساد الهواء، وهذا البكري يورد لنا ما أصاب مدينة تنس من وباء فقال: "...فلما دخـــل علـــيهم الربيع اعتلوا وإستوبئوا المـــوضع"[2] وهنا يشير لهجرة الأنـــدلسيين من مدينتهم التي شيدوها جراء ذلك الوباء، و هذا ما أكده القزويني من قوله:"... هواؤها وبي وماؤها ردي، وماؤهم من واد يدور حول المدينة، وإليه مذهب مياه حشوشهم وشربهم، والحمى لا تفارق أهلها في أكثر الأوقات "[3]، إن الوباء الذي ضرب مدينة تنس في الفصول الموسمية قد يكون هدد الاستقرار البشري وقتل الكثير من البشر، إلا أن العنصر البشري لم يتوقف عن الزيادة والمكوث وتعمير المدينة وممارسة التجارة، لهذا بقيت تحتل تنس مكانة هامة في المغرب الأوسط رغم الوباء والمجاعات[4]، فلا يعقل أن نعمم هذا الوباء على مدينة تنس لمدة طويلة، فقد يكون أصابها في مدة قصيرة فقط، لكن بعض المصادر من خلال المبالغة في وصفها ممكن أنها عممت هذا الوباء لمدة أطول.

ومما يشير له الطبيب العربي ابن سينا لفساد الهواء في الفصول والتي تنجم عن أمراض فيقول:"...واعلم أن اختلاف الفصول قد يثير في كل إقليم ضربا من الأمراض ويجب على الطبيب أن يتعرف ذلك في كل إقليم حتى يكون الاحتراز والتقدم بالتدبير مبنيا عليه، وقد يشبه اليوم الواحد أيضا بعض الفصول دون بعض فمن الأيام ما هو شتوي ومنها ما هو صيفي ومنها ما هو خريفي يســـخن ويبرد في يوم واحد... ويجب أن تكون الفصول ترد على واجباتها فيكون الصيف حارا والشتاء باردا، وكذلك كل فصل، فإن انخرق ذلك فكثيرا ما يكون سببا لأمراض رديئة ..."[5]، هذه معلومات أوردها

---

[1]– علا محمود حمود، المرجع السابق، ص.171. أنظر: عادل بديرة، بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط(دراسة للواقع الاقتصادي والاجتماعي و تأثيرها على السلوك والذهنيات من القرن 4 إلى 7هـــ/10–13م، ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018/2017م، ص.132.

[2]– أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.242.

[3]– القزويني، المصدر السابق، ص. 173.

[4]– سمية مزدور، المرجع السابق، ص.24.

[5]– ابن سينا، المصدر السابق، ج.1، ص.117.

الطبيب بدقة حول خطورة فساد الهواء وما ينجم عنه من أمراض وأسقام تهدد حياة البشر واستقرارهم، وبما أن العمران هو الغاية التي يسعى لها الإنسان لهذا يعمل دائما على أخذ بنصائح العلماء وخاصة أهل الطب.

ومن أسباب ضعف الدولة الموحدية انتشار الأمراض والأوبئة، ففي سنة 571هـ/1175م من ذي القعدة انتشر وباء مس المغرب الأوسط وقضى على الكثير من السكان، مما تسبب في تعطيل الزراعة والصناعة والتجارة والعمران، فلم يستطع الناس العمل ولا حتى الحركة بسبب الـوباء[1]، وسبب ذلك التعطيل لمدينة تلمسان فوضى وعدم نظافتها، فقد كانت تعج بالقاذورات وجيف الحيوانات، بالإضافة لطين المطر المجتمع في الشوارع، مع عدم احترام بعض الحرفيين لنظام المدن مثل الخرازون[2]، إن من مقومات المدن الإسلامية نظافتها وتخطيطها العمراني الذي يسير وفق راحة الإنسان من شتى النواحي سواء المأكل أو المشرب أو الصحته الجسدية.

ولا يختلف اثنان أن مفاسد العمران كثيرة والتي تؤثر مباشرة على حياة الإنسان، فالحرب بأنواعها والمجاعات وأسبابها والأوبئة وأضرارها، فكل من الحرب والمجاعة والوباء لهما علاقة تأثيرية فيما بينهما، فبسبب الحرب والحصار ينجم القتل وتخريب العـمران، كما ينجم عن الـحصار نقص في الغذاء مما يـؤدي للمجاعة وبعدها تنجم عدة وفيات، كما تسبب في ظهور الأمراض والأوبئة جراء أكل أشياء غريبة وفاسدة ومقززة سواء أكل الحـيوانات مثل الحمـير والكلاب والقـطط وغـيرها، وحتى أكل لحم الإنسان ولنا أمثلة كثيرة في هذا، وكل هذه الأسباب السلبية تدخل في شؤون العمران بين التطور والخراب.

لقد لخص أحد الباحثين أسباب فساد العمران وفق نظرية ابن خلدون من خلال نقطتين أساسيتين فتتمثل النقطة الأولى في عدوان الحاكم على أموال الناس يذهب بآمالهم في التحصيل والكسب، ومن ثم تنقبض أيديهم عن السعي والعمل والتعمير، وهنا يصبح الحاكم ظالمًا وطاغية على رعيته فيلجأ الناس للهجرة وخلق فوضى إلى أن تصبح حروب في بعض الأحيان، كما تنتشر السرقة وتخريب ممتلكات المدينة ويصبح عمران المدينة في خطر، أما عن النقطة الثانية في أن تطور العمران وازدهاره لا

[1]– الحسين بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002م، ص.52.

[2]– علا محمود حمود، المرجع السابق، ص.172.

يكون إلا بالعمل والسعي والتنافس بين الحكام والرعية، فإذا قعد الناس عن العمل والسعي حدث الاختلال في المدينة أو الدولة والمجتمع على هذا النحو: انعدام المكاسب، يؤدي لكساد العمران، ينتج عنه انتفاض أحوال الناس وفساد المجتمع، فيحصل تشتت في الأفاق، وقلة عدد السكان، وبها تخلو الديار من أهلها، وعليه اختلال حال الدول فيختل المجتمع تبعا لذلك[1]، هذا ما لخص عن أسباب فساد العمران والمجتمع فإذا حدث أي اختلال في تلك النقاط فإن زوال المدينة حتمي إلا إذا تداركها الحكام والرعية، من خلال بعض القوانين والأعمال وإعطاء الحرية للرعية فيما يسمح به الشرع الإسلامي، فالعمران حياة المجتمع فإن لم يحافظوا عليه لن يبقى لهم لا مدينة ولا مقر يحميهم.

3- نماذج للعمران الإسلامي بالمغرب الأوسط:

بمقتضى دراستنا التي تنحصر في إقليم المغرب الأوسط، وما شهده من تطور حضاري وعمراني في العديد من المدن الإسلامية، سنحاول ذكر أهم المدن التي شهدت تطوراً عمرانياً ومعمارياً، مع التركيز على أهم العمائر التي ذكرتها المصادر والباقية إلى حد الساعة، فهذه المدن هي عواصم للدويلات المستقلة ببلاد المغرب الأوسط، والتي اشتهرت بحضارتها وعلومها وعمرانها المنبثق من ثقافتها والمتأثر بحضارات ومدن أخرى، وقد إرتبطت هذه العواصم بمدن أخرى أطلق عليها تسمية مدن الأقاليم، فهذه الأخيرة استمدت العديد من الخصائص والمميزات المعمارية والعمرانية من العديد من المدن على غرار تيهرت وقلعة بن حماد وبجاية وتلمسان وغيرها، لهذا من الواجب علينا التطرق لتلك المدن قبل أن نعرج لموضوع دراستنا، وعليه سنذكرها بالتسلسل التاريخي وهي على النحو التالي:

3-1- مدينة تيهرت (تاهرت):

مدينة بناها عبد الرحمن بن رستم مع نهاية 155هـ/771-772م وبداية عام 156هـ/772-773م، وأصبحت بعدها عاصمة للدولة الرستمية سنة 160هـ/777م[2]، أما أصل تسميتها فقد وردت

---

[1]- مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص ص.207-208.

[2]- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط.7، مكتبة النهضة المصرية القاهرة سنة 1984م، ص207. أنظر: بحاز إبراهيم بكير، المرجع السابق، ص.85. أنظر: عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي من الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، ط.1، دار الثقافية للنشر، القاهرة، 1428هـ/2007م، ص. 324.

عدة أراء بين الباحثين بين من يقول محطة، وهناك من يقول سد الفتحة، لكن الأغلب يرجح أنها كلمة بربرية[1] في حين يقابلها في اللغة العربية تسمية اللبؤة[2]، وهذا لأن معظم مدن المغرب الإسلامي كان يطلق عليهم تسميات بربرية ذات صلة بما يحيط بذاك الموقع سواء إعطائها تسمية حيوانات أو طيور أو غيرها من التسميات، فهذه المدينة هي إحدى مدن المغرب الأوسط، بالرغم من أن مصطلح المغرب الأوسط لم يكن متداولاً في تلك الفترة، لكن من خلال موقع المدينة فهي تقع في مجاله الجغرافي.

وتشير المصادر إلى أن تيهرت كانت بها غياطيل وأشجار كثيفة ملتفة يسكنها العديد من الحيوانات المفترسة على غرار السباع والوحوش، وعندما أرادوا بنائها ناد أحدهم بخروجها منها فخرجت وأحرقت أشجارها وعروقها من أجل تسوية مكان للبناء[3]، كما يشير البكري أنهم لما أرادوا بناء تيهرت كانوا يبنون خلال النهار فإذا جن الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم، فبنوا حينئذ تاهرت السفلى[4]، وهذا يعني على أن الموضع الذي بنيت عليه في البادية غير ملائم لهذا بحثوا عن موضع آخر، بحيث اختاروا مكان آخر على بعد خمسة أميال في الجنوب الغربي لمدينة تاهرت الرومانية القديمة[5].

وعلى صعيد شروط بناء المدينة التي شيدت عليها، فمن ناحية الموقع فهي على جبل سوفجـــج ويقال له جبل جزول، وهو منطقة جبلية منيعة تعيش بها قبائل إباضية على غرار لماية ولواته وهوارة لهذا قصده عبد الرحمن بن رستم[6]، بالإضافة أن المدينة بعيدة عن مركز الخلافة في بغداد وعن مقر الولاية في مصر، مع أنها تتوسط مدن المغرب الإسلامي وطريق عبور القوافل التجارية سواء

---

[1]– Canal (J), «Tiaret monographie ancienne et moderne», bulletin de la société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran, Tome 20, 1900, P.06.

[2]– محمد بن رمضان شاوش، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، ط1، المطبعة العلوية، مستغانم، الجزائر، 1966م، ص.18.

[3]– الشماخي، المصدر السابق، ج.1، ص ص.124–125. أنظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج.1، س.41. أنظر: محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص.95.

[4]– البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية...، ص ص.66–67. أنظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج.1، ص ص.42–43.

[5]– سليمان باشا البروني، المصدر السابق، ص.42.

[6]– عبد الحميد حسين حمودة، المرجع السابق، ص. 323.

للمشرق أو للغرب أو الجنوب وحتى الشمال[1]، إذن فالموقع هنا استراتيجي ساهم في تطور المدينة من كل النواحي.

أما عن المياه المستعذبة فالمنطقة ذات أنهار وعيون كما ذكرها البكري في قوله: " وهي على نهر ياتيها من جهة القبلة يسمى مينه وهو في قبلها ونهر أخر يجري من عيون تسمى تانش"[2]، فالماء هو عنصر ضروري للاستقرار البشري ونماء للعمران، فقد كان الرستميون يخزنون الماء في مخازن أو أحواض خاصة في فصل الصيف الذي كانت تنقطع فيه أمطار الشتاء، وقد أشار لها جورج مـــارسي ولامار ورسموا لها مخططًا في أبحاثهم[3].

وفيما يخص الأراضي الزراعية والكلأ فهي منطقة معروفة بخصوبة التربة وكثرة مراتع الحيوانات سواء في الغابات أو المناطق القريبة من الأنهار والعيون، لهذا تم إختيار هذا الموقع بإحكام ودراسة من قبل العلماء الذين أشاروا على عبد الرحمن بن رستم[4]، فحتى الاستقرار الروماني في هذه المنطقة يعد عاملاً مساعدًا في بناء المدينة، فالواقع أن الكثير من المدن سواء في المغرب أو المشرق شيدت على أنقاض المدن القديمة قريبة من مشارب المياه والأراضي الزراعية.

أما عن الجانب العمراني فعرفت المدينة في بدايتها بالتحفظ والتقشف والتواضع من ناحية البناء، وخير مثال على ذلك الجماعة التي جاءت لعبد الرحمن بن رستم وهو يبني منزله بالطين مع غلامه[5]، لكن مع الوقت تغيرت وشيدت القصور والمنازل والحمامات والبساتين، وهذا بعد اختلاطهم مع القبائل والجماعات التي هاجرت إليهم على مختلف مكانتهم العلمية والحرفية، وعليه زادت مظاهر الترف

---

[1]– محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص.308. أنظر: عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.220.

[2]– البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب...، ص ص.66–67. أنظر :الدرجيني، المصدر السابق، ج.1، ص ص.42–43.

[3]– جلجال فاطمة، موقع تيهرت الأثري (160–296هـ/777–909م) دراسة أثرية، ماجستير في تخصص علم أثار المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، 2013/2012م، ص.26.

[4]– الدرجيني، المصدر السابق، ج.1، ص.41. أنظر: سليمان باشا البروني، المصدر السابق، ص.51.

[5]– الشماخي، المصدر السابق،، ج.1، ص ص.124–125. أنظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج.1، س.41. أنظر: محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص.95.

والتطور في العمران وتوسعت المدينة[1]، وجعلها مقصدا للعديد من الشرائح البشرية، وهذا عامل إيجابي في ظل عدل أئمتها واهتمامهم بالعلم والتعمير.

وبما أن المقصد من اللجوء لهذه المدينة هو ديـــني فقد عمـــلوا على بناء المساجد والمـــدارس، فكان مسجدهم الأول من أربع بلاطات، وقد استعملوا شجر الشعراء[2] في التسقيف وكأعمدة لتدعيم الأسوار[3]، كما تعددت مساجد الأحياء فهذا مسجد القرويين ومسجد الكوفيين ومسجد الأندلسيين، بالإضافة لوجود الكنيسة للنصارى[4]، وسياسة تقسيم المساجد على حسب الجماعات كانت في بعض المرات عفوية ومرات يكون مخطط لها من قبل الحكام والسلاطين، ويرجع ذلك لعدة أسباب منها عدم جمع الأضداد في المدينة.

إن التطور العمراني الذي وصلت إليه تيهرت يعد فريداً من نوعه لعدة أسباب، فالمدينة هي أحد العواصم الكبرى بالمغرب الإسلامي، وهي العاصمة الأولى للدولة الرستمية والمستقلة سياسيا ومذهبيا عن المشرق، فالبيوت والقصور والأسواق والحمامات وقصبة المدينة، جعلها هيكلا معمارياً واحداً يضرب به المثل ويشبه بمدن أخرى على غرار تسمية عراق المغرب أو بلخ المغرب[5]، وفي عهد أفلح أفلح ابن عبد الوهاب شمخ ملكه وازدهرت مدينته وأخذ في بناء القصور واتخذ لها أبوابا من الحديد وشيد الجفان[6] وأطعم فيها في أيام الجفاف وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال والمستغلات وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار والأفاق[7]، وتشير بعض المراجع أن مدينة تاهرت ورثت تأثيرات

---

[1]–الحبيب الجنحاني، المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية و الاجتماعية، مطابع السياسة، عالم المعرفة، الكويت، رجب 1426هـ/2005م، ص.124.

[2]– شجرة الشعراء: شجر الحمض وهو كل شجر مالح أو مر في طعمه وضرب من الخوخ جمعها كواحد، فقول لا شعراء فيه أي لا شجر فيه. أنظر: فطيمة مطهري، المظاهر الحضارية في القيروان وتيهرت إبان القرنين الثاني والثالث الهجريين دراسة مقارنة، دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015/2014م، ص.207.

[3]– البكري، المصدر السابق، ص 68. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.2، ص.9.

[4]– الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص..124.

[5]– الدرجيني، المصدر السابق، ج.1، ص.41. أنظر: سليمان باشا الباروني، المرجع السابق، ص54. أنظر: صاحب الاستبصار، المصدر السابق، ص.178.

[6]– الجفان : مفردها الجَفْنة: معروفة، أعظم ما يكون من القْصاع، والجمع جِفَانْ وجِفَنُ. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج.13، ص.89.

[7]– ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص.52.

الحضارة فالفينيقية والرومانية ثم أخضع الرستميون جميع منتجاتهم للطابع الإسلامي الذي ظـــهر في العـــمارة والزخرفة كما كان لحسن علاقاتهم السياسية والتجارية مع الأمويين بالأندلس، وتبادل إقامة الجاليات بتاهرت وقرطبة أثر كبير في نقل فنون الأندلس وحضارة الأمويين إلى تاهرت[1]، فهذا الانفتاح الذي أنتهجه حكام بني رستم جعلهم مقرًا للفارين من بطش العباسيين خاصة أهل الحرف و أهل العلم.

وقد تعرضت مدينة تيهرت لتخريب من قبل بني عبيد وهذا ســـنة 296هـــ/909م، بحيث قتلوا الكثير منهم وطردوا وشردوا من بقي فيها، إضافة لذلك تم تخريب المكتبة المشهورة بالمدينة وهي المعصومة، وأخذوا ما يحتاجونه وأحرقوا الباقي[2]، في حين بقيت المدينة تتراوح بين سيطرة الدولة الفاطمية وقبائل المغرب الأوسط وحتى الدويلات المستقلة التي جاءت فيما بعد، وجعلت من المدينة تابعة لها نظرا لمكانتها المهمة في المنطقة، في حين أن عـــمرانها بقى يتـــدهور ويخرب مع كل امتداد عسكري بالمنطقة.

3-2- مدينة أشير:

بكسر ثانيه، وياه ساكنة، وراء: مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف إفريقية الغربي مقابل بجاية في البر[3]، ويعود أصل تسميتها لأصل بربري "يشّر" بمعنى المخلب و جمعها مخالب، ويقصد به به السلاح الذي تستخدمه بعض الحيوانات المفترسة لصيد فريستها، وهي كناية عن موقع المدينة الحصين[4]، وقد ذكرها البكري بوصف دقيق فقال: " وهي جليلة حصينة يذكر أنه ليس في تلك الأقطار أحصن منها ولا أبعد متناولا ومراما ولا يوصل إلى شيء منها بقتال إلا من موضع يحميه عشرة رجال"[5]، فالموضع الذي اختاره زيري كان آمنًا ومحصنًا طبيعيا من خلال تلك الجبال التي تحيط به، خاصة جبل تيطري عند الكاف الأخضر الذي شيدت عليه بعلو 1400م عن مستوى البحر، وقد شرع

---

[1]- عثمان عثمان اسماعيل، المرجع السابق، ج.1، ص.238.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج.1، ص.197.

[3]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1، ص ص.202-203.

[4]- موسى هيصام، «أشير المدينة والعاصمة تأثيرها السياسي وإشعاعها الحضاري على ما جاورها»، المجلة المغاربية للمخطوطات، المجلد:06، العدد:01، 2010م، ص.56. أنظر: محمد عياش، « مدينة أشير»، المجلة المغاربية للمخطوطات، المجلد:06، العدد:01، 2010م، ص.36.

[5]- البكري، المصدر السابق، ص.60.

في بناء هذه المدينة سنة 323ه/935م من قبل زيري بن مناد الصنهاجي قائد قبيلة تلكانة إحدى بطون قبيلة صنهاجة[1].

ومن أجل أن تكون المدينة عظيمة جليلة حرص زيري على جلب أهل العلم والحرف والصنائع من العديد من المدن، فقد قصد أهل طبنة وحمزة والمسيلة فجلب الحرفيين والصناع منها خاصة البنائيين والمزخرفين للعمائر، ويذكر أن الخليفة الفاطمي الثاني أبي القاسم القائم بأمر الله أرسل له مهندسا معماريا لا مثيل له في إفريقية[2]، وهذا من أجل أن تكون هذه المدينة حصنا منيعا ومركزا لصد هجمات قبيلة زناتة التي كانت تشكل خطرًا على الفاطميين ومدنها، لهذا تم منح زيري هذه الإقليم الجغرافي لتأسيس المدينة وفي نفس الوقت محاربة زناتة وإبعاد الخطر عنهم، لكن زيري ذهب إلى أبعد من ذلك من خلال بناء أول عاصمة له بالمغرب الأوسط، وهذا نظرا لموقعه الاستراتيجي بهذا الإقليم من خلال أنها نقطة توقف وانطلاق القوافل التجارية في كل اتجاه[3]، على هذا الأساس تبـــنى وتأسس المدن ويتطور عمرانها ويكثر ساكنوها وتكون لها قيمة كبيرة بين المدن الأخرى.

إن مراعاة شروط بناء المدينة الإسلامية في أشير كان متبعًا بدقة من التحصين الطبيعي والمياه المستعذبة التي قال عنها البكري:" وهو في شرقيها الذي ينفذ إلى عين مسعود وساير نواحيها ...وهي مع ذلك بين جبال شامخة محيطة بها دايرة عليها وداخل مدينتها عينان ثرتان لا يبلغ لهما غور ولأدرك قعر أحدهما تعرف بعين سليمان والأخرى بعين تالانتيرغ "[4]، وبمجرد وجود العيون والأنهار تسهل الحياة في المدن ويكثر العمران وبقلته أو انعدامه تنعدم الحياة في تلك المنطقة، ومع العلم أن منطقة التيطري منطقة زراعية بامتياز فهذا ما ساعد زيري على بناء أشير، وجعلها مقصدا للعديد من القبائل وملجأ العلماء وأهل الحرف والصنائع.

وفيما يخص القيمة الحضارية والعمرانية للمدينة فقد عرفت تطورًا كبيرًا وسريعًا، ففي عهد مؤسسها زيري شيد القصور والمنازل والمساجد والحمامات وضرب السكة وعَمَرَ أسواقها[5]، فالبناؤون فالبناؤون والنجارون الذين جلبوا من المدن المجاورة كان لهم الفـــضل في ذلك التطور العـــمراني

---

[1]– النويري، المصدر السابق، ج.24، ص ص.88–89..

[2]– الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص.44.

[3]- Souidi (DJ), « Histoire d'Achir », Cahiers d'Achir, n°1, 1992, P.12.

[4]– البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية...، ص.60.

[5]– النويري، المصدر السابق، ج.24، ص.88.

والحضاري، فجسدوا خبراتهم وحرفهم وصناعتهم في هذه المدينة بعدما اهتم بهم مؤسس المدينة[1]، فالآثار الباقية اليوم من أسوار وغرف وفخار ومسكوكات هي شاهد على تلك الحضارة، فقد أقيمت عدة حفريات في مدينة أشير من قبل العديد من الباحثين الأجانب والجزائريين على غرار بيربروقر(Berbugger) وشباسير(chabassière) والنقيب روديه (Rodet) وجورج مارسي (G. Marçais) وقولفين(Golvin) ورشيد بورويبة والوكالة الوطنية للآثار، واكتشفوا العديد من الآثار المختلفة على غرار موقع كاف لخضر وموقع بنية ومنتزه بنت السلطان والتي نشرت أبحاثها في العديد من المجالات العلمية الوطنية والدولية[2].

ومن بين النتائج التي استخلصها مارسي أن المباني الزيرية شبيهة بمباني بني حماد، ولكنها أكثر رشاقة في خطوطها وشكلها، وكثيرة في زخرفتها[3]، وتجدر الإشارة أنه من شيد مدينة أشير وقلعة بني حماد من حرفيين وصناع الذين ينتسبون لطبنة وحمزة والمسيلة هم من نفس الإقليم وقريبين من هذه المدن، وحتى بعد سقوط أشير هاجروا لقلعة بني حماد، لهذا يوجد شبه كبير في العـــمران في القـــصور والمنازل والحمامات من حيث الهيكل ومواد البناء، وحتى لمسة الفنان الزخرفية والفنية على تلك المنشآت المعمارية واضحة.

---

[1]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص.89. أنظر الإدريسي، المصدر السابق، ص.254. أنظر: النويري، المصدر السابق، ج.24، ص ص.91،89،92. أنظر: عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص.84.

[2]– رشيد بورويبة، « أشير»، مجلة الأصالة، العدد:12، الملتقى السابع للتعرف على الفكري الاسلامي، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، تيزي وزو، 1973م، ص.118–119. أنظر: جليد عقيلة، فخار وخزف مدينة آشير الزيرية " دراسة تنميطية وفنية، ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2010/2009م، ص.27. أنظر: محمد العرباوي، « أشير جزء من تاريخ الجزائر العريق " صيانة وقائية وأعمال ميدانية دائرة عين بوسيف ولاية المدية»، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد:05، العدد:12، ديسمبر 2017م، ص ص.188– 189.

[3]– جورج مارسي، المرجع السابق، ص.217.

3-3- قلعة بني حماد:

تقع قلعة بني حماد على المنحدر الجنوبي لجبل تاقربوست، فقد شيدت على هضبة صغيرة ذات منحدر منتظم[1]، ويمتاز هذا الموقع بمناعته وبإطلالته على بحيرة الحفنة واتصاله بسهول فسيحة، وسموه وعلوه وصعوبة ارتقائه[2]، وقد شرع في بناء هذه المدينة سنة 398هـ/1007م بقيادة حماد بن بلكين، وهذا بعدما إتفق مع المعز على محاربة قبيلة زناتة وصدها عن بني زيري مقابل أن يمنح له المغرب الأوسط، لكن حماد كان مبتغاه واسعًا وهو تأسيس دولة لتكون له عزا وحصنا تضاهي مدينة القيروان[3]، من الطبيعي أن يحلم حماد أو غيره في تشييد مدينة تنافس عواصم كبرى، لهذا فالخدمة التي قدمها حماد للمعز جاءت بثمارها من خلال تشييد مدينته.

وبمقتضى حسن اختيار الموقع فإن حماد بن بلكين وقع خياره على منطقة داخلية بعيدة عن ساحل البحر، وهي منطقة المعاضيد ولاية المسيلة حاليا على هضبة بجبل تاقربوست، وهي محصنة طبيعيا من كل الجهات ما عدا الجنوبية، فهذا الحموي يعطينا وصفا لموقعها فيقول: " مدينة متوسطة بين أكم[4] وأقران[5]، لها قلعة عظيمة على قلة جبل تاقربوست تشبه في التحصين ما يحكى عن قلعة أنطاكية، وهي قاعدة ملك بني حماد بن يوسف الملقب بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي البربري، وهو أول من أحدثها في حدود سنة 370هـ/980م، وهي قرب أشير من أرض المغرب الأدنى، وليس لهذه القلعة منظر ولا رواة حسن إنما اختطها حماد لتحصن والامتناع لكن يحف بها رساتيق ذات غلة وشجر مثمر كالتين والعنب في جبالها وليس بالكثير"[6]، ويظهر من خلال هذا القول أن حماد اختارها من أجل التحصين والامتناع عن الأعداء، لكن في آخر كلام الحموي يقول أن بها أشجارًا مثمرة مثل التين والعنب، ومن الممكن أن الحموي لم يرها بل سمع ونقل وصفه عن الآخرين فقط، على العموم فالمنطقة محصنة وممتنعة طبيعيا، ويشار أن الرومان استقروا بهذه المنطقة، ودليل على

---

[1]- إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م، ص.120.

[2]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص.91-92.

[3]- محمد الطمار، المرجع السابق، ص.88.

[4]- أكم: وهي تَجَمُعُ الشيء وارتفاعه قليلا، قال الخليل: الأكمة تلٌّ من الـقُفِّ، والجمع آكام، وأَكَمُ واستأكم المكانُ. أنظر: أبي الحسن بن زكريا، المصدر السابق، ج.1، ص.125.

[5]- أقران: أقُر: تعني موضعُ. أنظر: أبي الحسن بن زكريا، المصدر السابق، ج.1، ص.121.

[6]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.4، ص.390.

ذلك تلك الحوائط ذات الحجارة الضخمة التي تنتمي إلى السور القديم، بالإضافة لتلك الفسيفساء الجميلة من الرخام وهي تمثل انتصار أمغتريت، عثر عليها الباحث دوبيلي خلال حفرياته سنة 1908م على بعد 700متر جنوب المدينة[1]، ومما تثبته الحفريات هو التواصل الحضاري والعمراني للمدن منذ الفترة القديمة إلى الفترة الإسلامية، بحيث أن الكثير من المدن أسست على أنقاض العمائر الرومانية وغيرها، وهذا لا يعني أنه لا توجد مدن شيدت على أرض بِكْرْ بل هناك الكثير كذلك وعرفت تطورًا عمرانياً فريد من نوعه.

وتجدر الإشارة إلى أن مؤسس هذه المدينة كان أحد القادة الناشطين في المغرب الأوسط، وكان حاكما مكلفًا بتسيير العديد من المدن على غرار مدينة أشير والمسيلة بعدما كلفه بنو زيري بذلك، وبمجرد أن وضع حجر الأساس لمدينته –قلعة بني حماد– حتى نقل لها السكان الذين كانوا يقطنون في تلك المدن، بمختلف توجهاتهم ومكانتهم العلمية والاجتماعية والعملية، وأنزل كل قبيلة شارعاً لتقطن بها داخل المدينة وسميت كل حارة أو شارع أو باب باسم من يقطنها مثل قبيلة جراوة التي جلبها حماد بن بلكين، ونفس العمل طبقه على أهل المسيلة وسوق حمزة وأشير[2].

وجاء على لسان العديد من المصادر أوصاف لهذه المدينة فقال عنها البكري:" وهي قلعة كبيرة ذات منعة تمصرت عند خراب القيروان إنتقل إليها أكثر أهل إفريقية، وهي اليوم مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق ومصر والشام وسائر بلاد المغرب وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة..."[3]، وظاهر من خلال هذا القول أن المدينة عرفت تطورًا حضاريًا وعمرانيًا أيام خراب القيروان ولجوء أهل العلم والحرف والصنائع للقلعة، فكلمة " تمصرت" دليل على التطور والعظمة في شتى المجالات خاصة من الناحية العمرانية.

[1]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص.89–90.

[2]– محمد العروي، المرجع السابق، ص79. أنظر: عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص.94.

[3]– البكري، المصدر السابق، ص. 58.

ويضيف الإدريسي وصفا عن المدينة قائلا:" ومدينة القلعة من أكبر البلاد قطرا وأكثرها خَلقا وأغزرها وأوسعها أموالا وأحسنها قصورا وأعمها فواكه وخصبا... وهي سند جبل سامي العلو صعب الارتفاع وقد استدار سورها بجميع الجبل ويسمى تاقربست وأعلى هذا الجبل متصل ببسيط من الأرض"[1]، هذا الوصف أوضحَ مكانةَ المدينة في مختلف المجالات من الناحية الاجتماعية بكثرة من يسكنها، ومن الناحية التجارية والاقتصادية بكثرة الأموال، ومن الناحية العمرانية من قصورها الكثــيرة والمتميزة بزخرفتها.

أما صاحب الاستبصار فيذكر بعض الخصائص المتعلقة بقدم المدينة وكثرة زروعها وحصانتها وكثرة قصورها فيقول: "... مدينة قلعة بن حماد مدينة عظيمة قديمة أزلية على نظر عظيم كثيرة الزرع وجميع الخيرات وهي في جبل عظيم وهي حصينة منيعة لا تمكن بقتال...ولبني حماد بالقلعة مبان عظيمة وقصور منيعة متقنة البناء عالية السناء منها قصر يسمى بدار البحر وقد وضع في وسطها صهريج عظيم تلعب فيه الزوارق بداخــله ماء كثير من ماء مجــلوب على بعد..."[2]، ولولا عظــمة هذه المــدينة وتأثيرها على المدن الأخرى لما وصفتها المصادر الجغرافية والتاريخية بهذا التفصيل والإطناب.

أما من الناحية العمرانية فقد أجمعت المصادر على مختلف مشاربها وأزمانها أن مدينة بني حماد شهدت تطورا عظيما وجليلا في مجال العمران خاصة، ولم تعرف أي مدينة سبقتها هذا التطور سواء من القصور المشيدة والمنازل والمساجد والزخرفة الفنية المتميزة[3]، فالقلعة فاقت عمرانيا العديد من المدن على غرار مدينة المسيلة عاصمة بني حمدون[4] وأشير العاصمة الزيرية، وهذا راجع لعدة أسباب منها أن حماد خرب تلك المدن ونقل أهل الحرف والصنائع لمدينته، وكذلك ضعف وبداية انهيار مدينة

---

[1]– الشريف الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، صححه ونشره: هنري بيرس، دار الكتب، الجزائر، 1957م، ص.59.

[2]– صاحب الإستبصار، المصدر السابق، ص.330.

[3]– محمد الطمار، المرجع السابق، ص. 156.

[4]– بني حمدون هي إحدى الأسر الأندلسية التي استقرت بمدينة المسيلة بقيادة علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي المعروف بابن الأندلسي، وهو أول من ولى على إقليم الزاب بإفريقية في عهد الفاطميين. أنظر: البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.239. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص.558.

القيروان مما حتم على الناس الهجرة لقلعة بني حماد[1]، كل هذا ساهم في تطور المدينة حضاريا وعمرانيا جعلها تحتل مكانة عظمى في المغرب الأوسط.

لقد أبدع المعماري الحمادي في تشييد العمائر بمختلف أنواعها، فكان أول تركيز يبدأ به هو العمارة الدينية بالقلعة، فنجد المسجد الجامع الذي لم يبق منه إلا قـواعد الأسـوار والدعامات، ويعتبر ثاني أكبر مسجد أثري بالجزائر بعد مسجد المنصورة بمقاس 63.20 م طولا، وعرض 53.20م، أما عن مئذنته فهي أقدم مئذنة بالمغرب الأوسط، ويبلغ طولها دون الجوسق بـ 24.70م ذات قاعدة مربعة بنيت بالحجارة، وما يميز هذه المئذنة تلك الزخارف الحمادية في الجهة الجنوبية، كما نشير إلى أصغر مسجد في العالم الإسلامي في ذلك الوقت بحيث يبلغ طوله 1.80م وعرضه 1.20م، ويتميز بمحراب نصف دائري، وفي وسطه فتحة المحراب توجد كتابتان تحتويان على آيات من القرآن الكريم، ولا يوجد مثيل لزخرفة هذا المصلى في الفن الإسلامي[2]، وتبقى بعض المعالم الدينية في القلعة أو بعض المتاحف شاهدًا على هذه التطور المعماري والعمراني.

ومن بين المنشآت المعمارية التي أبدع فيها القصور وهي كثيرة على غرار قصر المنار، ويقع هذا الأخير في القسم الشمالي للمدينة ويتكون من عدة مرافق من برج وقاعات وصحن واسع، وقد أستعمل الرخام في تبليط أسافل الأسوار وكذلك الصـحن المفـروش بالخزف الأبيـض والأخضر[3]، كما يوجد قصر آخر سمي بقصر البحر نسبة للحوض الذي يقع في قسمه الجنوبي، وهذا القصر هو عبارة عن مجموعة من المباني مثل مبنى الأمير والحريم، كما تحيط بها حدائق محاطة بسور حصين، ويعتبر هذا الأخير أحد المنشآت المعمارية المتطورة التي وصل إليها بنو حماد، إضافة على ذلك هناك قصر السلام وهو على قسمين علوي وسفلي، أما آخر قصر يمكن أن نشير إليه هو قصر الكوكب ويتواجد بين قصر البحر والسلام، ولا يزال هذا المعلم الأثري غامضًا لحد الساعة بحيث لم تكشف

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، « قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ/11م»، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد:05، العدد:01، 2006م، ص.10. أنظر: البشير بوقاعدة، «التخريب الهلالي لقلعة بني حماد مقاربة بين عوامل الازدهار وأسباب التراجع والاندثار»، مجلة حوليات التاريخ والجـغرافيا، المجلد:04، العدد:08، ص.78.

[2]–رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1397هـ/1977م، ص.23.

[3]– المرجع نفسه، ص.254. أنظر: نبيل بوعويرة، طرق حماية المعالم التاريخية من خلال دراسة أثرية لقصر البحر بقلعة بني حماد، ماجستير في الصيانة والترميم، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2008/2007م، ص ص.19–20.

عنه الحفريات الأثرية بعد[1]، وتبقى الدراسات مفتوحة للكشف عن مميزات هذه القصور الحمادية الفريدة من نوعها حسب العديد من المصادر سواء من ناحية الشكل أو الزخرفة.

أما عن التحصين العسكري للمدينة فهي كما قلنا سابقا محصنة طبيعيا، ومع ذلك أحاطوا بالمدينة سورا من الحجارة يتراوح سمكه بين 1.20م و 1.60م، وتتخلله أبراج للمراقبة وممشى للجند، غير أن هذا السور لم يبق منه إلا أجزاء هنا وهناك سواء في الجزء الجنوبي عند منعرج فرج وبعض الأجزاء في الجهة الشرقية، وحتى أن القصور حصنت بأسوار وأبراج للمراقبة مثل برج المنار، كما استعملت مئذنة المسجد الجامع للمراقبة وهذه إحدى وظائف المآذن بعد الأذان[2]، ومما تشير إليه بعض المراجع التاريخية أن السمة الغالبة على قلعة بني حماد هي السمة الحربية والدفاعية[3]، فالملاحظ على العمارة الحمادية أنه يغلب عليه الضخامة في البناء مع تحصين كل بناء معماري بسور ضخم، وهذا ما أُشِيْرَ إليه في القصور والمنازل، فالمنطقة التي شيدت فيها هذه المدينة والأوضاع المضطربة التي حدث في هذا الإقليم أوجبت هذا الاختيار والبناء الضخم.

للعلم فإن قلعة بني حماد مازالت لحد الساعة تحتاج لبحث أثري معمق نظرا للتطور العظيم الذي وصلته المدينة، فأوصاف المصادر الجغرافية والتاريخية أعطت لنا معلومات واسعة سواء ما تعلق بالقصور العظيمة أو المسجد الجامع أو مصلى الحاكم، وكذلك الزخرفة الفنية التي أبدع فيها الفنان الحمادي سواء الزخرفة الجصية أو النباتية أو الكتابية أو غيرها، فالبحوث التي أجريت من قبل الباحثين الفرنسيين والجزائريين حققت نتائج مقبولة لحد كبير، لكن مازال الكثير من البحوث والحفريات التي قد تجرى على المدينة وقد تغير بعض المعطيات.

---

[1]– نبيل بوعويرة، المرجع السابق، ص ص.21–22.

[2]– المرجع نفسه، ص.17.

[3]–عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص.90.

3-4- مدينة بجاية:

بجاية: بالكسر، وتخفيف الجيم، ألف، وياء، وهاء: مدينة على ساحل البحر المتوسط بين إفريقية والمغرب[1]، وعلى خط طول 2 درجة و45 دقيقة شرقا، وعلى دائرة عرض 36 درجة و45 دقيقة شمالا[2]، وقد ذكرتها الكثير من المصادر على أنها قاعدة المغرب الأوسط[3]، فالمدينة شيدت على يد الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين في حدود سنة 457ه[4]، فهو الذي انتقل من القلعة إلى بجاية بعدما بدأ الضعف والاختلاف بين الأمراء والتهديدات الخارجية من قبائل زناتة وبني هلال، لهذا فكر في بناء مدينة جديدة تكون عزا لبني حماد وكذلك ليحقق حلمه في بناء دولة جديدة، وقد اختلفت الكثير من المصادر وبعدها المراجع حول تاريخ بداية بناء المدينة، فالبعض يذكر أنها بنيت مع سنة 457هـ/1065م والبعض الأخر يقول إنها بنيت مع سنة 460هـ/1067م[5].

ومن منطلق الموقع الإستراتيجي الذي بنيت عليه المدينة، فإنها شيدت على جرف حجر يحيط بها البحر من ثلاث جهات، فيرتسم موقعها بتقوس إهليجي عرضه حوالي 28 ميل، يبدأ من الشرق عن رأس العوانة (كافالوا)، وينتهي في الغرب عند الذراع الذي ينحدر من جبل أميسون (جبل قورايا حاليا)[6]، ويتميز هذه الموقع بالجبال المرتفعة وبمنخفضات شديدة الانحدار، مما أعطى لها تحصينا طبيعيا يحميها من الخطر الطبيعي والإنساني[7]، فخيار بناء هذه المدينة على هذا الموقع كان عن دراية بأهمية هذا الموقع على ساحل البحر، وهي تتمتع بمناخ متوسطي معتدل يساعد على الاستقرار والتعمير[8]، إضافة على ذلك فالمدينة تتربع على أرض زراعية شاسعة ومياه عذبة، مما جعلها تزخر بالعديد من الزراعات على غرار الأشجار المثمرة والحبوب وغيرها[9]، فنظرية ابن الربيع في اختيار

---

[1]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.1 ، ص.339.

[2]- محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة، المرجع السابق، ص.15.

[3]- عماد الدين أبي الفداء، المصدر السابق، ص.137. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص.81.

[4]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.1 ، ص.339.

[5]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص.103.

[6]- اسماعيل العربي، عواصم بني زيري ملوك أشير- القلعة- بجاية- غرناطة – المهدية، ط.1، دار الرائد العربي، لبنان، 1984م، ص.49.

[7]- صاحب الاستبصار، المصدر السابق، ص.129. أنظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ص.51.

[8]- اسماعيل العربي، دولة بني حماد...، ص.183.

[9]- محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة، المرجع السابق ص.19.

مواقع بناء المدينة الإسلامية كأفكار طبقت على الواقع في العديد من المدن الإسلامية ومنها مدينة بجاية الساحلية.

تماشيا مع القاعدة التي تبعتها الكثير من المدن الإسلامية بأنها شيدت على مواقع المدن القديمة أو قريبة منها، فبجاية لم تخرج عن هذا المبدأ فهي بنيت على موقع فينيقي يعرف باسم صلدة، وبعدها جاء الرومان واستغل هذا الموقع وأطلق عليه اسم صلداى[1]، لكن مع دخول الفتح الإسلامي لم تذكر المدينة كثيراً، ولم تكن لها أهمية إلا بعدما أسست قلعة بني حماد، بحيث اتخذوها طريقًا ومحطةً للتبادل التجاري بين العديد من المدن خاصة مع وجود الميناء، وكانت بها قرية صغيرة يمارس أهلها التجارة والفلاحة وصيد الأسماك[2]، وللعلم فإن معظم المدن الساحلية كانت عبارةً عن مرافئَ تجاريةٍ فقط، ثم تحولت لمدن كبرى تمارس بها العــديد من النــشاطات، ومع مرور الوقت أصبحت أكثر عظمة من المدن الداخلية[3].

ونظراً للحكمة التي تقول:" إن المدن لا تصلح إلا بحاكم عادل وطبيب ماهر وإمام ملتزم" ، فقد حرص الناصر بن علناس على العدل في رعيته، ونقل لمدينته أهل العلم بمختلف تخصصاتهم الديــنية والدنيوية وكذلك أهل الحرف والصناعات من مختلف المدن سواء من قلعة أو أشير، وشجعهم على التعمير والبناء وممارسة حرفهم وتجارتهم وزراعتهم، كما رفع عليهم الضرائب بغية تطور العمران وازدهار المدينة وتحسن أوضاع الرعية، وابتنى الناصر دارًا للصناعة الخاصة بالسفن والأساطيل التجارية و الحربية[4]، ولا يمكن إنكار دور الحاكم في تثبيت الحكم وتطور العمران لهذا من خلال ما اشتهرت به بجاية من العلوم والفنون والعلماء والعمران إلا دليل على اهتمام وفضل الحكام.

وتجدر الإشارة إلى أن أهم ما وصلت إليه مدينة بجاية من الناحية العمرانية والمعمارية، كان بعد ضعف وخراب قلعة بني حماد، لهذا من الطبيعي انتقال تلك اللمسة الفنــية والعمرانية لبجاية، فهذه

---

[1]– حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.50.

[2]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص.101–102.

[3]– محمد عناوي، النشاط البحري في الأندلس، عصر الإمارة، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، ج.2، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الأدب والعلوم، ظهر المهزار، فاس، 1986–1987، ص ص.452–453.

[4] - Allaoua Amara, La mer et les milieux mystiques d'après la production hagiographique du Maghreb occidental (XIIE-XVE siècle) , R REMMM130 ,2012, P.34.

– أنظر: عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص.103.

المدينة حسب العبدري:" هي مدينة حصينة منيعة شهيرة برية وبحرية سنية سرية، وثيقة البنيان عجيبة الاتقان رفيعة المباني"[1]، وإن كان هذا المصدر الجغرافي متأخرًا عن العصر الحمادي إلا أنه نقل لنا معلومات حول حصانتها مبانيها، فهي تفوقت على العديد من مدن المغرب وخاصة لما أسست كعاصمة حمادية فيما بعد، وعلى المنوال قصدها الناس من مختلف الأمصار بغية الاستقرار وطلب الرزق والأمن[2].

من البديهي أن يكون لمؤسس المدينة دور مهم في مختلف المجالات، فهو يمثل السلطة الذي أعطيت له بالشورى أو القوة أو التكليف، لهذا يسعى لترك بصمته على الواقع حكما وقوة وعمرانيا من خلال البناء والتشييد، وهذا ما ينطبق على الحاكم الحمادي الناصر بن علناس الذي كان مولعا بالبناء والتشييد والتفاخر بالقصور والمساجد والحصون[3]، وحرص على جـلب أهل الحرف والصناع من مختلف المدن وشجعهم على المساهمة في تطوير المدينة كل حسب مهنته وخبرته، جراء هذه السياسة الحكيمة للناصر بن علناس جعلت من المـدينة تتوسع عمـرانيا وتتفنن في زخرفة المـباني والقصور والمساجد[4]، هذه الخصائص العمرانية جعلها بالتأكيد تنافس العديد من المدن الإسلامية سواء في المغرب الأوسط أو المغرب الإسلامي بصفة عامة.

وعلى سبيل المثال نشير لبعض القصور على غرار قصر اللؤلؤة الذي يعد من أعجب قصور الدنيا[5]، وقد بدأ في تشييده الناصر وأكمله إبنه المنصور، وقيل:إنه أثناء بناء هذا المعلم وجدوا خرائب لكنيسة مسيحية قديمة وقد تعود للعصر الروماني، بحيث عثروا على عمودين مصنوعين من الحجر النادر، وقد استعملا في زخرفة هذا القصر، كما شيد المنصور قصرين آخرين وهما قصر أميمون

---

[1]– محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاقة، د.ط، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 1428هـ/2007م، ص.49.

[2]– محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة، المرجع السابق، ص.57.

[3]– المرجع نفسه، ص.44.

[4]– دومنيك فاليرين، بجاية ميناء مغاربي 1067–1510م، ترجمة: علاوة عمارة، د.ط، ج.1، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص.58.

[5]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص.104.

وقصر النجوم[1]، ولم يبق من هذه القصور إلا بعض البقايا من الأسوار، وهذا بسبب الخراب الذي تعرضت له المدينة من عدة أطراف عبر مختلف الأزمنة.

وفيما يخص المسجد الجامع للمدينة فهو يقــع قرب قصر اللؤلؤة، وهو مسجد عظيم يبلغ طوله 114م، وعرضــه 78م، يحــمل سقفه 32 عمــودًا من الرخام، ولهــذا المســجد مــئذنة ترتفع بــ31م، ونلج لهذا المسجد عبر باب كبير تحيط به صفائح من الرخام مزخرفة بكتابات منقوشة بخط فني رائع، ومن المساجد التي بنيت بعد العصر الحمادي نجد مسجد الإمام المهدي ابن تومرت، ومسجد النطاعين (أي صانعي السجادات الجلدية)[2]، غير أنه من الصعب تحديد مواقع المسجد هكذا فلابد من حفريات لمعرفة ذلك مع تصحيح بعض المعلومات المتواترة بين الباحثين.

ولا يفوتنا أن ننوه إلى بعض الصناعات الحرفية الحمادية ببجاية على غرار صناعة المربعات الخزفية، وتعد هذه الصناعات إحدى الفنيات التي تأثر بها بنو حماد جراء اختلاطهم مع الإيــطاليين والإسبان، والذين كانوا يقصدون ميناء بجاية كثيرًا من أجل المبادلات التجارية، لهذا أصبحت مدينة بجاية مركزا لصناعة الشمع والمربعات الخزفية، لهذا كان العديد من التجار يقصدونها لممارسة تجارتهم وتعلم حرفهم[3]، إن هذا التأثير والانفتاح على الآخرين ساهم كثيرا في التطور الحضاري والعمراني لمدينة بجاية، فعظمة القصور والفن الزخرفي والمعماري بقصر اللؤلؤ وأميمون دليلٌ على ذلك.

3-5- مدينة تلمسان:

تِلِمْسان بكسرتين، وسكون الميم، وسين مهملة، وبعضهم يقول تنمسان، بالنون عوض اللام، هي إحدى مدن المغرب الأوسط وعاصمته[4]، فهذه المدينة محصورة بين هضبة لالة سيتي من الجنوب، ومن الشمال سهول المدينة ودائرة سيدي سعيد وشتوان، ومن الشرق مرتفعات قرية العباد، أما من

---

[1]- محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة، المرجع السابق، ص.53.

[2]- محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة، المرجع السابق، ص ص.54، 65.

[3]- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.384.

[4]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.2، ص.44. أنظر : البكري، المصدر السابق، ص.76.

ناحية الغرب فنجد مدينة المنصورة[1]، وقد بنيت المدينة على ارتفاع 830م عن سطح البحر، وتبعد عن البحر المتوسط بـــــ 60 كلم[2]، في حين تقع فلكيا بين 1.28° غرب خطوط الطول، و34,53° شمال دائرة العرض[3].

وحري بنا التطرق إلى ما مرت بها المدينة من أحداث تاريخية ساهمت في بنائها، فحسب الآثار الموجودة بالمنطقة فهي تعود إلى عصر ما قبل التاريخ في ظل وجود العديد من المواقع مثل موقع بحيرة وموقع أوزيدان وموقع المويلح بمغنية وغيرها[4]، أما في الفترة الرومانية فقد ذكرت باسم بوماريا (أجادير)[5]، ودليل على ذلك البقايا الأثرية الموجودة بمسجد أغادير، لكن بعد هذه الفترة القديمة لم يكن للمدينة دور أساسي مقارنة بالمدن الأخرى في ظل بروز المدن الساحلية.

وخلال الفتح الإسلامي لم تذكر كثيرا سوى بعض الإشارات هنا وهناك، والتي تذكر بأن أبي المهاجر دينار وصل للمدينة وعسكر بها وسميت إحدى العيون باسمه[6]، وحسب دراستنا لمسار عقبة بن نافع في الفتح الإسلامي أنه مر بجوار المدينة ولم يستقر بها، فمن الممكن أن المدينة كانت مهجورة ولم تحظ بالاستقرار البشري في فترة الفتوحات الإسلامية، لكن يبقى هذا التنظير مجرد طرح فقط، وحسب ما ذكرته بعض المصادر أن المدينة شيدت من قبل مغراوة، غير أن هذا البناء كان مجرد مدينة صغيرة فقط[7]، في حين نجد أن الأدارسة قد دخلوا هذه المنطقة وشيدوا بها مسجدًا جامعًا يسمى

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص.87. أنظر: محمد الطمار، المرجع السابق، ص.13.أنظر: صبرينة نعيمة دحماني، جرد المعالم التاريخية والمواقع الأثرية لمدينة تلمسان، دراسة تمهيدية لوضع الخريطة الأثرية، دكتوراه علوم في علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015/2014م، ص.8.

[2]– توفيق سحنون، دراسة أثرية للمجموعات الفخارية والخزفية الإسلامية بمتاحف قلعة بن حماد – سطيف– تلمسان، ماجستير في الأثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2008/2007م، ص.21.

[3]– صبرينة نعيمة دحماني، المرجع السابق، ص.8.

[4]– عزيز طارق ساحد، «آثار ما قبل التاريخ وفجره بمنطقة تلمسان، تلمسان بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني»، ج.1، أعمال ملتقى دولي بتلمسان أيام 3-4-5 أكتوبر 2011، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011م، ص.35.

[5]– يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.91.

[6]– علي محمد الصلابي، الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي، ط.1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، الفسطاط، الفسطاط، 1428هـ/2007م، ص.142.

[7]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.298.

مسجد أغادير وكان هذا سنة 174ه[1]، وبعدها دخلها المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين وشيد بها مدينة تاغرارت، وهي تعتبر النواة الأولى لمدينة تلمسان[2]، هذه الأخيرة كانت عاصمة لبني زيان وضموا معها العديد من المدن أيام حكمهم وقوتهم بإقليم المغرب الأوسط[3].

إن مدينة تلمسان لم تخرج عن المألوف في شروط اختيار موقع بناء المدينة، فمن ناحية التحصين كانت محصنة كما ذكرها البكري قائلا:" وهي مدينة مسورة في سفح جبل شجرة الجوز"[4]، وكلمة مسورة هنا تعني أن المدينة يحيط بها سور سواء كان إنشائيًا أو طبيعيًا، فالملاحظ على المدينة أنها محمية من ثلاث جهات بسلاسل جبلية، فمن الشرق نجد جبال بن صميل (بن سماعيل)، ومن الغرب نجد جبال رأس العصفور، ومن الجنوب جبال تنوشفي وجبال لالة ستي، أما من الشمال فهي مفتوحة على سهول من الأراضي[5]، صراحة من يزور مدينة تلمسان يرى بأنها مدينة ذات موقع إستراتيجي ومحصنة طبيعيا من الجهات الثلاثة، وهذا ما جعلها تتميز عن باقي المدن الإسلامية.

ما يلفت الانتباه في هذه المدينة كثرة العيون والأنهار، وفي هذا الصدد يقول عنها الحميري:" وكان لها (تلمسان) ماء مجلوب من عمل الأول من عيون لوريط، بينها وبين المدينة ستة أميال، ولها نهر كبير يسمى سطفسيف[6]... ولها (تلمسان) نهر يأتيها من جبل المسمى الصخرتين ونهر شرقي المدينة وعليه أرحاء كثيرة... وفي الشمال من مدينة تلمسان قرية كبيرة تسمى باب القصر فوقها جبل يسمى جبل الفضل ينبعث من أسفله نهر سطفسيف ويصب في بركة عظيمة من عمل الأول، ويسمع لوقوعه فيها خرير شديد هائل.."[7]، وقد أنجز أهل تلمسان قنوات لنقل المياه من الطوب المرصوص

---

[1]– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص.50،21.

[2]– سيدي محمد نقادي، «التهيئة العمرانية بمدينة تلمسان من المرابطين إلى بداية الإحتلال الفرنسي دراسة ميدانية»، أفكار وأفاق، العدد:03، جامعة الجزائر 2، 2012م، ص.169.

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.292. أنظر: عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص.786.

[4]– البكري، المغرب في ذكرى بلاد إفريقية...، ص.76.

[5]– محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص.13. أنظر: صبرينة نعيمة دحماني، المرجع السابق، ص.10.

[6]– نهر سطفسيف: نهر تلمسان ينبعث من أسفل جبل البغل هناك ويصب في بركة عظيمة من عمل الأول، ويسمع لوقوعه فيها خرير شديد على مسافة، ثم ينشق منه بحكمة مدبرة إلى موضع يسمى المهراز، ثم ينصب في أنهار كثيرة، وبعد ذلك ينحدر إلى البحر. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص. 318.

[7]– الحميري، المصدر السابق، ص.135.

والتي غطيت تحت الأرض لكي لا تخرب من الأعداء ولا تلوث عن قصد أو بدون قصد[1]، فهذا العنصر الحي ساعد الناس على الاستقرار وممارسة نشاطاتهم الفلاحية دون عسف وتعب.

وبخصوص الميرة المستمدة لأهل تلمسان فهي تتوفر على أراض شاسعةٍ وخصبةٍ، وخاصة عندما نتكلم عن الناحية الشمالية الممتدة إلى البحر المتوسط، فهي منتجة لعدة مزروعات من خضر وفواكه وحبوب، فهذا الإقليم معتدل وملائم لاستقرار الإنسان[2]، وقد ذكر حسن الوزان مملكة تلمسان فقال:" ويكون معظم مملكة تلمسان أقاليم جافة قاحلة، لا سيما في جزئها الجنوبي، لكن السهول القريبة من الساحل منتجة جدا نظرا لخصبها والجهة المجاورة لتلمسان كلها سهل"[3]، كل هذا ساهم في تطور المدينة وجعلها مقصدا للتجار والعلماء وقطباً لأهل الحرف والصناع، فكانت بذلك سوقا تجاريا ينافس العديد من المدن في المغرب الإسلامي، بالإضافة إلى أنها كانت طريقًا تجاريًا هامًا يربط بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب[4]، إذن فلا غرابة من تلك الأوصاف المصدرية التي تكلمت عن العديد من المميزات خاصة بتعدد المنتجات الفلاحية وتنوع الصناعات فيها.

ومع هذه الإمكانيات الطبيعية والبشرية وقوتهم وتأثيرهم وتأثرهم السياسي والفكري، جعل من المدينة ذات مركز حساس في إقليم المغرب الأوسط، فهي نقطة ربط بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب، بمعني أنها منطقة عبور القوافل التجارية، فقد توسعت وتطورت أيام بني عبد الواد في عهد الملك أبي تاشفين في شتى المجالات خاصة ما تعلق بالبناء والتشييد، وبلغت درجة كبيرة من الازدهار[5]، وهذا ما يؤكده مارمول كربخال بقوله:" وأخذت تشتهر باستمرار بسبب إقامة ملوك تلمسان تلمسان فيها واتخاذها عاصمة لهم، نظرا لموقعها الحسن في سهل جميل، وقد نظمت ساحتها وأزقتها

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.149. أنظر: مصطفى علوي، تلمسان من خلال كتب الرحالة والجغرافيين المغاربة والأندلسيين من القرن السابع الهجري إلى القرن التاسع الهجري (13-15م)، دكتوراه في تاريخ المغرب الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2015/2014م، ص ص.203-204.

[2]- مختار حساني، المرجع السابق، ج.2، ص.11.

[3]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.10.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.87-88. أنظر: محمد بن ساعو، «العمارة التجارية في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني من خلال مصنفات النوازل والحسبة (07-09هـ/13-15م)»، المجلة المغاربية للمخطوطات، المجلد:11، العدد:01، ص ص.23-24.

[5]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص. 17.

على نسق جميل جدا، ودكاكين صناعتها وتجارتها مرتبة على غرار ما هو بفاس" [1]، إذن فالمدينة عرفت نهضة عمرانية مع حكم بني زيان من خلال تحصينها وبناء المساجد وتجديد البعض منـــها، وبـــناء الحـــمامات والفنادق.

و يبدو أن البكري ذكر لنا مجـــموعة من الخـــصائص لهذه المدينة قبل مجـــيء بني زيان فقال:" وهي مدينة مسورة في سفح جبل شجرة الجوز ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قرة، وفيها للأول أثار قديمة وبها بقية من النصارى إلى وقتنا هذا ولهم بها كنيسة معمورة وأكثر ما يوجد الركاز في تلك الآثار وكان الأول قد جلبوا إليها ماء من عيون تسمى لوريط بينها وبين المدينة ستة أميال وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، ولها أسواق ومساجد ومسجد جامع و أشجار وأنهار عليها الطواحين وهو نهر سطفسيف، وهي دار مملكة زناتة "[2]، وربما يتحدث هنا البكري مدينة أجادير، وتاغرارت التي بناها المرابطون، ومازالت بعض المعالم شاهدة على تلك الفترة.

وفيما يخص العمارة الدينية بهذه المدينة فهي كثيرة جدا، على غرار ما تم تشييده من قبل أن تكون عاصمة، وهنا نقصد مسجد أغادير الذي شيد سنة 174ه، وأما مئذنته فقد شيدت في عهد يغمراسن الزياني[3]، كما نجد المسجد الأعظم الذي شيده يوسف بن تاشفين أيام بنائه للمدينة سنة 473هـــ/1080م، وأكمله ابنه علي بن يوسف سنة 530ه/1135م[4]، وما يميز هذا المسجد تلك التأثيرات الأندلسية التي تظهر في المحراب والقبة التي تسبقه[5]، وهذا دليل على التمازج الفني بين ما هو محلي في المغرب الأوسط، وما هو مستورد من الأندلس والتي تميزت بعمائر فنية نادرة، واستنادا لقول كربخال: " ويوجد عبر المدينة كلها عدد كثير من المساجد الفخمة ذات الموارد الكبيرة، وهي مجهزة بجميع ما يلزم، علاوة على خمس مدارس رئيسية مزخرفة من إنشاء بعض ملوك زناتة " [6]،

---

[1]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.298.

[2]– أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص.76.

[3]– يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.207. أنظر: صالح بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص.85.

[4]– رشيد بورويبة، «جولة عبر مساجد تلمسان»، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر، 1975، ص.172.

[5]-Marçai (G),«Tlemcen ville d’art et d’histoire», publié par les soins de la société historique Algérienne, Tome1, Alger,1936, P.34.

[6]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.298

فحسب الباحثة صبرينة دحماني فإن الوثائق والمخطوطات تشير لوجود ستين مسجدا على الأقل ذات المساحة الكبير والصغير، لكن هي أحصت تسعة وعشرون مسجدا قائما[1]، غير أن المؤرخ أبي القاسم سعد الله يتحدث عن وجود خمسين مسجدًا في آخر العهد العثماني أبرزها جامع سيدي بومدين والجامع الكبير وجامع محمد السنوسي وجامع ابن زكري وجامع أولاد الإمام وجامع المشور[2]، يبدو أن هذا الأخير أحصى جميع المساجد التي بالمدينة سواء التي تعود للفترة الوسيطة أو ما بعدها.

ونشير إلى أن المدينة كانت تحتوي على العديد من المدارس، والتي تعود للفترة الزيانية وكذلك المرينية، غير أنها خربت واندثرت ولم يبق إلا مدرسة العباد أو المدرسة الخلدونية، في حين مدرسة أولاد الإمام و مدرسة سيدي الحلوي والتاشفينية واليعقوبية فقد خربت واندثرت، والبعض منها أعيد بناؤه في هيكل معماري جديد[3]، في نفس الصدد يذكر سعد الله أن الفرنسيين لما دخلوا المدينة وجدوا خمسين مدرسة ابتدائية ومدرستين للتعليم الثانوي والعالي، وهما مدرسة الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام[4]، في الحقيقة أن العدد ليس بالغريب على مدينة مثل تلمسان، فهي كانت مهدًا للعديد من الدويلات الإسلامية، وعرفت تطورًا عمرانيًا كبيرًا.

ولا يفوتنا أن ننوه بتلك القصور والمنازل التي شيدها بنو عبد الواد خاصة عندما نتكلم عن قصر المشور، فقد جلب لهذه المدينة الصناع والحرفيين من الأندلس فقيل عن ذلك:" واستدعى لها الصناع والفعلة من الأندلس لحضارتها وبداوة يومئذ بتلمسان فبعث إليها السلطان أبي الوليد سلطان غرناطة (713 – 725هـــ / 1313 – 1325م) بالمهرة والحذاق من أهل صناعة البناء بالأندلس فاستجادوا لهم القصور والمنازل بما أعيا على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله"[5]، ولا يمكن مقارنة قصر المشور اليوم اليوم بما كان عليه سابقا، بحيث هناك اختلاف كبير وتغير واضح، فلو عدنا للمصادر التاريخية ومقارنتها بالقصور الأندلسية نجد هذه خلا واضحًا في الترميم.

---

[1]– صبرينة نعيمة دحماني، المرجع السابق، ص ص.29، 118.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830م، ج.1، ط.1، دار الغرب الإسلامي، 1998م، ص.250.

[3]– صبرينة نعيمة دحماني، المرجع السابق، ص.184.

[4]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص.274– 275 .

[5]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.297. أنظر : الطاهر بونابي، «الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط الزياني من خلال نص المناقب»، مجلة الناصرية، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد:04، 2013م، ص ص.173–174.

وكما هو معلوم أن المدينة قد بنيت في غرب المغرب الأوسط مع حدود المغرب الأقصى، وعليه فقد تعرضت للتضييق والحصار والتخريب مرارا، خاصة أيام الدولة المرينية بقيادة أبي يعقوب يوسف الذي حاصر المدينة لمدة تفوق ثماني سنوات، أثرت على الناس ونشاطهم التجاري والزراعي والعمراني[1]، لهذا نجد أن العمران بمدينة تلمسان لم يبلغ أوج عطائه، وقد فصلنا سابقا في أسباب خراب العمران وأعطينا تلمسان كمثال على ذلك، ورغم ذلك تبقى بعض الشواهد الأثرية تبرز ذلك التميز والتطور، فلو أعدنا تصور ما قالته المصادر الجغرافية والتاريخية لكان للمدينة نظرة أخرى في مجالها العمراني.

4- خلاصة الفصل:

إن من أهم ما يستخلص في هذا الفصل هو تعدد المفاهيم للعمران والمدينة الإسلامية، إلا أنهم يتفقون على دورها ووظيفتها الاجتماعية التي تجمع الناس وفق نسق تكاملي، وهذا التوافق قد نص عليه القرآن الكريم والسنة النبوية في الدعوة للتعمير والبناء، لكن لابد من تطبيق بعض الضوابط والأحكام بين الناس حتى يدوم العيش في هناء وآمان، ومن أجل دوام ذلك لابد من حسن الاختيار وكذلك التنظيم، وهنا نعني اختيار الموقع لبناء المدينة؛ من خلال الموقع الحصين وتوفر الماء وجودة الهواء والقرب من المراعي وغيرها من الشروط التي وضعها ابن الربيع وأيده فيها الماوردي وابن الأزرق وابن خلدون، بعد تحقق هذه الشروط يتوجب إتباع بعض المبادئ كذلك؛ من خلال تحصين المدينة، وجلب الماء، وبناء مسجد جامع، وخلق الأسواق وتقدير الشوارع والطرقات، وفصل الأضداد بين الناس، هذه بعض المرتكزات التي لابد من إتباعها، وقد تختلف من مفكر إلى أخر في ترتيبها أو تنوعها إلا أنهم يتفقون جميعا في دورها وقيمتها بالنسبة للحاكم والرعية.

وبخصوص أسباب خراب العمران فهو متعدد ومختلف بين الباحثين، فكل واحد منهم يتحدث عن مجموعة من العوامل السلبية سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة، ومع ذلك فهم يحصرونها في بعض النقاط منها؛ الطبيعية (الزلازل – الفيضانات – الحرائق- الجفاف- تلوث الهواء وغيرها)، والبشرية (الظلم- الحرب- العصبية- الجوع- الفقر-السرقة وغيرها) والإقتصادية، وكل هذه الأسباب تؤدي لمجموعة نتائج سلبية تؤثر بدرجة كبيرة على نشاط الإنسان من خلال استقراره وعيشه وحرفته

[1]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص ص. 17-18.

وتجارته وغيرها، ومن أجل الحفاظ على العمران في هيكله وأساسه فلابد يتفاهم الناس فيما بينهم، وأن يرضوا بما سخر لهم وأن يحسنوا الاختيار والبناء[1].

ما يستنتج من عمران عواصم المغرب الأوسط هو الترابط والتأثير المتبادل ما بين تلك المدن، وكذلك الصلة التي تربطهما مع المدن الصغرى أي مدن الأقاليم، سواء التي شيدت على ساحل البحر أو الداخلية، فذكرنا لهذه النقطة إنما يدخل في سياسة التبعية السياسية والتجارية وكذلك المعمارية والعمرانية، فالعواصم (تيهرت– أشير– قلعة بني حماد– تلمسان) معظمها مدن داخلية، لهذا كانت في حاجة لمدن ساحلية من أجل تجارتها، ومع ذلك التنقل فيما بينهما هناك تأثيرات متبادلة سواء ما تعلق بالحرف أو الفنون أو البناء أي هناك تواصل حضاري[2].

[1]– مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر للنشر والتوزيع، 2004م، ص.2.

[2]– لطفي دبيش، التواصل الحضاري في الثقافة العربية والإسلامية، مركز النشر الجامعي، منوبة، 2020م، ص.2. أنظر: عبد الكريم طهير، التواصل الحضاري بين الأندلس وبلاد المغرب على عهدي المرابطين والموحدين (ق5–7هـ/11–13م)، دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016–2017م، ص.10.

الفصل الثالث:

الإطار الجغرافي والتاريخي لمدن أقاليم المغرب الأوسط

أولا: مدينة تنس.

ثانيا: مدينة مرسى الدجاج.

ثالثا: مدينة مستغانم.

رابعا: مدينة هنين.

خامسا: خلاصة الفصل.

تقع المدن المختارة كعينة للدراسة (تنس ومرسى الدجاج ومستغانم وهنين) على ساحل البحر الأبيض المتوسط ولها خصائص وسمات طبيعية تميزهما عن بعضهما البعض، فقد نجد بعض الصفات المتشابهة فيما بينهما، وهي أمور لم تكن مقصودة بل جاءت صدفة لا غير، خاصة أن طبيعة هذا الإقليم الساحلي لا يختلف عن بعضه البعض، فقد كان لهذه المدن دورًا بارزًا في العديد من الأحداث التاريخية، وعليه سنحاول في الفصل إبراز هذه المكانة بالتفصيل بداية مدينة تنس القديمة الإسلامية.

أولا: مدينة تنس:

1- الإطار الجغرافي لمدينة تنس:

تقع مدينة تنس على ساحل البحر المتوسط، وهي مدينة صغيرة بنيت على ارتفاع 60م عن مستوى سطح البحر، أما فلكيا فهي على خط عرض 36,5° شمالا، وعلى خط طول 1,32° شرقا [1]، أما إداريا فهي تابعة لولاية الشلف وتبعد عنـــها شمالا بـــ 50 كلم وعن الجزائر العاصمة غربا بـــ 250 كلم، وعن الطريق الساحلي 193كلم، وعن مستغانم بـــ 161 كلم، ووهران بـــ 261 كلم.

شيدت المدينة الإسلامية على هضبة جبلية تبعد عن البحر بحوالي 2 كلم، يحدها وادي علالة من الجهات الثلاثة (الجهة الشرقية والشمالية والجنوبية) أما من ناحية الغربية فيحدها بعض المساكن والمؤسسات العمومية، لكن من ناحية العامة للمدينة حاليا ككل فيحدها من الشمال بالبحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب جبل قصار، من الشرق سلسلة جبال الظهرة خاصة جبل سيدي مروان (رأس تنس)، أما غربا فنجد جبل سيدي عبد الرحمان[2]، إن هذه السلسة الجبلية التي تحيط بالمدينة من ثلاث جهات ساهم في تحصينها وحمايتها من عدة عوامل طبيعية مثل الرياح القوية القادمة من الجنوب والغرب، كما يحميها من الأعداء القادمين برا بحيث يشكل لهم عائقًا في الصعود والتسلق، بالإضافة أن هذه الجبال تشكل نقاط مراقبة نحو البحر، وعليه تمثل هذه السلسلة الجبلية 82 بالمئة من مساحة مدينة تنس[3].

---

[1]- إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية(3-13هـ/9-19م)، دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2006-2007م، ص.14.

[2]- المرجع نفسه.

[3] - Ammar Benamour et Oussama Benrali , Renouvellement urbain dans la ville de Ténès, Rapport de Projet de Fin d'étude PFE, architecture en Zone Urbaine Littorale, institut d'architecture et d'urbanisme, université saad dahlab blida 01,2016/2017, P.03.

2- الخصائص الطبيعية لمدينة تنس:

يعد سهلها ضيقًا بسبب سفوح الجبال التي تنحصر عند ساحل البحر، كما أنها تتميز بتربة فيضية غنية بالمواد العضوية والمعدنية، فيما يخص مناخ الـــــمدينة فهو يتميز بحرارة كبيرة وجفاف صيفا، وقد يدوم هذا الوضع من أربعة إلى خمسة أشهر، أما شتاءُ فهو ممطر بارد، بحيث تصل نسبة التساقط 87 ملم خلال شهر نوفمبر، و100 ملم شهر ديسمبر، وجانفي 71 ملم، وكثيرًا ما تصب الثلوج على مرتفعات المدينة أما في فصل الخريف والربيع فهي معتدلة المناخ بفعل مناخ السائد في البحر المتوسط[1]،

أما نسبة الرطوبة فهي تتراوح ما بين 70 و90 بالمئة، وفيما يخص درجة الحرارة فهي تتراوح ما بين 32 و 40° درجة صيفا، وقد تبلغ ذروتها خلال شهري جويلية وأوت، وفي الشتاء تكون درجة الحرارة ما بين 8 و14° درجة، غير أن الرياح ليست بالقوية ولا الشديدة خاصة القادمة من الجهة الجنوبية والغربية، بحيث أن تلك الجبال هي التي تكسر تياراتها، في حين الشمالية قد تكون عنيفة في ظل أن المجال مفتوح عنها[2].

إن مورد الماء بالمدينة يرتكز على وادي علالة الذي يحيط بالمدينة من نواحيها الثلاثة الشرقية والجنوبية والشمالية، ورغم أن بعض المصادر ذكرت أن شربهم كان من الوادي مثل البكري[3] وصاحب الإستبصار[4]، غير أن عبد المنعم الحميري يذكر أنهم كانوا يشربون من عين[5]، لكن أن يشرب أهلها من وادي علالة وهو مفتوح على الحيوانات والجراثيم والأمراض وغيرها فهذا أمر غير مقبول، ورغم أنه ينبع من سلسلة جبال باخ، ليتلقي بعدها عند جبال بيسة، وبعدها يصب بتنس[6]، وقد أشار أحد الباحثين لوجود أودية أخرى مثل واد شعارير، ووادي بومزود، ووادي بوفسوسة[7].

---

[1]- عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر (الطبيعية، البشرية، الاقتصادية)، ط.2، مطبعة الإنشاء، سوريا، 1968م، ص.53.

[2] - Ammar Benamour et Oussama Benrali, Op.Cit. P.03-04

[3]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.242.

[4]- صاحب الاستبصار، المصدر السابق، ص.133.

[5]- الحميري، المصدر السابق، ص.138.

[6] - BRIVES(A), Matériaux Carte Géologique de L'Algérie, Les terrains Miocènes du bassin du Chélif et du Dahra, imprimerie P. Fontana - & C, Rue d'Orléans, Alger, 1897, P.13

[7] - Ammar Benamour et Oussama Benrali, Op.Cit, P.04

أما الغطاء النباتي فهو يرتكز على منحدرات تلك الجبال وتتعدد أنواعه بين الحشائش والأشجار مثل الفلين والصنوبر وغيرها ويعتبر هذا الجزء مرعى للبهائم وموردًا خشبيًا من أجل البناء وصناعة بعض الأدوات، في حين نجد أن الأراضي الزراعية ترتكز على الضفاف الوادي، وتتعدد المزروعات بين القمح وأشجار الفواكه والخضر وغيرها[1]، هذه بعض المميزات الطبيعية التي تنفرد بها تنس، رغم أن البيئة الطبيعية للمدينة تغيرت، وكذلك في ظل غياب الدراسات المتعلقة بالجيولوجية والبيئة.

وبحكم أننا نتكلم عن الخصائص الطبيعية لهذه المدينة حاولنا استقراء واستخلاص بعض المعارف من المصادر التاريخية والجغرافية مقارنة بما هي عليه المدينة اليوم وما يميزها، وخرجنا بعض النقاط وهي:

2-1- الموقع:

لا يختلف اثنان بأن موقع المدينة هام وإستراتيجي ببلاد المغرب الأوسط بصفة خاصة، فهي تتوسط هذه البلاد وقريبة من عواصم المدن، فلو أردنا أن نتحدث عن قربها من عاصمة الرستميين تيهرت؛ لوجدنا أنها أقرب الأماكن إليها بحيث كانت طريقًا رابطًا بينهما خاصة في مجال المبادلات التجارية، فالبكري يصف لنا هذا طريق بقوله:" ومن أراد الطريق من تنس إلى تيهرت، فمن تنس إلى الغزة، على ما تقدم، إلى تاجموت على مضيق مكناسة، إلى عين الصبحي: عين كبيرة في سند جبل لمطماطة إلى تاغريبت، إلى مدينة تيهرت" [2]، ومن المؤكد أن هذه المعاملات التجارية تحمل في طياتها الكثير من التأثير الحرفي والمعماري، خاصة أن تيهرت معروفة بأنها عظيمة في بلاد المغرب الإسلامي بعمرانها وعمارتها وحرفها وعلمها وغير ذلك من الفنون والمميزات الحضارية.

يعد موقعها همزة وصل بين العديد من المدن سواء الداخلية أو الساحلية، فقد كان لها طريق يربطها مع مدينة أشير العاصمة الزيرية؛ وفي هذا الصدد يصفه لنا البكري قائلا:" وإن أردت طريق الساحل من تنس إلى أشير زيري، فمن تنس إلى بني جليداش...ومنها إلى مدينة شلف بني واطيل لزواغة، ومنها إلى بني زاريفن لمطغرة على نهر شلف...إلى مدينة

[1]- إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...، ص.14.

[2]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص. 258.

مليانة...ومنها إلى أشير"[1]، رغم أن هذا الطريق يمر بالعديد من المدن الصغرى إلا أنه هام بالنسبة لتنس وأشير، فالغاية ليست تجارية فقط بل تمتد للعديد من الجوانب، فمعرفة مسار هذه الطرق والمسالك توحي لنا كيفية انتقال التأثيرات المعمارية والفنية لتنس مثلا، خاصة عندما نجد علاقة تجارية وثيقة وكبيرة بين العواصم ومدن الأقاليم في بلاد المغرب الأوسط[2]، وعليه فموقع تنس الاستراتيجي استغلته العديد من العواصم في تجارتها وجعلت منه معبرًا للعديد من النشاطات الحرفية والفنية (الخريطة رقم: 07).

نظرا لأهمية الموقع وارتباطه بالميناء والطرق التجارية فقد ساهمت هذه العوامل في نشأة وتشييد العديد من المدن وتطورها[3]، وهذا الأمر ينطبق على تنس التي شيدها الأندلسيون، فهم وجدوا أن الموقع ملائم للاستقرار فكان هذا محفزًا لهم، لهذا أردنا من خلال هذه الأسطر الإشارة للموقع بالنسبة للعواصم والمدن الكبرى، فالمسالك والطرق هي التي تبين أهمية الموقع وتعطينا الدور الحضاري والعمراني لهذه الحاضرة، ومما نُقِلَ عن ناصر الدين سعيدوني:" إن الهدف من دراسة الطرق هو إبراز دورها الحضاري الذي طالما حاول بعض الكتاب الفرنسيين طمسه وتشويهه بالترويج لفكرة مفادها أن الفترة الإسلامية ارتبطت خاصة بتقهقر العمران وانعدام الأمن وكثرة الثورات "[4]، فهذا الجانب صراحة هام ولا يمكن الاستغناء عنه في دراسة العمارة والعمران.

2-2- الموضع:

الموضع هو ذلك المكان أو الأرضية التي شيدت عليه المدينة، وما يلحقها من خصائص ومميزات سواء التضاريس وعنصر الماء والغطاء النباتي وغيرها، فلو عَمِلْنَا على استقراء المصادر ومواضع المدن الإسلامية لوجدنا أن المسلمين حريصين على تحقيق هذا الشرط، والغاية من هذا تأمين مدنهم من كل الأخطار سواء الطبيعية أو البشرية، فقد راعى عمرو بن

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ص.251.

[2]- عزالدين بويحياوي، «تأثير الطرق في إنشاء مدن المغرب الأوسط»، مجلة الخلدونية، المجلد:06، العدد:01، ص.23.

[3]- عزالدين بويحياوي، المرجع السابق، ص ص.23- 24.

[4]- المرجع نفسه، ص.25.

العاص في اختيار موضع الفسطاط أن يجعلها في مأمن من هجمات العدو، كما حرص على اختيار المكان الذي تتوفر فيه مواد البناء مثل الحجارة، وارتفاع الموضع الذي بنيت عليه فوق مستوى فيضان الوادي، وأن تكون قريبة من الأراضي الزراعية والطرق التجارية[1]، وأي خلل في هذه الشروط والضروريات قد لا تشيد المدينة، وحتى وإن بنيت فلا تدوم وتكون دائما مهددة بسبب ذلك النقص.

هذا وقد ذكرنا سابقا بأن المدينة شيدت على هضبة جبلية تبعد عن البحر بحوالي 2 كلم، وترتفع عنه 80 م، ما يلفت الانتباه أن المدينة لها موضع متميز جدا، فقليلاً ما نجد مدناً بهذا الشكل في مواضع ساحلية على البحر المتوسط، هذا الاختيار لم يكن صدفة أبدا بل هو تخطيط مسبق من قبل الجماعة التي شيدتها(الصورة رقم:01)، فالشروط التي أَقَرَهَا ابن الربيع وغيره حول اختيار وتنظيم المدينة الإسلامية متوفرة بدرجة كبـــيرة بتنس، ويمكن أن نحددها على النحو التالي:

تعتبر المياه العذبة من اهتمام الحكام والقادة في بناء المدن، وعليه فكانت تنس تحظى بوجود واد علالة الذي يحيط بها من ثلاث جهات في شكل حلقة، وحسب ما قالته المصادر أن أهل المدينة كانوا يشربون منه من خلال اختيار مكان مرتفع لأن الماء الجاري صحي[2]، كما تم الإشارة لوجود عين عبد السلام التي تعتبر من أعذب المياه، لكن لا نجد لها دليل اليوم في ظل التغيرات الجيولوجية، ولم تكن محددة بضبط من قبل المصادر وحتى المراجع التاريخية والأثرية (الصورتين رقم: 02-03).

أما الميرة المستمدة فهي المبدأ الذي شيدت عليه تنس من خلال أنها منطقة التقاء للطرق التجارية القادمة من المدن الداخلية وحتى الخارجية من الأندلس أو المشرق الإسلامي، وهي تقصد مينائها من أجل المبادلات التجارية[3]، كل هذه العوامل ساهمت في تعمير المدينة وتطور

---

[1]– محمد المعتصم، «المدينة الإسلامية وخصائصها»، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد: 02، مكتبة البنين، قسم الدوريات، جامعة قطر، دولة قطر، 1400هـــ/1980م، ص.229.

[2]– الإدريسي، المصدر السابق، ص.251.

[3]– البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.247. أنظر: فاطمة مطهري، المرجع السابق، ص.151.

عمرانها عبر فترات زمنية مختلفة، فمن يزور المدينة يدرك قيمتها من حيت موضعها وموقعها في بلاد المغرب الإسلامي والأوسط بصفة خاصة.

وفيما يخص اعتدال المكان وجودة الهواء فهي إحدى النقاط التي ركز عليها من شيد تنس، فوقوعها على ساحل البحر الأبيض المتوسط يبين أن مناخها معتدل، غير أننا نجد بعض الأوصاف انتقدت ذلك العامل، ومن خلال زيارة لهذه المدينة يمكن القول إن مناخها اليوم فيه بعض الأمور السلبية والإيجابية، فمن الناحية السلبية كثرة الحشرات الضارة بها جراء رمي النفايات والقاذورات بوادي علالة، والتي تنبعث منه روائح كريهة وضارة للناس، لكن لا نظن حالة هذا الواد تنطبق عليه في الماضي، ومن الناحية الإيجابية وجود غطاء نباتي كثيف ينبعث منه الأوكسجين، ومن الممكن أن هذه نقطة ساعدت على التأقلم بتنس.

القرب من المراعي والاحتطاب: هذه النقطة أشارت لها المصادر في العديد من العبارات من خلال قربها من الماء ووجود بعض الأشجار من الكروم الصفرجل وغيرها، (الصورتين رقم: 04–05)، كما نجد أراضي صالحة للزراعة على طرفي وادي علالة، فمن المؤكد وجود العديد من الزراعات والمنتجات.

وإذا تكلمنا عن تحصين المنازل من الأعداء فهي بصفة عامة محصنة على ثلاثة أشكال؛ أولا من تلك السلسلة الجبلية التي تحيط بها من ثلاث جهات (الشرقية والجنوبية والغربية)(الصورتين رقم:04–05)، وهي مفتوحة عن الشمال(الصورة رقم: 06)، لكن من الصعب الوصول إليها لأنها مبنية على هضبة مرتفعة، ومن الناحية الثانية فهي محصنة بوادي يحيط بها من الجهات الثلاثة (الشمالية والشرقية والجنوبية)، ويمكن أن نسمي هذا التحصين بالخندق الطبيعي، أما التحصين الثالث هو ذلك السور الذي يحيط بالمدينة ويحميها من الأعداء.

أن يحيط بها سواد يعين أهلها: وإن القصد هنا هي القرى والقبائل والأرباض التي يجب أن تحيط بالمدينة، وأن تقدم لها المدد أيام الحرب أو أفات أخرى[1]، لا يمكن أن نحدد هذا

[1]– محمد موشموش، «مدينة أشير عاصمة الإمارة الزيرية بالمغرب الأوسط 324 هـ/935م»، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد:06، العدد:01، 2022م، ص.217.

الجانب إلا من خلال الأبحاث الأثرية والكشف إن كان هناك عمائر أو مخلفات أثرية بجانب هذه المدينة، وهذا رغم أن المصادر التاريخية التي تحدثت عن مدينتين في تنس، وكذلك بعض القبائل التي قصدت المدينة سواء سوق إبراهيم أو قبيلة مغراوة التي كانت تسيطر على العديد من الأقاليم، ومن خلال الزيارة الميدانية التي قمنا بها كانت لنا فرضيات بوجود عمائر في الجهة الشمالية لوادي علالة أي على طرفيه، فالكثير من العمران نجده على حواف الوديان بشكل طولي حسب هذا المجرى المائي[1]، ونفس الأمر قد ينطبق على مدينة تنس الإسلامية لعدة اعتبارات.

2-4- مساحة المدينة:

يجب التأكيد هنا أن تنس شيدت على هضبة غير منتظمة ذات موضع صعب البناء، لهذا من الطبيعي أن تأخذ شكلاً غير منتظم، خاصة أن السور الذي تم تحصن به تبع حافة هذه الهضبة دون مراعاة استقامته وشكله العام، حيث يقدر طول سورها بـــ420م، والعرض بـــ2,60م[2]، وقد قدرت مساحتها بـــ12 هكتار، فالصور الجوية والمخطـــطات تبين شكـــــلها (الشكل رقم:01).

3- الإطار التاريخي للمدينة:

3-1- أصل التسمية:

أما عن أصل تسمية مدينة تنس فيشير محمد الصغير غانم أنها مشتقة من الاسم الفينيقي كارتينا (CARTENNA) وهو اسم فينيقي ليبي الأصل يتكون من شطرين "كارت" وتعني المدينة أما "تينا" فلفظ ليبي، هذا الأخير أشتق منه اسم تنس[3]، في حين يرى أحد الباحثين المستشرقين أن المدينة وردت في رحلة سيلاكس تحت إسم شلكا (chalca)[4]، ويشير آخر أنها مشكلة من مقطعين (Carthtennas)،أما المقطع الأول(Carth) وتعني مدينة في اللغة

---

[1]- عبد الفتاح محمد وهيبة، في جغرافية العمران، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1980م، ص.75.

[2]- إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...، ص.103.

[3]- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر،ط.1، دار الهدى، عين مليلة، 2003م، ص.140.

[4] - Gesell (S), Histoire ancienne de l'Afrique du Nord éd Hachette, Paris, 1913-1928, P.152.

القرطاجية، في حين المقطع الثاني(Tennas) وهي كلمة بربرية مجهولة المعنى حسبه[1]، وعلى العموم فالمدينة ذات أصل فينيقي بعد أن أسسوا فيها منطقة تجارية وبعدها استغلها الرومان والبيزنطيون وبعدها جاء المسلمون وأطلقوا عليها اسم مدينة تنس.

3-2- أهم المراحل التاريخية للمدينة:

3-2-1- فترة ما قبل التاريخ:

عرف إقليم هذه المدينة استقرار بشريا منذ العصور الحجرية لما قبل التاريخ، فالبحوث التي أجريت على هذه البقعة الجغرافية دليل على ذلك، فقد عثر على العديد من الأدوات الحجرية المختلفة سواء التي استعملت في الصيد أو الحفر أو حتى الأكل، كما وجدت عدة مغارات وكهوف استأمن فيها الإنسان من الأخطار الطبيعية والحيوانية[2]، وتشير إحدى الدراسات الأجنبية أن تلك المواقع التي تم العثور عليها؛ يعود البعض منها للحضارة العاترية والمؤرخة بين 30000 و16000 سنة ق.م، والبعض الآخر يعود للحضارة الإيبرو مغربية والمؤرخة بين 13000 و8000 سنة ق.م[3]، ورغم أن هذه المعطيات بعيدة قليلا عن المدينة الإسلامية إلا أن مجالها الإقليمي يرتبط بها نوعًا ما.

3-2-2- الفترة القديمة:

لقد تعاقب على هذه المدينة عدة شعوب في الفترة القديمة، فكان أول تواجد بها للفينيقيين الذين شيدوا عدة محطات تجارية على سواحل البحر الأبيض المتوسط[4]، واستقروا بها وجعلوها محطة تجارية تحت اسم كرتينة، وقد أرجع العديد من الباحثين القبور المحفورة في الصخر للعنصر الفينيقي[5]، أما عن التواجد الروماني في المدينة فتذكر الأبحاث التاريخية أنها

---

[1] - Berbrugger (A), «Antiquités de cercle de Ténès» , in Revue Africaine, N°2, Année 1857,1858, office des publications, Alger,1986,P.99.

[2] - Lorcin (J), «Les Stations préhistoriques du Cap Ténès», in Revue Libyca, 1961-1962, Pp.13-56.

[3]-Camps (G), «Chronologie absolue et succession des civilisations préhistoriques dans le Nord de L'Afrique», in Revue libyca, N° 21, 2968, Pp. 9-28.

[4]-André (J),« Histoire de l'Afrique du Nord Tunisie – Algérie- Maroc», T2 ,Payot, Paris, 1972, P.80.

[5]– هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة، أبو العيد دودو، ج.1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص.211.

كانت في عهد الإمبراطور أغسطس[1] الذي جعلها مستوطنة عسكرية له[2]، وفيما يخص الناحية العمرانية فقد وسعوا الميناء من أجل التبادل التجاري[3]، وعلى سبيل الذكر فإن الزائر للمتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر يجد لوحتين من الفسيفساء تعود للعصر الروماني وجدت بمدينة تنس.

أما عن دخول الوندال لهذه المدينة فكان سنة 428م[4]، فخربوا العديد من المعالم الرومانية وطردوا البربر للجبال وأعادوا بناء المدينة وفق مخططهم العمراني، وجعلوا من المخلفات المعمارية للحضارات السابقة أساسًا وركيزة في بناء الأسوار والأبراج للمراقبة[5]، ونشير هنا أن معظم المدن الساحلية عرفت تواجد للإنسان القديم سواء الفينيقيين أو الرومان أو الوندال، وقد خلفوا عدة آثار في تلك المناطق نظرا لأهمية وموقعها الاستراتيجي، ولم يكن هذا الاختيار عشوائي بل كان مدروس وفق النظرية القرب والبعد، والقيمة المستفادة من هذه المراكز، كذلك شرط الحماية والتحصين فلا يمكن التفريط فيه، إذن مدينة تنس خلال الفترة القديمة كانت مركزًا مهما جدا بالنسبة للشعوب القديمة والتي أسست حضارات مختلفة، والشيء الوحيد الذي يثبت مرورهم بها في تلك البقايا الأثرية التي تشهد على ذلك، وفي نفس الوقت نؤكد على أن هذه المدينة تحتاج لحفريات تهتم بهذه الفترة.

---

[1]–الإمبراطور اغسطس: هو لقب حمله القصير الثاني أوكتافيانوس وهو أول الأباطرة الرومان، ولقب أغسطس(يكتب أيضا هكذا: أوغسطوس أو أوجستس)مشتق من مصدرAUG أو AUC وهو الكائن المتنبئ بالغيب، فاكتسب قيصر الثاني بفضل هذا اللقب سلطة دينية ودنيوية، فاقت سلطة الحكام المنتخبين، فقد توفي وهو طريح الفراش و خلف وراءه نظاما جديدا دام بعد وفاته (14م) أكثر من مائتي سنة. أنظر: عمار المحجوبي، ولاية إفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (146ق.م–235م)، مركز النشر الجامعي، بدون دار النشر، 2001م، ص.90. أنظر: محود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن الأول الميلادي، ط.1، الناشر عيد الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1998م، ص ص.123–150.

[2]- Steven (G), «Coonia Augusti legio II», Atlas Archéologique, T1, p 12-20.

[3]- Benseddik (N), Les troupes auxiliaires de l’armée en Romaine en Mauritanie Césarienne sous le haut empire, société nationale d’édition et de diffusion, Alger, 1979, P.165.

[4]- Berbrugguer (G), Op.Cit, P.4.

[5]– مبارك الميلي، المرجع السابق، ج.1، ص ص. 364، 371.

3-2-3- الفترة الإسلامية :

مع بداية ظهور الدويلات المستقلة في المغرب الإسلامي ظهرت سياسة التوسعات على عدة مدن داخلية وساحلية، فالدولة الرستمية كانت إحدى الدويلات الأولى المستقلة في المغرب الأوسط وعاصمتها تيهرت، هذه الدولة ضمت مدناً كثيرة في نطاقها مثل وهران ومستغانم وجزائر بني مزغنة وتنس، هذه الأخيرة كانت مركزا تجاريا يربطها مع مدن الأندلس والمشرق الإسلامي[1]، هذا ما جعلها قبلة للتجارة الرستمية في نطاق مبادلات السلع سواء البيع أو الشراء، إضافة لذلك فهي أقرب المدن الساحلية لها في هذا الإقليم.

وجدير بالذكر أن نورد فضل الأندلسيين في تأسيس تنس سنة 262هـ/875م، وفي هذا الصدد يقول البكري:" ...بناها البحريون من أهل الأندلس منهم الكركدن وابن عائشة والصقر وصهيب وغيرهم، وذلك سنة اثنتين وستين ومائتين..."[2]، وتعد هذه هي مرحلة قوة وتطور هذه المدينة من عدة جوانب سواء الميناء الذي كان مركز اقتصادها أو منتجاتها الفلاحية التي كانت تزخر بها، وبعدها دخلت تحت حكم عدة دول إسلامية خاصة مع القرن الرابع الهجري حتى القرن الثامن الهجري (العاشر إلى الرابع عشر ميلادي).

وبمجرد ظهور المد الفاطمي على ساحة المغرب الإسلامي حتى بسط نفوذه على عدة دويلات بداية من الأغالبة وصولا للدولة الرستمية، وقد تم القضاء عليهم وتشتيت الباقي فبسطوا نفوذهم على المدن التابعة لهم مثل تنس، وبقيت هذه المدينة تتراوح بين الطاعة للفاطميين والتمرد عليهم لعدة سنوات[3]، إلا أن الحاكم الزيري ابن مناد الصنهاجي أخضع المدينة بعد طرد حاكمها علي بن يحي الإدريسي سنة 342هـ/953م[4]، وهنا إشارة إلى أن الأدارسة قد سيطروا على مدينة تنس بعد الفاطميين لفترة زمنية[5]، وبقيت المدينة بفعل موقعها الهام مركزا قصدته العديد من القبائل والقوافل القادمة من البر أو السفن التجارية من البحر.

---

[1]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص.491. أنظر : الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص.19.

[2]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص ص.241-242. أنظر: البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب...، ص. 61.

[3]- إدريس عماد الدين الداعي، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار)، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص.180.

[4] - المصدر نفسه، ص. 464.

[5]- عبد الرحمن الجبلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.247.

إن الصراع القائم بين الدويلات المستقلة في المغرب الإسلامي لم يتوقف أبدا بل استمر مع ظهور كل دولة إسلامية في الأقاليم الثلاثة سواء المغرب الأدنى أو الأوسط أو الأقصى، بحيث سعت كل سلطة للتوسع على الأخرى، فالزيريون والحماديون ورغم أنهم أبناء عمومة فقد كانوا إحدى الأمثلة عن ذلك الصراع حول التوسعات على عدة مدن بداية من القرن الرابع الهجري، وخاصة عندما نتكلم عن قبيلة صنهاجة وزناتة والبطون التي تنتمي إليها كل قبيلة[1]، وللعلم أن بني حماد جعلوا من تنس طريقا تخرج منها بضائعهم إلى الأندلس مثل المرجان والصوف والعسل وغيرها[2]، ولا يمكن أن نغفل عن إمارة المغراويين الذين مكثوا بمدينة تنس وعمروها إلى أن اشتد عليهم بأس الحماديين ففروا من ذلك البأس حتى خلصهم المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين أيام توسعه على المغرب الأوسط سنة 473هـ/ 1080م[3].

رغم أن الدولة الموحدية سيطرت على معظم أقاليم المغرب الأقصى وبعض المدن من المغرب الأوسط إلا أن مدينة تنس لم تذكر في سيرهم التاريخية، فربما أن المدينة لم يكن لها صدى مثل مراكش وتلمسان ووهران، وخاصة أنه كان اهتمام الموحدين بالأندلس، لهذا أهملوا مدن المغرب الأوسط خاصة، لكن لم تدم عظمة الدولة الموحدية كثيرا حتى سقط جيشها في معركة العقاب[4].

وبعد تصدع وضعف قوة الموحدين ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي مع القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي ثلاث دويلات متعاقبة فيما بينها، بحيث نجد الدولة الحفصية تتمركز في المغرب الأدنى والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط والدولة المرينية بالمغرب الأقصى، وكما هو معلوم أن كل دولة تحاول فرض نفسها على الأخرى مما يخلق صراعًا بينهم، وهذا ما حدث بين الزيانيين والحفصيين وحتى المرينيين بالإضافة لقبيلة مغراوة التي

---

[1]– أحمد مختار العبادي، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية لمدريد، مدريد، 1957م، ص ص.202–203.

[2]– ريحاب محمد كمال محمد أحمد المغربي، التجارة في عهد عصر بني حماد (408–547هـ/1017–1152م)، قسم التاريخ، جامعة دمياط، 1436هـ/2015م، ص.26.

[3]– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص. 181.

[4]– المصدر نفسه، ص. 315. أنظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب...، ص.253.

دخلت في صراع معهم على مدينة تنس[1]، وغالبا ما كان صراع بين قبيلة مغراوة والدولة الزيانية بفعل القرب بينهم، بحيث أغار عليها يغمراسن[2] مرارا وأدخلها في طاعته سنة 681هـ/1283م، لكن بعد وفاته رجعت سيطرتها لقبيلة مغراوة بعد انشغال الزيانيين بالحكم[3].

لقد بقيت مدينة تنس تتأرجح بين حكام الزيانيين إلى أن ساد الضعف والخراب بسلطة أل يغمراسن، مما أدى إلى انفصال عدة مدن عن بني عبد الواد خاصة مدينة دلس والمدية والجزائر وتنس، مما جعل هذه المدن تؤسس حكما ونظاما خاصا بها[4]، غير أن الوجود الإسباني أفشل مخطط هذه المدن فأضعفهما وجعل حكام هذه المدن تحت سلطته خاصة ولاء حاكم مدينة تنس للحاكم الإسباني ماركيس دو كوماري، فهذا الأخير زحف على مدينة الجزائر وطلب العون من حاكم تنس بإرسال مدد عسكري له، غير أن العواصف والرياح قد حطمت أغلب سفن الإسبان، مما دفع خير الدين وعروج في شن هجمات عليهم والزحف نحو إقليم الغرب خاصة مدينة تنس وتأديب حاكمها، فوصل للمدينة في شهر جوان 923هـ/1517م على رأس جيش قوامه ألف رجل، وقد انهزم فيها حاكم تنس رغم دعم الإسباني له بالعدة والعتاد، وهكذا أصبحت مدينة تنس تابعة للعثمانيين[5].

5- خلاصة:

من خلال ما تم ذكره يمكن القول أن مدينة تنس هي إحدى المدن التي كانت تحظى بمكانة هامة في هذا الإقليم، فهذه المكانة لم تأت من العدم بل لعدة امتيازات وخصائص بداية

---

[1]- مؤلف مجهول، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، تحقيق: محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، 1920م، ص.15.

[2]- هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد العبد الوادي أمير المسلمين أبو يحي أول من استقل بتلمسان، وهو من سلاطين بني عبد الواد بويع بعد مقتل أخيه زيان بن زيان سنة 633هـ/1236م، وأسس الدولة الزيانية، ولد سنة 603هـ/1206م، وتوفي بوادي شلف سنة 681هـ/1283م، وحمل لتلمسان ودفن بها، وقد حكم لمدة 44 سنة وخمسة أشهر و12 يوما. أنظر: ابن الأحمر، المصدر السابق، ص.59.

[3]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.200.

[4]- عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى غاية بداية العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص.455.

[5]- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م، د.ط، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص. 182-183-184-185.

من موقعها الهام في المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، وهي التي تقع في مفترق الطرق التجارية التي استغلتها الدويلات المستقلة من خلال تمرير تجارتها عبر مينائها المحصن طبيعيا، وقد انتبه لهذا الأمر البحارة الأندلسيون لهذا أسسوا وشيدوا هذه المدينة، ويمكن أن أساس تشييدها كان تجاري بدرجة كبيرة، وهذا لا يعني أو يؤكد أنهم الأوائل الذين دخلوا وشيدوا عمرانها، بل هناك جماعة سبقتهم سواء في الفترة الإسلامية أو الفترات القديمة، ومن هذا الأساس حظيت تنس بعناية كبيرة من قبل الدويلات الإسلامية وفي نفس الوقت تعرضت لتخريب من قبل بعض القبائل والجماعات.

ثانيا: مرسى الدجاج:

1- الإطار الجغرافي لمدينة مرسى الدجاج(زموري البحري):

تقع مرسى الدجاج على ساحل البحر المتوسط وترتفع عن سطحه بـــ12م، وهي إحدى المدن الصغرى التابعة لبلدية زموري ولاية بومرداس، وتبعد عن الولاية 23 كلم غربا، وعن الجزائر العاصمة بحوالي 64كلم، ويحدها شمالا البحر المتوسط، وجنوبا بلدية سيدي مصطفى، أما شرقا فيحدها بلدية لقاطة، وغربا بلدية الثنية[1]، أما فلكيا فهي محصورة بين خطي طول 44.37 33 °3 و3.36 34 °3 شرقا، وخطي عرض 56.83 47 °36 و10.88 48 °36 شمالا[2].

لقد شيدت هذه المدينة الإسلامية على مساحة واسعة تصل حتى ساحل البحر، لكن نظرًا للحالة التي أصبحت عليها اليوم فلم نستطع تحديد مساحتها بشكل نهائي في ظل التوسع البنايات الحديثة من الجهة الشمالية والغربية، والذي مس موضعها الذي شيدت عليه المدينة الإسلامية، ورغم ذلك تم تقدير مساحتها أثناء الحفرية بحوالي 7 هكتارات على الأقل، بحيث تم حصر الحقل الأثري في الطريق الفرعي والمسجد، وجنوبا في الثكنة العسكرية للمغاوير،

---

[1]- إسماعيل بن نعمان، « مدينة مرسى الدجاج من خلال النصوص التاريخية والبقايا الأثرية»، عصور الجديدة، العدد 19-20، صيف-خريف أكتوبر 1436هـ- 1437هـ/2015م، ص.10.

[2]- إسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص.11. أنظر:

- Redha Benmahiddine, Littoralisation, écologie urbaine et tourisme durable- cas de la commune dezemmouri, Présenté pour l'obtention du diplôme de magister, faculté des STGAT, USTHB, 2013, P.28.

وشرقا في الطريق الرئيسى ومنه مركب الزيتونة ومدرسة إبتدائية، وغربا في واد صغير وسكنات فوضوية، إضافة لذلك فالموقع أصبح مكانًا لرمي النفايات والأتربة في ظل عدم تسيجيه من قبل الجهات المعنية بهذا الأمر.

2- الخصائص الطبيعية للمدينة:

إن المتمعن في موقع المدينة يجد أنها تتميز بموقع مفتوح من كل الجهات، ولا يوجد تحصينات طبيعية تحميها من الأخطار، بحيث أننا نجد التضاريس الجبلية للسلسة جبال الثنية التي يتراوح ارتفاعها ما بين 180 و 236 م بعيدة عنها، وكذلك جبال عروس الذي يبلغ إرتفاعه 420م[1]، فهذه السلسلة بعيدة عنها بـــ10 كلم، في حين أن الأراضي التي تحيط بها هي خصبة تتميز بجودتها وكثرة منتجاتها، خاصة أشجار التين المشهورة بها بحيث كانت توجه فاكهتها نحو العديد من الأمصار خاصة الأندلس[2]، ولا يتم هذا الأمر إلا إذا كان مناخها ملائمًا، فهو يتميز بشتاء رطب وصيف حار وجاف، أما درجة الحرارة فتبلغ شتاءًا ما بين 6° و 15° درجة مئوية، أما صيفا ما بين 25° و 38° درجة مئوية، في حين أن نسبة تساقط الأمطار تتراوح ما بين 500 ملم و 1000ملم على الأكثر[3]، وهذا الأمر ينطبق على الكثير من المدن الساحلية سواء من خلال درجة الحرارة أو نسبة التساقط، وهذه القيم الإحصائية ليست ثابتة بالضرورة في التغيرات المناخية.

أما بخصوص الوديان فهي بعيدة جدا عنها سواء واد يسر الذي يبعد عنها بـــ 10 كلم شرقا وجنوبا، أما الوادي الثاني فيتمثل في وادي قورصو على مسافة 11كلم غربًا، وكذلك

---

[1]- رمزي فرشيشي، الملف الأثري للموقع زموري البحري، ماستر 2 في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، ص ص. 30،39.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص. 132. أنظر: لخضر العربي، واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني (633هـ/1235م- 962هـ/1554م)، دكتوراه تاريخ وسيط إسلامي، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة أحمد بن بلة وهران، 2018/2017م، ص.177.

[3] - Nadir Hanifi et Leila Kadik et Guy Georges Guittonneau, Analyse de la végétation des dunes littorales Zemmouri (Boumerdès , algéerie), Acta Botanica Gallica, 26 Apr 2013, P .236.

- أنظر: إسماعيل بن نعمان، مدينة مرسى الدجاج ...، ص.12.

وادي بودواو على مسافة 14 كلم غربًا[1]، هذه أهم الوديان التي يمكن أن نحددها قرب المدينة، وعليه فعنصر الماء الذي كانت تعتمد عليه هي الأمطار والعيون، فهذه الأخيرة أشار إليها بعض المصادر على غرار البكري، عندما ذكر أن لها عيوناً طيبةً[2]، وتوحي هذه العبارة أنه ماء طيب استغله الناس للشرب، وحتى المراجع أشارت لإحدى العيون الطيبة الواقعة في الجهة الغربية تسمى عين أشرب واهرب[3]، صراحة لابد أن تكون لها الكثير من العيون في ظل بعدها نوعا ما عن الأودية، فلو لم تكن عيون طيبة لما شيدت مدينة أصلا في هذه الموقع.

وبالعودة لبعض الخصائص الطبيعية ومقارنتها مع ما قالته المصادر حول الموقع والموضع ومساحة المدينة، نجد أن هذه المبادئ لا يمكن الاستغناء عنها في أي بحث علمي أثري خاصة في مجال العمران، لهذا من الطبيعي أن نتطرق لها وربطها مع ما هو موجود حاليا، وتتمثل هذه الأركان فيما يلي:

2-1- الموقع:

تجدر الإشارة أم موقع المدينة يرتبط بالمدى البعيد والقريب لهذا الإقليم، وهذا ما ذكرته لنا المصادر من خلال ربطها بالمدن الكبرى وبينت مكانتها فيما بينهم، فالمقدسي ذكرها أنها تدخل ضمن قصبة إفريقية وهنا يوحي لموقعها[4]، غير أن البكري يحدد المدينة وعلاقتها بالمدن التي تحيط بها مثل مدينة بني جناد[5]، أما الإدريسي فحدد موقعها قريب مدينة تامدفوس[6]، فهذا التحديد هام جدا بالنسبة لنا فمن خلاله يمكن تبيان قيمة الموقع، إضافة لا يمكن أن ننسى مدة قرب هذه المدينة من العديد من العواصم على غرار أشير وقلعة بني حماد وبجاية وجزائر بني مزغنة، وهنا تبرز الطرق التجارية التي كانت تصل لمرسى الدجاج من

---

[1]- إسماعيل بن نعمان، مدينة مرسى الدجاج ...، ص.12.

[2]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.246.

[3]- مالتسان هاينريش فون، المرجع السابق، ص.89.

[4]- المقدسي، المصدر السابق، ص. 218.

[5]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.246.

[6]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، مج.1، ص.259. أنظر: الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والمغرب، جزء مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1863م، ص.89.

أجل تصدير منتجاتهم وشراء سلعًا جديدة، وعليه هنا تتضح أهمية وقيمة الموقع وعلاقته في تطور وخراب العمران.

2-2- الموضع:

أما الموضع الذي شيدت عليه فهو غير آمن بدرجة كبيرة وغير محصن لا بجبل ولا واد، فهي تقع في منطقة مفتوحة على أرض منبسطة مما يصعب حمايتها من الأخطار سواء من البر أو البحر، وما تعرضت له من تخريب بشري وطبيعي إلا دليل على أنها غير آمنة إطلاقا، ومن الممكن أن تكون مرسى الدجاج من بين المدن شيدت التي شيدت على تلك الطريقة أي موضع مفتوح، وبطريقة مخالفة للمبادئ الأساسية التي أقرها العلماء في اختيار وشروط بناء المدن، هذه الأخيرة نجد أن البعض منها موجودًا خاصة عندما نتكلم عن الميرة المستمدة واعتدال المكان، وحتى القرب من المراعي وقد قلنا إنها شيدت على أرض مستوية ومفتوحة وهي زراعية ورعوية بدرجة كبيرة، غير أننا نجد غياب التحصين الطبيعي مع وجود الإنشائي وهي الأسوار، هذا ما تم استخلاصه من النظرة الأولية حول ما يحيط بمدينة مرسى الدجاج(الصورة رقم: 07).

2-3- مساحة المدينة:

وفق المعطيات الموجودة لدينا أن مساحة المدينة تفوق 7 هكتارات والتي تم تحديدها بسياج، فحسب المعلومات الشفوية أن السكنات الحديثة والثكنة العسكرية شيدت على المدينة الأثرية، وهذا بحكم وجود العديد من البقايا في تلك المواضع خارج الإطار الذي تم تحديده من قبل مديرية الثقافة (الشكل رقم: 05- 06).

3- الإطار التاريخي للمدينة:

3-1- أصل التسمية:

أما عن أصل تسميتها بمرسى الدجاج فيعود لأحد الطيور وهو السماني، فهذا الأخير يعيش في المناطق الساحلية ويلتقط غذائه من البحر[1]، لكن صراحة لا ندري شكل هذا الطائر

[1]- صاحب الاستبصار، المصدر السابق، ص.131.

وصفاته، وحسب الروايات الشفهية والثقافة الشعبية نظن عليه طائر السماني قليلاً ما نجده في المدن الساحلية، وهو موجود غالبا في المناطق الداخلية، وعليه نظن أن الطائر الذي يقصده هو طائر النورس، والذي له ارتباط واضح وكبير بالبحر.

3-2-أهم المراحل التاريخية للمدينة:

3-2-1- فترة ما قبل التاريخ:

لا تخلو أي منطقة على ساحل البحر المتوسط من المخلفات الأثرية لفترة ما قبل التاريخ، إلا أن منطقة مرسى الدجاج تبقى البحوث فيها قليلة جدا بخصوص هذه الفترة سوى ما نقلته بعض المراجع والروايات الشفهية حول وجود بعض المخلفات الأثرية، مع العلم أن المناطق الساحلية تعرف بالحضارة الإبيرو مورية المحددة بـــ 22 ألف سنة، وظهرت هذه التسمية على لسان الباحث بلاري سنة 1909م، والتي تم فيها اكتشاف عدة نماذج صناعية بموقع المويلح بالغرب الجزائري[1]، ومهما يكن تبقى البحوث الأثرية لهذه الفترة بمنطقة مرسى الدجاج قليلة جدا مقارنة بتلك البحوث في العديد من المواقع الأثرية، فربما نجد مواقع ترجع لهذه الفترة لكن هي بعيدة قليلا عن موضع بناء المدينة.

3-2-2-الفترة القديمة:

لقد كان للتواجد الفينيقي أثر كبير في الساحل الإفريقي فأسسوا نحو الثلاثمائة مركزا ما بين مستودع تجاري ونحو مائتي مدينة، ففي بلاد الجزائر أسسوا إيكوسيم (الجزائر) وصلداي (بجاية) وروسكادي (سكيكدة) وشرشال وروسوبيكاري (زموري البحري) وغيرها[2]، فهذه الأخيرة هي إحدى المدن الساحلية التي إستغلها الفينقيون في تجارتهم وتنقلاتهم البحرية، ويذكر أنها كانت تسمى (Rusubbicari)، وقد تم العثور على بعض البقايا الأثرية الرومانية

[1]- محمد سحنوني، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1999م، ص ص.116-117.

[2]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج.1، ط.2، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،1384هـــ/ 1965م، ص. 68. أنظر: صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الإستقلال، دار العلوم، عنابة، الجزائر، 2005م، ص22.

موزعة فتلك المنطقة[1]، مع أننا نأمل مستقبلا في إيجاد أثر يعود لهذه الفترة من خلال الحفرية التي تقوم بها البعثة العلمية التي تقودها الأستاذة حنفي عائشة.

أما عن التواجد الروماني بالمدينة فيمكن أن نحدده عبر تلك التقسيمات التي أقرتها الحكومة الرومانية بشمال إفريقيا، بحيث خلقت ثلاث ولايات وهي: نوميديا العسكرية وعاصمتها لمبيز، ونوميديا السطيفية من أمساقة إلى صلادي (بجاية)، وموريطانيا القيصرية من صلادي إلى نهر ملوية، ومن المؤكد أن مرسى الدجاج تدخل في الولاية الثالثة، مع العلم أن النفوذ الروماني كان يسيطر على المدن الساحلية بشكل كبير نظرا لعدة إعتبارات[2]، ومن الواضح أن غايتهم كانت تجارية لدرجة كبيرة، لكن لا نجد لهم مخلفات أثرية بالمدينة، مما يطرح عدة فرضيات سواء تم تخريب تلك المعالم من قبل المسلمين؛ وهذا أمر مستبعد بكل صراحة، أو تعرضت المدينة لإحدى الظواهر الطبيعية فهدمتها، والشيء الوحيد الذي تثبت وجودهم هي الحفريات التي تجرى على هذا الموقع.

3-2-3- الفترة الإسلامية:

بما أن دراستنا تتمحور حول المدينة الإسلامية مرسى الدجاج، لهذا سنحاول معرفة تاريخها بداية من الفتح الإسلامي إلى نهاية آخر الدويلات المستقلة بالمغرب الأوسط، غير أننا لا نجد لها ذكر كبير في هذه الفترات التاريخية، ولا ندري سبب هذا التهميش أو النسيان أو التغافل من قبل المصادر ثم المراجع، مما يفرض علينا طرح بعض الفرضيات وهي؛ أن المدينة لم يكن لها مكانة كبيرة بين المدن الأخرى، أو أنها خربت من قبل بعض القبائل، أو لم يقصدها الناس والعلماء والجغرافيون لهذا لم يكن لها أثر في كتاباتهم ورواياتهم التاريخية، ويبقى البحث متواصلاً إلى أن نجد ما يثبت أو ينفي هذه الفرضيات.

ومن منطلق ما جاء به المقدسي خلال منتصف القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي حول تبعية مرسى الدجاج لإفريقية[3]، يمكن القول أن هذه الفترة قد تزامنت مع الدولة الفاطمية التي بسطت نفوذها على العديد من المدن، خاصة الساحلية منها واستغلتها في تجارتها

[1]- إسماعيل بن نعمان، مدينة مرسى الدجاج ...، ص.13.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص ص. 88-89.

[3]- المقدسي، المصدر السابق، ص ص.216-218.

الخارجية وعلى سبيل المثال نذكر جزائر بني مزغنة ومرسى الدجاج ومرسى الخزر[1] وتنس[2]، ويشير أحد الباحثين أن هذه المدينة كانت لها علاقة دينية سنية مع قبيلة زواوة، وهذا في ظل التشيع الذي كان سائدًا في بلاد المغرب الإسلامي[3]، ورغم ذلك لم تبلغ مرسى الدجاج مكانة راقية وحضارية مع القرون الأولى الإسلامية، ومن الممكن أن مدينة أشير وجزائر بني مزغنة وحتى قبيلة زواوة أخذت منها هذا الدور الحضاري.

أما خلال العهد الحمادي فالمدينة كانت تابعة لهم، وهذا بعدما استقل حماد بن بلكين ببلاد المغرب الأوسط والمعز بن زيري بالمغرب الأدنى، فقد حاول حماد دائما توسعة مجال حكمه وبسط نفوذه على العديد من المدن مثل المسيلة وطبنة ومرسى الدجاج وبلاد الزواوة وحمزة[4] وغيرها[5]، فمن المؤكد أن المدينة كانت تحت سيطرتهم إلى حد بعيد، لكن نظن أنها لم ترق لدرجة أن تنافس المدن الكبرى، ورغم انتقال الحماديين بقيادة ناصر بن علناس للعاصمة الجديدة بجاية وتوسعة دائرة حكمهم، إلا أنها بقيت مجرد ميناء صغير غير مأمون يستغلونه في بعض النشاطات التجارية[6]، وعلى الرغم من أن مرسى الدجاج وجزائر بني مزغنة كانتا

---

[1]– مرسى الخرز: بالفتح ثم السكون، والسين مهملة ، والخرز بفتح الخاء المعجمة والراء ثم الزاي، واحدته خرزة: موضع معمور على ساحل إفريقية، بينه وبين بونة ثلاثة أيام، منه يستخرج المرجان، يجتمع التجار فيستأجرون أهل تلك المواضع على استخراجه من قعر البحر. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.5، ص.227.

[2]– عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، ج.1، دار المعرفة، 2007م، ص.127.

[3]– مفتاح خلفات، قبيلة زواوة مابين القرنين (6–9هـ/12–15م)، دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009م، ص41.

[4]– حمزة: بالفتح ثم السكون، وزاي، مدينة بالمغرب، وقد بناها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن ابن علي بن أبي طالب، وأبوه الحسن بن سليمان هو الذي دخل المغرب، وهناك بلدة اسمها سوق حمزة وهي مدينة عليها سور ينزلها صنهاجة، منسوبة أيضا إلى حمزة بن حسن بن سليمان، وهي أقرب من الأولى. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.2، ص.302.

[5]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص ص. 37،39. أنظر: الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج.2، ص. 130.

[6]– خالد حموم، «انتقال الحماديين من القلعة إلى بجاية دراسة في الأسباب والنتائج»، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 33، العدد 04، ديسمبر 2022، ص.537. أنظر: مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص. 45.

تحت ولاية عبد الله بن ناصر بن علناس[1]، إلا أنها لم يكن لها شأن كبير مقارنة بجزائر بني مزغنة، والتي كانت بمثابة مركز تجاري آمن ومحصن جعلت منها قبلة للعديد من القبائل والجماعات الحرفية والصناعية.

إننا لا نعلم حقيقة دخول المرابطين للمدينة سوى أن بعض الكتابات التاريخية قد أشارت لها من منظور بعيد دون ذكر اسمها، وهذا أيام التوسع المرابطي على بلاد المغرب الأوسط حين سيطروا على جزائر بني مزغنة حتى حدود بجاية[2]، ومن المفترض أن تكون مرسى الدجاج ضمن سياق حكم بجاية خلال أواخر الحكم الحمادي،

أما عن العهد الموحدي فهو لا يختلف تماما عن المرابطين وسيطرتهم على المدينة، بل يظهر أثرهم على المدينة خلال ثورة بني غانية التي كانت في صراع ضدهم، وقد خربت لهم العديد من المدن على غرار بجاية ومرسى الدجاج والقلعة وغيرها من المدن الموحدية[3]، ويبدو أن المدينة كانت أرض معركة للعديد من الحروب سواء من خلال التوسعات أو عصبيات القبائل أو قطاع الطرق، لهذا أفقدتها عمارتها وعمرانها وتجارتها وحضارتها بصفة عامة.

وفي ظل الظروف السابقة التي ذكرناها حول الأحداث والفوضى والصراعات التي كانت مرسى الدجاج إحدى مراكزها، فنتج عنها تدهور وضعف ثم خراب عبر سنوات متواترة، وعليه أهملتها المصادر في كتاباتها وتنقلاتهم في الأمصار، وننبه القارئ هنا إلى أن المدينة بعد تخريبها من قبل بني غانية لم يظهر لها وجود في المصادر والكتابات الجغرافية وحتى في الأحداث التاريخية، مما يطرح عدة فرضيات بخصوصها، فمن الممكن أنها تأثرت جل معالمها جراء تلك الحملة العسكرية لبني غانية، مما تسبب في هجرة أهلها دون عودة، وربما أن المدن التي ظهرت بعدها أفقدتها وساهمت في زوالها تدريجيا وهنا نقصد مدينة

---

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص ص.229–230. أنظر: الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج.2، ص. 132.

[2]– علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص.72. أنظر: عبد العزيز شاكي، المرجع السابق، ص ص.113–114.

[3]– زاجية هرباش، «نتائج ثورة بني غانية 580هـ–633هـ/ 1184م–1237م»، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد: 04، العدد:01، ص,124. أنظر: إسماعيل بن نعمان، «مدينة مرسى الدجاج ...»، ص.15.

دلس[1]، على العموم تبقى للمدينة أهمية كبيرة رغم أن فترتها لم تكن طويلة في التاريخ الإسلامي.

4- خلاصة:

مما يستخلص من الفقرات السابقة أن مدينة مرسى الدجاج هي المدن الصغرى، تتميز بموقعها المفتوح والغير آمن نظرا أنها غير محصنة طبيعيًا، بحيث شيدت على ساحل البحر الذي كانت تضرب أمواجه في السور، وقد مرت بعدة أحداث تاريخية خاصة في فترة الدولة الفاطمية والزيرية والحمادية، والتي كانت تابعة لهم سياسيا وتجاريا ومن المفروض أنها كانت تستغل في تصدير تجارتهم، وقد تعرضت للتخريب أيام بنو هلال وحتى في الفترة الموحدية وبعدها لم يعد لها ذكر خلال الدويلات الأخرى سواء المرابطية والزيانية والمرينية، ومن الممكن أنها خربت وفقدت عمارتها وعمرانها، ورغم ذلك تبقى مرسى الدجاج إحدى المدن الهامة في تاريخ المغرب الأوسط.

ثالثا: مدينة مستغانم:

1- الإطار الجغرافي لمدينة مستغانم:

تقع مدينة مستغانم على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وكولاية فهي تقع في الغرب الجزائري على خليج أرزيو يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب ولاية غليزان، ومن الشرق ولاية الشلف ومن الغرب ولايتا وهران ومعسكر، وهي تبعد عن الجزائر العاصمة 320 كلم[2]، وفلكيا فهي تقع على خط طول 1.55° شرق خط غرينش، وخط العرض 36.5° شمالا خط الإستواء[3]، ونشير هنا أن هذا التحديد يخص الولاية؛ ولا يوجد اختلاف كبير بين المدينة والولاية في موقعها الفلكي.

---

[1]- إسماعيل بن نعمان، مدينة مرسى الدجاج...، ص.16.

[2]- عاشور شرفي، معلمة الجزائر القاموس الموسوعي " تاريخ و ثقافة و أحداث (أحداث ، أعلام، معالم)، ترجمة: عبد الكريم أورغلة بن يوسف بن جديد، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م، ص.130.

[3]- بوعبد الله بلجوزي، « المراحل التاريخية لمدينة مستغانم من الفتح الإسلامي إلى القرن 9هـ/15م »، مجلة منبر التراث الأثري، العدد:01، ص.191. أنظر: غالي بن شاعة وعبد الباسط قلفاط، « مجتمع إقليم

أما عن حدود المدينة الإسلامية فهو ليس ثابتًا بالتدقيق في التغيرات التي حدثت بمستغانم، لكن بحكم وجود بعض المؤشرات فيمكن القول أنها محاطة بوادي عين الصفراء من الجهة الشرقية والجنوبية والغربية، ومن الشمال والغرب البحر المتوسط، في حين أن المدينة تدخل في مساحة الولاية المقدرة بحوالي 2.269كلم^2، بحيث تتميز المنطقة بصفة عامة بشساعة السهول والأراضي الخصبة، تحتل 100/60 من مجموع التضاريس، و21 /100 من الهضاب والسطوح، والباقي جبال بنسبة 100/19[1].

2- الخصائص الطبيعية للمدينة:

إن الموقع الاستراتيجي لمدينة مستغانم على ساحل البحر الأبيض المتوسط، كان له أثر كبير في استقرار العنصر البشري منذ عهود قديمة، وقد وجد فيها الظروف الملائمة للعيش، فالمدينة شيدت على هضبة ترتفع بـــ 85م عن مستوى البحر، وتبعد عنه بمسافة 1كلم، ويحيط بها وادي عين الصفراء من الجهات الثلاثة الشرقية والجنوبية والغربية[2]، هذا الموضع التي شيدت عليه يعتبر متميزًا جدًا خاصة الوادي الذي يعتبر تحصينًا وخندقًا طبيعيًا لها.

وفيما يخص التحصين الطبيعي للمدينة يمكن القول إنها غير محصنة، فكل السلاسل الجبلية بعيدة عنها على مسافة تقدر بحوالي 2 إلى 5 كلم مثل جبل الديس وجبل مصب وادي شلف[3]، وعليه فالتحصين الوحيد الذي يحمي المدينة هو وادي عين الصفراء، والشيء المميز بمستغانم شساعة الأراضي الزراعية التي تحيط بها، وقد تم استغلالها في العديد من الزراعات مثل القطن والعنب وغيرها من أنواع الأشجار سواء المثمرة أو الغابية[4]، كل هذا بفضل مورد

مستغانم 1700-1830م »، مجلة البحوث التاريخية، المجلد:07، العدد:01، جوان 2023م، ص.487. أنظر: حمدان خوجة بن عثمان، المرآة، تحقيق محمد الزبيري، نشر بدعم من وزارة الثقافة، 2009م، ص ص.56-57.

[1] -Belhamissi (M), Histoire de Mostaganem (des origines a l'occupation fan française), S.N.E.D, Alger, 1976, P.18.

[2] -Priou (N) , « Oran et L Algérie en 1889», notice historique, Scientifique et économique, T.2, Oran, 1888, P.201.

[3]- بوعبد الله بلجوزي، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2006/2005م، ص.13.

[4] -Monsonégo (J), L'Activité Economique de Mostaganem de 1830 à nos Jours, Ed, la Rose, Paris, 1950 , Pp.11-12.

المياه التي تتنوع بمستغانم بين العيون والوديان، وقد أشار لهذا البكري في كتابه[1]، حتى أن هذا الأمر يؤكده مارمول كربخال بكثرة العيون ويشير كذلك لوجود نهر الشلف شرقا غير أنه بعيد عنها[2]، ومن الطبيعي أن تزدهر الفلاحة وتتنوع المنتجات وتستقطب العديد من الناس سواء القبائل الداخلية أو التجار القادمين من الأندلس، خاصة مع أنهم ذوو كفاءة حرفية وصناعية وتجارية.

أما مناخ المدينة فهو لا يختلف عن مدن البحر الأبيض المتوسط أي شبه جاف صيفا مع شتاء معتدل، في حين تبلغ نسبة تساقط الأمطار ما بين 350 ملم على الهضبة و400 ملم على سفوح الجبال، غير أن متوسط درجة الحرارة ما بين 18° درجة على الساحل و24° درجة على المناطق الداخلية، وقد تبلغ الذروة صيفا ما بين 30° درجة إلى 38° درجة مئوية[3]، هذه بعض المعطيات الخاصة بمدينة مستغانم بصفة خاصة وكولاية بصفة عامة، أي لا نجد اختلاف كبير في تلك الأرقام سوى مناخ البحر الأبيض المتوسط كثيرا ما يعرف خلل نسبي نسبة تساقط أو درجة الحرارة، وهذا أمر عادي في ظل التغيرات المناخية وتحرك صفائح القارات الأوروبية والإفريقية.

استنادا على ما هو موجود حاليا من بقايا أثرية وربطها بالمبادئ الأساسية في بناء المدن على غرار الموقع والموضع ومساحة المدينة، ومحاول ربطها كذلك مع أقوال المصادر نؤكد على هذه العناصر :

2-1- الموقع:

إن موقع هذه المدينة هام جدًا فهي تقع في مفترق الطرق التجارية القادمة من الشرق إلى الغرب والعكس صحيح، فهي قريبة جدا من العديد من العواصم والمدن الكبرى، خاصة عندما نتحدث عن الدولة الرستمية وعاصمتها تيهرت فمن المؤكد أنه كانت لهم علاقات

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.251.

[2]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.350.

[3] -Aissa Abdi Souad et Nour EL Houda Harmouch, Notes sur quelques genres de plantes déterminants long du littoral Mostaganem, Synthèse bibliographique et appui avec quelques sorties, Master en sciences Biologiques, Biodiversité et L'environnement, Université Abdelhamid Iben Badis, Mostaganem, 2020/2021, P.11, 13.

تجارية[1]، فلو نلقي نظرة على موقعها اليوم نجدها قريبة من العديد من المدن التي كانت لها مكانة في هذا الإقليم، مدينة تيهرت والتي تبعد عنها بـــ167كلم، وكذلك مدينة تنس التي تبعد بـــ118كلم، أما وهران فتبعد عنها بـــ 80كلم، وتلمسان بـــ208 كلم، إذن هذه المدن التي ذكرناها لها تاريخ عريق في المنطقة في شتى المجالات وأغلبها مدن داخلية وبها تجارة رائجة، ومن الناحية المعمارية والعمرانية فهي متطورة، ومن البديهي أن تكون مستغانم مرتبطة بتلك العواصم والمدن الصغرى، وتكون لها عدة علاقات سواء من منظور التبعية السياسية أو التجارية أو الحرفية وغير ذلك، وعليه موقعها الإستراتيجي الهام جعلها تحظى بأهمية كبيرة خاصة في فترة العصر الوسيط (الخريطة رقم: 07).

2-2- الموضع:

بحكم الزيارة الميدانية التي قمنا بها للمدينة عدة مرات نؤكد على أنها غير محصنة طبيعيا إلى حد كبير فمعظم الجبال التي تحيط بها بعيدة عنها بحوالي 2كلم، وهذا ما يسبب لها ضعفًا من الناحية الأمنية في الجهة الشرقية والجنوبية وحتى الغربية،، رغم أنها شيدت على هضبة بعلو 85م من مستوى سطح البحر، وبعيدة عنه بـــ 1كلم، ويمكن القول الشيء الوحيد الذي نراه موجودًا هو الخندق والمتمثل في وادي عين الصفراء، وهو التحصين الوحيد الذي نراه على الأقل (الصورة رقم: 08).

2-3- مساحة المدينة:

بخصوص هذه النقطة فإنه من الصعب تحديد المساحة بالتدقيق في ظل التغيرات والتحديثات التي شملت المدينة، مع ذلك حددها أحد الباحثين بـــحوالي 2269كلم^2، وهذا التحديد إنما يقاس وفق المعالم والبقايا العثمانية التي مازالت تحافظ على هيكلها المعماري[2]، لكن مساحتها لا تختلف كثيرا عن هذا في ظل الموضع الذي بنيت عليه المدينة في الفترة الإسلامية.

[1]- عبد الرحمن الجيلاني، المرجع السابق، ج.1، ص ص. 221-222، 233.

[2] – Belhamissi (M), Op.Cit. P.18.

3- الإطار التاريخي للمدينة مستغانم:

3-1- أصل التسمية:

يبقى أصل تسمية المدينة محل اختلاف بين الباحثين والمؤرخين، مما جعلهم يطرحون عدة افتراضات واقتراحات للخروج من هذا الجدل والاختلاف، وفي بحثنا هذا كان علينا تقديم هذه الآراء ولو باختصار والاقتصار على أهم من تحدث عن هذا المعنى، رغم أنه لم ترد لنا رواية كافية وشافية من المصادر المكتوبة حول المعنى الحقيقي لها، لهذا كان تركيزنا على المراجع العربية والأجنبية؛ باعتبار أنها تستند لبعض الحقائق التاريخية، أما الآخرون فيفسرونها تفسيرًا شفاهيًا خياليًا، مما حتم علينا نقل هذه الآراء بتحفظ دون الحذف أو الزيادة:

وحري بنا في بداية الأمر أن نتطرق لأحد المراجع التاريخية المهمة في الجزائر وهو مولاي بلحميسي، بحكم أنه مهتم كذلك بمجال الآثار خاصة الإسلامية، وكانت له العديد من الدراسات ومن بينها إحدى الأبحاث التي أجرها عن مدينة مستغانم، وفيها أعطى لنا تفسيرا لكلمة مستغانم وقال أنها مركبة من شطرين، وهي كلمة مشتى والتي تعني محطة شتوية، وكلمة غانم وتعني الأغنياء والمالكين للأراضي[1]، في هذا الطرح يبدل بلحميسي السين شين ويجعلها في معنى مشتى؛ صراحة قد ننحاز لهذا الطرح بحكم أن معظم أسماء المدن هي بربرية، وكذلك بحكم أن هذه المدينة بها العديد من الأراضي الزراعية، وتم استغلالها في مختلف المزروعات سواء الأشجار المثمرة والقطن والكروم وغيرها.

أما عن المدرسة الأجنبية فتتمثل في بعض الباحثين الذين أرجعوا مدلول المدينة للفترات القديمة، بحيث ربطوا أصلها بالميناء الروماني القديم موريستاقا (Murustaga)[2]، وعلى ما يبدو أن هذا الرأي بعيد جدا عن لفظة مستغانم سواء من حيث المعنى أو الترجمة، ولا ندري لماذا أشار هذا الباحث لهذا الميناء وحاول أن يربطه بالمدينة، في حين يرى ريني باسي(René Basset) عن أصل تسمية مدينة مستغانم هي مركبة من كلمتين الأولى عربية وهي مشتى والثانية بربرية غنم ومعناها القصب[3]، ومن خلال هذا النص يمكن تقبل هذا الرأي

[1] -Belhamissi (M.), Op.cit, P.15.
[2] -Thireau (L), Mostaganem et ses environs, Historique, administration, description, renseignements, généraux, imprimerie, eugéneprim, Mostaganem, 1912 , P.09.
[3] -Basset (R.), Mélange africain et Orient eaux, Paris, 1945, P.104.

إلى حد ما، بحيث نجد تقاربًا مع الباحث بلحميسي في تفسير الكلمتين، ويبقى دائما الأصل هو بربري بحكم البلاد.

وفي نفس الصدد يشير أحد المستشرقين أن أصل تسمية مستغانم مأخوذ من كلمة مسترغانم، في معناها مخزن أو مخبأ الغنائم، والتي يحصل عليها العدو من الغزو أو الحروب، وعند كسبه غنائم كبيرة مثل القمح أو الشعير أو حتى وسائل الحرب وغيرها، يخزنها في مطامير لحفظها خوفا من الفساد أو سرقتها[1]، هذا الرأي بالنسبة لنا يجعلنا نقف وقوف الوسط ولا نرجع أي طرح، خاصة مع وجود بعض الاحتمالات التي ترجح قولاً على آخر، فمثلا اليوم هناك حي المطمر بمدينة مستغانم؛ وحسب الآراء الشفوية يقولون أنها كانت تحتوي على مطامير كثيرة ومنها سمي الحي بذلك.

وخلافًا للآراء السابقة حول أصل التسمية فهناك من يرى أن السلطان أبا الحسن المريني هو الذي أطلق عليها هذه التسمية، وهذا أيام توسعاته على بلاد المغرب الأوسط، ولما وصل لهذه البلدة وجد وطفلان يناول أحدهما لآخر قطعة من قصب السكر ويقول ماسك كرانم[2]، إننا نختلف هنا تماما مع الطرح بحكم أن المدينة ذكرت باسم مستغانم خلال القرن الخامس الهجري على لسان البكري، ومنه أن الإسم قديم مقارنة مع هذا الرأي الذي يرجع صاحبه للقرن الثامن مع الدولة المرينية؛ وعليه تبقى هذه الفكرة بعيدة جدا مقارنة بما ذكرته الآراء السابقة.

وفي الأخير يمكن القول إن هذه الآراء تحتمل الصحة كما تحتمل الخطأ، ومع كل تلك البحوث والدراسات التي أجريت على المدينة خاصة من طرف المستشرقين والأبحاث العربية الجزائرية، لم يحدد لحد الساعة أصل تسميتها النهائية في ظل الآراء الكثيرة، وهذا أمر ينطبق على العديد من المدن الجزائرية، وعليه هذا ما جعلنا ننقل تلك الآراء بتحفظ حول الاسم أو الشخص الذي أطلق عليها هذا اللفظ، ورغم أننا نميل صراحة لما نقله بلحميسي في أول قول له، وكذلك طرح ريني باسي(René Basset)؛ خاصة أنهما يميلان لتسمية البربرية التي

[1] -Priou(L.), Mostaganem et son arrondissement, imprimerie de l'Indépendant, Mostaganem, 1892, P.12.

[2] - Belhamissi (M), Op.Cit, P.15. Voir: - Esterhazy (W.), De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris, 1840, P.107.

تميل لأسمها اليوم، ورغم هذا تبقى الدراسات مفتوحة من أجل معرفة المعنى الحقيقي للمدينة مع اتفاق كل الباحثين للخروج من هذا الاختلاف، لكن لابد أن يكون تحقيق مقرون بدليل أثري قاطع، فهو الشيء الوحيد الذي لا يقبل الطعن أو الشك فيه.

3-2- أهم المراحل التاريخية للمدينة:

3-2-1- فترة ما قبل التاريخ:

إن تصنيف بلاد الجزائر –عين الحنش سطيف– مهدا للإنسان لم يأت من العدم أبدا، بل ما تثبته المخلفات والمستحثات التي تعود لهذه الفترة إلا دليل على ذلك، فمستغانم هي إحدى المناطق التي شهدت استقرار هذا الإنسان، فهناك الكثير من المواقع التي أجريت عليها حفريات على تراب هذه الولاية، ومن بينها موقع خروبة الذي يرجعه الباحثون لفترة ما قبل التاريخ العصر الحجري القديم الأوسط[1]، وقد تم التأريخ وفق العديد من المعطيات سواء تشابه في تكتونية الموقع، أو عن طريق شظايا والأسلحة الحجرية وغيرها من اللقى الأثرية.

كما يعتبر موقع أبو قيرة الذي يبعد عن مدينة مستغانم بحوالي 13كلم في الجهة الجنوبية الشرقية من أقدم آثار ما قبل التاريخ في المنطقة، وقد قام الباحث بيلاري (Pellery) سنة 1886م بالتنقيب في الموقع لكن لم نحظ بنتائج تلك الحفرية، ومن خلال هذه الدراسات نستطيع القول أن المنطقة كانت غنية بالحيوانات الضخمة الشبيهة بالحيوانات الاستوائية، وتشبه حيوانات الوقت الحالي مثل الفيل الأطلسي والدب الأبيض وفرس النهر، ويرجع هذا الموقع للعصر الحجري القديم الأسفل[2].

ومع الأبحاث الأثرية الحديثة لسنة 2005 و2006، قامت فرقة علمية بحفريات بقيادة الأستاذ عبد القادر دراجي في فترة ما قبل التاريخ، حيث تم إكتشاف عدة مواقع جديدة لم تذكر في المراجع أو البحوث العلمية سواء لدى المستشرقين أو العرب، ومن بين هذه المواقع نجد موقع الشعايبية الكحلة الذي يبعد 16 كلم عن بلدية الحجاج بولاية مستغانم، والذي يعود

[1]- Gesell (S.), Op.Cit, Pp.02-03.

[2]- محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، الملامح الحضارية والتطور الفكري لفترة ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، ط.1، دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص.21.

للعصر الحجري القديم الأوسط، كذلك موقع الأشولي للرايح في بلدية سيدي علي[1]، بالإضافة لموقع شرشار الذي يبعد عن سيدي لخضر بنحو 6 كلم وعن الشاطئ 2 كلم، وهو موجود في شرق ولاية مستغانم لعين ابراهيم وهو من أهم المواقع لهذه الفترة، والذي تجري فيه الدراسات الحالية[2].

إن هذه المواقع التي تم اكتشافها لا تعبر إلا عن جزء صغير مقارنة بشساعة الولاية وعمقها الحضاري والتاريخي، وهذا لا يعني أننا ننقص من أهميتها بل تشكل عنصرًا دافعًا ومحفزًا للبحث عن مواقع أخرى لفترة ما قبل التاريخ، وفي نفس السياق يسعى الأستاذ عبد القادر دراجي للكشف والبحث عن مواقع جديدة في ظل أنه العارف بالتخصص وخبايا المنطقة، وفي هذه النقطة نؤكد أن هذه المكتشفات والمواقع ورغم بعدها عن المدينة الإسلامية إلا أنها مهمة جدا وأكيد تربطها علاقة حتى ولو كانت نسبية، لأن التواصل الحضاري كان دائما مقرون أو موصول بالحضارة الزائلة.

3-2-2-الفترة القديمة:

أما عن الفترة القديمة فهي إحدى المحطات التاريخية التي تركت لنا العديد من البصمات متمثلة في عمارتها وموانئها وفنونها الكتابية والزخرفية والمسكوكات وغيرها، ولا يمكن لأي باحث أن يفضل منطقة على أخرى من حيث المخلفات التي تعود لذلك العصر، فالفينيقيون كان لهم توسع شامل على ساحل البحر المتوسط، وقد استقروا بالمنطقة وجعلوا منها مرفأ تجاريًا، وهذا بعد وصولهم إلى شمال المغرب، وما يؤكد ذلك وجود بعض المواقع الأثرية من أضرحة ترجع إلى الفترة البونية، وحجارة كتب عليها بالخط الفينيقي الموجودة بحي الحرازة "الحرارثة " بالقرب من كيزا، وكذلك بسيدي أمحمد بن علي، وهذه الأخيرة معروضة بمتحف

[1]- جمال يطغان، دراسة تكنومورفولوجية لمجموعة صناعية حجرية للوجه الثقافي العاتري لموقع الشعايبية الكحلة لولاية مستغانم (الساحل الغربي الجزائري)، ماجستير في أثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2011 / 2012م، ص ص.38، 40.

[2]- سعيدة باحمد، دراسة تكنولوجية وتنمطية لمجموعة حجرية صناعية لموقع شرشار بمستغانم، ماجستير في أثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار : جامعة الجزائر 2، 2012/2011م، ص ص. 17، 22.

زبانة بوهران[1]، وكذلك نجد بعض المحطات التجارية التي أقيمت في المنطقة على سواحل مثل ميناء ويليس[2].

وعلى العكس مما سبق فإن التواجد الروماني في المنطقة من خلال الآثار يكاد ينعدم، فحتى بعض المراجع التاريخية أهملت هذه المنطقة، غير أن البعض منها ذكرت أنها كانت مستوطنة رومانية تدعى " كاتاديا " وتتألف من عدة قرى متفرقة، وفيما يخص الميناء الروماني موريستاقا فلا يوجد له أثر في المنطقة، ويقال إنه تعرض لزلزال عنيف مما تسبب في اختفائه[3]، أما عن العهد البيزنطي فكانت المدينة تابعة لإقليمهم كغيرها من الجزائرية، لكن لم يكن لهم أثر في المنطقة سواء من الحياة الاجتماعية والعمرانية نظرا لقصر مدة تواجدهم في الجهة الغربية[4]، رغم أن هذا الباحث ينفي وجود مخلفات أثرية لهم؛ لكن بالنسبة لنا نحن الأثرين لا يمكن أن نلغي أو تنفي شيء في ظل قيامنا بالحفريات الأثرية.

ومن غير المعقول أن يتواجد عدة أقوام في هذه الفترة ولا يتركون أثرًا في المنطقة، لأن المدة الزمنية طويلة جدا، لهذا ربما تكون مخلفاتهم الأثرية تعرضت لأمرين، إما تعرضت لتخريب من طرف العنصر البشري الذي جاء من بعدهم، أو أتلفت بسبب عوامل طبيعية مثل الزلازل والفيضانات وغيرها من الكوارث الطبيعية، صراحة هذه الفترة تحتاج لدراسات كثيرة ومعمقة سواء من خلال الحفريات الأثرية والكشف عن مواقعها، أو تحقيقات في المصادر والوثائق التاريخية، والمدرسة الجزائر غنية بالكفاءات العلمية خاصة الباحثين الأثريين المهتمين بالآثار القديمة.

---

[1] عبد القادر بن عيسى المستغانمي، مستغانم وأحوازها عبر العصور تاريخيا وثقافيا وفنيا، ط.1، المطبعة العلوية، مستغانم، 1996م، ص.17.

[2]– عاشور شرفي، المرجع السابق، ص.130.

[3]- Thireau (L) , Op. Cit ,P.09.

[4]-يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسطى، ج.1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2009م، ص.64.

3-2-3- الفترة الإسلامية:

في مستهل الحديث عن هذه الفترة يجب أن نؤكد على عدة نقاط؛ وهي أن هذه الفترة طويلة جدا تميزت بعدة تغيرات سياسية واجتماعية وثقافية وحتى دينية، وكذلك نجد زخمًا كبيرًا في الصراعات والحروب وغيرها سواء على الحدود أو صراع بين القبائل، كما لا ننسى أن الفتح الإسلامي كان له ارتباط بما يحدث في المشرق، وعليه تم العناية بجانب وإهمال جوانب أخرى، ونفس الآمر ينطبق على المدن، فالقارئ في كتب المصادر المكتوبة سيجد حتما الكثير من العموميات خاصة المدن الصغرى، ونفس الآمر ينطبق على مدينة مستغانم.

لا يمكن أن ننكر بأن الفتح الإسلامي ببلاد المغرب كان من أشد الفتوحات على المسلمين، وهذا نظرا لعدة معطيات منها طبيعة المنطقة وتشدد البربر، ولا يمكن أن نجحد فضل البربر في نشر وتسهيل الدعوة الإسلامية، وهذا بعدما عرفوه وعقلوه وفهموا فكر الفاتحين، وقد للقائد صولان بن وازمار دور في نشر الإسلام بعدما أسلم على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان زعيم قبيلة مغراوة والتي كانت مدينة مستغانم تابعة لحكمه، وكان يمتد إقليم حكمه من الشلف إلى تلمسان إلى جبل مدبولة (مديونة[1]) وأحوازها[2]، ويبدو أن هذه المدينة كانت مجرد مدينة صغيرة تقطنها بعض فروع من قبيلة مغراوة.

أما في عهد أول دولة مستقلة في المغرب الأوسط وهي الدولة الرستمية، كانت المدينة تابعة لهم في ظل التوسعات التي تبعها الحكام، نظرًا لقرب المدينة من العاصمة الرستمية تيهرت[3]، فهذه التبعية كانت تندرج ضمن تأمين وتحصين حدودها بالإضافة إلى خلق ميناء تجاري لتعبر إليه سلعهم نحو الضفة الأخرى، وفيما يخص دولة الأدارسة كانت المدينة تابعة

---

[1]- مديونة: قبيلة من بني فاتن، وتذكر بعض المصادر التاريخية؛ بأن فئات من هذه القبيلة تكون قد لعبت أدوارا هامة في تاريخ الأندلس، بعد أن أجازوا إليها أيام الفتح، أما مواطنهم بين جبل بني راشد (جبل العمور حاليا) وبين جبل مديونة؛ جنوب وجدة، ويقول أنهم كانوا ظواعن؛ يرتحلون عبر هذه الضواحي، والجهات، ومواطنهم مجاورة لبني يلومي، وبني يفرن من جهة الشرق، وإلى الغرب منهم مكناسة، أما من جهة الساحل نجد كومية، وولهاصة. أنظر: الدراجي، بوزياني، المرجع السابق، ج.1، ص ص. 186،180-187.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص ص. 33- 34.

[3]- عبد الرحمن الجيلاني، المرجع السابق، ج.1، ص ص. 221-222، 233.

لممالك بني محمد بن سليمان، وكانت هذه الأخيرة تمتد من غربي مدينة مليانة إلى أن تنقطع نواحي مستغانم بإمارة هوارة[1]، ثم تعود بناحية تنس وتذهب جنوب شلف إلى مليانة وتنتهى بمتيجة[2]، غير أن هذه الحدود ليست ثابتة أبدا نظرا للصراعات القائمة بين القبائل المناهضة لأي حكم، وكذلك التوسعات بين الدويلات المجاورة.

لقد سيطرت الدولة العبيدية (الفاطمية) على معظم بلاد المغرب الأدنى والأوسط، وهذا بعد القضاء على الدولة الأغلبية والرستمية، ومنها فرضوا سيطرتهم على معظم الأقاليم وعينوا ولاةً وحكامًا لهم في كل مدينة، وهذا الأمر ينطبق على مستغانم والتي دخلت تحت ولاية تيهرت[3]، وهنا بقيت المدينة دائما تحت وصاية المدن الكبرى مثل تيهرت، في ظل أنها لم ترق لتكون مدينة مستقلة مقارنة بالمدن الأخرى، وهنا تطرح إشكالية أخرى بخصوص المدينة من ناحية العمرانية، والتي من الممكن أنها لم تشيد بها عمائر لهذا كانت تابعة لتيهرت كميناء فقط.

ومع بروز الدولة الزيرية وبعدها الحمادية لم يكن للمدينة أثر كبير في سياق الأحداث والتغيرات، وإنما كانت دائما تابعة لإقليم تيهرت، لكن مع نزوح بني هلال إلى بلاد المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط خاصة وتخريبه للعديد من المدن على غرار قلعة بني حماد وتيهرت، وبعد ذلك اتخذوا العديد من المناطق مواطن لهم، فكان لأحد فروعهم قبيلة مجاهر[4]

---

[1]– قبيلة هوارة: هي قبيلة من فرع البرانس، ويقال أنها من أصل يمني حميري، وهناك من يرى أنها بربرية، ويرجع نسبها البعض إلى هوار أكبر أبناء أوريغ سنا وأشهرهم، وتسمى أحيانا أوريغة نسبة إلى أوريغ جد القبيلة كلها، وفروعها كثيرة منها ما هو من نسل أبناء أوريغ الأربعة(هوار، مقر، قلدن، ملد)، ومنها من نسل غيره (عربية، بربرية) اندمجت في هوارة وصارت تعرف بهذا الاسم، وكانت بعض فروع تقطن بجل هوارة جنوب تيهرت على بعد عشرة أميال من العاصمة الرستمية، أنظر: عمر تابليت، هوارة ودورها في تاريخ المغرب منذ بداية حركة الخوارج: أواخر القرن 1هـ –7م حتى إنتهاء ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد 335هـ–946م، ط.1، دار الألمعية، عين الباي قسنطينة، الجزائر، 2011م، ص ص.13–14–15، 25.

[2]– مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ج.2، ص.101، 106. أنظر: عبد الرحمن الجيلاني، المرجع السابق، ج.1، ص.247.

[3]– رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، ص ص. 137–138.

[4]– مجاهر: هي إحدى قبائل بلاد المغرب الأوسط وهي بالغرب الجزائري، تمتد من ضواحي مدينتي مستغانم ومزغران حتى حوض نهر الشلف، وتتربع على مساحة كبيرة من الأراضي الزراعية، وهي إحدى القبائل المعادية للاحتلال الإسباني وتم مقاومته في العديد من المعارك. أنظر: هاشمي بن براهيم، قبائل وهران

مستغانم موطنا لهم[1]، ومن الواضح أنهم وجدوا ما يبحثون عنه سواء من الأراضي الزراعية الشاسعة والمياه والميناء وغيرها.

وفي ظل عظمة وقوة الدولة المرابطية بقيادة يوسف بن تاشفين تَمَ بسط نفوذه على بلاد المغرب الأوسط، وأدخل العديد من المدن تحت حكمه، ومن بين هذه المناطق مدينة مستغانم الذي دخلها القائد المرابطي يوسف بن تاشفين بعدما افتتح وهران ومزغران، حيث شيد برج أمحال وجعل في المنطقة حامية عسكرية، وبعدها واصل زحفه نحو تنس من أجل كبح انتشار الحماديين نحو الغرب[2]، هذه الخاصية هي من المميزات العسكرية لدى المرابطين بحيث لا يتركون المدن دون حماية وتأمين، لكن لا ندري إن تم تشييد معالم أخرى مثل المساجد والمنازل والقصور وغيرها، فنحن نفرض أن المدينة بالتأكيد تطورت وتوسعت بعد البرج العسكري.

خلال بحثنا عن الأقاليم والمدن التي كانت تابعة لدولة الموحدية، لم نجد اسم مستغانم ضمن هذه المناطق طول فترة حكمهم في المغرب الأوسط، وهذا لا يعني أن المنطقة لم تكن موجودة، مما جعلنا نفترض أن المدينة ربما لم تصل مكانتها وتطورها مثل مدينة وهران وتلمسان وتنس، أو ربما تغافلت عنها المصادر التاريخية فلم تذكروها، أو ذكرت ضمن سياق قبيلة مغراوة التي منحها الموحدون الحرية في تسيير هذا الإقليم، وهذا أبو سعيد المغربي خلال القرن السابع الهجري يذكرها في قوله:"...مدينة تنس وهي مشهورة بكثرة القمح...وهي لآن قاعدة مغراوة...وفي شرقيها مستغانم وهي فرض من مغراوة "[3]، هذه العبارة لا توحي صراحة بعظمة المدينة وإنما ذكرت كحد لمدينة تنس وتبعيتها لقبيلة مغراوة.

لم تبلغ مدينة مستغانم مكانتها في العهد الزياني كما يجب، بل كانت دائما تابعة لقبيلة مغراوة، هذه الأخيرة دخلت مع السلطة الزيانية في صراع طويل سواء من خلال الحروب أو الحصار، وقد ذكر ابن خلدون أن السلطان الزياني يغمراسن بسط نفوذه على المنطقة

والاحتلال الإسباني قراءة في مواقف التحالف والولاء، دكتوراه تخصص الحوض الغربي للمتوسط تاريخ وحضارة، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، 2021/2020م، ص.28.

[1]– عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.345.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.62. أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.143.

[3]- أبي سعيد المغربي، المصدر السابق، ص.142.

633هـ/1235م، وطرد قادة قبيلة مغراوة وأدخلها في الأقاليم التي يحكمها[1]، لكن لا يوجد من أثر يثبت وجودهم في المنطقة، وهذا ما يؤكد أنهم لم يسيطروا على المنطقة وأنها كانت بيد قبيلة مغراوة، هذه الأخيرة لم تترك أثر ينسب لها أو لقادتها وشيوخها؛ وهنا تطرح إشكالية أخرى بخصوص معيشة القبائل التي من المفترض أنها كانت تسكن الخيام، في نفس الوقت هذا ما صعب على الدولة الزيانية سيطرة عليهم.

وخلال التوسعات التي قادها أبو الحسن المريني(731هـ-1331م/759هـ-1358م) في بلاد المغرب الأوسط ضد قبيلة مغراوة، سيطر على العديد من المدن مثل هنين ووهران وتنس ومستغانم، فهذه الأخيرة شيد بها مسجد جامع يشهد على تلك التوسعات في حدود سنة 739هـ/1339م، وقد أمر بناء مسجد العباد بتلمسان قبل أن يغزو تونس[2]، وتبقى دائما سياسة التوسعات ثابتة في منطلقها بحيث يسعى دائما ذلك القائد لبناء وتأسيس مدن أو فرض سلطته عليها ويبرز معها بناء المساجد والمدارس والقصور، وهذا ما طبقه السلطان المريني أيام زحفه على بلاد المغرب الأوسط.

وفي نهاية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر ميلادي) بدأ الضعف والانحطاط ببني زيان، وتلاشت قواتهم وتقلصت حدودهم[3]، مما أدى إلى بروز قبائل للوجود منها قبيلة عرب سويد[4] بقيادة حميد العبد[1] التي استقرت بمستغانم، وقد قامت هذه القبيلة بتوسع عمراني كبير

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص. 107.

[2]- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ط.1، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، أفريك، 2004م، ص.187.

[3]- يذكر أن مملكة بني زيان تم حصارها في أواخر أيامها من قبل الإسبان والأتراك والقبائل، وحتى المؤامرات التي كانت حدث في دار الحكم، ويشار حتى أن مجال حكمها اقتصر على تلمسان وفقط، وهذا نظرا لظروف التي أحاطت بها. أنظر: هاشمي بن براهيم، المرجع السابق، ص.32.

[4]- قبيلة سويد: سويد بن عامر بن مالك بن زغبة بن ربيعة بن نهيك بن هلال بن صعصعة بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن يزيد بن حفص بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ومن بين بطونها فليتة وأولاد ميمون ومجاهر وصبيح، كانت تسيطر مع بني عامر على معظم سهول وهران. أنظر: مسعودة بوجلال، الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير ما بين (1505- 1792م) من خلال المدونة الفرنسية: المجلة الإفريقية(R.A) ونشرية وهران الأثرية والجغرافية (B.S.G.A.O) أنموذجا دراسة ببليوغرافية تحليلية، دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2020/2019م، ص.20.

من خلال إعادة تحصين الأسوار والأبواب وبناء المنازل، ومن بين هذه المنازل منزل حميد العبد قائد القبيلة سويد[2]، إن هذا التوسع العمراني من طرف قبيلة سويد قد يكون فيه شيء من التضخيم؛ لأن المصادر المكتوبة لا تتحدث عن هذه الإنجازات الحضارية، فلا ندري من أين أخذ هذا الباحث معلوماته، على كل حال تبقى معلومات مفيدة جدا بالنسبة لنا من أجل التحقيق فيها.

ومما يذكر أن بعد سقوط غرناطة عام 897هـ/1492م، واضطهاد ملوك قشتالة[3] لمسلمي الأندلس، هاجر العديد من المسلمين لسواحل بلاد المغرب الأوسط[4]، وكانت هذه الهجرات عبر عدة مراحل مختلفة وبأعداد كبيرة[5]، وتذكر بعض الروايات التاريخية أن 22 ألف أندلسي دخلوا الأراضي الجزائرية عبر ميناء وهران ثم انتقلوا للمدن المجاورة: تلمسان ومزغران ومستغانم[6]، ويضيف أخر أن أربعة ألاف أندلسي توجهوا نحو مستغانم فتعرض لهم

---

[1]– أحميدة (حميدة) العبد : هو بن محمد بن القاسم بن أبي القاسم بن محمد بن عريف قائد قبيلة سويد عاش خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي. أنظر : نعيمة طيب بوجمعة، «الهجرة الهلالية من خلال مخطوط " كتاب نسب زُغبة ومنتهى أصلهم" لأبي الحسن علي بن محمد بن الخطيب القرشي»، المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد:06، جانفي 2018م، ص. 116.

[2]-Esterhazy (W), Op, Cit, P.108.

[3]– قشتالة: إقليم عظيم بالأندلس قصبته اليوم طليطلة وجميعه اليوم بيد الأفرنج. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.4، ص.352.

[4]– في الحقيقة أن المغرب الأوسط كان مع سقوط غرناطة يمر بمرحلة الضعف والإنحطاط والفوضى، في ظل الصراعات والحروب بين القبائل والدويلات، وحتى حركة الانفصال والتمرد لبعض المدن عن سلطة الحكم مثل ما حدث في مدينة بجاية، وحتى جزائر بني مزغنة وتنس وغيرها، وهذا مما تسبب وسهل دخول المد الصليبي الإسباني فيما بعد، حيث وجد الناس شتات ومتفرقون سلطة وشعبا. أنظر: نبيل تشيش وعبد الكامل عطية، « الجزائريين من التحالف مع الإخوة بربروس لطرد الصليبيين إلى تشكيل نظام سياسي جديد مع مطلع القرن 16م»، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد:13، العدد:02، 2022م، ص ص.290 –291.

[5]- مهدية طيبي، مقاربة للوضع الاجتماعي والاقتصادي لأهل الأندلس لمدينة الجزائر القرن (17م–18م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية، ماجستير تاريخ حديث، الجزائر،2009/2008م، ص.70.

[6]- علي المنتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، ط.1، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، ص.180.

الأعراب في الطريق ونهبوهم لعدم توفر الحراسة[1]، أكيد هذه الهجرات فيها الصناع والحرفيون وأهل العلم وما شابه، وسيساهمون في العديد من النشاطات العلمية والحضارية[2].

4- خلاصة:

لا تختلف مدينة مستغانم عن مرسى الدجاج من ناحية الموضع والموضع الذي شيدت عليها المدينة الإسلامية، سوى أنها محصن بوادي عين الصفراء والذي يشكل في نفس الوقت مصب للماء وخندق من الجهة الشرقية والجنوبية والشمالية، لكن من الناحية التحصين الطبيعي الجبال فهي غير آمنة من هذا المنطلق، أما عن الجذور التاريخية فهي عريقة جدا بداية من فترة ما قبل التاريخ إلى الفترة الإسلامية، هذه الأخير كان لها صدى أيام الدولة الرستمية من خلال استغلالها مينائها، ثم لم يكن لها أثر سوى مع الدولة المرابطية وتشييد يوسف بن تاشفين لبرج أمحال، نفس الأمر ينطبق عليها خلال الدولة المرينية التي شيدت مسجد جامع بها.

رابعا: مدينة هنين:

1- الإطار الجغرافي لمدينة هنين:

تقع هنين على ساحل البحر الأبيض المتوسط بحيث تبعد عنه ببعض الأمتار فقط، وترتفع عن سطح البحر بـــ 8م، أما من الناحية الإدارية فيحدها من الشرق بلدية بني خلاد، ومن الغرب بلدية الغزوات، ومن الجنوب بلدية بني وارسوس، وهي تابعة لولاية تلمسان التي تبعد عنها بمسافة 60 كلم شمالا، وتبعد عن الجزائر العاصمة بـــ 567 كلم، وعن ولاية

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط.2، البصائر، الجزائر، ص.17.

[2]- مفيدة بن يوسف، الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني لقرنين السادس عشر والسابع عشر (16م-17م)، ماجستير تاريخ حديث ومعاصر، جامعة وهران، 2011/2010، ص.117.

وهران بـــ143 كلم، في حين تبعد عن الحدود المغربية بحوالي 40 كلم[1]، أما فلكيا يمكن أن نحددها بين خط طول 35,1035° شمالا وبين 1,3918° غربا[2].

أما المدينة الإسلامية فهي تقع بين وادي هنين من الناحية الشمالية ووادي رقو من الناحية الغربية، فهي تقع على هضبة جبلية صخرية بالقرب من "رأس هون"[3]، في حين يبلغ إرتفاع الهضبة التي شيدت عليها القلعة بـــ 34م عن سطح البحر[4]، فهذا الإختيار الطبوغرافي للمدينة قد تبعته الكثير من المدن الإسلامية التي سبقتها، من خلال أنه شديد الصعوبة والإختراق، وكل هذا راجع لدواعي أمنية سواء ما تعلق بالأعداء أو تجنبًا للكوارث الطبيعية.

2- الخصائص الطبيعية لمدينة هنين:

ما يلاحظ على مدينة هنين أنها محاطة بسلسلة جبلية تحميها من ثلاث جهات؛ فهذه السمة لا نجدها في الكثير من المدن الإسلامية سواء في بلاد المغرب الإسلامي أو في المغرب الأوسط بصفة خاصة، هذه السلسلة هي إمتداد لجبال ترارة وهي مفتوحة نحو البحر[5]، فنجد من الجهة الشمالية الشرقية جبل المنزل بـــ306م، والذي يتصل بجبل رأس الناضور الذي يبلغ علوه بـــ502م وهو إمتداد لجبل تاجرة 859م، أما شمالا نجد جبل بوبنار بـــ608م، ويصل هذا الإمتداد الجبلي على سطح البحر عند رأس هون أو نوح[6].

كما نجد سلسلة جبلية أخرى لوادي هنين في الجهة الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية، وهذه السلسلة الجبلية تصل للبحر، ويمكن أن نذكر البعض منها مثل جبل سيدي سفيان

---

[1]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.5، ص.419.

[2]- Kribai Souliaman, Etude des orthoptères ou niveau de littorale de honaine région de Tlemcen matier écologie et environnement univ-Tlemcen, 2011, P.12.

[3]- Abderrahmane Khalifa, Honaine ancien port de royaume de Tlemcen édition dalma, Alger, 2007, P.71.

-Nora Yahiaoui, les confins occidentaux de la Mauritanie césrinne sujet de doctorat, 2003,P.13.

[4]- عبد العزيز لعرج، «مدينة هنين تاريخها وآثارها»، الملتقى الدولي الخامس حول التراث العلمي والثقافي لمدينة ندرومة ونواحيها، دار السبيل للنشر والتوزيع، 2006م، ص.141.

[5]- Basset (H), Nedroma et les traras, Paris, Leroux, 1901, P.65.

[6]- مصطفى سالم، الاستحكامات العسكرية الموحدية في بلاد المغرب والأندلس دراسة تاريخية أثرية، دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2018/2017م، ص.258. أنظر:

- Abderrahmane Khalifa, op, Cit, Pp.69-70.

بـــ856م وجبل القساعين بـــ450م، ورأس هنين بـــ340م وجبل سيدي إبراهيم بـــ117م، ولهذا نجد المدينة تمتاز بحماية طبيعيا صعبت من الهجوم عليها من قبل الأعداء[1]، ويضاف لها تحصين إنشائي مثل الأسوار والأبراج والقلاع وغيرها، فالمدينة مشيدة على ساحل البحر وهي محل أطماع داخلية وخارجية، لهذا يُخْتَارُ لها أفضل المواقع الطبوغرافية.

وفيما يخص مناخ المدينة فهو مناخ البحر الأبيض المتوسط يتميز بالإعتدال والحرارة المشبع بالرطوبة، في حين أن نسبة التساقط لا تختلف عن الكثير من المدن الساحلية أي متوسطة التساقط شتاءً، حار وجاف صيفاً يتخللها تيارات بحرية، أما في فصل الربيع والخريف فهو مناخ معتدل، أما هبوب الرياح فهي ذات إتجاه جنوبي غربي وشمالي شرقي، ولا تهب تلك الرياح بتيارات قوية بل تنكسر وتضعف بفعل السلسلة الجبلية التي تحميها من الجهات الثلاثة[2]، فهذه إحدى مميزات المدينة المحصنة التي جعلت منها قبلة لدى الكثير من المجتمعات سواء في الفترة القديمة أوالإسلامية، ومن يزور هنين يمكن له أن يستنبط هذه الميزة الطبيعية التي لا نجدها في الكثير من المدن.

أما عن الغطاء النباتي فيتميز بتنوعه بين حشائش وأشجار مثمرة مثل الكرز والمشمش والتفاح والتين والزيتون بالإضافة للخضر بأنواعها وأشجار غابية مثل الصنوبر والعرعار، هذه الأخيرة يستعمل خشبها لتدعيم الأسوار والتسقيف وحتى صناعات اخرى[3]، فتنوع هذه المنتجات دليل على خصوبة التربة وغناها بالأملاح المعدنية، وما ينقله مارمول كربخال عن تعدد حدائقها وأراضيها صالحة للحرث إلا دليل على ذلك، فالمدينة يمر بها واديان هنين ورقو ساهما في استقرار سكانها وممارسة الزراعة ومنها التجارة[4]، ومنه يمكن القول أن الشروط التي أقرها ابن الربيع موجودة، وبهذا يتحقق عامل البناء والتشييد ومنها الإستقرار.

---

[1]– عبد الله علام الله، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، المطبعة الشعبية، الجزائر، 2007م، ص.101. أنظر: مصطفى سالم، المرجع السابق، ص.258.

[2]– حليمة بومدين، جرد المكتشفات الأثرية بحفرية هنين، ماستر تخصص علم الآثار الوقائي، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2015/2014م، ص.9.

[3]– حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص ص.15–16.

[4]– مارمول كربخال، المصادر السابق، ج.2، ص ص.296–297.

وتماشيا مع ما تم ذكره في المدن الأخرى حاول قضية الموقع والموضع ومساحة المدينة، نؤكد أن هنين لم تخرج عن ذلك المنطقة بحيث ساهم تلك العوامل في بروزها وتطورها في شتى المجالات خاصة المعمارية والعمرانية، وتتمثل هذه المبادئ فيما يلي:

2-1- الموقع:

يرتبط موقع أي مدينة بالوسط الطبيعي الذي يحيط بها في شتى المجالات سواء التجارية أو السياسية أو العسكرية أو المعمارية والعمرانية، وكما ذكرنا سابقا علاقتها بالدويلات المستقلة التي جعلت منها طريقًا تجاريًا ثابتًا خاصة ميناؤها المحصن، بحيث استغل في تصدير منتجاتهم وجلب ما يحتاجونه من شتى المناطق، فهذا الموقع الإستراتيجي المهم يعتبر نعمة كما نراه نقمة من ناحية أخرى، بحيث كانت محل طمع وصراع للعديد من القبائل والدويلات والجماعات، وهذا الخطر كان من اتجاهين بري وبحري[1]، وعليه لم تسلم هنين من الخراب في الكثير من المرات، مما أثر على تطور عمارتها وعمرانها ولم يبق منها إلا بعض المعالم المهددة بالسقوط والاندثار إلى اليوم(الخريطة رقم: 07).

2-2- الموضع:

من خلال المعاينة الميدانية نلاحظ أن المدينة محصنة إلى حد ما، فالموضع الذي شيدت عليه منقسم إلى جزأين، جزء شيد في أعلى الهضبة، والآخر في أسفلها قرب الوادي والميناء(الصورة رقم:09)، هذا الجزء فيه تحفظ نوعا ما؛ فكما قلنا سابقا أن الوادي قد فاض على المدينة وخرب جزء منها، إضافة لذلك الخطر الذي يأتيها من البحر، غير هذا فهي محصنة طبيعيا بسلسلة جبلية من ثلاث جهات بهذا تحقق شرط التحصين(الصور رقم: 10-11-12)، زد على ذلك وجود غطاء نباتي وأراض زراعية تحيط بها، مما يعني وجود الكلأ والميرة المستمدة، ومع وجود الوادي وبعض العيون والآبار تستوفي شرط الماء (الصورة رقم: 13)، وعليه يمكن القول إن الموضع الذي شيدت عليه هنين متميز جدا، ويوافق الشروط الرئيسية التي تحدث عنها العلماء والفقهاء، ومن المؤكد أن تحظى بالتعمير والاستقرار البشري على مر التاريخ.

[1]- محمد بن زغادي، المرجع السابق، ص.83.

2-3- مساحة المدينة:

وفق الزيارة الميدانية التي قمنا بها لهذه المدينة فإن المساحة الإجمالية التي تتربع عليها تفوق 4,68 هكتار[1]، مع العلم أنها تنقسم إلى جزأين؛ الجزء العلوي والمتمثل في القلعة التي شيدت فوق منحدر صخري بعلو 30م على مستوى البحر، أما شكلها فهو غير منتظم الأضلاع[2]، هذا راجع للمنحدر الذي تبعته الأسوار مما خلق هذا الاختلاف، أما الجزء السفلي فهو واسع جدا رغم أن الآثار الباقية ليست بالكثيرة، قوامها أجزاء من بعض الأسوار وكذلك بقايا المنازل التي أكتشفها الباحث عبد الرحمن خليفة أثناء حفريته بين 1971 و1972م، ويمكن القول إن هذا الجزء مساحته محدود بواد هنين من الجهة الشرقية الشمالية على الأغلب، ليصل بعدها للميناء، وعليه فهذه الجهة غير محدودة في ظل الترابط بين الميناء وعمران المدينة، ومنه نستخلص الحجم الكبير للمدينة التي توحي بأهميتها ومكانتها الحضارية والعمرانية في بلاد المغرب الأوسط (المخططين رقم:09-10).

3- الإطار التاريخي لمدينة هنين:

3-1- أصل التسمية:

لا تختلف مدينة هنين عن باقي مدن المغرب الإسلامي في وجود أراء مختلفة حول أصل تسميتها، فمنهم من يرى أنها مأخوذ من البربرية وتعني الشرفة[3]، أما جماعة أخرى ترجعها للفترة القديمة لاسم جيبساريا وتعني موقع أو موطن الجبس، فالمدينة مشهورة بهذه المادة، ومن الممكن أن الفينيقيين هم من أطلقوا مصطلح جيبساريا (GYPSARIA) على

[1]- مديرية الثقافة ولاية تلمسان.

[2]- مصطفى سالم، المرجع السابق، ص.264. أنظر: عبد المالك مزعاش وفواز سرايش، مدينة هنين في العصر الوسيط، ماستر تخصص مغرب إسلامي، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2022/2021م، ص.69.

[3]- عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص.296.

المدينة أيام تأسيسهم لها[1]، وهناك من يطلق عليها اسم أرتيسيقا وهي كلمة بربرية مركبة من جزئين؛" أرتي" و"سيقا" وتعني الطريق المؤدي إلى سيقا[2]، وتبقى المدينة إحدى النماذج التي ترجعها الدراسات التاريخية للأصل الفينيقي، وهذا ما ينطبق على مدينة تنس وغيرها من المدن التي كانت لها أهمية في الفترة القديمة وبعدها الفترة الإسلامية على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

أما عن المصادر الجغرافية والتاريخية فلا نجد ذكرًا لأصل تسمية هنين إن لم نقل منعدمة، فهي ذكرت بعض المميزات والخصائص الجغرافية والعمرانية والفترات التاريخية التي مرت بها، وحتى وإن كان ابن خلدون أعطى كلمتين عن المدينة مثل؛ هنين – هني[3]، غير أن هذا لا يضيف شيء لماهية المدينة، وعليه يبقى البحث متواصلاً في هذا الصدد من أجل تقديم معلومات جديدة سواء من خلال الحفريات الأثرية أو المخطوطات أو الكتب التي لم نطلع عليها.

3-2- أهم المراحل التاريخية للمدينة:

3-2-1- فترة ما قبل التاريخ:

تبقى الأبحاث الأثرية لهذه الفترة قليلة إن لم نقل منعدمة، رغم أننا بحثنا بخصوص هذه المنطقة فلم نجد أي معلومة أو دراسة تكلمت عن مدينة هنين في فترة ما قبل التاريخ، وقد تكون هناك دراسات وبحوث لم نستطع الوصول إليها، أي أننا لا ننكر وجود دليل على ذلك، وإن كانت الدراسات العامة تشير إلى أن شمال إفريقيا غني جدا بمواقع ما قبل التاريخ، وقد

[1]- Mac Carthy, « Alegria Romania », Recherche sur L'occupation et La colonisation de L'Algérie par Les romains 2ème partie , in Revue Africaine , Volume 01, Arnolet Imprimeur Libraire, Constantine, Algérie, 1856-1962 , P. 180.

[2]– رابح لحسن، أضرحة الملك النوميد والمور، دار هومة، الجزائر، 2002م، ص.223. أنظر:
-Abderrahmane Khalifa, op, Cit, P.17.

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص ص.121-156.

حدد ذلك بحضارة ما قبل الأشولية[1] التي تتمركز بالجزائر والمغرب الأقصى[2]، ويبقى تحديد هذه المواقع متوقفاً على الحفريات والبحوث الأثرية التي ستقام مستقبلا.

وللعلم أن تغير مستوى سطح البحر في المناطق الساحلية خلال العصور القديمة قد ترك علامات دالة في شكل ترسبات وحجارة وكثبان متينة، وهي توحي بتفسيرات علمية للحياة الجيولوجية التي كانت سائدة في ذلك الوقت[3]، وبطبيعة الحال مدينة هنين هي إحدى المناطق الساحلية التي تعرضت لعدة تغيرات جيولوجية على مستوى بيئتها وموقعها الطبوغرافي، ومنه نحتاج لقراءة علمية لهذه المدينة من شتى النواحي لمعرفة الحضارات التي ترجع لفترة ما قبل التاريخ.

3-2-2- الفترة القديمة:

إن الحديث عن هذه الفترة يجرنا للكلام عن الوجود الفينيقي في شمال المغرب، والذين فرضوا أنفسهم على العديد من المدن الساحلية، وجعلوا منها مراكز تجارية ومرافئ تتوقف بها سفنهم[4]، مع العلم أنهم بارعون في الملاحة لهذا ساهموا في تطوير تلك المراكز والمرافئ التجارية من خلال تعميرها وإستقطاب التجار وأهل الحرف والصناع[5]، ولا يمكن أن ننسى أنهم تركوا مخلفات أثرية شاهدة على مرورهم بهذه المناطق، وهنين هي إحدى المراكز التي

---

[1] – الحضارة الأشولية: هي حضارة جديدة استمدت إسمها من سانت أشول (sainta Acheul) بفرنسا حيث تم التعرف عليها لأول مرة، وتنقسم الأدوات الأشولية إلى ثلاثة أصناف رئيسية البيفاص (ذات الوجهين) والبليطة، وثلاثية الوجوه. أنظر: ك إبراهيمي، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، تر: محمد البشير شنيتي ورشيد بورويبة، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص.21.

[2] – محمد سحنوني، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1999م، ص.86.

[3] – إبراهيمي ك، المرجع السابق، ص.13.

[4] – شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى غاية الفتح الإسلامي، ترجمة: محمد مزال والبشير بن سلامة، دار التونسية للنشر و التوزيع، 1969م، ص ص.58،60.

[5] – محمد البشير شينيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج.1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص.24.

إستغلها الفينيقيون للمبادلات التجارية ومركزا إنطلاق وتوقف لسفن[1]، إن هذا الإختيار لم يكن صدفة أبدا بل راجع للموقع الإستراتيجي الذي تحظى به المدنية عن باقي المناطق الساحلية.

لم يخرج الوجود الروماني عن التقاليد السابقة من خلال سيطرتهم على المدن الساحلية، فكانت مدينة هنين من بين أعرق وأقدم الموانئ والمدن الرومانية، وسبب هذا الاختيار يعود للميناء الحصين طبيعيا؛ من خلال أنه محصور بين منحدرين عالين بعلو 100م على مستوى سطح البحر[2]، هذه السمة الطبيعية ساعدت في الاستقرار وتعمير المدينة وجعلت منها مقصدًا للناس في تلك الفترة، وكذلك لا ننسى قربها للمدن الجنوبية الأوروبية أي ساهمت في المسار التجاري للإمبراطورية الرومانية.

3-2-3- الفترة الإسلامية:

وتماشيا مع التسلسل التاريخي والفتح الإسلامي لبلاد المغرب فإن مدينة هنين لا نجد لها أثرًا في تلك الأحداث، فربما لم تكن لها قيمة كبيرة مقارنة بالمدن الكبرى، أو لم يتخذها الناس بيتا للاستقرار، غير أن هذا الرأي يبقى ضعيفًا مقارنة بالحضارات التي أسست بها في الفترة القديمة، وكذلك للموقع الإستراتيجي التي تتميز به، ومن الممكن أننا تغافلنا عن قراءة بعض المصادر التي قد تكون أشارت للمدينة خلال الفتح الإسلامي.

وفيما يخص فترة الدويلات الإسلامية المستقلة الأولى فالمدينة لم يكن لها إشارة صريحة في الكتابات الجغرافية والتاريخية، بل ذكرت في سياق الإقليم الذي كانت تنتمي إليه، ففي الفترة الرستمية كانت المدينة ضمن أحواز وهران[3]، لأن الرستميين كان لهم توسع جغرافي واسع من بجاية إلى وادي ملوية وجبال تازا غربا[4]، لكن يبقى هذا القياس شيء نسبي وفقط مقارنة بقاعدة القوى والضعف لتلك الدولة، أما عن الدولة الإدريسية فقد سيطرت على هنين

---

[1]- Abderrahmane Khalifa, Op.cit, P.93.

[2]-Djilali sari, «Honaine passé et transformation en cours», office de publication universitaire, Alger du patrimoine archéologique, bulletin N°02, Janvier 1990, Pp.25-26.

[3]– محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص.445.

[4]– محمد عيسي الحريري، المرجع السابق، ص.13. أنظر: إبراهيم العدوي، بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1970م، ص. 10. أنظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية في الجزائر، 1350هـ، ص ص. 161، 245.

بزعامة محمد إدريس الثاني، وهذا أمر طبيعي بفعل قربها من إقليم حكم الأدارسة[1]، لكن لم تذكر بعبارة واضحة باسم هنين بل جاءت في سياق إقليم تلمسان، وبما أن هذا الإقليم له توسع جغرافي كبير فمن المؤكد أن المدينة تدخل ضمنه.

ولا يفوتنا هنا أن نشير للتوسع الفاطمي على بلاد المغرب الأوسط والأقصى، والذي كانت هنين جزءًا منه، بحيث أمر عبيد الله المهدي قادته بالسير غربا إلى ما وراء تاهرت والقضاء على القبائل المتمردة[2]، هذا الفعل يسير على العديد من المدن الداخلية والساحلية التي تمركزت فيها تلك البطون والفروع من الناس، وبما أن الطمع مشروع أي دولة فكان الفاطميون يفكرون في العبور عن الضفة الساحلية من الأندلس، ولم يتم لهم هذا الأمر حتى سيطروا على الموانئ الساحلية على غرار وهران وهنين[3].

وجدير بالذكر أن نشير للفترة الزيرية التي لم يكن لها أثر على المدينة، سوى أن بني زيري دخلوا مدينة تلمسان وما جاورها سنة 363هـ/937م وخربوا عمرانها وشردوا أهلها[4]، والمقصود من هذه العبارة الأخيرة هي تلمسان، ولم يخرج أبناء عمومتهم بني حماد عن المألوف بحيث كان لها امتداد على هنين سنة 454هـ/1063م[5]، غير أن هذا التوسع على حساب المدينة لم يدم طويلا بفعل الصراعات التي تعرضت لها قلعة بني حماد، وكذلك بروز قوى جديدة في الساحة.

أما فيما يخص الامتداد المرابطي على مدينة هنين فكان واضحًا بشكل عام، وهم الذين توسعوا على العديد من مدن المغرب الأوسط على غرار تلمسان ووهران، وتنس، وجبال الونشريس، وجزائر بني مزغنة؛ والتي شيدوا بها مسجدهم بقيادة يوسف بن تاشفين[6]، لكن بكل بكل صراحة لم يكن لهنين صدى واسع في عهدهم، فمن الممكن أنها كانت مجرد مرسى

---

[1]– إبن الأثير، المصدر السابق، ج.6، ص.132.

[2]– فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص.206.

[3]– عبد العزيز سالم، المغرب الكبير...، ص.609.

[4]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص ص.157–158.

[5]– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.145.

[6]– عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، ط.1، مكتبة الثقافة الدينية، 1997م، ص ص.28–29. أنظر: عبد العزيز شاكي، المرجع السابق، ص ص.113–114.

تجاريًا لا غير، في حين إذا أشرنا للمدينة خلال العهد الموحدي فإن الأمر يختلف تماما عما سبق، فهذه الدولة أعطت أهمية بالغة لها، فمنذ أن توسع عبد المؤمن بن علي على المغرب الأوسط سنة 534هـ/1139م، بدأ ببسط نفوذه على العديد من المدن مثل وجدة وهنين، وندرومة، وأغادير، ووهران وما بعدها[1]، وهذه السياسة انتهجها العديد من الدويلات خاصة في فترة القوة والضعف، وعليه كانت هنين ضمن نطاق الحكم الموحدي ومنها عرفت نشاطًا تجاريًا وعمرانيًا واسعًا.

لقد اعتنى الموحدون بالمدينة فقاموا بتعميرها وشجعوا الناس على ذلك، فجعلوا للمدينة حصنا وأسوارا تحميها من كل الجهات[2]، واتخذوا دارًا للصناعة السفن الحربية والتجارية أيام حكم عبد المؤمن بن علي[3]، فكان لهم 100 سفينة لصد هجمات الأعداء والتوسع نحو مدن أخرى للفتح[4]، لقد كانت هنين مركزا هامًا بالنسبة للموحديين، وهذا لما تتميز به من موقع محوري قريب من مركز الحكم وطريق عابر نحو الضفة الساحلية الأخرى (الأندلس)، وكذلك سوق للمبادلات التجارية بين العديد من المدن[5]، وعليه يمكن القول إنها عرفت عهدا لامعًا خلال العهد الموحدي في شتى المجالات خاصة المجال العمراني والاقتصادي والصناعي، أي أنهم أحيوا تلك المدينة التي كانت عبارة عن ميناء وفقط، بل طوروها وجعلوها تنافس العديد من المدن الساحلية.

وعلاوة على ذلك فإن مدينة هنين كان لها دور بارز خلال العهد الزياني، بحيث كانت حاضرة تجارية وإقتصادية تربط عاصمة الدولة تلمسان مع مختلف المدن في المغرب الأوسط

---

[1]– عبن الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج.2، ط.7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص.8. أنظر: حورية سكاكو، المرجع السابق، ص.15.

[2]– ابن خلدون، ج.6، المصدر السابق، ص.104. أنظر: محمد المنوني، حضارة الموحدين، ط.1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1989م، ص.13.

[3]– صالح بن قربة، المرجع السابق، ص.143.

[4]– ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص.201.

[5]– ليلى أحمد نجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي، دارسة تاريخية وحضارية، ج.2، ص.287.

والأقصى والأندلس[1]، هذه العناية من بني زيان للمدينة لم تكن صدفة أبداً بل للقيمة الحضارية وكذلك مينائها الحيوي أيام المبادلات التجارية[2]، وخاصة أن الدولة الزيانية كان لها توسع جغرافي كبير جعلها تبسط نفوذها على العديد من الموانئ خاصة وهران وهنين، وكذلك لا ننسى قرب هذه المراسي من العاصمة الزيانية.

أما عن مكانة هنين في الفترة المرينية فكانت مركزًا للصراع مع بني زيان، فكل منهما يريد الإستحواذ عليها من أجل قيمتها التجارية والإقتصادية وموقعها الاستراتيجي[3]، هذه الخصائص التي تتميز بها جعلتها دائما محل طمع بينهما، وعلى سبيل المثال ما قام به السلطان أبو الحسن المريني حين سار نحو المغرب الأوسط سنة 736هـ/1355م، وسيطر على العديد من المدن على غرار تلمسان ووهران والمرسى الكبير وهنين، وقد أمر من معه بالبناء والتشييد وجعل لهم مسجدًا جامعًا بتلك التي يدخلها[4]، إن هذا الفعل يوحي بوجود عمران بالمدينة من جهة، أما من ناحية أخرى تدل على الإهتمام بمركزية هنين، وكذلك من الممكن أنها تعرضت لتخريب لهذا أراد أبو الحسن إعادة أمجادها الحضارية، ومن الطبيعي أنها تتعرض لتخريب في ظل الصراعات التي قامت من أجلها.

وحري بنا التطرق إلى دخول الإسبان للمغرب الأوسط وسيطرته على العديد من المدن الساحلية على غرارالمرسى الكبير وهران ومستغانم، وعليه حاولت السلطة الزيانية حماية

---

[1]– الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص.87. أنظر: مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية...، ص.143. أنظر: ابن الأحمر، المصدر السابق، ص.48.

[2]– ابن الأحمر، المصدر السابق، ص.48. أنظر: مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية...، ص ص.236–237. أنظر: محمد بن زغادي، « قراءة في تاريخ مدينة هنين»، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية عربية، العدد: 28، 2008م، ص.84.

[3]– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.386. أنظر: مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية...، ص.234.

[4]– محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص.404. أنظر:

-George (M), « Recherches d'archéologie musulmane Honain» , in revue Africaine, 1928, P.338.

وتأمين مدنها ومرسى هنين الذي كان الشريان التجاري لها[1]، غير أن المدينة تعرضت سنة 937هـ/1531م لحملة عسكرية من قبل القائد دون ألفاردو بازان، وتم تخريب عمرانها وتهجير أهلها[2]، وعليه فقدت المدينة رونقها وعمرانها وتجارتها التي كانت تشتهر بها، ورغم دخول العثمانيين مدينة تلمسان وطرد الإسبان من مدنها، إلا أنها لم ترق لما عرفت به من قبل، وأصبحت مجرد مرفأ للسفن التجارية والحربية وللحماية في البحر الأبيض المتوسط[3]، هذه هي حالة المدن الساحلية فهي أول مدن عرضة للتخريب ويبقى دورها في أغلب الأحيان تجاريًا.

4- خلاصة:

واستخلاصا لما سبق يمكن القول إن مدينة هنين كانت في البداية مجرد مرفأ إستحدثه الفينيقيون وإستغله الرومان في التجارة والصيد، أما في الفترة الإسلامية الأولى لا نجد لها ذكرًا سوى أنها ذكرت في سياق إقليم المغرب الأوسط، غير أنها ظهرت كقيمة حضارية مع المرابطين والموحديين فهم من جعلوا منها مركزا تجاريًا بدرجة كبيرة، وإهتم العنصر الموحدي بالبناء والتشييد، ونفس الأمر ينطبق على بني زيان وبني مرين، لكن صراحة قيمتها التجارية برزت بدرجة واضحة وكبيرة مقارنة بالقيمة العمرانية.

---

[1]- محمد عمر الطمار، المرجع السابق، ص.231. أنظر: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص.70. أنظر: منصورية قدور، منطقة ترارة دراسة تاريخية وحضارية القرن 5هـ /11م حتى القرن 10هـ/16م، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2018/2017م، ص ص.75-76.

[2]- عبد القادر فكاير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910هـ-1206هـ/1505م-1792م)، دار هومة، الجزائر، 2012م، ص ص.67-69.

[3]- عمارية عايدة، الفوارق الصوتية والدلالية بين الفصحى والعامية في منطقة هنين، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2004م، ص.19. أنظر: منصورية قدور، المرجع السابق، ص ص.78-79.

خامسا- خلاصة الفصل:

بحكم ما تم التطرق له في هذا الفصل يمكن الخروج بمجموعة من النقاط المتعلقة بالإطار الجغرافي والتاريخي لمدن أقاليم المغرب الأوسط (تنس، مرسى الدجاج، مستغانم، هنين) وهي على النحو التالي:

أما عن الجانب الجغرافي يمكن القول أن لكل مدينة خصائص يميزها عن الأخرى، سواء من الناحية الموقع وقربهما من العواصم والمدن الكبرى وقد حددنا هذه النقطة، مع العلم أن موقعهم يفرض ربط علاقتهم بهم خاصة عندما نتلكم عن التجارة، وهذا ما تم ملاحظته من خلال القراءة التاريخية للمصادر، أما الموضع فهنا يكمن التشابه والاختلاف إلى حد ما، فبعد إطلاعنا على تلك المدن وجدنا أن موضع تنس وهنين فيه جزء من التشابه، خاصة عندما نتحدث الهضبة التي شيدت عليهما المدينتين، وكذلك التحصين والوادي الذي يحيط بهما، أما مرسى الدجاج فشيدت على ساحل البحر الذي يلامس سورها كما ذكرت المصادر، إضافة لذلك فالهضبة التي شيدت عليها منخفضة جدا مقارنة بالمدن الثلاثة الأخرى، فحتى مدينة مستغانم موضعها مفتوح ومبسوط لكن لا يشبه مرسى الدجاج فهي محصنة بوادي عين الصفراء وهذا ما هو موجود في تنس وهنين.

أما عن الجانب التاريخي لهذه المدينة تأكده المصادر والمراجع التاريخية، بالإضافة أن الشواهد الأثرية تشير على مرور الكثير من الحضارات بهم بداية من الإنسان ما قبل التاريخ ثم الفترات القديمة ثم الإسلامية وفي هذه الأخيرة كان التأثير أكبر بداية من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة الزيانية وبعدها العثمانية، وهذا رغم أن لكل مدينة تاريخ وجماعة شيدتها؛ فتنس بناها البحارة الأندلسيون، ومرسى الدجاج فيها بعض التضارب بين الدولة الزيرية والفاطمية وحتى الحمادية في ظل عدم وجود دليل أثري، ومستغانم شيدها يوسف بن تاشفين المرابطي ثم بنو مرين، أما هنين فشيدها عبد المؤمن بن علي الموحدي.

ونشير أن هذه الأحداث التاريخية ساهمت بقدر كبير في تطور وخراب عمران تلك المدن (تنس، مرسى الدجاج، مستغانم، هنين) وهذا أيام التوسع الذي تبعته تلك الدويلات المستقلة، مع العلم أن موقع المدن الساحلي ودورها التجاري جعلها عرضةً لتلك الأعمال

سواء بتطورها وخرابها، وعليه فالسيطرة على هذه الحواضر هو بمثابة تحكم في إقليم المغرب الأوسط باعتبار أنها تقع قرب العواصم الكبرى، إضافة لذلك لا يمكن أن ننسى فضل الجماعات الأندلسية التي استقرت بهما عبر تاريخها الإسلامي بداية من التأسيس إلى الخراب، وهذا أوردته لنا المصادر وفصلت فيها المراجع التاريخية.

الفصل الرابع:

مدن الأقاليم من خلال المصادر المكتوبة

أولا: مدينة تنس.

ثانيا: مدينة مرسى الدجاج.

ثالثا: مدينة مستغانم.

رابعا: مدينة هنين.

خامسا: خلاصة الفصل.

إن المتفحص لكتب الرحالة والجغرافيين يجد اهتماما كبيرا بالمدن الإسلامية التي كان لها تأثير في المنطقة، فلا تجد مصدرا تاريخيا إلا وتحدث أو وصفت تلك المدن من شتى الجوانب سواء الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي وحتى الجانب العمراني، ويجب التأكيد على أن هذه المادة العلمية ليست دقيقة ولا ثابتة لدى المصادر، فلكل واحد منهم له طريقة في الوصف والتعبير والنقل كذلك، وهناك من تزامن مع بناء وتشييد تلك المدن والبعض الآخر كان متأخر عن ذلك، وعليه سنحاول تدقيق في هذه المعلومات مع التعليق عليها، كما أن تركيزنا الرئيسي ينحصر في العمارة والعمران، وهذا ما سنعرفه في الفقرات القادمة:

أولا- تنس من خلال المصادر المكتوبة:

1- أبي إسحاق الأصطخري (ت346هـ / 957م):

يعتبر الرحالة من المصادر التاريخية الأولى للقرن الرابع الهجري، فقد ذكر لنا مدينة تنس، لكن جاء وصفه غير دقيق؛ فقال:"...وأما مدينة تنس فهي مدينة كبيرة، وهي عُدوة[1] إلى الأندلس أيضا..."[2]، وهنا يربط لنا هذه المدينة مع الأندلس سواء من منطلق القرب أو أنها منطقة تقابل المدن الأندلسية، ومع العلم أن الأندلسيين كانوا يقصدونها كثيرا سواء للتبادل التجاري أو للعبور للمدن الداخلية بالمغرب الأوسط.

2- أبو القاسم ابن حوقل (ت367هـ / 977م):

ذكر مدينة تنس قائلا:"...وتنس مدينة عليها سور ولها أبواب عدة، وبعضها على جبل قد أحاط به السور، وبعضها في سهل وهي من البحر على نحو ميلين على واد كثير الماء وشربهم منه، وهي مدينة فوق الصغيرة وليس على البحر فيما قاربها على شكلها بنواحيها في الكبر"[3] وهنا حدد لنا هذا المصدر الجغرافي أهم الخصائص المعمارية من خلال السور وتعدد المداخل، كما أشار لوجود قسمين من المدينة جزء في أعلى الجبـــل وآخر في السهل وربما

---

[1]- عُدْوَةُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح واوه: والعدوة مدُّ البصر، وعَدْوَة السبع: هو إسم موضع. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.4، ص.90.

[2]- أبي اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري المعروف بالكرخي، وهو معول على كتاب صور الأقاليم للشيخ أبي زيد أحمد بن سهل البلخي، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، 1927م، ص.38.

[3]- إبن حوقل، المصدر السابق، ص.78.

يشير للمدينة القديمة والمحدثة، رغم أن المدينة تعرضت للتخريب من قبل المد الفاطمي أيام توسعاته على المغرب الأوسط[1] .

ويكمل قوله عن الجانب الزراعي وما تنتجه هذه المدينة: "وبها فواكه حسنة وهي من الخصب في جـميع الوجوه الرفـهة بأمر مسـتفاض..."[2]، ويتحدث هنا عن الأراضي الخصبة وما تنتجه من فواكه وحبوب، وعن الجانب التجاري يرى أنها اشتهرت كثيرا مع التواجد الأندلسي، ويضيف قائلا:" وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها، ولسلطانها بها وجوه من الأموال الكثيرة : كالخراج والجوالي[3] والصدقات والأعشار ومراصد على المتاجر الداخلة إليها والخارجة والصادرة والواردة، ولها بادية من البربر كثيرة وقبائل فيها أموالهم جسيمة غزيرة، وبها من الفواكه والسفرجل[4] المعتق ما لا أزال أحكيه لحسنه ونعمته وحلاوته وطـيب رائحـته .." [5]، ويذكر ابن حوقل أهمية المدينة من خلال ميناء المدينة الذي كان مقصدا للأندلسيين بغية التجارة، فالمدينة كانت محطة تجارية تربط بين المدن الداخلية خاصة مدينة تيهرت[6]، فمن خلال قول ابن حوقل لابد من الإشارة لنقطة ذات أهمية بالنسبة لنا نحن الأثريين أو حتى لأصحاب التاريخ، وهي أن المدينة عرفت تأثيرا أندلسيًا مبدأه تجاري وَمَكْمَلُهُ معماري، أي أن مدينة تنس كانت أول المدن تأثرا بالفن الأندلسي.

3- شمس الدين المقدسي (ت.378هـ/993م):

تحدث هذا الجغرافي عن مـدينة تنـس من خلال تحديده للموقع الجغرافي بالإضـافة للجـانب المـعماري فـقال:" ...وتنس مسورة على البحر شربهم من نهر وكذلك قصر الفلوس..." [7]، فهنا يشـير لتـحصين المدينة بالسور، وكذلك يتحدث عن مشرب المدينة

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص. 110.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص.78.

[3]- الجوالي: بالضم، مقصور: موضع. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.2، ص. 175.

[4]- السفرجل: ثمر قابض مسكن للعطش، وإذا أكل على الطعام أطلق وأنفعه ما قور وأخرج حبه وجعل مكانه عسل وطين وشوي. أنظر: الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص. 1015.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص.78.

[6]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص.491.

[7]- المقدسي، المصدر السابق، ص.229.

ويقصـــد نهر تناتين، وهذا ما اشترطه ابن الربيع وابن خلدون لبناء المدينة الإسلامية، كما ذكر أن تنس كانت ضمن قــصبة تيهرت وهي تابعة لها.

4- أبو عبيد الله البكري (ت.487هـــ/ 1094م):

يعد البكري من بين المصادر الجغرافية التي ترجع للقرن الخامس الهجري، وهو الوحيد الذي كتب نصا مفصلا عن مدينة تنس، فأول كلام بدأ به هو تحديده للموقع الجغرافي فقال: "... ومــدينة تنس بينها وبين البحر ميلان..."[1]، وهــنا إشارة للموقع الذي بنيت علــيه المــدينة بالنــسبة للبحر، وبعــدها يذكــر لنــا التحصين الطبــيعي فيقول: "...وهي مسورة حصينة قلعة صغيرة صعبة المرتقى ينفرد بساكنها العمال لحصانتها.."[2]، إن التحصين الطبيعي الذي شيدت عليه المدينة سواء الهضبة الجبلية أو الواد وحتى السور؛ جعلها بعيدة عن هجمات الأعداء سواء القادمة من البحر أو القادمة من وراء الهضبة الجبلية، فتلك المميزات التي قد تكون انفردت بها المدينة عن باقي المدن الإسلامية هي شروط اشترطها ابن الربيع في بناء المدينة الإسلامية[3].

وعرج على الذين شيدوا المدينة فقال:" وتنــس الحديثة أسسها وبناها البحريون من أهل الأندلس منهم الكركدن وابن عائشــة والصقر وصهيــب وغــيرهم، وذلك سنة اثنتين وستين ومائتين..."[4]، ويذكر أن المدينة عرفت نهضة عمرانية بعد دخول هذه الجماعة، والذين شجعوا الناس على تعميرها ودعوا للاستقرار بها، فقد شاهدوا الإمكانيات والثروات التي تتميز بها[5]، كما يشير البكري إلى وجود مدينتين قديمة قائلا: " وتنس هذه التي تسمى تنس الحديثة، وعلى البحر حصن يذكر أهل تنس أنه كان القديم المعمور قيل هذه الحديثة"[6]، والتي أسسها الفينيقيون فكان يطلق عليها كارتينا (CARTENNA)، وهــو اسم فينيقي ليبي الأصل يتكون من

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص ص.241-242.

[2]- المصدر نفسه.

[3]- ابن أبي الربيع، المصدر السابق، ص.106.

[4]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.242.

[5]- محمد بن عميرة، «الصيد البحري بالسواحل المغربية»، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، يوم 7-8 ديسمبر 2009م، ص.378.

[6]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.242.

شـــطرين كارت وتعني المدينة، أما تينا لفظ ليبي هذا الأخير أشتق منه اسم تنس[1]، والحديثة التي بناها الأندلسيون سنة 262هـ/876م من قبل قوم من الكركدن وابن عائشة والصقر وصهيب، وهذا حسب النص الذي ذكره البكري.

ومما جاء على لسان البكري هي الحادثة التي بنيت بسببها تنس، من خلال هجرة الأندلسيين المتوالية للمدينة بغية التجارة، وكذلك حسن سيرتهم ونباهة فكرهم وتعدد مهارتهم في مجال التجارة، لهذا اختاروا مدينة تنس لصقل مهارتهم وبناء مركز لهم لاستغلال ما تملكوه من ثروات، وجاء النص على النحو التالي:" ...وكان هؤلاء البحريون من أهل الأندلس يشتون هناك إذا سافروا من الأندلس في مرسى على ساحل البحر، فتجمع إليهم بربر من هذا القطر ورغبوا في الانتقال إلى قلعة تنـــس وسألوهم أن يتخذوها سوقا ويجعلوها سكـــنى، ووعدوهم بالعـــــون والـــرفق وحسن المجاورة والعشرة، فأجـــابوهم إلى ذلك، وانتقـــلوا إلى القلعة وخيموا بها، وانتقل إليهم من جاورهم من أهل الأندلس وغيرهم..."[2]، إن مرسى تنس يعد مركزًا مهمًا للتبادل التجاري، كما كان محور توقف السفن الآتية من المشرق والمتوجهة نحو سواحل الأندلس، لهذا ساهم بقدر كبير في تطور المدينة.[3]

وفي نفس السياق يذكر لنا البكري التركيبة الاجتماعية للمدينة فيقول:"...ويسكنها فريقان من أهل الأندلس من أهل البيرة[4] وأهل تدمير[5]، وأصحاب تنس من ولد إبراهيم بن

---

[1]– محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، ط.1، دار الهدى، عين مليلة، 2003م، ص.140.

[2]– البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.242.

[3]– الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص.19. أنظر: نبيلة شلغوم، «الحيوية التجارية لموانئ المغرب الأوسط إلى غاية نهاية القرن 04هـ/ 10م ميناء تنس أنموذجا»، مجلة عصور، المجلد:20، العدد:03، ديسمبر، ص.20.

[4]– أهل البيرة: وهي كورة كبيرة من الأندلس ومدينة متصلة بأراضي كورة قبرة، بين القبلة والشرق من قرطبة، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا. أنظر :ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 1، ص.244.

[5]– أهل تدمير (تدمير): بالضم ثم السكون، وكسر الميم، وياء ساكنة وراء : كورة (منطقة) بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان، وهي شرقي قرطبة، ولها معادن كثيرة ومعاقل ومدن ورساتيق تذكر في مواضعها، وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد، وتجاور تدمير الجزيرتان وجزيرة يابسة، وعليه فإن بعض الجماعة من سكان تدمير قد هاجروا لمدينة تنس فسكنوا بها. أنظر : ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص.19.

محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسين بن علي بن أبي طالب..."[1]، وهنا يحدد لنا جماعتين من الأندلس استقرتا بتنس، مع العلم أن أصل حكام تنس يرجع نسلهم لعلي بن أبي طالب.

أما عن وصفه للجانب المعماري فيقول:" ... وبها مسجد جامع وأســواق كثيرة، وهي على نهر يسمى : تناتين من جبل على مسيرة يوم فيأتيها من القبلة ويستدير بها من جهة الجوف والشرق ويريق في البحر وبها حمامات..."[2]، وهنا يشير لأهمية المسجد الجامع في المدينة وخاصة أنه أساس المدينة الإسلامية وربما يقصد البكري المسجد الجامع سيدي بومعيزة الذي مازال يحافظ على هيكله إلا في بعض التغييرات[3]، في حين يشير أحد الباحثين إلى أن مسجد سيدي بلعباس هو أقدم مسجد جامع بالمدينة، وهذا نظرا للموقع وطريقة بنائه وكذلك مواد البناء[4]، كما يتحدث عن الأسواق المتعددة بتجارتها ودكاكينها، بالإضافة لوجود عنصر الحمامات وهو من الكماليات في المدينة ومبعث الطهارة والوضوء.

ومن أهم ما ذكره هذا الجغرافي هو أحد الجوانب المتعلقة بالحالة الصحية للسكان وحتى جودة الهواء والمناخ في هذه المدينة، فها هو يذكر لنا الوباء الذي أصاب المدينة مما حتم على بعض الأندلسيين الخروج منها إلى مدينة أخرى في سواحل الأندلس فقال:" ...فلما دخل علــيهم الربيع اعتلوا وإستوبئوا الموضع، فركب البحريون من أهل الأندلس مراكبهم، وأظهروا لمن بقى منهم أنهم يمتارون، فحينئذ نزلوا قرية بجانة، وتغلبوا عليها، على ما يأتي ذكره – إن شاء الله..."[5]، وهنا يشير لهجرة الأندلسيين فقط وكان مقصدهم مدينة بجانة، مع العلم أن خروجهم من تنس كان مموها وخفية لكي لا يراهم السكان طمعا في المغادرة معهم ولا تكفيهم السفن فيحدث صراع بينهم.

---

[1]– البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.242.

[2]– المصدر نفسه.

[3] -Marçais (G), L'Architecture musulmanes d'occident, Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile, arts et métiers graphiques, Paris, 1954, P.74.

أنظر: إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...، ص ص. 134–136.

[4]- إسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص.167.

[5]– البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.242.

وعلى المستوى الأدبي فهناك بعض الشعراء من ذم المدينة بأبشع الصور البيانية والفنية، فلا ندري صراحة لماذا هذا التحامل على تنس وبطريقة قد يحكم عليها القارئ وفق ما يقول شاعر، فقال البكري:" فهذا سعيد بن واشكل التيهرتي في علته التي مات بها بتنس (بحر الطويل)

نأى النوم عني واضمحلت عرى الصبر وأصبحت عن دار الأحبة في أسر

وأصبحت عن تيهرت في دار معزل وأسلمنى مـــــر القـــــضاء من القدر

إلى تنـــــس دار النـــــحوس فإنها يساق إلـــيها كل منتقض العمر

بلاد بها البرغوث يحمل راجلا ويأوي إليها الذئب في زمن الحشر

تـــــــرى أهلها صرعى دوى أم ملدم يروحون في سكر و يغدون في سكر"

ويضيف على لسان شاعر آخر

و قال غيره: (بحر الرمل)

أيها السائل عن أرض تنس مقعد مقعد اللؤم المصفى و الدنس

بلدة لا ينزل القطر بها والندي في أهلها حرف درس

فصحاء النطق في لا أبـــدا وهم في نعم بكم خـــــــرس

فمـــــتى يلمم بها جاهلها يرتحل عن أرضها قبل الـــغلس

وماؤها من قبح ما خصت به نجس يجري على نجـــــــــــس

فمتى تلـــــــعن بلادا مرة فـــــاجعل اللعنة دأبا لتـــــــنس[1]

[1]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص ص. 243- 244.

نلاحظ في هذه الأبيات الشعرية كلها جاءت بأسلوب الذم والندم، فالشاعران أعطيا صور غير مقبولة قطعيا عن تنس، من خلال بعض المصطلحات؛ "بلاد بها البرغوث"[1]، "منتقض العمر"، "مقعد اللؤم"، "ماؤها من قبح"، "نجس يجري على نجس"، هذه بعض الكلمات التي لا نستطيع نحن الباحثين تقبلها مباشرة دون التطرق إليها، فلو كانت المدينة بهذه الصفات منذ البداية لما بنيت وشيد عمران بها، وما استقر بها الناس سواء من البربر أو الأندلس، ولو كان ماؤها ملوثًا نجسًا لكان خلل في شروط بناء المدينة الإسلامية، إذن هناك بعض الأشياء غير المقبولة، لهذا فإننا نرى أن ذلك الذم ربما يرجع لبعض الفرضيات منها: ربما أن المدينة تعرضت للوباء بسبب بعض المشاكل البيئية، لكن هذا المرض مربوط بوقت معين فقط، وقد تزامن مع وجود الشاعر بالمنطقة، وربما أن الشاعر قد تحامل على تنس بسبب هذه الظروف، وقد تبعه الشاعر الثاني في هذا الوصف دون تأكد وتحقيق.

فرغم الوباء وهجرة الأندلسيين من المدينة إلا أنها زادت تطورا ورخاء في شتى الميادين سواء من ناحية العمران بصفة خاصة أو مجالات أخرى فقال:" ...ثم إن الباقين بتنس لم يزالوا في تَزَيُّد ثروةُ وعددًا، ورحل إليهم أهل سوق إبراهيم، وكانوا في أربعمائة بيت فوسع لهم أهل تنـــس في منازلهم وشاركوهم في أموالهم، وتعاونوا على البنيان واتخذوا الحصن الذي فيها اليوم، ولها بابان إلى القبلة وباب البحر وباب ابن ناصح وباب الخوخة شَرْقيٌّ يخرج منه إلى عين تعرف بعين عبد السلام، ثرة عذبة..."[2]، فالنص هنا واضح من خلال تحدثه عن هجرة أهل سوق إبراهيم لتنس مع مشاركتهم في تشيد العمران من قصور وحصون ومساجد، فالمدينة لم تختلف عن المدن الإسلامية من ناحية التحصين والمداخل فكان لها أربعة أبواب وعيون ماء التي منها شربهم.

[1]– برغث: البَرْغَثَ: لون شبيه بالطُّحْلَة. والبرْغُوثُ: دُوَيبة شِبْهُ الحُرْقُوص، والبُرغوثُ واحدُ البراغيث. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج.2، ص.116.

[2]– البكري، المصدر السابق، ج.2، ص ص.242–243.

ليعود البكري ويخصص بعض الأسطر حول الأوزان والمقادير، فقد أورد لنا نصا عن ذلك فيقول:"... وكـــيلهم يسمى الصحفة[1]، وهي ثمانية وأربعون قادوسا والقادوس[2]: ثلاثة أمداد بمد[3] النبي صلى الله عليه وســـلم ورطل اللحم بها سبع وستون أوقية[4]، ورطل سائـــر الأشياء: إثنـــتان وعشـــرون أوقـــية، ووزن قيراطهم ثلث درهم عدل بوزن قرطبة، والجاري عندهم قيراط[5] وربع درهم وصقل[6] وحبتـــان[7] مضروبة كلها، ودرهمهم: اثنتا عشرة صقلية

---

[1]– الصحفة: أعظم القصَاعْ: الجَفْنة. أنظر: الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص. 826.

[2]–القادوس: مكيال مغربي، سعته ثلاثة مدد، كان متداول الاستعمال على عهد البكري في مدينة تنس وغيرها؛ وقد عرف القادوس في الحضارات اللاتينية القديمة، كاليونانية والبيزنطية، حيث كان يعني لديها وعاء فخاري لحفظ السوائل كالخمر، والعسل، والزيت ونحوها، قبل أن يصبح متخذ من الخشب والنحاس. أنظر: الرزقي شرقي، التقييس الرسمي ببلاد المغرب الإسلامي دراسة أثرية ومقاربات تحليلية لأدواته المتبقية، أطروحة دكتوراه في أثار المغرب الإسلامي، قسم علم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2007/2006م، ص ص.171–172.

[3]–المد (النبوي):مكيال شرعي لمعايرة الأطعمة من الحبوب والبقول الجافة، وحتى بعض الثمار كالتمر والزيتون ونحوهما، أستخدم في بادئ الأمر بالمدينة المنورة كوحدة أساسية لتحرير النصب الشرعية لزكاة الفطر، التي كان فرضها في العام الثاني للهجرة، مقدار في الأصل كان مطلق ألا وهو ملء يدين متجاورين من الحجم المتوسط، لا بالمبسوطتين، ولا المقبوضتين. أنظر: الرزقي شرقي، المرجع السابق، ص.175.

[4]- الأوقية: على وزن أَتْقية(إحدى الأحجار الثلاث التي ينصب عليها القدر في النار) جمعها أواقي، وأواق، ووزنها فعولة مثل دُربة، وهي من حيث العيار على نوعين: أوقية شرعية ثابتة على مر الأزمان ومقدارها أربعون درهما شرعيا، وأوقية اصطلاحية متغيرة بتغير العصور والأقطار، بل وحتى بتغير المدن والمقاطعات في البلد الواحد، حيث كان وزنها يتراوح ما بين سبعة دراهم كما هو الحال عليه عند الأطباء، واثنان وسبعون درهما كما هو الشأن عليه مع أوقية مدينة حمص ببلاد الشام. أنظر: الرزقي شرقي، المرجع السابق، ص.161.

[5]- القيراط: أصله أعجمي معناه جزء من أربعة وعشرين، عربته العرب، ويرى بعض اللغويين أصله اللغوي، هو قراط؛ في حين جعل وزنه أهل المقادير متأرجحا ما بين ثلاث، وخمس حبات من مطلق حب الشعير. أنظر: الرزقي شرقي، المرجع السابق، ص.174.

[6]– صقل: الصَّقْلُ: الجلاء. صل الشيء يصقُلُه صَقْلاً وصِقالاً، والصقل الخاصرة أخِذ من هذا، أرادت أن لم يكن منتفخ الخاصرة جداً ولا ناحِلاً جداً، والصقل الجَنْب، والصَّقلُ انهضام الصُّقل، والصُّقْل الخفيف من الدواب. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج.11، ص.380.

[7]– الحبة: (Grain – Habbah) الحبة في لغة أهل المقادير، والفقهاء المسلمين ذات معنيين مختلفين، أما بخصوص المعنى الأول فعندما تكون الحبة وحدة جزئية من الدينار، أو الدرهم الشرعيين، فهنا يكون معناها معيار وزن صغير جدا مقداره حبتان من حب مطلق الشعير؛ وأما بخصوص المعنى الثاني فيقصد به حبة الشعير ذاتها، وذلك عندما يتعلق الأمر بالحديث عن تقويم المعايير الأساسية المتداولة بين الناس في مبادلاتهم

عددا..."[1]. هذه العبارة تشرح لنا أهم الموازين والمكاييل التي تعامل بها أهل تنس وهذا من أجل تسير تجارتهم الداخلية والخارجية[2]، وكذلك أن هذه الأوزان لم تخرج عن الشرع الإسلامي بل كانت دائما مطابقة للمعاملات، وهذا رغم وجود بعض الاختلافات سواء في القيمة أو الوزن مع بعض المدن وهذا أمر طبيعي يرجع لحالة المجتمع خاصة من الناحية الاقتصادية.

إن التفاصيل التي جاءت في كتاب البكري تعد مقياسًا لقيمة وتطور هذه المدينة من شتى النواحي سواء كانت الاقتصادية أو الاجتماعية أو المعمارية، فالشيء الذي يجلب انتباه الباحث في وصف البكري هو أن هذا الجغرافي لم يزر تنس ولا بلاد المغرب الأوسط إلا أنه أعطانا معلومات مفصلة عن مدينة تنس، وقد استقى معلوماته من عدة شخصيات سواء كانت عسكرية أو تجارًا أو أهــل الدين أو حتى الرحالة الذين سبقوه، وبالتالي فإن معلوماته كانت عبارة عن روايات شفوية ومنقولة أخذها من الكتب والرسائل، وقد كتبها بعض العلماء والرحالة على غرار ابن عبد البر وابن حيان و أبى العباس العذري، وهي تحمل العديد من المعلومات والأخبار المتعلقة بالمغرب الإسلامي[3]، فعلى الرغم من أنه لم يزر المغرب الإسلامي، إلا أنه دَونَ لنا كتابا قيما يزخر بالمعلومات المهمة حول مدن المغرب الإسلامي، ومنها مدينة تنس التي وصفها وصفا دقيقا متميزا، بحيث لم يسبقه أحد بذلك.

اليومية، كتقدير الدينار والدرهم، أو تقدير أجزائهما ومضاعفاتها المعروفة، حيث تعتبر في نظام التقييس المغربي بمثابة الوحدة الأساسية لمكاييله، وأوزانه، ومقاييسه في آن واحد، كما يشترط فيها ساعة هذا إجراء هذا التقويم بضرورة قطع ما امتد من طرفيها، وخرج عن حلقتها، وهي عدل عرض ست شعرات من عرف البرذون في مجال قياس الأطوال والسطوح. أنظر: أزرقي الشرقي، المرجع السابق، ص.164.

[1]– البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.243.

[2]– إسماعيل بن نعمان، « جوانب من الحياة الاقتصادية لمدينة تنس الإسلامية»، مجلة عصور، الأعداد 12–14/13–15، 2009/2008م، ص.211.

[3]– عبد الله يوسف الغنيم، مصادر البكري ومنهجه الجغرافي، ط.3، توزيع ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، 1996م– ص.69. أنظر: محمد شاكر إبراهيم وميض، أبو عبيد الله البكري ومنهجه التاريخي في كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية التربية، جامعة الموصل، 1424هــ/2003م، ص ص67،59.

5- أبو عبيد الله الإدريسي (ت.560هـ/1166م):

مع منتصف القرن السادس الهجري يذكر لنا الإدريسي الموقع الجغرافي لتنس فيقول:"... ومنها إلى مدينة تنس مرحلة[1]، ومدينة تنس على مقربة من ضفة البحر الملح على ميلين منه..."[2] ثم يذكر لنا المسافة بين مدينة تنس وبعض مدن الـمغرب الأوسط فيقول:"والطريق من تلمسان إلى مدينة تنس سبع مراحل "[3]، ويضيف أيضا :" ... مدينة وهران السابق ذكرها إلى مدينة تنس مجريان[4] وهي من الأميال مائتا ميل[5] وأربعة أميال، ومن مدينة تنس إلى برشك على الساحل ستة وستون ميلا ومن مدينة تنس إلى مدينة مليانة في البر مرحلتان..."[6]، وكل هذا دليل على الأهمية والمكانة التي تحتلها تنس في المغرب الأوسط سواء من خلال مينائها أو كطريق عابر نحو الأندلس عبر البحر أو برا نحو المدن الـشرقية، مما زاد في التبادل التجاري وتنقل العلماء وأهل الصناعة والحرف بين تلك

---

[1]- المرحلة: وحدة قياس مسافات السفر البعيدة، ومعناها مقدار المسافة الفاصلة بين محطة، ومحطة ثانية لمبيت قافلة مسافرة بعد كل يوم كامل من السير. أنظر: الرزقي الشرقي، المرجع السابق، ص.176.

[2]– الإدريسي(أبي عبيد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميدي الحسني)، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، مج.1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م، ص ص. 251–252. أنظر: الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والمغرب، جزء مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1863م، ص.83.

[3]–الإدريسي، المصدر السابق، ص. 250.

[4]- المجرى: وهي الوحدة الأساسية لتقدير المسافات في عرض البحر والمحيطات من قبل البحارة المسلمين خلال القرون الوسطى، ومعناه المسافة التي كانت تقطعها السفينة العربية الإسلامية طيلة يوم كامل من الإبحار، وهي مائة وثمانية وثمانون كيلو مترا تقريبا. أنظر الرزقي شرقي، المرجع السابق، ص.174.

[5]- المَيْل: عند أهل اللغة هو مدى البصر ومنتهاه، وعند الجغرفيين العرب مسافة ثلاثة ألاف ذراع اصطلاحية، أما كوحدة لتقدير مسافات السفر فقد أختلف في مقداره، فمنهم من يرى بأن طوله ألف ذراع، أي نحو 470 مترا، ومنهم من قال طوله ألف خطوة، أي 705مترا بخطوة الرجل، أو 1410 مترا بتقدير خطوة البهائم، وهو الأقرب للصحة من سابقيه. أنظر: الرزقي الشرقي، المرجع السابق، ص ص. 176–177.

[6]– الإدريسي، المصدر السابق، ص. 257.

المدن[1]، وقال كذلك:" والطريق من مدينة تنس إلى المسيلة من بلاد بني حماد بالغرب الأوسط تخرج من مدينة تنس إلى بني وازلفن لطيفة في جبال وعرة"[2].

إن ما ذكره الإدريسي من المسافات من المدن الأخرى إلى تنس إلا دلـــــيل على الأهــمية والمكانة التي تحتلها تنس في المغرب الأوسط، من خلال مينائها أو كطريق عابر نحو الأندلس عبر البحر أو برا نحو المدن الــشرقية، مما زاد في التبادل التجاري وتنقل العلماء وأهل الصناعة والحرف بين تلك المدن[3]، فالعلاقة هنا واضحة بين مدن المغرب الإسلامي من أجل التجارة أو الرحلات العلمية، لهذا نجد العديد من المسالك والطرق الرابطة بين المدن الداخلية والساحلية مثل مدينة تنس، كل هذا كان من أجل المبادلات التجارية.

وبعدها يصف لنا المدينة من الناحية الطبوغرافية والمعمارية قائلا:"... وبعضها على جبل وقد أحاط بها السور وبعضها في سهل الأرض وهي مدينة قديمة أزلية عليها ســور حــصين وحظيرة مانعة دائرة بها..."[4]، وهنا يذكر موقعها الطبوغرافي والتحصين الطــبيعي الــذي تتمتع به المدينة، الذي جعلها تحظى بأهمية كبيرة في إقليم المغرب الأوسط، وساهم في تطور عمرانها.

كما يتحدث عن نشاطها الزراعي وتعدد منتجاتها بين الحبوب والخضر والفواكه متحدثا: " ... وشرب أهلها من عين ولها في جهة الــشرق واد كثير الماء وشربهم منه في أيام الــشتاء والربيع و بها فواكه وخصب و بها إقلاع وحط ولها أقاليم ومزارع وبها الحنطة ممكنة جدا وسائر الحبوب موجودة وتخرج منها إلى كل الأفاق في المراكب وبها من الفواكه كل طريفة ومن السفرجل الطيب المعنق ما يــفوت الوصف في كبره وحسنه..."[5]، ومن بــين ما تتميز به المدينة تعدد منتجاتها الزراعية، ولا يكون هذا التميز إلا إذا وجد الماء، فهو قد أشار لهذا من خلال العين العذبة الموجودة في الجهة الشرقية، وكذلك وادي علالة، ومع وجود

---

[1]– مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق،ج.2، ص.75.

[2]– الإدريسي، المصدر السابق، ص.252.

[3]– مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص.75.

[4]– الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق...، ص ص.251–252. أنظر: الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والمغرب ...، ص.83.

[5]–الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق...، ص ص. 251–252.

أراضي خصبة صالحة للزراعة فمن المؤكد سنجد هذا التعدد من المنتجات، وعليه ساهمت هذه الوفرة في تطور تـــجارتـــها مع المـــدن الأخرى، وخاصة مينائها الذي كانت تقصده الكثير من السفن وهنا نذكر السفن الأندلسية بوجه الخصوص[1].

6- صاحب الإستبصار (ق.6هـ/12م):

خلال القرن السادس يذكر لنا صاحب الاستبصار وصفاً للمدينة ليس بالجديد مقارنة بما ذكرته المصادر التي سبقته، وهنا نشير إلى هذا المصدر الذي استند إلى كتبهم فنقل لنا عدة معلومات، وبدأ كلامه بتحديد الموقع الجغرافي فقال:" ...بينها (تنس) وبين البحر ميلان..."[2]، هذه العبارة نجدها مطابقة لما قاله البكري، أي أن هذا المؤلف اعتمد على سابقيه في وصف تنس.

وعن الجانب العمراني والطبوغرافي يذكر:"... وهي مدينة مسورة حصينـــة، وداخلها قصبة صعبة المرتقى ينفرد بسكانها عامل تنس لمنعتها..."[3]، جاء في كلام هذا المصدر أن المدينة قد تم حمايتها بسور متين وقوي فهذا الكلام يفهم من مصطلحي مسورة حصينة، أما القـــصبة فهي صعبة أن يصعدها الفرد في ظل موقعها الطبوغرافي المنيع، وقد استغل حاكمها دارًا في أعلاها ليسكنها، فهذا التحصين العسكري كان لابد منه بسبب الظروف المحيطة بها، إضافة لذلك فهي تقف عائقًا أمام الأطماع القادمة من البحر أو حتى من الـــبر، وهذا نظرا لأهمية المدينة الاقتصادية والتجارية[4].

ويضيف في الجانب العمراني أيضا:" ...وبها مسجد جامع وأسواق حفيلة كثيرة"[5]، وهنا إشارة للمسجد الجامع والأسواق العامرة بتجارتها وعمرانها، ثم يركز على نشاط الزراعي للمدينة من توفر الميـــاه وتعدد المنتجات فيقول:" ... ولها نهر يسمى تامن يأتيها من جبال القبلة ثم يستدير بها من جهة الـــشرق والجوف، ويصب في البحر، هي كثيرة الزرع،

---

[1]- صالح بن قربة، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر...، ص.247.

[2]- صاحب الاستبصار، المصدر السابق، ص.133.

[3]- المصدر نفسه.

[4]- عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص.383.

[5]- صاحب الاستبصار، المصدر السابق، ص.133.

رخيصة الأسعار منها يتحمل الطعام إلى الأندلس وإلى بلاد أفريقية وإلى بلاد المغرب لكثرة الزرع عندهم..."[1]، وأخر ما وصفه صاحب الاستبصار هو أن المدينة كانت تصاب بالوباء والأسقام نتيجة سوء المناخ فيقول: "...ولكنها وبية[2] ، من يدخلها لا يسلم من المرض وكثيرا ما يموت بها الغرباء..."[3]، وهنا إشارة واضحة لتلك الأمراض والأوبئة التي كانت تضرب المدينة.

وعلى العموم يمكن القول أن صاحب الاستبصار لم يعطنا معلومات بقدر ما وجدناها لدى البكري، فهو استقى بعض المعلومات منه خاصة ما تعلق بالجانب الحضاري والمعماري للمدينة إلا أنه تحدث عن الجانب الزراعي والتجاري بطريقة مختلفة.

7- ياقوت الحموي(ت.626هـ/1228م):

وفيما يخص الحموي فينقل لنا نصا كاملا عن الجغرافي البكري الذي يصف مدينة تنس، غير أنه ذكر لنا معلومات هامة حول تخريب المدينة، وقد إستهل نصه من خلال تحديد المصطلح اللغوي للمدينة فقال:" تنس : بفتحين والتخفيف والسين مهملة..."[4] ثم يعرج في كلامه حول الموقع والمسافة بينها وبين المدن، قائلا:"...قال أبوعبيد البكري: بين تنس والبحر ميلان، وهي آخر إفريقية مما يلي المغرب، بينها وبين وهران ثماني مراحل وإلى مليانة في جهة الجنوب أربعة أيام وإلى تيهرت خمس مراحل أو ست"[5].

---

[1]- صاحب الاستبصار، المصدر السابق، ص.133.

[2]- وبية : الوباء: وهو كل مرض عام(ويمد ويقصر)، وجمع المقصور أوباء، وجمع الممدود أوبئة، وقد وبئت الأرض توبأ فهي موبوءة إذا كثر مرضها، وكذلك وبئت توبأ وباءة فهي وبئة ووبيئة على فعل وفعلية، وأوبأت أيضا فهي موبئة، وإستوبأت الأرض، وجدتها وبيئة. أنظر : إبن منظور، المصدر السابق، مج.1، ص ص.189-190.

[3]- صاحب الاستبصار، المصدر السابق، ص.133.

[4]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.2، ص.48.

[5]- المصدر نفسه، ص ص.48-49.

أما عن التخريب الذي لحق بالمدينة فيقول:" ...وقال أبو الربيع سليمان المليانى: مدينة تنس خربها الماء وهدمها في حدود نيف[1] وعشرين وستمائة، وقد تراجع إليها بعض أهلها ودخلها في تلك المدة، وهم ساكنون بين الخراب.."[2]، وهنا يشير إلى أن المدينة قد خربها الماء ومن الممكن أنه يقصد المدينة الحديثة التي بناها الفنيقيون التي شيدت على الساحل بالإضافة لمينائها[3]، فحتى وإن أخذ ياقوت الحموي وصفه عن البكري إلا أنه أفادنا بمعلومة جديدة حول خراب المدينة لم يذكرها أحد قبله.

8- عبد الواحد المراكشي (ت.647هـ/1250م):

يحدثنا عبد الواحد عن مدينة تنس بأنها مدينة صغيرة مع ربطها بالمدن بتحديد المسافة بينها وبينهم فيقول:" ... ومن الجزائر هذه إلى مدينة صغيرة تسمى تنس أربع مراحل، ومن مدينة تنس إلى مدينة وهران سبع مراحل..."[4]، وربما يكون هذا الجغرافي قد زارها بعدما تعرضت للتخريب أو سمع عنها من قبل أناس زاروها فقط لهذا يصفها بالمدينة الصغيرة، فهوهنا يذكر فقط الجانب الجغرافي بينها وبين بعض المدن.

9- زكريا بن محمد القزويني (ت.682هـ/1283م):

ومع أواخر القرن السابع الهجري يقدم لنا القزويني بعض المعلومات حول المدينة والمتمثلة في موقعها بالنسبة للقارة الموجودة فيها وكذلك التحصين الطبيعي فقال:" ... تنس

---

[1]-النيف: بتشديد الياء وكسرها ومعناه الزّيادة، وهي كلام العرب، وعوام الناس يخففون فيقولون: ونيف، وهو لحن عند الفصحاء، والنيف والنيفة، ما بين العقدين لأنها زيادة، يقال: له عشرة ونيف، وكذلك سائر العقود، وقال اللحياني: يقال عشرون ونيف ومائة ونيف وألف ونيف، ولا يقال نيف إلا بعد عقد، ولا يقال نيف إلا بعد عقد، قال: وإنما قيل نيف لأنه زائد على العدد الذي حواه ذلك العقد، وهو مصطلح يطلق على عدد مبهم من واحد إلى تسعة يزاد على العقود وهي (100،10، 1000) ويأتي مع معطوفا على لفظ العقد، ومنه يمكن القول أن سنة خراب تنس كانت سنة 621هـ/1224م إلى غاية 630هـ/1233م. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج.9، ص.342.

[2]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.2، ص.48.

[3]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج.2، ص. 109.

[4]- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب...، ص.257.

مدينة بإفريقية حصينة، ولـــها قـــهندز[1] صعب الـــمرتقى، ينفرد بها العمال لحصانتها خوفا من الرعية..."[2]، يشير الجغرافي للتضاريس التي بنيت عليها المدينة مما أكسبها حصانة طبيعية وجعلها آمنة من كل الأخطار، وهذا نهج سارت عليه المدن الإسلامية سواء من حيث الموقع أوالتقسيمات المعمارية داخل المدينة.

كما تطرق لهوائها الملوث ومائها السيء حسب قوله:"... هواؤها وبي وماؤها ردي، وماؤهم من واد يدور حول المدينة، وإليه مذهب مياه حشوشهم وشربهم ..." [3]، كما ذكر الوادي الذي يشرب منه السكان والذي يحيط بالمدينة وهنا يقصد وادي علالة، كذلك يشير لهوائها الملوث، وجراء تلك الظواهر الطبيعية السلبية فقد تسبـــبت للســـكان بأمـــراض وأســـقام فقال:" والحمى لا تفارق أهلها في أكثر الأوقات، وبها ذئب كثير يأكل أهلها، وبرغوث كثير، وهم في عذاب من الذئب والبراغيث، قال بعض من دخلها وفارقها:

لا سقى الله بلدة كنت فيها البراغيث كلهم أكلوني

قرصوني حتى تتمر جلدي لوخلعت الثياب لم تعرفوني

إن صعدت السطوح لم يتركوني وأراهم على الدرج يسبقوني[4]

إن الوباء الذي ضرب مدينة تنس في الفصول الموسمية قد يكون هدد الاستقرار البشري، وقتل الكثير من البشر، إلا أن العنصر البشري لم يتوقف عن الزيارة والمكوث وتعمير المدينة وممارسة التجارة، لهذا بقيت تحتل تنس مكانة هامة في المغرب الأوسط رغم الوباء[5]، ومن خلال البيت الأخير من الشعر يمكن استنباط أن المساكن كانت لها سطوح يصعد

---

[1]– قَهَنْدزْ: بفتح أوله وثانيه، وسكون النون، وفتح الدال، وزاي، وهو في الأصل إسم الحصن أو القلعة في وسط المدينة، وهي لغة كأنها لأهل خراسان وما وراء النهر خاصة، وأكثر الرواة يسمونه قُهُنْدز وهو تعريب كُهُندِز معناه القلعة العتيقة، وفيه تقديم وتأخير لأن كُهّن هو العتيق ودِز قلعة ثم كثر حتى إختص بقلاع المدن، ولا يقال في القلعة إذا كانت مفردة في غير مدينة مشهورة. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.4، ص.419.

[2]– القزويني، المصدر السابق، ص. 173.

[3]– المصدر نفسه.

[4]– القزويني، المصدر السابق، ص. 173.

[5]– سمية مزدور، المرجع السابق، ص.24.

عن طريق درج، وهذا ما ذكره لنا الأستاذ بن نعمان في محاضرته عن تنس، وهذه رسالة من أجل استغلال وقراءة الشعر وأهميته لدى الباحث الأثري، ومنها لا يمكن أن نهمل أي شيء في دراسة العمارة والعمران.

10- ابن سعيد المغربي (ت.685هـ / 1287م):

ركز هذا الجغرافي في وصفه لمدينة تنس على الجانب الفلاحي ونشاطها التجاري فقال:"...أول ما يلقاك منه مدينة تنس وهي مشهورة بكثرة القمح، ومنها ما يحمل في المراكب إلى سواحل الأندلس، وهي الآن قاعدة مغراوة من زناتة..."[1]، يورد في هذا النص إشتهار المدينة بزراعة القمح مع أن مينائها كان مقصودًا من قبل العديد من السفن بغية التجارة خاصة التبادل التجاري مع مدن الأندلس، مما جعلها تشهد محطة تجارية تضاهي مدن المغرب الإسلامي ككل، كما أشار أن المدينة كانت قاعدة لمغراوة[2]، يبدو أن ابن سعيد المغربي لم يزر المدينة وهذا من خلال وصفه للجانب الفلاحي والتجاري فقط، أي أنه سمع بـــشهرة تجارتها وبعض منتجاتها الزراعية التي كانت تصدر لعدة مدن في المغرب الإسلامي والأندلس.

11- صفي الدين البغدادي (ت.739هـــ/1339م):

لقد أشار البغدادي خلال القرن الثامن لمدينة تنس في عدة نقاط، وكان أول كلامه عن المدينة تعريفاً أدبيا فقال :" تنس بفتحتين والتخفيف والسين مهملة..."[3]، ثم يتحدث عن الموقع الجغرافي للمدينة بالنسبة لإفريقيا والمغرب فذكر:" ... بلدة في آخر إفريقية، مما يلي المغرب، بينها وبين مليانة في جهة الجنوب أربعة أيام..."[4]، هذه المعلومات ذكرت سابقا من قبل عدة مصادر تاريخية، ليعود مرة أخرى وينقل لنا عن تحصين المدينة مع ذكر بعض السمات

---

[1]- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص.142. أنظر: ابن سعيد المغربي، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خنيس، مطبعة كريماديس، خزانة محمد نزار الدباغ، تطوان، المغرب، 1958م، ص.76.

[2] - Vauker Claudette, Géographie et économie d'Algérie, (A.E.S.C) 28eanneé, P.669.

[3]- البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي،ج.1، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط.1، دار المعرفة- بيروت، لبنان، 1374هـ/1955م، ص. 277.

[4]- المصدر نفسه.

الحضارية فقال:" ... وهي مدينة مسورة حصينة داخلها قلعة صعبة المرتقى ينفرد بسكانها العمال لحصانتها، وهي على نهر يليها من جبال على مسيرة يوم وتسمى تنس الحديثة، وعلى البحر حصن ذكروا أنه قديما كان هو المعمور وخربت الحديثة أيضا..."[1]، فالموقع الإستراتيجي لتنس جعلها ترتبط بالكثير من المدن الداخلية والساحلية على غرار تيهرت ومليانة ووهران وغيرها[2]، إن المتمعن في نص البغدادي ونص الحموي يجد أنه متاطبق حرفا ومعنى؛ مما يفسر أنه أخذ من عند ياقوت الحموي، كلهم أخذوا من عند البكري والإدريسي.

12- أحمد بن يحي بن فضل العمري (ت. 749هـ /1349م):

إن ما تطرق إليه العمري خلال القرن الثامن الهجري لا يتعدى بعض الخصائص ذكرها سابقوه من المصادر التاريخية، خاصة عندما نتحدث عن الموقع الجغرافي ونشاطها الزراعي والتجاري فقال:" أن مدينة تنس بقرب مليانة بينها وبين البحر ميلان ... وهي قديمة أزلية ولها أقاليم وأعمال ومزارع ويخرج عنها إلى كل الآفاق في المراكب"[3]، إن ظاهرة إستقاء المعلومات عن المدن من الرحالة السابقين قد إستمرت مع الكثير من المصادر التاريخية، بحيث هناك نقل حرفي لتلك الأوصاف، وهذا راجع لعدة أسباب منها عدم تنقل هذا الرحالة أو البعد الجغرافي عن المدينة، وفي بعض الأحيان التخريب التي تعرضت له المدينة مما يوجب عليه الإستناد على من سبقه.

13- عبد المنعم الحميري (ت.900هـ/1495م):

وآخر من تحدث عنها في القرن الثامن الهجري هو الحميري، الذي وصف لنا مدينة تنس إستنادا لما كتبه البكري بصفة خاصة، فمن موقع المدينة وبُعْدِها عن البحر إلى خصائصها الفلاحية وتحصيناتها الطبيعية، بالإضافة إلى السور الذي يدور بها مع تركيزه

---

[1]- ياقوت الحموي، المصادر السابق، ص. 277.

[2]-إبراهيم العدوي، بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1970م، ص ص.220-221.

[3]- العمري (أحمد بن يحي بن فضل)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ممالك إفريقيا والصحراء وممالك إفريقية وتلمسان وجبال البربر وبر العدوة والأندلس)، تحقيق: مصطفى أبو ضيف أحمد، ط.1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1988م، ص.121.

على الجامع والأسواق ومنابع الماء وغيرها من الخصائص التي ذكرها الحميري ترجع أصلا لما وصفه البكري في القرن الخامس الهجري، ومن بين ما قاله الجغرافي: "... مدينة بقرب مليانة وبين البحر ميلان، وهي مسورة حصينة وبعضها على جبل وقد أحاط به السور...وشرب أهلها من عين بها، وبهـــا فواكة وخصب وإقتلاع والمحاط، ولها أقاليم وأعمال ومزارع ...وداخلها قلعة صعبة المرتقي ينفرد بسكناها عامل تنس لمناعتها، وبها مسجد جامع وأسواق جميلة كثيرة...ويصب في البحر، وبها حمامان..."[1]، إن هذا النقل الذي قام به الحميري عن البكري إنما هو إعتراف للوصف الدقيق والإلمام الكبير بشتى المجالات والأشياء التي تتعلق بمدينة تنس.

14- حسن الوزان (ت. 963/1554م):

يعتبر حسن الوزان من بين أهم الجغرافيين خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر ميلادي)، فقد زار العديد من المدن الإسلامية في المغرب والأندلس، فكانت مدينة تنس هي إحدى المراكز الحضارية التي تكلم عنها، حيث قال عنها:"... مدينة أزلية بناها الأفارقة في منحدر جبل على مسافة قريبة من البحر المتوسط، يحيط بها سور..."[2]، هذه العبارة هي الأكثر شيوعًا ونقلاً بين المصادر المكتوبة، بحيث تم تداولها بينهم من جغرافي إلى أخر، وإن كانت لها علاقة بالجانب العمراني والمعماري إلا أنها ليست بالمعلومة الكاملة مقارنة بحضارة وعظمة تنس.

ويضيف قائلا:"...وسكانها أقوام فظاظ غلاظ، وقد كانت خاضعة لتلمسان، لكن الملك محمدا جد الملك الحالي خلف ثلاثة أبناء، أكبرهم عبد الله، وثانيهم أبو زيان، وثالثهم يحي، فآل الحكم إلى الأول بعد وفاة أبيه، وتآمر الآخران مع بعض الشخصيات من تلمسان على إغتياله، لكن المؤامرة افتضحت فألقى على أبي زيان به في السجن، إلا أنه أطلق سراحه بعدما طرد أبو حمو، وإسترجع ملكه إلى أن قتله بربروس، كما أسلفنا ذلك. وفر الأخ الثالث إلى فاس محتميا بملكها فطلب أهل تنس وبايعوه ملكا، عدة سنوات، وترك المملكة بعد وفاته إلى إبنه الشاب، الذي طرده أيضا بربروس، واضطر إلى التوجه إلى اسبانيا عند جلالة

[1]- الحميري، المصدر السابق، ص.138.

[2]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص. 35.

الإمبراطور القيصر شارل الذي لم يكن حينئذ سوى ملكًا إسبانيا، فوعده بالمساعدة، إلا أنه مالطة، فتنصر هذا الأمير هو وأخوه الأصغر، وأقاما باسبانيا يتقاضيان معاشا مهما من الأمبراطور، وآلت تنس إلى أحد الأخوين التركيين بربروس (خير الدين[1])، لا أثر للظرف في هذه المدينة "[2].

من خلال الفقرة السابقة فإن الوزان يسرد لنا بعض الأحداث التاريخية أواخر الفترة الزيانية وبداية دخول الإسبان وسيطرتهم على بعض المدن الساحلية على غرار وهران ومستغانم وتنس، وقد أكمل قوله بذكر تخليص تنس من المد الصليبي الإسباني من قبل الأخويين بربروس، لكن من الناحية الحضارية لا نجد إشارات تدل على العمران ولا العمارة، وهذا رغم أن المدينة باقية وقائمة وشهدت توافد العديد من الجماعات.

أما عن الجانب الفلاحي وما تعلق به فيذكر قائلا:" وأما إقليمها فينتج الكثير من القمح والعسل، ولا ينتج مما سواهما إلا القليل..."[3]، قد تم التطرق لهذا الجانب من قبل في ظل المميزات الطبيعية التي تحظى بها، وهذا من خلال وجود عنصر الماء والأراضي الخصبة الزراعية، ومن المؤكد أن تنس كانت تصدر العديد من المنتجات على غرار العسل والقمح والصوف وبعض المواد الخام، وهذا مقابل أن تستورد الصمغ والزعفران والزئبق والكبريت

---

[1]– خير الدين بربروس بن يعقوب بن يوسف (ولد عام 871هـ/1466م) هو أحد البحارة العثمانيين الذين قدموا للجزائر رفقة أخيه عروج من أجل طرد الإسبان، وقد أختلف في أصل هذه الأسرة فمنهم من يقول أنهم من العثمانيين الإسبان والبعض يقول أن أصلهم من الأوروبيين سواء من اليونان أو إيطاليا أو إسبانيا، وقد نجد اسم خير الدين على عدة أسماء؛ فعند المشارقة نجده بإسم خضر، وخسرف عند المغاربة، وخزر في اللغة التركية. أنظر: عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر،ج.1، ط.1، دار النهضة العربية، بيروت، 1409هـ/1989م، ص.27. أنظر: محمد لعباسي، أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط خبر قدوم عروج رايس إلى الجزائر وأخيه خير الدين لمؤلف مجهول من سنة 918هـ/1512م إلى سنة 953هـ/1546/، ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2006/2005م، ص ص. 13–14.

[2]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص ص.35-36.

[3]- المصدر نفسه، ص. 36.

وغيرها[1]، هذه بعض النشاطات التجارية والفلاحية التي كانت تمارس بالمدينة، وبقيمتها التجارية والإقتصادية والفلاحية فمن المؤكد أنها تتميز بتطور عمارتها وعمرانها.

14- مارمول كربخال (ت. 1009هـ/1600م):

لا يختلف إثنان إذا قلنا أن كربخال من بين المصادر المتأخرة التي تعطي أهمية كبيرة للمدن، بحيث تحددها بشكل دقيق وفق قياسات ومسافات، وإن كان بعض المعلومات ينقلها عن غيره، لكن يعطي لها توظيفًا صحيحًا حتى لا تشوب على الباحث أي لبس أو مشقة، فهو تكلم عن تنس فقال:" مدينة عتيقة بناها سكان البلد الأصليون على سفح جبل، على نصف فرسخ من البحر، جعلها بطليموس عند إحدى عشرة درجة من خطوط الطول وثلاث وثلاثين درجة وثلاثين دقيقة من خطوط العرض ويسميها لقونت، وهي في منتصف الطريق بين وهران ومدينة الجزائر. تبعد عن كل منهما بثلاثين فرسخا"[2]، هنا بدأ حديثه على أن المدينة قديمة مبنية على جبل، ثم يعطينا بعض القياسات كبعدها نصف فرسخ[3] على البحر، وحتى أنه يحددها بالوقت، وهذه من الأمور الأكثر دقة في تحديد وضبط بداية ونهاية المدينة.

ومما يضيفه في المجال الحضاري والعمراني قائلا:" وهي عاصمة هذه المنطقة منذ القديم، تحصنها أسوار وقلعة، كان بها قصر الأمير وبه يقيم اليوم حاكم مبعوث من مدينة الجزائر ومعه حامية مهمة، "[4]، من بين ما يركز عليه كربخال أن تنس كانت منذ القدم عاصمة لهذا الإقليم، فهو يشير لنا أن المدينة في أصلها قديمة جداً، وكانت تتحكم في العديد من المدن الصغرى، وهذا ليس غريبا نظرا لموقعها الإستراتيجي والآثار الموجودة بالمنطقة إلا دليل على ذلك، وقد أخبرنا بوجود أسوار وقلعة وقصر الأمير الذي اتخذه الوالي المعين

---

[1]- مطهري فطيمة، «مدينة تنس ثغر الأندلسيين ومحطة تجارتهم وعبورها إلى بلاد المغرب الإسلامي»، مجلة القرطاس، العدد:03، جانفي 2017، ص.152.

[2]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.354.

[3]- الفرسخ: كلمة معربة من اللغة الفارسية "فرسنج"، وهي وحدة لقياس المسافات الطويل، وتقدير المساحات الشاسعة، وقد أختلف في تقدير طوله فهمنهم من يقول ثلاثة أميال، ومنهم من يقول بل ستة أميال، ومنهم من يقول إثنا عشرا ألف ذراع إصطلاحية؛ أي 5640 مترا. أنظر: الرزقي شرقي، المرجع السابق، ص.171.

[4]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.354.

من مدينة الجزائر، وعليه فتنس استمرت في حضارتها وعظمتها حتى الفترة العثمانية، غير أننا لا نجد إشارة توضيحية حول العمارة بل مجرد ترميز لا تدقيق في هذه المدينة الحضارية.

أما عن الجانب الاجتماعي والاقتصادي فيعطينا صورة شاملة على تنس فقال:" وذلك لأن أعراب هذه الجهة مقاتلون أشاوس، لهم إباء وحمية، ولطالما أعانوا سكان المدينة على التخلص من الحكام الأتراك الطغاة الذين يرسلون للتولية عليهم[1]، وسكان هذه المدينة يتميزون بالغلظة والفظاظة، مع أن لهم تجارة واسعة مع الأجانب الذين يجلبون من هذه الناحية القمح والشعير وغيرها من السلع فيحملونها إلى الجزائر وإلى غيرها من الآفاق، ذلك لأن هذه البلاد كثيرة الزروع والخصب والمراعي والعسل والشمع، وتوجد قبالة المدينة جزيرة صغيرة تحتمي عندها السفن إبان هبوب العواصف إذا تعذر عليهم البقاء في المرسى، استولى باربا روس الأصغر على هذه المدينة بعدما توفي أخوه الأكبر، وظلت منذئذ بيد الأتراك" [2]، يظهر لنا أن كربخال يتحامل على الحكام العثمانيين بطريقة غير مباشرة، فهو يحاول أن يبين لنا رفض سكان المنطقة طاعة لهم ومقاومتهم وطردهم، ثم تحدث عن مميزات تنس الزراعية والتجارية، والتي كانت تتنوع بين القمح والشعير والعسل والشمع وغيرها، أما خاتمته فكان يروي لنا سيطرة الأتراك على تنس.

---

[1]– يبدو أن مارمول كربخال له ولاء للمد الإسباني، لهذا يحاول تغليب طرف (الإسبان) على آخر (العثمانيين)، فالكل يعرف من هو هذا المصدر الجغرافي ومن أين جاء، لهذا فالمد الصليبي الإسباني صراحة كان مخرب ومستنزف للعديد من العمران والثروات ببلاد المغرب الأوسط، أما رفض السكان للحكام العثمانيين فيه بعض التحامل والظلم من قبل كربخال، لأن بعض المصادر والمراجع أشارت أن سكان تنس هم من رحبوا ورضوا بحكمهم، وقد نقل عن خير الدين عروج هذا القول:" مرحبا بكم أيها المجاهدون لقد غادر الإسبان القلعة ليلا مع حليفهم أميرنا، ربما كانوا أحد عشر ألفا لقد خرجوا كلهم بمن معهم من رجال الأمير، أما من بقي في المدينة فإنهم لا يرضون بغيركم وغير أخيكم السلطان عروج"، وهذا قول صريح ويعكس تفاهم السكان مع العثمانيين خاصة أن الدين هو من جمعهم. أنظر: خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، ط.1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، 1431هـ/2010م، ص ص. 80-81.

[2]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.354.

1-5- خلاصة:

فبعد الإطلاع على معظم أقوال المصادر التاريخية يمكن الخروج ببعض النقاط حول قضية وصف المدينة، فالبعض نقل معلومات عن بعض التجار وهناك من إستند على كتب سابقيه، في حين نجد بعضهم قد ركز على جانب وأهمل بعض الجوانب، فمثلا نتحدث عن البكري الذي خصص للمدينة وصفًا وتحليلاً مفصلاً لكل الجوانب رغم أنه لم يزر المدينة بل نقل معلوماته عن الذين زاروها، في حين نجد صاحب الإستبصار والحموي قد إستند لما قاله البكري حرفيا رغم إختلاف الزمن، وربما تغيرت المدينة أوخربت بعد البكري، وهذا ما نجد الحموي قد ذكره بوصفه لخراب المدينة، كما نجد على سبيل المثال البغدادي يتحدث فقط عن الجانب الفلاحي والتجاري ولم يذكر لنا الجانب الحضاري والمعماري للمدينة.

وما يلاحظ في أقوال المصادر المكتوبة حول مدينة تنس أن نصوصهم عن العمارة والعمران لم تتعد ذكرهم للتحصينات الطبيعية والسور والمسجد وقصر الحاكم، أي أننا لا نجد وصفا للزخرفة وجمالية المسجد سواء من ناحية المحراب أو المنبر أو الصحن، أو عن مساحة المساكن أو حتى الشوارع والدروب التي لم تذكر؛ سوى أننا يمكن القول أنها كانت متعرجة وملتوية ؛ وهذا من خلال أنه قال عن موقع المدينة صعبة المرتقى، أما التحصين من ناحية الطبيعية أو الإنشائية فهي محصنة من كل الجوانب، وهذا أمر طبيعي فمعظم المدن التي شيدت على طرف الموانئ أختير لها موقع طبوغرافي صعب، وكذلك القريب من الصريخ للنجدة، أو أختير لها حاجز طبيعي من نهر أو جبل لحمايتها، فتنس لا تختلف عن المدن الأخرى، فهي تنطبق عليها الشروط التي أقرها إبن الربيع وغيره من العلماء[1].

[1]- شاكر مصطفى، المرجع السابق، ج.1، ص.437.

ثانيا– مرسى الدجاج من خلال المصادر المكتوبة:

1– ابن حوقل:

إن أول من ذكر مرسى الدجاج ابن حوقل خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، حيث قال:" مرسى الدجاج مدينة عليها سور منيع على نحر البحر وفي شفيره[1]، وليس لها مرسى مأمون"[2]، أهم ما ورد في هذه العبارة هو أن المدينة ساحلية ليست بالبعيدة عن البحر، ومرسى غير آمن، وهذه خاصية سلبية بالنسبة للمدينة، لكن بداية قوله قال لها سور منيع ولا يذكر شكله وطوله وسمكه، غير أن كلمة سور منيع تدل على المتانة والقوة وخاصة أنها على البحر، ويضيف قائلا:" وبها من رخص الأسعار أيضا في الفواكه والمآكل والمطاعم والقمح والشعير والألبان والمواشي ما يغرق غيرهم ممن يجاورهم، وبها من الأشجار والثمر والتين خاصة العظيم الجسيم ما يحمل منه إلى البلاد النائية عنه"[3]، وهنا إشارة للحياة الزراعية وأهم المنتجات التي كانت تنتجها، مما جعل الناس يُقْبِلُونَ عليها عبر القوافل البرية والبحرية، ويبقى وصف هذا الجغرافي غير مرضى بالنسبة لنا خاصة ما تعلق بالجانب المعماري والعمراني.

2– شمس الدين المقدسي:

أما عن المقدسي فلم يعط لنا معلومات واضحة عن مرسى الدجاج بل يصفها وصفاً عاما لا غير، فيجعلها ضمن تبعية إفريقية فيقول:" مرسى الدجاج مدينة من مدن إفريقية[4] وهي

---

[1]– الشَّفِيرُ: بفتح أوله، وكسر ثانيه، بلفظ شفير الوادي وهو جانبه. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.3، ص.353.

[2]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص.77. أنظر: ابن حوقل، المسالك والممالك، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل، 1872م، ص ص.51–52 .

[3]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص. 77.

[4]– إفريقية: بكسر الهمزة، وهو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس، والجزيرتان في شمالها، فصقلية منحرفة إلى الشرق والأندلس منحرفة عنها إلى جهة المغرب، وسميت إفريقية بإفريقيس بن أبرهة ابن الرائش، ويذكر أبو المنذر هشام بن محمد: هو إفريقيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان وهو الذي اختطها، وذكروا أنه لما غزا المغرب انتهى إلى موضع واسع رحيب كثير الماء، فأمر أن تبنى هناك مدينة فبنيت وسماها إفريقية، بعد أن أختط المسلمون القيروان خربت إفريقية وبقي إسمها على الصقع جميعه. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.1، ص.227.

تابعة لها"[1]، وأظن أن هذا الوصف وصف سياسي للحدود خلال فترة الدولة الزيرية، فمن الممكن أن المدينة كانت عبارة عن ميناء تجاري يستعمل في المبادلات التجارية فقط، صراحة من خلال هذا الوصف لا نستطيع تصور أو استنباط شكل المدينة أو بعض مميزاتها.

2-3- أبو عبيد الله البكري:

يعد أبو عبيد الله البكري من أهم المصادر وصفاً للمدن، فرغم أنه لم يزر العديد من المناطق إلا أن المعلومات الغزيرة التي يوردها جعلتنا نقف عنده، فهو قد وصف لنا مرسى الدجاج فقال:" مرسى الدجاج قد أحاط بها البحر من ثلاثة نواح وقد ضرب بسور من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية، ومن هناك يدخل إليها"[2]، هذه العبارة الذي أوردها توحي أن المدينة كان البحر يحيط بها من الجهة الشرقية والشمالية والغربية، ويظهر كذلك أن سورها كان متقدما في الجهة الشمالية بعكس الجهة الشرقية والغربية، أما عن السور فهو يحيط بها من تلك الجهات الثلاثة البحرية، غير أنه لا يذكر صفة هذا السور إن كان متيناً ومنيعًا، لكن من المؤكد أن السور طويلٌ وعال بحكم موقعه على الساحل.

ومما يضيفه:" وأسواقها ومسجد جامعها داخل ذلك السور له باب واحد ولها مرفأ غير مأمون لضيقه وقرب قعره، وبها عيون طيبة يسكنها الأندلسيون وقبائل من كتامة وبشرقيها مدينة بني جناد وهي أصغر منها... "[3]، فالجديد الذي يحمله البكري هنا كثرة الأسواق ومنها كثرة المنتجات وعليه المبادلات التجارية، وبعدها يورد لنا مسجدًا جامعًا؛ غير أنه لا يعطي شكله ولا وصفه، وهنا يجعلنا عاجزين على إعطاء صورة دقيقة لذلك المعلم الديني، أما المعلومة الثانية هي العيون الطيبة التي تساعد الناس في استقرارهم بها، وفيما يخص جماعة الأندلسيين وقبائل كتامة التي تسكن المدينة هو تحديد اجتماعي من زاوية معينة، أما من زاوية أخرى توحي بتوافد الناس من صناع وحرفيين وأهل العلم لمرسى الدجاج، فلو لم تكن مهمة لما دخلها الأندلسيون خاصة، مع العلم أن هذه الجماعة يولون اهتمام كبيرًا بالتجارة

[1]- المقدسي، المصدر السابق، ص. 218.

[2]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.246.

[3]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.246.

وتستقطبهم خيرات بلاد المغرب الأوسط، لهذا فلا غرابة أن يصلوا للمدينة ويمارسوا حرفهم وصنائعهم[1].

4- الشريف الإدريسي:

لا يختلف الإدريسي كثيرا عن سابقيه في وصف المدينة، فهو يعطي لنا بعض المعلومات الجديدة، لكن من الناحية العمرانية والمعمارية قليلة جدا، بحيث بدأ كلامه بتحديد المسافات فقال:" ومن تامدفوس إلى مرسى الدجاج عشرون ميلا ومدينة مرسى الدجاج كبيرة القطر لها حصن دائر بها"[2]، إن هذا القياس الذي ذكره هو نقطة إيجابية ومفيدة للأثري في تحديد المدينة إن خربت أو اندثرت، لهذا فالتحديد بين المدينة والأخرى يبين قيمة المدن من شتى النواحي سواء من الناحية الحضارية أو ما بين العواصم ومدن الأقاليم، ويبدو أن تامدفوس (تامنفوست)[3] لا تختلف كثيرا عن مرسى الدجاج، أما الإضافة التي جاء بها وهي أنها كبيرة القطر، وهذه العبارة تدل على أنها هي مشهورة وكبيرة في هذه المنطقة، وفيما يخص لها حصن دائر بها؛ فيفهم منه أن المدينة هي عبارة عن حصن في شكلها العام.

ومما يضيفه في الجانب الاجتماعي قوله:" وبشرها قليل وربما فر عنها أكثر أهلها في زمن الصيف ومدة السفر خوفا من قصد الأساطيل إليها ولها مرسى مأمون"[4]، يبدو أن الإدريسي في هذا الوصف غير متأكد من كلامه حول من يقطنها هل هم قليلون أو فروا صيفا كما يقول، فهو يعطي لنا فرضية فقط، مما يجعلنا كذلك نخمن في بعض الأفكار والفرضيات؛

---

[1]- رفيق خليفي، «الأندلسيون وتنشيط حركية الواجهة البحرية للمغرب الأوسط»، أعمال الملتقى الدولي "الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر) إلى نهاية العهد العثماني، جامعة الجزائر 2، 7- 8 ديسمبر 2009م، ص.140.

[2]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، مج.1، ص.259. أنظر: الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والمغرب، جزء مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1863م، ص.89.

[3]- تامدفوس (تمند فوست): إسم مرسى وجزيرة ومدينة خربة بالمغرب قرب جزائر بني مزغناى، وهي مدينة عتيقة بناها الرومان. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.2، ص.7. أنظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.42.

[4]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، مج.1، ص.259. أنظر: الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والمغرب...، ص.89.

فربما أن أهلها قليلون بحجم المدينة؛ غير أن هذه العبارة الأخير تنفي قوله بأن المدينة كبيرة، في حين أن أهلها فروا منها صيفا هي الأكثر قبولاً لدينا؛ مقارنة مع آخر كلامه بأن الأساطيل تقصدها كثيرا، وهنا لا نعرف إن كانت الأساطيل تجارية أم حربية، ونحن نرجح أنها حربية وعليه كان الناس يهربون منها، غير أن ذكره للمرسى بأنه مأمون فهذا أمر مخالف ومناف لمِا قالته المصادر قبله.

ويكمل قوله عن الجانب الزراعي والاقتصادي قائلا:" ولها أرض ممتدة وزراعات متصلة وإصابة أهلها في زروعهم واسعة وحنطتهم مباركة وسائر الفواكه واللحوم بها كثيرة وتباع بالثمن اليسير والتين خاصة يحمل منها شرائح طوبا ومنثورا إلى سائر الأقطار وأقاصي المدائن والأمصار وهي بذلك مشهورة"[1]، صراحة هذا الجانب مشهور جدا بمرسى الدجاج، فتعدد هذه المنتجات من خضر وفواكه وكثرة البيع والشراء؛ توحي بأن هناك أراضي خصبة ومياه كثيرة جعلت من أهلها يختصون في هذا المجال ويصدرونها للعديد من الأمصار والأقطار.

5- صاحب الإستبصار:

وهو من المؤلفات تحمل الكثير من الأوصاف والمعلومات عن مدينة مرسى الدجاج فقال:" مدينة مرسى الدجاج مدينة أزلية على شاطئ البحر، والبحر يضرب في سورها وهي قديمة البناء وفيها أثار عجيبة للأول"[2]، من خلال ما ذكره يظهر أن هذا الجغرافي استعمل مصطلحات جديدة مثل كلمة أزلية؛ ويعني بها أن مرسى الدجاج شيدت في فترة قديمة جدا، بحيث يشير لوجود بناء قديم ولها أثار عجيبة؛ فهذا المصطلح الأخير يوحي بوجود مخلفات مميزة وفريدة من نوعها لهذا أعجب بها المؤلف، أما كلمة البحر يضرب في سورها فهذا قد تم التطرق إليه سابقا.

[1]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، مج.1، ص.259.

[2]- صاحب الإستبصار، المصدر السابق، ص.131.

ومما يضيفه:" ولها بساتين وجنات، وبها الطير المسمى بالسماني كثير من البحر، ويقابلها جزيرة ميورقة[1]..."[2]، الشيء المميز في هذه العبارة هو الإشارة لأحد الطيور التي اشتهرت بها المدينة وهو السماني، ومن الممكن أنه أصل تسمية مرسى الدجاج على الغالب، لكن مقارنة بما هو موجود اليوم من طيور بحرية فلا نجد هذا الطائر بهذا المسمى، أو أن الطائر له تسمية أخرى لا تتوافق مع المدن الأخرى، في حين طائر النورس هو الأكثر شيوعا على المدن الساحلية، ويختم كلامه بأن هذه المدينة تقابل جزيرة ميورقة، وهذا تحديد يوحي بأن هناك علاقة ربط بين هاتين المدينتين.

6- ياقوت الحموي:

أما الحموي فلا جديد في وصفه بل ينقل عن سابقيه تلك الأوصاف لا غير، فقال:" بينها وبين أشير أيام: وهي مدينة قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح وقد ضرب بسور من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية ومن هناك يدخل إليها، وأسواقها ومسجد جامعها من داخل ذلك السور له باب واحد، ولها مرفأ غير مأمون لضيقه، يسكنها الأندلسيون وقبائل من كتامة وبشرقيها مدينة بني جناد وهي أصغر منها..."[3]، بما أن هذا المصدر جامع من المجاميع التي تحمل عدة مفاهيم لعدة مدن ومصطلحات وأسماء شخصيات وغيرها، لهذا لا نجد فيه جديدًا بل هو كلام منقول عن المصادر السابقة فقط.

وفي نفس الصدد لم يخرج أبو الفداء والحميري عن أقوال المصادر التي سبقتهم، فبعد الإطلاع عليهما وجدنا أن قولهما منقول من عند المقدسي والبكري والإدريسي، سواء ما تعلق بموقع المدينة المحصنة بسور يضرب الموج فيه، أو عن مرسى غير مأمون ومسجدها الجامع وغيرها[4]، ومن الممكن أن هذا النقل كان بعدما خربت المدينة لهذا استفادوا ممن سبقهم، فمن

---

[1]- مَيُورْقَةُ: بالفتح ثم الضم، وسكون الواو والراء يلتقي فيه ساكنان، وقاف: جزيرة في شرقي الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة، بالنون، كانت قاعدة ملك مجاهد العامري، وينسب إلى ميورقة جماعة منهم يوسف بن عبد العزيز بن علي بن عبد الرحمن أبو الحجاج اللخمي الميورقي الأندلسي الفقيه المالكي. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.5، ص.246.

[2]- صاحب الاستبصار، المصدر السابق، ص.131.

[3]- ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج.5، ص ص.106-107.

[4]- أبي الفداء، المصدر السابق، ص.136. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص.539.

الطبيعي أن يكتبوا عليها بعدما سمعوا عنها سواء من خلال قراءتهم لكتبهم أو من خلال أخبار التجار والبحارة.

7- خلاصة:

وخلاصة القول عن هذه المدينة أنها لم تحظ بعناية كبيرة من قبل المصادر المكتوبة، رغم أن بعضها ذكرت بعض المؤشرات حول عمرانها؛ وهنا نخص سورها الذي يحيط بها من جهة البحر ومسجدها الجامع وأسواقها وميناءها غير الآمن وغيرها، فهذه المعلومات تداولها العديد من المصادر بداية من الإدريسي ثم الحموي وأبي الفداء والحميري، فكلهم نقلوا كلامهم عن البكري الذي يعد من أهم المصادر وصفا للمدن، ورغم ذلك ليس له عناية كبرى بالمدينة فربما أنه لم تلحقه معلومات كافية عنها، أو لم تبلغ مرسى الدجاج عظمة المدن الأخرى، إضافة لذلك فالمدينة تعرضت للخراب بعدما أجارت عليها بنو غانية، مما أفقدها حضارتها وعمرانها، فهذا السبب قد يكون أحد الأسباب في عدم التطرق لها، وكذلك هو دافع لنقل المتشابه بين المصادر التاريخية والجغرافية، وعليه يبقى الأمل الوحيد للكشف عن هذه المدينة بعظمتها معماريًا وعمرانيًا هي الحفرية الأثرية التي تقوم بها فرقة البحث التابعة لمعهد الآثار بقيادة البروفسور عائشة حنفي.

ثالثا- مستغانم من خلال المصادر المكتوبة:

إن تقصي أي حقيقة تاريخية وحضارية أو عمرانية يستوجب على الباحث قراءة وتمحيص كتب المصادر الجغرافية والتاريخية، وتتبعها وفق إطارها الزماني والمكاني، غير أن المعلومة المبحوث عنها قد لا نجدها بالصيغة التي نتوقعها، أو قد يهملها البعض ويبينها غيرهم في عبارات واضحة، وهذا ما نراه على مدينة مستغانم التي تكلمت بعض المصادر عنها وأهملتها البعض بطريقة مباشرة وغير مباشرة، فمن الممكن أن منهم من لم يزوروا المدينة اصلا، أو أنها لم تبلغ مكانتها الحضارية مثل وهران وتنس وتاهرت وغيرها، فهذه بعض الفرضيات ستتضح مع أقوال المصادر المكتوبة:

لا نريد في هذه العرض أن نسبق مصدرًا على آخر في وصفهم لمدينة مستغانم؛ لهذا كان من المفروض علينا أن نتطرق للأصطخري واليعقوبي، غير أن هذين المصدرين لم يَرِدْ

أي وصفاً لمستغانم في كتبهما، وحتى إبن حوقل الذي ينفي وجود مستغانم كمدينة بطريقة غير مباشرة بحيث قال:" ومنها (تنس) إلى مدينة وهران مراس لا مدن لها "[1]، فهو يرى أن الإقليم الذي بين وهران وتنس لا يوجد به مدن مشهورة، بل يقر بوجود موانئ أو مراسي فقط، وتبدو هذه الأخيرة غير مستغلة ومستعملة في ظل عدم وجود مدينة حضارية.

1- أبو عبيد الله البكري:

مما لا شك فيه أن كتاب المسالك والممالك للبكري غني بالعديد من الأوصاف خاصة ما تعلق بالمدن وعمرانها، فهو يعطينا في الغالب تحديدا للموقع الجغرافي ويصف عمارتها وتجارتها وزراعتها، وهذا ما ينطبق على مدينة مستغانم بحيث قال:" وبين قلعة دلول ومدينة مستغانم مسيرة يومين، وهي على مقربة من البحر، وهي مدينة مسورة ذات عيون وبساتين وطواحين ماء، ويبذر في أرضها القطن فيجود، وهي بقرب مصب نهر شلف في البحر، وبغربي هذه المدينة نحو ثلاثة أميال منها مدينة تامزغران" [2]، رغم أن وصفه لا يتعدى ثلاثة أسطر إلا أن فيه بعض السمات للمدينة؛ كقوله كلمة مدينة أي هناك أشياء تدل على ذلك، وكذلك قوله مسورة؛ وهنا دليل على تحصين من الأعداء، بالإضافة لوجود العيون والبساتين والطواحين، هذه في الحقيقة كلها من مميزات المدينة الإسلامية، لكن من ناحية أخرى هذا الوصف لا يكفي من أجل قراءة واضحة لعمارة وعمران مستغانم.

2- الشريف الإدريسي:

وفي نفس الصدد لا يختلف وصف الإدريسي كثيرا عما قاله البكري حول مدينة مستغانم، فمن الممكن أنه أخذ عنه وأضاف بعض المعلومات التي لم يذكرها، حيث قال الإدريسي:" ...ومنها مستغانم على البحر مع الجون، وهي مدينة صغيرة لها أسواق وحمامات وجنات وبساتين ومياه كثيرة، وسور على جبل مطل إلى ناحية الغرب وهذا الجون تقويره أربعة وثلاثون ميلا تقويرا وروسية أربعة وعشرون ميلا"[3]، مما أضافه هذا الجغرافي عن مستغانم هو قوله مدينة صغيرة أي حدد شكلها وحصرها، كذلك أضاف لها الأسواق

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص. 78-79.

[2]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص ص.252-252.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ج.1، ص. 271.

والحمامات؛ وهنا إحدى إشارات التي تدل على وجود عمارة وعمران بالمدينة، فحتى أنه استعمل مصطلح الجمع لا المفرد، فيعني أن المدينة ليست بصغيرة إلى درجة أن نتصور فقرها الحضاري، فحتى السور يوحي بالتحصين والحماية.

3- أبي سعيد المغربي :

ولا يفوتنا هنا أن ننوه أن كل من هذه المصادر؛ صاحب الاستبصار، وياقوت الحموي، وعبد الواحد المراكشي والقزويني، لم ترد في كتبهم أي وصف خاص بمدينة مستغانم ولا ندري سبب هذا التهميش أو التغافل أو النسيان، فربما أنهم لم يدخلوا المدينة، أو ربما كانت مخربة أو غير ذلك، وعليه فإن تقصي أوصاف هذه المدينة لم يتوقف هنا أبدا، بل تم التعريج على أحد مصادر القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي)، وهو أبي سعيد المغربي الذي قال:"...وفي شرقيها (تنس) مستغانم وهي فرض مغراوة وبينها وبين البحر ميلان، وينصب في شرقيها نهر الشلف المتقدم الذكر، وعرض البحر هناك إلى ساحل دانية من الأندلس نحو ثلاث مجار ونصف "[1]، فحتى الوصف لم يرق لدرجة التفصيل في المدينة، بل هو كلام عام لم يرد فيه لا عمارة ولا عمران بل حدد موقعها وهو ليس بالتحديد الثابت.

4- عبد المنعم الحميري:

يبدو أن أسلوب الاستناد والنقل للمصادر المكتوبة ليس محصورًا في شخص واحد معين، بل هناك الكثير منهم يرتبط وصفه بما قاله من سبقه، وهنا يمكن القول إن البكري هو المصدر الثابت في المعلومة، لكن من نقل عنه كثيرون وعلى سبيل المثال الحميري الذي قال عن المدينة:" مدينة بقرب نهر شلف، بينها وبين قلعة مغيلة (دلول) مسيرة يومين، وهي مدينة مسورة ذات عيون وبساتين وطواحين ماء، ويبذر في أرضها القطن فيجود، وهي بقرب مصب نهر شلف، وهي على البحر ولها أسواق وحمامات وجنات وبساتين ومياه كثيرة وسور على جبل مطل إلى ناحية المغرب، وهي صغيرة "[2]، والنص واضح منقول عن البكري.

[1]- أبي سعيد المغربي، المصدر السابق، ص.142.

[2]- الحميري، المصدر السابق، ص. 558.

5- محمد بن علي البروسوي سباهي (ت. 997هـ/1589م):

ولا يختلف ابن سباهي عن الحميري بحيث قال:" مستغانم مدينة من مدن بر العدوة، وهي فرضة لمغراوة، ويصب في شرقيها نهر سلف (الشلف)، ومستغانم تقابل دانية الأندلس، وعرض البحر بينهما نحو ثلاثة مجار[1] ونصف مجرى"[2]، رغم أن هذا الوصف الأخير هو تحديد للموقع وبعض المدن التي تقابلها مستغانم، أي لا نجد وصفا معماريا ولا عمرانيا للمدينة، وهذا لا يسمح لنا بإعطاء صورة عامة عنها.

6- حسن الوزان:

وعلى خلافٍ عما سبق فهناك بعض المصادر المتأخرة قد قدمت لنا وصفًا دقيقًا عن المدينة، بحيث تطرقت لها بأسلوب سهل ومباشرٍ، وهنا نقصد كتاب حسن الوزان فقال فيها:" مدينة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط، على بعد نحو ثلاثة أميال شرقي المدينة السابقة في الضفة الأخرى"[3]، مما يلاحظ على أوصاف الوزان عن المدن أنه يستعمل كثيرا بناها الأفارقة، هنا يعني الحضارات القديمة سواء الفينيقية أو الرومانية، ولا يذكر أنها من تأسيس إسلامي أو شيء أخر، ثم يحددها بنحو ثلاثة أميال عن مدينة مزغران[4] شرقا، كأنه يقول أن هذه الأخيرة هي أقدم من مستغانم.

---

[1]- المجرى (البحري) (Madjra): وهي الوحدة الأساسية لتقدير المسافات في عرض البحر والمحيطات من قبل البحارة المسلمين خلال القرون الوسطى، ومعناها المسافة التي كانت تقطعها السفينة العربية الإسلامية طيلة يوم كامل من الإبحار، وهي مائة ميل، أي مائة وثمانية وثمانون كيلو متر تقريبا. أنظر: أزرقي الشرقي، المرجع السابق، ص.174.

[2]- محمد بن علي البروسوي الشهير بابن سباهي زاده (ت. 997هـ/1589م)، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق: المهدي عبد الرواضية، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1427هـ/2006م، ص. 592.

[3]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.32.

[4]- مزغران: هي مدينة صغيرة بناها الأفارقة، وهي مدينة ساحلية، قريبا من مصب نهر الشلف في البحر، وهي كثيرة السكان مصونة لكنها متعرضة كثيرا لتعسف الأعراب، وليس لواليها سلطة في الداخل، وأقل من ذلك في خارج المدينة، وهي تقع على بعد 4 كلم غرب مدينة مستغانم. أنظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.32.

ومما يضيف في الجانب الاجتماعي قائلا:" وكان لها في القديم حضارة كبيرة وسكان كثيرون، لكن الأعراب يكثرون من مضايقتها منذ أن بدأت سلطة ملوك تلمسان تضعف، حتى إنها فقدت ثلثي أهلها في وقتنا الحاضر، ومع ذلك فإنها ما تزال تضم قرابة ألف وخمسمائة كانون"[1]، في هذه العبارة يظهر انتقاد الوزان وتهكماته على الأعراب الذين كانوا يظلمون الناس، وربما يقصد هنا قبيلة سويد أو قبيلة مغراوة فهما من كانتا بالمنطقة، ورغم ذلك يبقى هذا النص يحتاج لتفسير علمي ومنطقي وبدليل من أجل أن نحكم على الأعراب وحسن الوزان.

أما من الناحية المعمارية والعمرانية والفنية فهو يورد لنا وصفا في غاية الأهمية من خلال المسجد والدور الجميلة؛ حيث قال:" وفيها مسجد في غاية الحسن وصناع كثيرون ينسجون الأقمشة، ودورها جميلة، وسقاياتها عديدة، يخترقها جدول ماء يحرك الطاحونات، وفي خارجها عدة بساتين جميلة، لكن معظمها مهجورة، وجميع الأراضي المحيطة بها جيدة للفلاحة وخصبة، لها ميناء صغير كثيرا ما تقصده السفن الأوروبية، لكن أصحابها لا يحققون أرباحا مهمة لشدة فقر السكان"[2]، إن المسجد الذي يقصده هنا هو المسجد المريني لأبي الحسن، وعبر عنه بمصطلح في "غاية الحسن"؛ أي هناك شيء أعجبه في ذلك ربما تلك الزخارف الفنية سواء الكتابية أو النباتية أو الهندسية، وربما منبره أو محرابه أو سقفه وغير ذلك، ونفس الأمر ينطبق على الدور أو المنازل الجميلة، وتحدث أيضا عن كثرة الصناع الذين ينسجون الأقمشة، وهذا دليل على أن نشاط النسيج رائج بالمدينة، كذلك ذكر عنصر الماء الذي يعبر عبر سقايات للمنازل، وختم قوله عن الميناء الصغير الذي تقصده السفن الأوروبية، وربما يقصد السفن الحربية أيام المد الصليبي الإسباني.

7- مارمول كربخال:

يعد كربخال أحد المصادر التي استفادت من سابقيها في تدوين وتحرير كتابه، فهو ينقل الكثير من المعلومات سواء من حسن الوزان أو بالرجوع للبكري أو الإدريسي، فحتى وصفه لمدينة مستغانم لم يحمل الجديد، بحيث قال في موقعها:" مدينة موغلة في القدم بناها سكان

[1]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.32.

[2]- المصدر نفسه.

البلاد الأصليون على سفح جبل مطل على ساحل البحر، وفي الطرف الأعلى من المدينة، حيث توجد ربوة مشرفة، يقوم حصن جهة الجنوب، وتوجد مستغانم على أربعة عشر فرسخا شرقي وهران، لها مرسى جيد لكنه بعيد قليلا عن المدينة، يجعله بطليموس على أربعة عشرة درجة وثلاثين دقيقة من خطوط الطول وعلى ثلاث وثلاثين درجة وأربعين دقيقة من خطوط العرض"[1]، الشيء الذي أضافه هنا هو التطرق لما قاله بطليموس في تحديد موقع المدينة بدقة، أما الحصن الذي يذكره هو برج الترك من عمل العثمانيون، وهذا رغم الاختلاف التي قامت حول من شيده وسنة بنائه[2].

ومما يضيفه قائلا:" بيوت المدينة جيدة البناء لا يكاد بيت منها يخلو من ينبوع ماء، في الطرف الجنوبي للمدينة مسجد رائق البناء وفي شرقها نهر الشليف الذي وجد على ضفتيه عدد من الأرحاء وحدائق بها أشجار التين والكروم"[3]، هذه العبارة وردت عند حسن الوزان ولا نرى فيها أي جديد أو اختلاف، فرغم أنه متأخر عن الوزان كان من المفروض يعطينا تفاصيل كثيرة حول المسجد الجامع المريني وحتى البيوت والحصون، وربما أنه لم يزرها أبدا بل كتب عن غيره وسمع من هنا وهناك.

وفي ختام قوله ذكر جملة الصفات والأحداث التاريخية وقد تم التطرق لها سابقا، حيث قال:" أهلها أباة إن لم يكونوا في معظمهم سوى نساجين، عندما دخل النصارى إلى وهران كان أهل مستغانم يخضعون للعرب وكانوا يسومون أهلها أشد العذاب، فغادرها بسبب ذلك كثير منهم إلى أن استولى الأتراك على مدينة الجزائر ثم استولوا على مستغانم، وهي مفتاح هذه البلاد، وقد تفطن لهذه الحقيقة كونت ألكاوديت فحاول فتحها ثلاث مرات إلى أن لقي حتفه في المرة الأخيرة، لا توجد في هذه الناحية مدن ذات أهمية غير تلك التي ذكرناها"[4]، لا ندري ماذا يقصد كربخال من عبارة أهلها أباة؛ هل هم قطاع طرق أو لا يشتغلون أو يترفعون عن العمل، فهو ذكر أن البعض منهم يشتغل في النسيج ولم يضف شيء عن ذلك، أما العبارة الأخيرة في وصفه توحي أن المصدر لم يجد مدن كبرى مثل مستغانم في هذا الإقليم.

---

[1]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.350.

[2]– بوعبد الله بلجوزي، المرجع السابق، ص ص.104–105.

[3]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.350.

[4]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.350.

8- خلاصة:

واستخلاصا لما سبق نؤكد أن مدينة مستغانم لم تُعْنَ بالوصف الدقيق ولا الأحداث المفصلة ولا بعمرانها وعمارتها من قبل المصادر المكتوبة مقارنة بالمدن الأخرى، بحيث أنها لم تذكر إلا مع البكري في كتابه المسالك والممالك، فهذا الأخير لم يوليها أهميةً كبيرةً في وصفه، بل حدد موقعها وتكلم عن أنها مسورة، بالإضافة للبساتين والثمار وغيرها، لكن من الناحية المعمارية والعمرانية لا نجد تفصيل في ذلك، بل انحصرت في كلمة مسورة، والتي يحدد معناها بالحصانة والأسوار مع تصور كل باحث لها وفق ذلك المصطلح، وعليه فهذا الأمر يجعلنا أمام العديد من الآراء المختلفة بين الباحثين.

أما عن المصادر المتأخرة على غرار حسن الوزان ومارمول كربخال فقد ذكرت بعض السمات، وهنا نقصد المسجد والدُورْ وأنها مسورة، لكن صراحة هذه الأوصاف لا تكفي للباحث الأثري من أجل إعطاء قراءة وصفية أثرية لتلك المعالم، والشيء الوحيد الذي يعطي للمصادر المكتوبة مصداقيتها هو الأبحاث الأثرية (الحفريات)، والتي نتمنى إجراء بعض التنقيبات على طرفي واد عين الصفراء، ومن خلالها يمكن أن تتغير بعض المعطيات التاريخية.

رابعا- هنين من خلال المصادر المكتوبة:

في مستهل الحديث عن مدينة هنين يجب أن نؤكد على أن المصادر الجغرافية والتاريخية التي تطرقت لها في بدايتها كانت عبارة عن إشارات سطحية إلى حد كبير، وهناك من لم يتطرق لها على غرار الأصطخري وابن حوقل، وعليه حاولنا تقصى أقوال تلك المصادر دون إهمال أي وصف مهما كان، مع تعليق وشرح لبعض الأوصاف الأثرية المتعلقة بالمدينة.

1- أبو عبيد الله البكري:

إن أول من ذكر مدينة هنين هو البكري في قوله:"...ومن الوردانية إلى حصن هنين أربعة أميال، وهو على مرسى جيد مقصود، وهو أكثر الحصون المتقدمة الذكر بساتين وضروب ثمر، يسكنها قبيلة تسمى كومية وبين هذا الحصن ومدينة ندورمة الجبل المعروف بتاجرة، ومسافة ما بين هذا الحصن والمدينة ثلاثة عشر ميلاً "[1]، ويبدو أن هذا المصدر يحصي الحصون والمراسي بساحل البحر، فهو يذكر لنا حصن الوردانية[2] والمسافة التي بينه وبين حصن هنين، ويرى في هذا الحصن أكثر تقدمًا، فربما يشير إلى قربه من البحر وهذه الميزة التي ينفرد بها عن باقي الحصون، كما يشير لقبيلة كومية التي تقطن به، ويضيف إن الفاصل بين حصن هنين ومدينة ندرومة[3] هو جبل تاجرة.

ما يلاحظ على قول البكري في وصف المدينة أنه وصف ضعيف مقارنة بأوصافه التي يقدمها لنا عن باقي المدن، فكلمة "حصن ومرسى جيد مقصود" صراحة لا تكفي حتى نحكم على المدينة بحضارتها أو بداوتها، وكذلك لا يمكن أن نقيس سمات هذا الحصن؛ هل هو حصن كبير أم صغير ؟ بالإضافة لطريقة بنائه والمادة التي بنيتي به ؟، لهذا فالمعلومات التي وردت على لسان البكري غير كافية، وهذا رغم أن موقع المدينة ذو مجال محوري في بلاد المغرب الإسلامي، لهذا نعتقد أن البكري لم يعط هنين حقها من الوصف أو لم تصل له معلومات كافية عنها، وعلى كل حال يبقى هذا المصدر من بين أفضل المصادر شرحا ودقة في الوصف للعديد من المدن الإسلامية.

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.263. أنظر: صالح بن قربة وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني لدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 1954م، ص.265.

[2]- الوَرْدانيّةُ: وردان: إسم رجل وهذه قرية منسوبة إليه، وهو حصن على جبل بساحل البحر قريب من مدينة هنين. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.5، ص.371. أنظر: البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.263.

[3]- ندرومة: هي مدينة بالغرب الجزائري تابعة لولاية تلمسان بحيث تبعد عنها بـــ 50 كلم، وتبعد عن الحدود المغربية الجزائرية بـــ 45 كلم. أنظر: محمد رابح فيسة، المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة دراسة تاريخية أثرية، ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2005/2004م، ص.14.

2- الشريف الإدريسي:

يعد الإدريسي من الجغرافيين الذين زاروا بلاد المغرب الأوسط خلال القرن السادس الهجري، وقد دَوَنَ لنا عدة أوصاف عن رحلته في تلك الأقاليم، ومن بين المدن التي دخلها هي مدينة هنين، وأعطى لنا بعض المعلومات عنها فقال:" وهنين مدينة حسنة صغيرة في نحو البحر"[1] من خلال هذه الجملة يشير لنا أن المدينة ليست بقيمة المدن الكبرى أي صغيرة، وكلمة حسنة دليل على أنها بسيطة في عمارتها وتجارتها وفي شتى الجوانب هذا ما يفهم من مصطلح حسنة، وهي مدينة ساحلية، ويضيف أيضا:" وهي عامرة عليها سور متقن"[2] أما في هذه العبارة فالمفهوم واسع فكلمة عامرة يمكن أن نفسرها بعدة طرق؛ كأن نقول عامرة بالعـــمارة أو بالنـــاس أو التجارة وغيرها، والمبتغى من هذا المصطلح هو التفاخر والتعظيم من قول الإدريسي، وفيما يخص عبارة عليها سور متقن؛ دليل أن هذا المصدر أعجب بالســـور وطريقـــة بنائه سواء من ضخامته أو سمكه أو طوله، فالغاية من هذه القراءة هو وجود هيكل معماري يميز المدينة سواء من خلال حمايتها وطريقة بنائه.

وبحكم موقعها الإستراتيجي فمن المؤكد أنه كان لها دورٌ بارزٌ في المبادلات التجارية، وهذا ما يؤكده الإدريسي في قوله:" وأسواق وبيع وشراء، وخارجها زراعات كثيرة"[3] إن وجود هذه الأسواق بصيغة الجمع دليل على كثرة وتنوع المنتجات التي تطرح للبيع والشراء، وعليه يكثر أهل الصنائع والحرف ويقبل الناس عليها، وتقصدها السفن التجارية من كل الأمصار، حتى تلك الزراعات التي تمارس بأراضيها الخصبة فهي متنوعة وكثيرة كذلك[4]، سواء ما تعلق بالزراعة الغذائية من خضر وفواكه وزراعة غابية مثل أشجار الصنوبر والعرعار وغيرها، ومما يضيفه في شأن العمران:" وعمارات متصلة وكذلك من هنين إلى

---

[1]- الإدريسي، المصدر السابق، ص.534.

[2]- المصدر نفسه.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ص.534.

[4]- عبد العزيز لعرج، «هنين تاريخها وأثارها...»، 135. أنظر: رضوان زيرار ونصر الدين بن داود، «الدور الاقتصادي لمدينة هنين خلال العهد الزياني»، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد:08، العدد: 03، ديسمبر 2022م، ص.28.

تلمسان في البر أيضا أربعون ميلا "[1]، فعبارة عمارات متصلة توحي بوجود عمارة مترابطة ومتراصة فيما بينها، وما يفهم كذلك من متصلة تعني وجود عمران واسع وكثير بالمدينة، ويكمل قوله بتحديد المسافة بين مدينة تلمسان وهنين.

بصرف النظر عما جاء به الإدريسي من أوصاف عن هذه المدينة فهو غير كاف بالنسبة لنا، فهو تزامن مع فترة بروزها خلال الفترة الموحدية وكذلك الدويلات التي سيطرت عليها فيما بعد، سواء المرينية أو الزيانية، لكن مقارنة مع من سبقه أي البكري يمكن القول إن وصفه فيه بعض المعلومات الجديدة؛ خاصة ما تعلق بأن المدينة بسيطة والسور المتقن والعمارات المتراصة، وتدخل هذه المعلومات في سياق العمران والعمارة بالمدينة.

3- صاحب الإستبصار:

ومن زاوية أخرى فهناك بعض المصادر رغم أنها متأخرة عن الإدريسي إلا أنها لم تعطي لنا معلومات جديدة وواضحة عن هنين، بل على العكس من ذلك لم تعط للمدينة قيمتها الحضارية والتجارية والإقتصادية وغيرها، فهذا صاحب الإستبصار يختصر كلامة في جملة لا تتعدى خمس كلمات بقوله:" وحصن وهنين، ومرساه مقصود وله بساتين كثيرة "[2]، فهو يرى في مدينة هنين مجرد حصن له مرسى وبساتين، غير أن هذه العبارة تبقى غامضة من قبل هذا الجغرافي، ولا ندري لماذا هذا الوصف الضعيف، مما يطرح عدة تساؤلات: هل زارها أم نقل عن غيره هذا الكلام ؟ أم أن قوله صحيح لم يرق هذا الحصن للمدينة أو أنها تعرضت للتخريب ولم ير إلا ذلك الحصن ؟.

4- ياقوت الحموي:

أما الحموي فيرى أنها مدينة ساحلية ضمن بلاد المغرب، وهذا من خلال قوله:" هنين ناحية من سواحل تلمسان من أرض المغرب، منها كان عبد المؤمن بن علي ملك المـــغرب

[1]- الإدريسي، نزهة المشتاق ...، ص534.

[2]- صاحب الاستبصار، المصدر السابق، ص.135.

من بليدة منها يقال لها تاجرة[1]..."[2]، وهنا يشير المصدر أن المدينة كانت ضمن أقاليم الدولة الـــموحدية بقيادة عـــبد المؤمن بن علي التي عرفت بشهرتها وتوسعها وكثرة عمارتها، إلا أن هذا الوصف لا يحمل وصـــفًا من الأوصاف المعمارية والعمرانية.

5- ابن سعيد المغربي:

ولا يختلف بن سعيد عن سابقيه والذي ذكر لنا المدينة كطريق ومحددًا بعض المسافات بينها وبين مدن أخرى، بحيث قال:"...ومنها إلى أرشقون[3] ...ومنه إلى فرضة[4] هونين إثنا عشر ميلا ومنها إلى فرضة وهران..."[5]، صراحة لا نفهم هذا الإجحاف في الوصف من قبل الحموي وابن سعيد المغربي وحتى صاحب الإستبصار في حق المدينة، فتعاملنا وحكمنا هنا على هنين يقاس بما وصفته وكتبته لا غير.

6- ابن أبي زرع (ت.726هـــ/1326م):

ينبغي أن نؤكد إلى هذا الحد أن المصادر لم تراع القيمة الحضارية للمدينة، فمعظم ما تكلمت عنه هي أحداث تاريخية في ظل تأسيس أو حروب أو ظهور شخصيات، فهذا إبن زرع يذكرها في سياق شخصية إدعت النبوة وهرب عبر مرسى هنين، كما يذكر معلومة أخرى حول بناء عبد المؤمن بن علي أسطوله البحري؛ فيقول:" فأنشأ منها أربعمئة

---

[1]- تاجرة: بفتح الجيم والراء، بلدة صغيرة بالمغرب من ناحية هنين من سواحل تلمسان، بها كان مولد عبد المؤمن بن علي صاحب المغرب. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.2، ص. 05.

[2]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.5 ، ص.419.

[3] - أرشكول (أرشقون): مدينة قديمة على ساحل البحر المتوسط وهي شرقي مدينة هنين، كانت عاصمة للمملكة تلمسان، وقد شيدت فوق صخرة عالية يحيط بها البحر من كل جانب، وليس لها سوى ممر صغير من جهة اليابسة في مسلك يدور حول الصخرة، وقد تم تخريب عمرانها عدة مرات من قبل أحد الحكام المرابطون، ثم جاء الموحدون وأعادوا بعث عمارتها وحضارتها، ليأتي فيما المرينيون وخربوها. أنظر: مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص ص.297-298 .

[4]- فرضة، والفُرْضَةُ: بالضم، من النهر، ثُلْمَةُ يُسْتَقَى منها، ومن البحر محط السفن. أنظر الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص. 650.

[5]- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص.140. أنظر: ابن سعيد المغربي، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خنيس، مطبعة كريماديس، خزانة محمد نزار الدباغ، تطوان، المغرب، 1958م، ص.74.

قطعة...ومنها ببلاد أفريقية ووهران ومرسا هنين مئة قطعة"[1]، وعليه يمكن الإقرار بوجود دار لصناعة السفن بهنين، ومنها اليد الحرفية والمتخصصة في هذا المجال.

7- محمد بن مرزوق التلمساني (ت.781هـ/1379م):

إن التدقيق في المصادر يلزمنا الإحاطة بها جميعًا، وهذا من أجل تقتفي معلومات هامة حول مدينة هنين، وهذا ما وجدناه في كتاب المسند الصحيح للحسن محمد بن مرزوق التلمساني، وهو معاصر الدولة المرينية أيام حكم أبي الحسن المريني خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي، ويورد لنا نصاً مخالفاً عن من سبقه فيقول:" ومنها الجامع الذي أنشأه بمدينة هنين، وكان شراء موضعه على يدي وهو مسجد خطبة وصومعة فيه كبيرة مختلفة، واشترينا المساحة المزيدة في الجامع القديم بمال جسيم والمزيد في جامع الجزائر كذلك "[2]، مما يتضح من هذا النص هو وجود جامع وله صومعة كبيرة مختلفة، فهذه الكلمة الأخيرة تدل أن المئذنة لا تشبه مآذن بلاد المغرب الأقصى ولا مدينة تلمسان، ويبدو كذلك أنه كان مسجدًا قديمًا بالمدينة فهو يقول إنه ومن معه إشتروا مساحة الجامع القديم، ورغم أن هذا الوصف قليل أو متواضع من ناحية المعلومات إلا أنه هام للباحث، لأن كل المصادر التي تم الإطلاع عليها لم تذكر المسجد ولا الجامع.

8- عبد الرحمن بن خلدون (ت.808هـ/1406م):

وفي نفس الصدد يذكر لنا عبد الرحمن ابن خلدون أحداث تاريخية سياسية مرتبطة مكانيا بهين، خاصة في ظل الحروب القائمة في بلاد المغرب الأوسط والصراعات التي نشبت بين القبائل، ومن بينها حروب قبيلة مغراوة التي تزعمها الأمير علي بن راشد بن ثابت بن منديل، والذي خرب العديد من المدن على غرار هنين، فقال ابن خلدون:" من أول غزوات السلطان أبي ثابت إلى كومية... وأضرم بلاد كومية وما إليها من السواحل ناراً وفتنة، فجمع

[1]ـ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص. 96، 201.

[2]- محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص.403.

له السلطان أبو ثابت ونهض إلى كومية فاستباحهم قتلاً وسبياً واقتحم هُنين"[1]، وكلمة إقتحم على معنيين؛ الأول يوحي بحصانة المدينة خاصة من ناحية الأسوار الدفاعية، والوادي والجبل الذي يحميها مما صعب دخولها، أما المعنى الثاني هو قوة الجيش المغراوي الذي دخل المدينة وخربها، إذن إبن خلدون إكتفى بسرد حادثة وقعت بالمدينة جعلها تتأثر من شتى النواحي، لكن فيما يخص الوصف المعماري والعمراني لا نجد له أثرًا عنده، رغم أنه تزامن مع حضارة وشهرة المدينة وكان قريبا منها.

9-عبد المنعم الحميري:

لا يختلف الحميري عن سابقيه في وصف مدينة هنين، بحيث يحددها من ناحية موقعها وقربها من بعض المدن على غرار تلمسان شمالا، وقربها من ندرومة، بحـــــيث قال:" هنين مدينة بالمغرب جليلة على البحر، وشمالها تلمسان، وهي بقرب ندرومة"[2]، لكن يذكر لنا كلمة جليلة، وهذا المصطلح كثيرا ما ربطته المصادر بعظمة المدن من شتى النواحي سواء العلمية أو الإقتصادية أو حتى العمرانية.

10-حسن الوزان:

وعلى العكس مما سبق يعد حسن الوزان أحد المصادر الجغرافية التي وصفت المدينة بدقة خلال القرن التاسع إلى أواخر القرن العاشر، وأول ما يبدأ به كلامه هو وصف عام للمدينة حيث قال:" هنين مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة، وهي أنيقة صينة[3] للغاية لها ميناء صغير محروس ببرجين، كل واحد منهما في جهة، وتحيط بها أسوار عالية متينة، لاسيما من جهة البحر"[4]، فالمقصود من كلامه قديمة بناها الأفارقة؛ أنها شيدت في الفترة القديمة سواء خلال التواجد الفينيقي أو الروماني، في حين لا يختلف عن سابقيه بوصفها بالمدينة الصغيرة، لكن الجديد في كلامه هو الأوصاف المعمارية والعمرانية التي ذكرت في هذه الفقرة، بحيث

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص ص.155-156.

[2]- الحميري، المصدر السابق، ص.597.

[3]- صينة فهي من الفعل صان يصون صن؛ ومعناه يحمي شيئاً أو ثوبا أو بلدا. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج.13، ص ص.250-251.

[4]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.15.

يورد لنا أنها أنيقة صينة للغاية؛ وهنا دليل على فخامة المدينة من الناحية الجمالية والفنية وهذا من مفهموم كلمة أنيقة، أما صينة فهي آمنة من المخاطر ومحمية جدا، وهذا ما يثبته بوجود برجين في كل جهة وأسوار عالية ومتينة أي ذات سمك كبير، إذن من خلال هذه الأسطر يمكن إستخلاص بعض العناصر معمارية مثل الأبراج والأسوار.

ومما يضيفه في المجال التجاري قائلا:" وتأتي إلى هذا الميناء سنويا سفنا شراعية من البندقية[1] تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان إذ لا يفصل بين هذه المدينة وهنين سوى أربعة عشر ميلا، ولما احتل المسيحيون وهران لم يعد البنادقة يقصدونها لكونها مليئة بالجنود الإسبان، فطلب منهم أهل تلمسان أن يأتوا إلى هنين"[2]، أما في هذه الفقرة يوضح القيمة الإقتصادية للمدينة من خلال السفن التجارية التي تقصدها، وكذلك أهمية الميناء بالنسبة لبلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة[3]، لكن مع الحملة الإسبانية وسيطرتهم على العديد من الموانئ، أصبح مينائها يستقطب العديد من السفن والتي كانت تتجه لميناء المرسى الكبير بوهران؛ وهذا ما يفهم من قول الوزان.

لعل أهم ما أشار إليه هذا الجغرافي هو الجانب الإجتماعي والحرفي لأهل هنين، بحيث قال:" وكان سكان هنين في القديم نبلاء وشرفاء يعملون كلهم تقريبا في القطن والمنسوجات"[4]، ما يستخلص من هذه العبارة أن أهل المدينة كان أغلبهم من الطبقة الغنية والآشراف في الفترة التي سبقته، لكن يظهر أنهم لم يعد كذلك حسبه، ويرى كذلك أنهم يمتهنون حرفة المنسوجات وإنتاج القطن، ومن المؤكد أن هذه الصناعة تتعدد بين الأقمشة والأغطية والملابس، ولها جودة وميزة جميلة جعلت من صناعها وأهلها من الطبقة الراقية[5]،

---

[1]– البندقية: تقع في عمق البحر الأدرياتيكي في شمال شرق إيطاليا، وتشرف على الخليج الذي حمل اسمها، ويمتد هذا الأخير بين منطقتي فينسيا وإيستريا، وبين مصب نهر تقليامنتو إلى مصب نهر البو. أنظر: تسعديت عداد، « دور الموقع الجغرافي لجمهورية البندقية في توجيه اقتصادها إلى إنتاج وتجارة الملح في العصر الوسيط»، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد: 05، العدد:02، 2021م، ص. 474.

[2]– حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.15.

[3]– مبارك الميلي، المرجع السابق، ص.334.

[4]– حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.15.

[5]– خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية 633هـ–689هـ/1235م–1282م، ط.1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 2005م، ص.67.

وإذا كانت هذه السمات والخصائص حاضرة بهنين فمن الطبيعي أن تكون المدينة راقية عمرانيا.

من الضروري أن نؤكد مرة اخرى على أهمية هذا المصدر الجغرافي، والذي يفصل لنا في وصف المدينة، فهو يضيف لنا جانبا آخر عن العمران بهنين فقال:" ودورهم في غاية الجمال والزخرفة، لكل دار بئر من الماء العذب، وفناء مغروس بكرم معروش، أرضها مبلطة بالزليج الملون، وسطوح الحجرات مزينة بنفس الزليج، والجدران مكسوة كلها بالفسيفساء الفنية"[1]، من خلال هذه المعلومات الواردة يستنبط القيمة المعمارية والعمرانية لهنين، لهذا نجد أن الوزان أعجب بدورهم الجميلة والمزخرفة، فلا يخلو بيت حسبه من بئر؛ وهذا دليل على أن المنازل كبيرة، حتى أنه قال بوجود أرضية مبلطة بالزليج الملون[2] وكذلك السطوح والجدران المزخرفة، كل هذا يوحي أن أهلها من الأغنياء والأشراف، وعليه إعتنوا بدورهم وقصورهم وإستعملوا عليها أحسن وأفضل الحرفيين والصناع.

وبناء على ما سبق فقد تطرقنا إلى أن المغرب الأوسط تعرض للغزو المسيحي الإسباني، وسيطر على العديد من المدن الساحلية على غرار المرسى الكبير ووهران، وفي هذا الصدد يذكر لنا هنين في هذا السياق قائلا:" لكن عندما بلغ السكان خبر احتلال وهران تركوا جميعا المدينة فأصبحت خاوية على عروشها إلا ما كان من ملك تلمسان الذي يرسل إليها أمير قصر يقيم بالقلعة مع المشاة لا لغرض إلا ليخبر الملك بوصول السفن التجارية..."[3]، يتضح أن أهل هنين مخافة أن يلاقوا الإسبان هجروا المدينة بإتجاه المدن الداخلية على غرار ندرومة وتلمسان، غير أن حاكم تلمسان أرسل حامية عسكرية لتأمين السفن وقبض الضرائب على من يقصد ميناء هنين، فهذه الصورة توحي بتدهور الحال

---

[1]– حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.15.

[2]– الزليج الملون: هو من المواد الخزفية التزينية التي تكسي بها الجدران وتفرش بها أرضيات المباني المختلفة في المغرب الإسلامي والأندلس، وهو نوع من الفسيفساء الخزفية كالقاشاني المشرقي. أنظر: محمد الأمين دندان، الزليج الزياني في القرنين 13م – 14م / 7هـ– 8 هـ(دراسة فنية للزليج المكتشف في حفريات المشور 2008–2009م)، ماجستير في علم آثار المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013–2014م، ص.17.

[3]– حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.15.

وخراب المدينة فيما بعد، في حين أشار بعض الباحثين أن من أسباب ضعف وإنهيار الدولة الزيانية، وتخليها عن العديد من المدن مثل المرسى الكبير ووهران وحتى هنين فيما هو عدم دفع القبائل للضرائب لبني زيان[1]،

أما عن الجانب الزراعي فهنين إشتهرت بالعديد من المنتجات الفلاحية ساعد أهلها على الإستقرار، فالأراضي الزراعية ووفرة عنصر الماء المتمثلة في الوديان والعيون، كانت بمثابة عمود داعم في زراعة العديد من الأشجار المثمرة وغير المثمرة، وفي هذا المنوال يقول حسن الوزان:" وتنتج الممتلكات المجاورة لهنين حتى الآن كميات وافرة من الثمار، كالكرز والمشمش والتفاح والإجاص والخوخ وعدد لا يحصى من التين والزيتون، لكن لا يوجد من يقطفها في البساتين الواقعة على ضفة النهر القريب من المدينة حيث أقيمت الطاحونات"[2]، رغم كثرة هذه المنتجات إلا أنه لا يوجد من يجني هذه الثمار حسب الوزان، فلا ندري إن كانت لا تصلح للأكل وهذا أمر مستبعد، أم أن أهلها منشغلون بالحرف والتجارة أو أن أهلها قليلون وهاجر الآخرون، فتلك المنتجات ساهمت بقدر كبير في التعمير.

وفي ختام كلامه أعطي لنا نصًا يحمل الكثير من التحسر والحزن على حالة المدينة، وكأن الأشياء التي شاهدها لا تسرالناظر مثل خراب عمرانها، حيث قال:" ولما مررت من هناك تألمت جدا للحالة البائسة التي صارت إليها المدينة، كنت مع أحد كتاب ملك تلمسان جاء لإستلام ضرائب من سفينة جنوبية حملت البضائع ما يمون تلمسان لمدة خمس سنوات، وبلغت قيمة الرسوم التي قبضها الملك خمسة عشر ألف مثقال ذهبا مسكوكا أرانيها الكاتب"[3]، وحتى حديث في الأخير عن جمع الضرائب وتموينها تلمسان بالبضائع؛ يوحي بأن هنين أصبحت مجرد ميناء وحامية عسكرية بعدما كانت مدينة يفتخر بدُورِها وقصورها والزليج الملون والحوائط المزخرفة، وعليه نستنتج أن المدينة هجرت بعدما دخل الإسبان للمغرب الأوسط، فأصبحت خاوية ومن الممكن أنها تعرضت للتخريب.

---

[1]– مولاي بلحميسي، « نهاية دولة بني زيان»، مجلة الأصالة، العدد:26، الجزائر، 1979م، ص.32. أنظر: هاشمي بن براهيم، قبائل وهران والاحتلال الإسباني قراءة في مواقف التحالف والولاء، دكتوراه في تخصص الحوض الغربي للمتوسط تاريخ وحضارة، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2021/2020م، ص.33.

[2]– حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص ص.15–16.

[3]– المصدر نفسه.

11- مارمول كربخال:

ومقارنة بما سبق فإن كربخال هو أحد المصادر المتأخرة كذلك خلال القرن العاشر الهجري (16م)، فإنه لا يختلف كثيرًا عما قاله حسن الوزان عن هنين وربما أخذ منه تلك الأوصاف، في حين نجد أنه يتحدث عن بعض المعلومات الجديدة مثل قوله:" ...كانت المساجد فيها حسنة البناء"[1]، وهنا يبدو أنه وجد العديد من المساجد عكس من سبقه تحدثوا عن جامع واحد نقصد ابن مرزوق، ثم يضيف في شأن تدهور وخراب المدينة، بحيث قال:"وكانت تصبح في حالة حسنة جدا لولا أن طمع السكان تسبب في تلفها، لأنهم لم يكتفوا بتجارتهم، بل آووا القراصنة وخرجوا معهم لشن الغارات على شواطىء إسبانيا، فاضطر شارل الخامس[2] إلى أن يبعث إليها دم ألفاري بسان، قائد أسطوله، الذي أخذها وأقام بها حامية بعد أن نهبها، لكن الأمبراطور أمر بتدميرها لتلافي النفقات، وذهب إليها قائد الأسطول نفسه لتحطيم الأسوار والبروج وحرق الديار وتخريبها، فلم يعد ترميمها منذئذ"[3]، فهذه الفقرة توضح حجم الخراب الذي تعرضت له هنين، سواء من قبل القراصنة والقبائل وحتى الغزو الإسباني، والذي خرب أسوارها وأبراجها وحرق دورها، وبعدها فقدت المدينة عمرانها وحضارتها.

12- خلاصة:

واستخلاصا لما سبق يمكن القول إن مدينة هنين لم تحظ بإهتمام كبير من قبل المصادر التاريخية والجغرافية، فالكثير منهم قدم لنا إشارات ضعيفة على غرار البكري والمقدسي والحميري والحموي وغيرهم، حتى إن تلك المعلومات كانت مقتصرة في موقعها وأحداث تاريخية مرت بها، في حين إقتصر البعض منهم بذكر مرسى هنين وصناعة مئة سفينة، والمقصود هنا إبن أبي زرع خلال العهد الموحدي من قبل عبد المؤمن بن علي، أما ابن

---

[1]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.296.

[2]- شارل أو شرلكان الخامس: (1500-1558م) أمير بورغني أباه فليب لوبو وأمه جان المجنونة، عين إمبراطورا للرومانية المقدسة، التي ضمت (إسبانيا، النمسا، بلجيكا، هولندا، صقلية، سردينيا، ونابولي، وقسما من بلاد الجرمان، وأغلب البلاد الأمريكية، فأصبح باسم إمبراطوريته العظمى يقف وجها لوجه أمام فرنسا والإمبراطورية العثمانية. أنظر: أسماء ابلالي، « التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ/16م قراءة في الدوافع والنتائج»، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد الثاني، 2017م، ص. 54.

[3]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.296.

مروزق فأَقَرَ بوجود جامع له صومعة مختلفة، وبخصوص حسن الوزان ومارمول كربخال فهما الأكثر وصفاً لهنين من الناحية العمرانية والمعمارية، وهذا بذكرهم لدُوْرِهَا الجميلة والزليج الملون ومساجدها الحسنة، ورغم هذا تبقى هذه الأوصاف ناقصة إلى حد ما، وخاصة إذا قارناها بالمدن الساحلية للمغرب الأوسط على سبيل المثال تنس ووهران وغير ذلك، مهما يكن فقد قدمت لنا المصادر المكتوبة معلومات هامة بخصوص تلك المدن، سواء كانت تلك الأوصاف مفصلة أو جزئية إلا أنها من الناحية الأثرية مهمة في ظل الخراب الذي مس العديد من مدن المغرب الأوسط خاصة.

خامسا: خلاصة الفصل:

إستخلاصا لما سبق يمكن القول بأن المصادر المكتوبة على إختلافها قد حملت لنا الكثير من المعلومات في مختلف المجالات، ولا يمكن لأي باحثٍ كان التخلي عنها في دراساته التاريخية والأثرية، لكن يمكن أن يفضل بعضها على بعض حسب قيمة المعلومة التي يبحث عنها، فمن خلال بحثنا هذا إعتمدنا على العديد من المصادر التي وصفت لنا مدن أقاليم المغرب الأوسط (تنس، مرسى الدجاج، مستغانم، هنين)، وعلى ذلك المنوال خرجنا ببعض النتائج منها:

هناك نوعين من المصادر المكتوبة وهما؛ النوع الأول مصادر واصفة وهي التي وصفت لنا المدن بتفصيل ولم تهمل أي جانب، وهي من تزامنت مع بناء وتطور تلك الحواضر وهنا يمكن أن نتكلم عن أبو عبيد الله البكري والإدريسي والمقدسي، أما النوع الثاني فهي المصادر الناقلة وهي التي إستندت ونقلت كل الأوصاف من المصادر الواصفة وهنا نذكر على سبيل المثال الحميري وياقوت الحموي وابن سعيد المغربي.

إن الشيء المميزة في أقوال المصادر هو التفصيل والتدقيق في الوصف، بحيث أنهم حددوا لنا تلك المدن من خلال ذكرهم للمسافات ما بين المدن الكبرى والصغرى، وهذا من خلال إستعمال أرقام ومصطلحات أدبية تعبر عن البعد أو القرب عن تلك المدينة، وهذه من بين الأمور التي تسهل على الباحث معرفة موقع تلك المدن دون معاناة.

من بين الأشياء التي تم ملاحظتها أن المصادر إهتمت كثيرا بالمدن الكبرى والتي كانت لها مكانة هامة في هذه الإقليم، وهذه المكانة جاءت لعدة أسباب منها دورها التجاري من خلال مرسها الذي كا يستقطب العديد من السفن، وهنا نتحدث عن مدينة تنس بدرجة كبيرة ثم هنين، فهذه السمات ترتبط ارتباطاً وثيقًا بعمران هذه المدينة وتساهم في تطوره، وإن وجد خلل في ذلك فمن المؤكد أن تساهم في ضعفه وخرابه.

من ناحية الأثرية نؤكد أن جميع المصادر التي وصفت لنا هذه المدن ركزت على نقاط أساسية تشتهر بها المدينة، بداية من الموقع والتحصين والمسجد والقلعة والأسواق والحمامات، وألحقت بها تلك العناصر مصطلحات أدبية لتوضح عظمتها ومكانتها ووظيفتها، وعلى سبيل المثال نذكر؛ القلعة صعبة المرتقى وأسواق حفيلة وحمامات كثيرة ودورها الجميلة، فهذه العناية والبلاغة دون توضيح تجعل من كل باحث يفسرها حسب فكره وفهمه.

ما يلاحظ في هذه الأقوال أنها لم تذكر لنا السمات الفنية والجمالية على غرار الزخارف الكتبية والهندسية والرمزية والنباتية، وهذه من الأمور التي يحتاجها الباحث الأثري في دراسته خاصة في عمارة المغرب الأوسط التي خربت وجددت ورممت عبر مراحل مختلفة، وبهذا لم نستطع الوصول لتلك السمات الفنية التي أبدع فيها الفنان المسلم، خاصة عندما نتحدث عن مدن الأقاليم التي كانت تستقطب العديد من الحرفيين في مختلف المجالات ومن أماكن هامة خاصة الأندلس.

وبالرغم من ذلك تبقى المصادر المكتوبة مهمة جدا للأثري ولا يمكن أن يتخلى عنها في دراساته، وهذا من أجل أن يعطي صورة مقربة عن تلك المعالم الأثرية، ويعمل على إحصائها ومقارنتها مع المعالم الباقية، وهذا ما عملنا عليه في دراستنا هذه باعتبار أن هذه المدن تعرضت للتخريب في العديد من المرات، وفقدت جزء كبير من معالمها الحضارية أيام التوسعات والإستعمار الإسباني وبعده الفرنسي، لهذا لابد من إستقراء تلك المصادر المكتوبة أثرياً وإعادة شرح وتبسيط تلك المعلومات الغامضة.

الفصل الخامس:

الدراسة الأثرية لمدن أقاليم المغرب الأوسط

أولا: مدينة تنس.

ثانيا: مدينة مرسى الدجاج.

ثالثا: مدينة مستغانم

رابعا: مدينة هنين

في مستهل الحديث نؤكد على أن المصادر المكتوبة ذكرت جملة من الأوصاف المتعلقة بمدن الأقاليم المغرب الأوسط وبالخصوص المدن المختارة، بحيث تعددت واختلفت أقوالهم إلا أنها كانت تشترك في غاية واحدة وهي الإعجاب بتلك الحواضر العمرانية، لكن تبقى هذه الأوصاف معنوية حبيسةً كتبهم ومؤلفاتهم والشيء الوحيد الذي يحرر هو العمل الأثري، وهذا من خلال تأكيد أو نفي تلك المعلومات المصدرية، ولا يتحقق هذا البحث إلا من خلال الدراسة الأثرية لتلك المدن (تنس، مرسى الدجاج، مستغانم، هنين).

أولا: الدراسة الأثرية لمدينة تنس:

1- المعالم الأثرية الباقية:

من خلال الزيارات الميدانية التي قمنا بها يمكننا القول إن المدينة عرفت عدة تغيرات في عمرانها وعمارتها، سواء من خلال التحديثات أو الترميمات التي قامت بها الجهات الوصية على المسجد الجامع سيدي معيزة أو حتى مسجد سيدي بلعباس، أو حتى التغيرات التي أحدثها السكان على منازلهم من خلال الهدم وإعادة البناء بمواد حديثة (الآجر والإسمنت)، كما تم تعبيد شوارعها بالإسمنت والزفت، وهذا ما ينافي الحالة الأولى للمدينة ويعطي صورة غير مناسبة لها، كما أن حالة بعض المنشآت المتدهورة توحي بخرابها مع مرور الوقت، خاصة عندما نتحدث عن باب البحر وبرج الغولة وحتى الأسوار التي بدأت تتساقط، فقد تعرضت للتخريب من قبل بعض الأشخاص، وهذا رغم أن الجهات الوصية حريصة على حماية المدينة والحفاظ على أقدم القصبات الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي.

وفيما يخص موقع المعالم الأثرية فهي تتوزع بشكل غير منتظم أي اتبعت الشكل العام للمدينة، بحيث نرى أن المسجد الجامع سيدي معيزة ليس بوسط المدينة ولا مسجد سيدي بلعباس، ولا دار الحاكم التي شيدت في أعلى قمة بعيدة عن المساكن، وهذه الخصائص العمرانية في المدينة الإسلامية بحيث يكون فيها الحاكم أو السلطان آمن من أي خطر.

أما عن الشوارع فهي منكسرة ومتعرجة وهي تختلف في طولها وعرضها حسب سكنات الحي، أما الرئيسية فهي محددة في شارعين شارع يؤدي للمسجد الجامع سيدي معيزة والآخر مسجد سيدي بلعباس، رغم أن هناك تحفظ في شكلها وعرضها الأصلي إن كان فيه

تغير أو لا، في حين نلاحظ أن لها بابًا رئيسيًا واحد بحكم موضع المدينة والمسمى باب البحر وهذا رغم وجود أبواب أخرى وفق ما ذكرته المصادر وحتى البقايا الأثرية.

وفيما يخص السوق فلا يمكن أن نحدده بشكل نهائي في ظل التغيرات التي مست المدينة لكن نعتقد أنه كان قريب من مسجد سيدي بلعباس وبالنسبة كبيرة هو المكان الذي شيد على المستوصف الصحي، أما الحمام فهو قريب من باب البحر، في حين تبقى المقبرة مجهولة بالنسبة لنا لكن نعتقد أنها كانت قريبة من القلعة، هذه صورة عامة لتتس من ناحية النظرة الأولى للباحث، وسنفصل في هذه المنشآت في الفقرات القادمة (الصورة رقم:14)(المخطط رقم:01).

1-1- العمارة الدينية:

تعد العمارة الدينية ركيزة المدن الإسلامية فلا يمكن أن نتصور مدناً خاليةً من هذه العمائر، وهي تختلف في مسمياتها مع الحفاظ على وظيفتها ورمزيتها، فمنها المساجد والأضرحة والمدارس والزوايا والرباط، وكل هذه تدخل ضمن مسمى العمارة الدينية، وهناك من يزيد عن هذه المنشآت عمائر أخرى حسب المنطقة أو أهل العلم، غير أنهم يتفقون على تلك العناصر الأساسية، ويبقى أساس هذه النشأة والتطور هو المسجد الذي يشكل الصرح الأول للمدينة الإسلامية، أو نقول هو النقطة المركزية التي انبعث منها الدين للأمصار، ويمكن أن نضيف له مصطلح الجامع والذي جمع بين الناس رغم اختلاف ألسنتهم وأجناسهم وأشكالهم، وكذلك جمع أمور الدنيا وبين لهم بأنها أحكام وقواعد من الدين وهذا الأمر ينطبق على المسجد النبوي[1].

أما من الناحية المعمارية فكانت عمارته بسيطة جدا تعبر عن حالتين؛ وهي أن اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم وأصاحبه كانت ترتكز على نشر الدعوة لا غير، والحالة الثانية هي التنزه عن البذخ والتصنع والتفنن في هذا المعلم الديني، والذي يعبر عن أن الدين لا يرضى بتلك الفنون على حساب الإنسان، ولم يكن يشبه لا المعابد ولا الكنائس ولم يتأثر بغيره، رغم

[1]- أحمد رجب محمد علي، المسجد النبوي بالمدينة المنورة ورسومه في الفن الإسلامي، ط.1، الدار المصرية اللبنانية، رمضان 1420هـ / يناير 2000 م، ص.19.

أنهم كانوا مُطَلِعِيْنْ على عمائر الحضارات الأخرى، بل الغاية من تشييده العبادة وجمع أكبر عدد من المسلمين خلال الصلوات الخمس[1]، فالمسجد النبوي ليس الأول من حيث التسلسل التاريخي بل هناك مسجد قباء، والذي شيد من قبل سعد بن خيثمة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، غير أن الأثريين يجهلون مخططه العام، وعليه أعتبر المسجد النبوي النموذج الأول الذي استمدت منه مساجد المسلمين[2].

ومع مرور الوقت بدأت المساجد تتوسع وتزداد وتتأثر وتتزين خاصة مع انفتاح المسلمين على الحضارات والثقافات المجاورة، خاصة مع الدولة الأموية والتي برز فيها المسجد الأموي، وهو أحد أجمل المعالم الأثرية في بلاد المسلمين، ونفس الأمر ينطبق على الدولة العباسية في تجديد وتحديث المساجد وفق منظورهم وشعاراتهم الدينية، ولم يتوقف الأمر هنا بل امتد لكل الدويلات التي جاءت بعدهم بحيث حاولوا دائما تجسيد فنونهم الزخرفية والنباتية والهندسية والرمزية على هذا المعلم الديني، وقد ظهرت معهم جملة من العناصر المعمارية الجديدة على غرار المآذن والقباب والمداخل البارزة وغيرها[3].

فالمساجد في بلاد المغرب الإسلامي عرفت تطورًا عبر مختلف الفترات التاريخية، بداية من الفتوحات الإسلامية إلى آخر دولة في العصر الوسيط، فمن مسجد القيروان الذي شيده عقبة بن نافع أيام فتوحاته الإسلامية، وله طراز مميز يختلف عن مساجد المشرق، فهذا النموذج كان له تأثير على العديد من المساجد سواء بالمغرب أو الأندلس[4]، فكانت المساجد الأولى للدويلات المستقلة تتميز بالبساطة والضخامة خاصة العمارة الدينية الرستمية والأغلبية[5]، غير أن بني حماد أبدعوا في عمارتهم الدينية من خلال مسجدهم الجامع الذي لم

---

[1]– أحمد عبد المعطي الجلالي، عمارة المسجد وتطورها في العالم الإسلامي، دار الحكيم للطباعة، القاهرة، 1990م، ص.02.

[2]– عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها (دراسة أثرية)، دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2008/2007 م، ص.21.

[3]– خيرة بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2008/2008م، ص.42. أنظر: عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص.22.

[4]– أحمد فكري، مسجد القيروان، دار العالم العربي، مدينة نصر، القاهرة، 2009 م، ص.11. أنظر: عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص.22.

[5]– خيرة بن بلة، المرجع السابق، ص.52.

يبق منه إلا المئذنة وقاعة الصلاة؛ والتي بقي منها أجزاء من الأعمدة والأسوار، وقد وجد بهذا المسجد العديد من المميزات على غرار المئذنة المربعة والزخارف الكتابية والجصية، وكذلك الزليج الذي يزين المئذنة، كما وجد بالمدينة أصغر مصلى في العالم يتخلل محرابه كتابات جصية فريدة من نوعها[1].

أما المساجد المرابطية فهي ذات الطراز البسيط والضخم والخشن في عمارتها، بحيث لا نرى شيء مميزًا في عمارتهم سوى أنهم تخلوا عن المآذن[2]، وفيما يخص المساجد الموحدية فهي قليلة مقارنة بمن سبقهم في ظل سيطرتهم على جميع بلاد المغرب، وقد استعملوا الأعمدة بدل الدعامات وظهرت معهم عقود المنكسرة المتجاوزة[3]، وتبقى من أجمل المساجد في هذه البلاد المرينية والزيانية بحيث تنوعت زخرفتهم بين الكتابية والنباتية والهندسية، وقد اهتموا بالمآذن والمحاريب والمنابر وجدران القبلة، فلا تخلو هذه العناصر من السمات الفنية والزخرفية، وتعد تلمسان موضعًا لتلك العمائر الدينية، وقد ذكرنا هذا سابقا وما تتميز به هذه المدينة.

1-1-1- مسجد سيدي بلعباس:

يقع هذا المسجد في الجهة الجنوبية للمدينة ليس ببعيد عن باب البحر، ويطلق عليه اليوم مسجد عمر ين الخطاب رضي الله عنه، وهو محاط بعمائر سكنية من الجهة الغربية والجنوبية والشمالية، أما من الناحية الشرقية فهو مفتوح على شارع ثانوي، ويظهر على هذا المسجد من الخارج البساطة وخلوه من أي زخرفة وليس به مئذنة، كما أن هذا المسجد الصغير حسب عدد السكان الذين كانوا يقطنون بالمدينة، وفيما يخص أصل تسميته فلا نجد لها ذكرًا في المصادر ولا المراجع، سوى أن الروايات الشفهية المنقولة والمتواترة عن أهل المدينة ترجعها لأحد المشايخ الذين كانوا يُدَرِسُون بالمسجد، ولقد استقينا هذه المعلومة من أحد القاطنين والمهتمين بتاريخ المدينة وهو الشيخ مروان، وهذا ما وجدناه كذلك في إحدى الدراسات حول

[1]- رشيد بورويبة، الدولة الحمادية...، ص.23.

[2]- سلامة محمد سلمان الهرفي، المرجع السابق، ص.425.

[3]- خيرة بن بلة، المرجع السابق، ص.52.

هذا المسجد[1]، غير أن المعلومات الشفهية تبقى نسبية نستمد منها ولا نحكم عليها بالجزم في ظل أن البحوث العلمية غير متوقفة ومتجددة مع العصر.

1-1-1-1- الوصف الخارجي:

إن الملاحظ على الشكل العام لهذا المسجد بأنه غير منتظم الأضلاع، بحيث يبلغ طوله في الجدار الشمالي 16.55 م، وفي الجدار الجنوبي 14.72م، والجدار الشرقي 11,28م وإذا أضفنا له الجزء الأمامي التابع للمسجد نجد 17,29م، وفيما يخص طول الجدار الغربي 11,5م (المخطط رقم:02)، فالواجهة الرئيسية بسيطة خالية من أي نمط زخرفي، بحيث يتوسطها المدخل الرئيسي والذي يبلغ ارتفاعه 2 م وعرضه 1.20 م، وينتهي بعقد منكسر مشكل بالأجر، وقد تم تلبيس المدخل بمربعات خزفية حديثة، ويعلوه مصباح حديث للإنارة بالإضافة للوحة كتب عليها اسم مسجد عمر بن الخطاب، كما تحتوي هذه الواجهة على فتحة للتهوية والإضاءة تشبه المزغل والتي كثيرًا ما تستعل في العمارة العسكرية (الصورة رقم:15).

وبغض النظر عن المدخل الرئيسي الذي يظهر عليه بعض السمات الفنية، فلا شيء يستدعي الانتباه ما عدا السقف الجمالوني (السنمي)؛ الذي نلاحظ عليه تجديدات واضحة من خلال تغطية القرميد بطبقة من الزفت الحديثة تمنع نفاذ مياه الأمطار (الصورة رقم: 16)، كما يلاحظ كذلك أن المسجد لا يحتوي على مئذنة ولا قبة تبين بأنه مسجد، لهذا يصعب التفريق بينه وبين المنازل، وهذه السمة تظهر كثيرًا في مساجد الأحياء والمدن الصغرى، وعليه نرى بأن مسجد سيدي بلعباس من أقدم المساجد في مدينة تنس.

1-1-1-2- الوصف الداخلي:

وبعد العبور من المدخل الرئيسي نلج للبهو الذي يبلغ طوله 6,05 م على 1,90م ذو تسقيف خشبي، به خزانة أحذية للمصلين على يمين المدخل ثم يلي ذلك بيت الوضوء، ويقابل المدخل الرئيسي باب خشبي ذو مصراعين مغلق عرضه 1,56م، ومن المفروض أنه المدخل

[1]- إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...، ص.167.

الأصلي لبيت الصلاة، غير أن الباب المؤدي لذلك هو بجانبه على اليمين بحيث يبلغ عرضه 0,90م وارتفاعه 2م، لكن لا نجد على هذه الأبواب أي زخرفة وتبدو هذه الأخيرة حديثة.

وبمجرد دخول بيت الصلاة نلاحظ من النظرة الأولى أنه بسيط جدا لا يظهر عليه أي مظهر فني وزخرفي (الصورة رقم: 17)، سوى تلك التيجان التي ترجع للفترة الرومانية، أما من ناحية الشكل لا يمكن الحكم عليه بأنه مستطيل منتظم في ظل أن القياسات مختلفة، بحيث يبلغ طول الجدار الشمالي المقابل للقبلة 12,65 م، وجدار القبلة 11.69 م، أما عرضه في الجهة الشرقية يبلغ 9.50م، أما الجدار في الجهة الغربية يبلغ 10,36، ويظهر على الأسوار الداخلية تجديدات من خلال تلبيسها بالإسمنت، مما زاد في سمكها وتوحي لنا بطابع جديد غير متناسق مع القيمة الأثرية للمسجد.

تتشكل قاعة الصلاة من أربعة بلاطات وثلاثة أساكيب، منها عشرة أعمدة تعلوها عقود موازية لجدار القبلة، أما من ناحية القياسات فنجد بعض الاختلافات؛ فالبلاطات مقاساتها موحدة نوعا ما خاصة الأولى تقدر بـــ 2.20 م، غير أن الأخيرة تزيد عن 2.80 م بسبب انحراف الجدار الغربي للمسجد، أما الأساكيب فهي تختلف في الأسكوب الأوسط حيث يبلغ 2.20م في حين يبلغ الأسكوبان الآخران 3,16م، أما عن الدعامات نجد منها إثنين في الجدار الغربي مدمجة في الجدار، ودعامة في الجدار الشرقي ومن الممكن أنها غير أصلية، فمن الممكن أنها كانت عمودًا، ويبلغ عرض الدعامات 0,50 م.

أما الأعمدة فهي مركبة من بدن ووسادة والتاج، يبلغ قطر البدن الأسطواني بين 0,30م و 0,43م، وفيما يخص التيجان فهي من بقايا المدينة الرومانية تم إعادة استعمالها، وتختلف هذه الأخيرة في شكلها وزخرفتها فهناك البسيطة والمزخرفة والدائرية والمربعة (الصور رقم: 18–19–20)، في حين العقود أغلبها منكسرة متجاوزة توازي جدار القبلة(الصورة رقم:21)، غير أن الإضافات تظهر جلية عليها خاصة تدعيمها بمادة الإسمنت، وعليه يمكن أن يخطأ الباحث في تسميتها لولا النظرة الدقيقة للأثري.

نلاحظ أن محراب مسجد سيدي بلعباس بسيط خال من أي زخرفة حيث أنه لا يتوسط قاعة الصلاة، وهو عبارة عن حنية نصف دائرية في الجدار الجنوبي (جدار القبلة)، أما عن

مقاساته فيبلغ عرضه 1م وعمقه 0.50م، وارتفاعه 1.90م، وفيما يخص عقد هذا المحراب فهو نصف دائري، هذا ما يظهر على الشكل العام للمحراب البسيط، يظهر أن هذا المحراب ليس بالأصلي على ما يبدو وهذا من خلال الشكل البسيط الذي يظهر عليه المحراب، فربما أنه من بين العناصر التي طرأت عليه تغيرات لهذا نراه بهذا الشكل(صورة رقم: 22).

أما الشيء المميز في بيت الصلاة هو التسقيف الجمالوني أو السنمي، والذي يوحي لنا بِقِدَمْ هذا المعلم الديني مقارنة بالتسقيف المسطح، فهذه الخاصية يستعمل فيها الخشب الصلب مثل العرعار والصنوبر والزيتون الذي يتحمل الضغط ويخفف عن الأعمدة والأسوار، بحيث نلاحظ أن هذا التسقيف يتشكل من ثلاثة أشكال هرمية متساوية الأضلاع، وبفضل هذه الخاصية تتشكل لنا قناة مائية تجمع بها مياه الأمطار في أحواض، وتستعمل هذه الأخيرة إما في السقي أو حتى الوضوء والغسل، ويبقى السقف الجمالوني أحد مميزات الفن الإسلامي ببلاد المغرب الإسلامي (الصورتين رقم:23 –24)، وفيما يتعلق بالمنبر والمئذنة بهذا المسجد فلا وجود لهما، وعليه فهذه إحدى الإشكاليات التي تطرح بخصوص ذلك؛ فعدم وجود المئذنة قد يشار إليه بأن المسجد مرابطي، لكن نظن أن هذا الرأي بعيد جدا وفق الخصائص المعمارية الأخرى.

وفيما يخص مواد البناء وتقنياته لم نستطع أن نحددها في ظل التغطية التامة لجل الأسوار، لكن من المرجح أنه شيد بتقنية الطابية[1] في ظل استعمالها الواسع بالمدينة، بالإضافة لاستعمال الآجر في البناء ويظهر هذا في المدخل الرئيسي، أما الأساسات فمن المؤكد استخدام الحجارة المشذبة والغير المشذبة وهذا راجع لتوفرها بالمنطقة سواء على حافة وادي علالة أو من مقلع الجبال، وقد ذكرنا سابقا أن هناك استعمالاً واسعًا لمادة الإسمنت، هذا ما نراه مخالفاً لطبيعة المادة الأثرية الأصلية بالمسجد، لهذا نجد أن سمك الجدران غير ثابتة بحيث تتراوح ما

[1]– الطابية: هي تقنية تنجز بقالب يملئ بالتراب المضاف له الجير والماء أخرى، وجمعها طوابي، وتسمى أيضا في المغرب الأوسط بتاطبيت أو تابيت أو التابوت، وتاوشيخت، وهي من أقدم التقنيات التي استعملها الإنسان في مبانيه خاصة في شمال إفريقيا. أنظر: بن نعمان إسماعيل، « حرفة البناء ببلاد المغرب الأوسط تقنية الطابية أنموذجا»، المجلة الناصرية، المجلد:04، العدد:01، جوان 2013م، ص ص.465–466.

بين 0,55م و 0,70 م، لأن هذا المسجد ليس بالهيكل المعماري الضخم والكبير؛ لهذا من الطبيعي أن يكون سمك الجدران متوسط الحجم مقارنة بمساجد أخرى.

على العموم يبقى هذا المسجد أحد النماذج الأولى للعمارة الإسلامية في بلاد المغرب الأوسط، ورغم صغر حجمه إلا أنه يحمل مميزات فنية مميزة، سواء من خلال التسقيف الجمالوني أو حتى إعادة استعمال بعض العناصر المعمارية من العمارة القديمة الرومانية؛ وهذا ما نسميه بالتواصل الحضاري بين العمارة القديمة والإسلامية؛ أي هناك استنساخ وإعادة استعمال وتطوير وتجديد في العناصر المعمارية الجديدة، فهذه الأعمدة والتيجان الرومانية بهذا المسجد يمكن أن تعبر لنا عن بعض وجهات النظر؛ وهي أن من شيدوا هذا المسجد كانوا على عجلة من أمرهم لهذا استعملوها مباشرة، أو أنهم أعجبوا بجمالية هذه العناصر، أو لم تكن لهم خبرة في صنع هذه التيجان وزخرفتها، وتبقى هذه مجرد نظريات لا غير في ظل عدم وجود دليل مصدري ينفي أو يؤكد ذلك.

هذا ما تم ملاحظته ووصفه بمسجد سيدي بلعباس بغض النظر عما وصفته المصادر الجغرافية والتاريخية، فهذه الأخيرة ذكرت ولم تفصل في الخصائص المعمارية والفنية، رغم أن هذا المعلم الديني بسيط جدا مقارنة بالعديد من المساجد في بلاد المغرب الإسلامي، لكن كونه بسيطًا قد يوحي بأصالته وإرجاعه للفترات الأولى الإسلامية، سواء أن الجماعات الأندلسية هي التي شيدت أو هناك من شيده قبلهم أو بعده، وهذا في ظل غياب كتابة مصدرية عن ذلك، وعليه تبقى الأبحاث مفتوحة والنقاش متواصلاً إلى أن نجد دليلاً قاطعًا في ذلك.

1-1-2- مسجد سيدي معيزة:

يقع هذا المسجد الجامع في الجهة الشمالية الشرقية على قريب من السور الذي يحيط بالمدينة بعيدًا عن مركزها، وهذا نظرا لعدة أسباب منها خاصية الموقع الطبوغرافي وعدم جود مساحة واسعة في المركز مما أدى إلى بنائه في هذه الجهة، في حين يرتفع عن سطح البحر بحوالي 46م، وعليه فوجود هذا المسجد الجامع على هذا الارتفاع والمساكن التي تحيط به يذكرنا بمدن بنيت على هذا الشكل خاصة الحديثة منها مثل مساجد بني ميزاب، ويذكر أنه

كانت مساكن في جوانبه الشرقية والجنوبية مشكلة حيًا تهدم بمرور الزمن وتحول إلى أراضي زراعية[1]، غير أن هذه الأراضي أصبحت اليوم مساكن حديثة تستدير به من جميع الجهات.

أما من الناحية التاريخية لهذا المسجد فالمعلومات المصدرية نادرة جدا، حتى وإن كان البكري ذكر مسجدًا جامعًا بالمدينة إلا أنه لم يذكر اسمه، مع العلم أن هذا المصدر عاش بين القرنيين الرابع والخامس الهجريين (9–10م) [2]، كما أن الباحث مارسي (Marçais) يرجع هذا المسجد الجامع للفترة التي تحدث عنها البكري[3]، وعليه فمن الممكن أن هذا الباحث يقر بقول المصدر لا غير، وعلى العكس من ذلك يرى بورويبة أنه من عمل الإدريسيين أحفاد النبي الذين استقروا بالمدينة لمدة طويلة[4]، لكن لا وجود لدليل قاطع يرجح الرأيين بخصوص تاريخ بناءه، ومنه يمكن فقط تقريب وإعطاء رأي نسبي وفق الخصائص المعمارية وقول المصادر لا أكثر.

ولابد من التأكيد أن أصل تسمية المسجد الجامع بـــ " سيدي بومعيزة " فيه الكثير من الاختلاف، غير أن بورويبة كلما تكلم عن هذا المسجد سماه بمسجد تنس القديم[5]، في حين تبقى الروايات الشفهية منتشرة بين أهل تنس دون أن يجد أحد دليلاً قاطعًا على أصل تسميته، ومن المؤكد أن الشخصية الذي سميت عليه المسجد الجامع له أثر كبير ودورًا بارزًا بالمنطقة.

وعلى المستوى القانوني فقد تم تصنيف هذا المسجد الجامع كتراث وطني بتاريخ 9 ماي 1905م[6]، وقد حدثت عدة تغيرات في سقفه بسبب تأثره بالزلزال الذي تعرضت لها المدينة وكان أولها يوم 9 سبتمبر 1954م، والثاني يوم الجمعة 10 أكتوبر 1980م، فالمدينة مصنفة

---

[1] - Dessus Lamare (A) et Marçais (G), « Recherches d'archéologie musulmane, La Mosquée du vieux Ténès», in Revue Africaine , 1924 .T.65, Alger, P.530.

[2]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.242.

[3] -Marçais (G), L'Architecture musulmans d'occident, Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile, arts et métiers graphiques , Paris , 1954, P.74.

[4] -Rachid Bourouiba, Apports de L'Algérie a l'architecture religieuse arabo islamique, Entreprise national du livre et office des publications universitaires, Alger, 1986, P.147.

[5] - Rachid Bourouiba, Op-Cit , P.31.

[6] - Ben-el-Khaznadji (M), «La Mosquée de sidi MAIZA dans le Vieux Ténès», In Athar, association algérienne pour la sauvegarde et la promotion du patrimoine archéologique, bulletin N°02, Janvier 1990, P.p. 07.

– أنظر: إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...، ص.135.

في المنطقة الثالثة الأكثر تعرضًا للزلازل[1]، كما لا ننسى بأنها عرفت تساقطًا كبيرًا للأمطار خلال سنتي 2004/2003 م، أثرت على المسجد الجامع من خلال انزلاق التربة، وعليه تم تدعيم المسجد بسور يحميه من أي انزلاق[2]، وقد أسلفنا سابقا بأن الكوارث الطبيعية هي من بين أسباب خراب العمران، فهي قد تهلكه عن أخره أو تساهم في خراب جزء منه أو تتسبب في اندثاره رويدا.

1-1-2-1- الوصف الخارجي:

يبدو للوهلة الأولى أن هذا المسجد الجامع مستطيل منتظم الشكل يتربع على مساحة تقدر بـــ314.68 م^2[3]، ولا يزال يحافظ على أصالته رغم بعض التغيرات، بحيث يشار أنه من أقدم المساجد ببلاد الجزائر وهذا حسب ما نقل عن بورويبة[4]، قد تكون هذه النظرية صحيحة مقارنة مع تلك الخصائص الفنية والمعمارية التي يتميز بها، لكن بحكم بروز بعض العناصر المعمارية على غرار المئذنة والمحراب والمدخل الرئيسي وحتى الدرج، وعليه فإن المسجد الجامع يأخذ شكلا غير منتظم إلى حد ما، بحيث يبلغ طوله 32,50 م وعرضه 16,80م (المخططين رقم: 04-05) .

وفيما يخص الواجهة الرئيسية لهذا المسجد الجامع فهي تقع في الجهة الغربية، وجاءت بسيطة خالية من أي مظهر فني سوى المدخل الرئيسي (الصورة رقم: 25)، هذا الأخير يصعد له عن طريق سلمين على يمينه ويساره، وهو يرتفع بحوالي 3م عن مستوى الشارع، ويلتقي هذان السلمان عند مصطبة أو استراحة، ونظرا للعلو الكبير ومخافة على المصليين تم بناء سور مع إضافة بعض العناصر المعمارية الفنية الحديثة بعلو 1م على الأكثر، هذه الواجهة تضم خمس نوافذ منها نافذتان كبيرتان بجانب بعضهما البعض على اليمين الداخل للمسجد، واحدة فوق المدخل واثنان على اليسار في استقامة واحدة، أما المدخل فهو بارز يشبه

[1] -Sabrine Mersali, Etdude de la réhabilitation de la Mosquée Sidi maiza de la ville Ténès, Mémoire de master Académique, structure, Génie Civil, Civil engineering et architecture département, Université Abdelhamid Ibn Badis, Mostaganem, 2021/2022, P.11.

[2]- إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...، ص.136.

[3] - Rachid Bourouiba, Op.Cit, P.31.

[4] - Sabrine Mersali, Op. Cit, P.22.

المداخل التذكارية نوعا ما، سواء من خلال بروزه وجزء من طنف البارز، لكن هذه الأخيرة تبدو حديثة جدا، والباب ذو مصراعين من الخشب يعلوه عقد حذوي، بحيث يبلغ علوه 2م، وعرضه 1,30م، فحتى الباب الخشبي لا يحتوي على أي زخرفة، فقد يكون غير أصلي وهذا احتمال كبير في ظل التجديدات التي طرأت على المسجد الجامع.

1-1-2-2- الوصف الداخلي:

بعد الولوج من المدخل الرئيسي نجد بيت الصلاة وهو مستطيل الشكل يبلغ طوله 29,79م، وعرضه 13,15م، غير أن هذه القياسات تختلف قليلا عن المنشورة في أبحاث أخرى أنجزت عن المسجد، بالإضافة إلى أن هذه المسجد الجامع تعرض لعدة تجديدات، ومع زيادة في تكسية الجدار أعطت لنا هذه النتيجة، وعلى كل حال حاولنا أن نستعرض أهم القياسات؛ وهي على النحو التالي:

الدراسة الميدانية	الطول	العرض	المحيط	المساحة
بورويبة رشيد	29,90م	13,20م	86,80م	394,68م^2
ابن الخزناجي	32,00م	15م	94م	480م^2
بن نعمان إسماعيل	29,60م	13,20م	85,60م	390,72م^2
الباحث	29,79م	13,15م	85,88م	391,738م^2

وبناء على هذا فإن هذا المسجد الجامع يعد من أقدم المساجد الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي، وإذا فرضنا أن أول مسجد في المدينة هو مسجد سيدي بلعباس، وبعدما ضاق بالمصليين شيدوا مسجد سيدي معيزة بهذا الحجم، وليس بالأمر الغريب فالمدينة قصدها العديد من القبائل والجماعات، وهذا ما يتحدث عنه البكري بخصوص قبيلة سوق إبراهيم[1]، فمن الطبيعي أن يكون هذا المعلم الديني واسعًا؛ ونظن صراحة أنه ضيق مقارنة بموقع المدينة التجاري الذي كان يجلب إليها الكثير من الناس، ويلاحظ أنه تم تخصيص وعزل بلاطتين في الجهة الشرقية بجدار خشبي لتكون مصلى للنساء، يولج إليه عبر مدخل مفتوح في جدار القبلة (الجهة الجنوبية).

[1]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص ص.242-243.

يتركب بيت الصلاة من خمس أساكيب عمودية على جدار القبلة، فالمسافة فيما بينها تختلف قليلاً بحيث تتراوح ما بين 2,44م إلى 2,72م، كما تحتوي على إحدى عشرة بلاطة موازية لجدار القبلة، وتتراوح القياسات في الأغلب ما بين 2,50م إلى 2,92م، وعليه نجد في كل صف عشرة أعمدة ومجموعها الكلي ببيت الصلاة أربعون عمودًا (الصورة رقم: 26)، ومما يشد الانتباه أن هذه الأعمدة والتيجان على اختلافها تعود للفترة الرومانية، وهو ما يؤكد فرضية قدم المسجد باعتبار أن المسلمين في بداية عهدهم استعملوا خرائب المدن القديمة في البناء؛ وهذا الأمر ينطبق هذا المسجد الذي جلبت بعض العناصر المعمارية من المدينة القديمة كارتينا (Cartenna) ، ونفس الأمر شاهدناه في مسجد سيدي بلعباس، وتختلف هذه التيجان بين المركبة والأيونية والكورنثية والدورية، كما زخرفت تلك التيجان بزخارف نباتية متمثلة في أوراق الأكانتس خاصة، ومما لا نراه غير منطقي هو طلاء التيجان غير المناسب للعنصر الأثري(الصور رقم: 27–28–29)

وتعلو تلك التيجان عقود تختلف فيما بينها بين العقود المنكسرة والمنكسرة المتجاوزة ، حيث بلغ عددها جميعا 65 عقدا؛ منها أربعة وأربعون مواز لجدار القبلة، تتوزع على أربعة صفوف في كل صف إحدى عشر عقد، أما العقود الباقية والمقدرة بـــ 21 عقد فهي عمودية على جدار القبلة، وتتوزع هذه الأخيرة في أربعة صفوف وهي الصف الثالث والسادس والسابع والعاشر، لكل صف منهم خمسة عقود، والعقد 21 نجده في الصف الثامن عند قاعدة القبة التي تتقدم المحراب، وهذه الإحصائيات تتطابق مع ما ذكره الباحث إسماعيل بن نعمان في دراسته[1]، لكن تبدو تجديدات واضحة جلية في طريقة تشكيل العقود غير المتناسقة، بحيث هناك عقود ليست بالعقود الحدوية ولا المنكسرة المتجاوزة، أي هناك خلل في طريقة تجسيد وتشكيل العقود (الصورة رقم: 30).

لقد تم تسقيف هذا المسجد الجامع بنظام بسيط ومسطح باستعمال عوارض خشبية ترتكز على الأسوار وتبلغ المسافة بين هذه العوارض 0,35 م، وتم تسمير الألواح الخشبية بتقنية التتابع والرص فيما بينها، ومنها يتم تغطية هذه السقف (الصورة رقم:31)، لكن يبدو أن هذا السقف المسطح غير أصلي وهذا حسب ما أشار إليه الباحثون، فهم يعتقدون أن السقف

[1]– إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...، ص.159.

الجمالوني هو الذي كان مستعملاً، مع استعمال مادة القرميد والخشب في التغطية، فهم يظنون أن الزلزال الذي خرب المسجد الجامع وأتى على بعض أجزائه منها السقف، وعليه تم إعادة ترميمه وتجديد عناصره مثل السقف[1]، والواقع يثبت أن التغير واضح في هذا السقف المسطح، والذي يبدو أنه حديث بحيث تم طلاؤه باللون يكشف حداثته للعيان، وعليه نقر كما أقر الدارسون لهذا المعلم الديني أنه سقفه من المفروض يشبه سقف مسجد سيدي بلعباس، لعدة اعتبارات منها طبيعة الموقع والموضع والمناخ، كذلك الخاصية الوظيفية والمتمثلة في جمع مياه الأمطار، بالإضافة لنظام التوحيد المعماري في المدينة الإسلامية بين العمائر المدنية والدينية.

وبخصوص محراب مسجد سيدي معيزة فهو سباعي الأضلاع، لا يتوسط جدار القبلة، أي أنه يميل إلى الركن الشرقي، مما يجعلنا نطرح بعض الأفكار؛ وهي أن المسجد تم توسعته نحو الجهة الغربية بعد ما ضاق بالمصلين، وهذا رأي محتمل وأقرب للواقع، فمن خلال إطلاعنا على العديد من المساجد وتخطيطها فنادرًا ما نجد المحراب لا يتوسط جدار القبلة، ويبلغ عرض فتحة المحراب 1,64م، وعمقه يصل إلى 2م، وبهذا يكون عمق المحراب واسع جدا ويستطيع الإمام أن يصلي داخله دون أن يشغل صفًا خارج المحراب، أما ارتفاعه فيصل 2,60م، ويعلو هذا المحراب ثلاثة عقود متتابعة فيما بينها، فالعقد الأول ذو شكل نصف دائري المتجاوز يبلغ علوه 3,50م، ثم يليه العقد الثاني بـــ 3,30م، ثم العقد الثالث بـــ 3,00م، هذا الأخير أطلق عليه الأستاذ بن نعمان عقد مقبض القفة[2]، غير أننا نخالف في تسمية ونظن أنه عقد نصف دائري المتجاوز، ومن الممكن أن التجديدات هي التي غيرت في شكله نوعا ما فقط (الصورة رقم:32)(الشكل رقم: 02).

أما من الناحية الزخرفية للمحراب فيمكن أن نقسمها بين زخارف داخلية وخارجية، فأما الخارجية فقوامها ثلاث نوافذ صماء تعلوها أربع مثلثات مختلفة المقاسات، وأسفل هذه النوافذ الصماء شريط هندسي باللون الذهبي يحيط بآيات قرآنية، وتتمثل في سورة الإخلاص والآية

[1]- - Ben-el-Khaznadji (M), Op.Cit, P.08.

أنظر: إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...،ص ص.161–162.

[2]– المرجع نفسه، ص.145.

18 من سورة الجن، أما البسملة كتبت فوق سورة الإخلاص، وعبارة "صدق الله العظيم" أسفل آية الجن، وفيما يخص عبارة التوحيد " لا إله إلا الله محمد رسول الله " كتبت بين العقد الثالث والثاني، كل هذه الزخارف الكتابية نقشت بخط مغربي بارز، غير أن هذه الزخارف الكتابية لا تبدو أصلية أبدا، بحيث لم يتحدث عنها بورويبة ولا دوسوس لامار في دراستهم لهذا المسجد الجامع.

وعن المظهر الداخلي للمحراب فقد تم تكسيته بمربعات خزفية ليست بالأصلية على ارتفاع 1,70 م على الأكثر وصولا لطنف بارز وهو عبارة عن انتقال ضلعي من أجل تشكيل القبة ثمانية الأضلاع، وزخرفت هذه القبة بزخارف هندسية قوامها تشبيكات من المعينات وخطوط مستقيمة ومتموجة، وزخارف نباتية متمثلة في ورقة الأكانتس، ونفذت كل هذه الزخارف على الجص داخل وخارج نوافذ صماء بطريقة الحفر الغائر، كما يوجد طنف آخر يفصل هذه النوافذ عن مركز القبة ونفذت عليها زخارف هندسية ونباتية على مادة الجص، ونفس الأمر نعيد تكراره أن التجديدات واضحة جدا في المحراب وليس بالأصلية، كما نشير أنه توجد قبة تتقدم المحراب ترتكز على مربع يتشكل من ثلاثة عقود مدببة وجدار القبلة، لينتقل هذا المربع إلى المثمن من أجل تشكيل دائرة القبة، وقد تم زخرفتها بزخارف جصية نباتية وهندسية.

وفيما يخص منبر هذا الجامع فهو خشبي متحرك بسيط ذو زخارف هندسية قوامها عقود وأعمدة ومربعات وخطوط مستقيمة، فمدخل المنبر يعلوه عقد متجاوز منكسر، له سبع أدرج، أما غرفة المنبر فهي مستطيلة الشكل طولها 1,80م وعرضها 0,80 م، وارتفاعها يصل إلى 2,20م، وتنتهي غرفة المحراب بعقد مقبض القفة، وهذا ما يميز المسجد الجامع عن باقي مساجد بلاد المغرب الأوسط، غير أن هذا العقد يطرح عدة تساؤلات إذا كان أصلي أو جدد، خاصة أنه كان كثير الاستخدام في قصور الفترة العثمانية، وعليه فإننا لا نظنه أصلي بحكم أن الدراسات السابقة على هذا المعلم الديني لم تفصل في ذلك العنصر.

كما نلاحظ وجود غرفة مربعة الشكل تستخدم كمخزن وفي نفس الوقت غرفة للإمام، ولها بابان أحدهما موجود في الجدار الشرقي والآخر في الجدار الشمالي، لكن من المؤكد أنها حديثة وليست بالأصلية، ونفس الأمر ينطبق على المكان الذي يحتوي على قبرين بجانب

المئذنة شرقا، بحيث تم عزل هذه الجهة بجدار خشبي، ولا نظن صراحة أن هذين القبرين لزوجة سيدي معيزة والآخر المجهول على أنه يرجع للفترات الأولى أبدا، فنحن لا نملك أي معلومة على أن المساجد في العصر الوسيط كانت تحتوي على قبور، فمن الممكن أنها ترجع للفترة العثمانية أو ما بعدها.

وفيما يخص النوافذ ببيت الصلاة فهي متعددة ولها أشكال مختلفة بين المقاسات الصغيرة والكبيرة، وعليه نجد ثماني نوافذ بالجهة الشمالية، وثلاث نوافذ في الجدار الشرقي، في حين نجد أربعة كذلك بالجدار الغربي، أما الجدار الجنوبي (جدار القبلة) فلا يحتوي على نوافذ، وتختلف قياسات هذه النوافذ فالبعض منها يرتفع عن أرضية المسجد بـــ 0,85م، ويبلغ عرضها 0,60 م و0,85م، أما الارتفاع فيصل لـــ 2م، غير أنه بسبب والتغيرات التي أدخلت على المسجد لم نستطع التمييز بين أصليها وحديثها.

أما عن المئذنة فهي تشغل الركن الشمالي الغربي للمسجد وهي ذات مسقط مربع، بحيث يبلغ طول الضلع من الخارج 4,90 م، رغم بعض الزيادة التي لا تتعدى 2سم، وهذا بسبب مادة الإسمنت التي تدعم الجدران، أما من الداخل فيصل طول ضلعها 3,82 م، في حين يبلغ ارتفاعها 15,40 م، وهذا ما أشار إليه كل من بورويبة[1] ودوسوس لامار (DESSUS LAMARE) [2]، غير أن الباحث بن نعمان يختلف معهم في بعض السنتمترات بحيث قدر إرتفاعها بـــ 14,90م[3]، فمن الممكن أن هناك إضافات على المستوى الخارجي للجوسق؛ بحيث يبلغ حسبه 2,30م، لكن على العموم فالمظهر الخارجي للمئذنة يحتوي على نوافذ صماء ومفتوحة، منها نافذتان صماء تتشكلان من عقدين وعمودًا، وكذلك فتحات صغيرة في الجهة السفلية لجدار المئذنة في الضلع الشمالي، كما نجد في الضلع الغربي نافذة صماء وفتحة صغيرة، وتنتهي تلك الأسوار بشرافات مسننة بعلو 0,30م وعرض 0,25م (الصورة رقم:33).

[1] - Rachid Bourouiba, Op.Cit, 1986, P.31.
[2] - Dessus Lamare (A) et Marçais (G), Op.Cit, P.530.
[3] – إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...، ص.165.

ومن أجل الصعود للمئذنة ندخل عبر باب موجود في الضلع الجنوبي، يبلغ عرضه 0,96م وارتفاعه 1,40م، وبعدها نصل لسلم يحيط بمربع داخلي يتراوح طول أضلاعه؛ بين 2,42 م في الضلع الجنوبي، 2,24م في الضلع الغربي، أما عرضه فيبلغ 0,70 م، ويتكون هذا السلم من سبع سلالم أو أقسام، تتكون الخمس الأولى منها من تسع درجات، والسلم السادس به ثلاث درجات، أما السلم السابع والأخير به خمس درجات، ويفصل بين كل سلم استراحة أو قاعدة، ومن الدرج الأخير هناك باب يؤدي لسطح المئذنة، يفتح على ممشى يحيط بالجوسق ثماني الأضلاع تعلوه قبة صغيرة، ويحيط بهذا الجوسق سور يحمي المؤذن من أي خطر.

يقع بيت الوضوء في الساحة الشمالية للمسجد ويمكن الوصول إليه عن طريق باب يقع في مؤخرة المسجد ذي دفتين عرضه 1,30م، وطوله يزيد عن 2م، ولا يحمل هذا الباب أي زخرفة سواء على مستوى الدفتين أو جدار الباب، ورغم أن هذا الباب مستحدث حسب بعض الباحثين في فترة متأخرة من تشييد المسجد[1]، أما الساحة فهي ذات شكل غير منتظم بها ثلاث بيوت للخلاء وأماكن للوضوء وبئر بالإضافة لضريح غير معروف تعلوه قبة مضلعة نلج لهذه الغرفة عبر باب يعلوه عقد منكسر متجاوز، غير أن هذه الساحة لا تبدوا متناسقة أبدا مع تصميم المسجد في ظل شكلها غير المنتظم، للعلم أن بين الوضوء مستحدث ولا يمكن أن نتصور مسجد بلا هذه الخاصة، رغم قرب المصليين من بيوتهم، لكن تبقى هذه الفرضية محل شك في ظل أمرين آخرين وهي الزلزال الذي ضربت المدينة بما فيها المسجد الجامع، وكذلك وجود جماعات ليسوا من المدينة مثل التجار وطلبة العلم وغيرهم، لهذا من المؤكد أنهم يقصدون المسجد للوضوء والصلاة.

1-1-3- خلاصة:

واستخلاصا لما تم ذكره سابقا عن مسجد سيدي معيزة نؤكد على أنه من أهم العمائر الدينية ببلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، وله مميزاته وخصائصه التي جعلته ينفرد عن باقي المساجد، وإن كانت أول خاصية هي موقعه بالطرف الشمالي الشرقي للمدينة؛ أي بعيدًا عن وسط المدينة كما هو متعارف عليه، ويرجع هذا السبب

[1] - Dessus Lamare (A) et Marçais (G), Op. Cit, P.533.

لعدة عوامل متعلقة بالموقع الطبوغرافي للمدينة، وكذلك عدم وجود مساحة بالوسط والتي شغلتها المنازل، أما الخاصية الثانية فتدخل في عامل البساطة والتي شيدت عليها العديد من المساجد؛ رغم أن هذه الميزة تبقى محل اختلاف بين الباحثين في ظل التجديدات والتغيرات التي حدثت على مسجد سيدي معيزة، وهذا بعدما خربها الزلزال عدة مرات لهذا من الطبيعي أن يفقدها جوهرها العام.

أما الخاصية الثالثة وهي المهمة بالنسبة لنا هي تلك الأعمدة والتيجان الرومانية[1]، والتي تؤرخ لنا بأقدمية هذا المسجد الجامع بالمنطقة وبالمغرب الأوسط، فاستعمال هذه العناصر المعمارية لم يأت من الفراغ أبدا؛ بل كان له هدف وغاية من ذلك بهذه العمارة الدينية، ونفس الأمر ينطبق على مسجد سيدي بلعباس، فصراحة هذه العناصر المعمارية المستعملة وإن كانت تحمل في طياتها بعض الانتقادات من بعض الباحثين حول عدم تناسقها أو قلة خبرتهم وحرفهم في الصناعة وغيرها.

ومن زاوية أخرى يعتبر التسقيف الجمالوني (السنمي) هي الخاصية الرابعة التي يتميز بها مسجد سيدي بلعباس، هذا الأخير لم يكن مخصوصًا لوحده فقط بل أن مسجد سيدي معيزة كان كذلك مسقف بهذه الطريقة، وهذا ما أشرنا إليه في الفقرات السابقة، مع العلم أن التسقيف الحالي المسطح ليس بالأصلي؛ أي تم استخداثه بعد الزلزال الذي ضرب المنطقة، رغم أن المعلومة المصدرية لم تورد لنا شكل التسقيف بهذه الجامع، لهذا فالمقارنة بين مسجد سيدي بلعباس وسيدي معيزة حول السقف ترجح أن السقف الجمالوني استخدم كذلك في جامع سيدي معيزة.

أما الخاصية الخامسة فهي القبة التي تسبق محراب جامع سيدي معيزة فهي إحدى مميزات العمارة الإسلامية، وأعطت سمة جمالية وخاصية ينفرد بها عن باقي المساجد الجامعة، وإذا سلمنا بأنها أصلية فيمكن القول إنها أقدم القباب الموجودة بمساجد إقليم المغرب الأوسط، رغم وجودها بالمسجد الجامع للقيروان وقبله الجامع الأموي، وعليه فهذه إحدى التأثيرات التي انطلقت من المشرق إلى المغرب، حتى أن هذه الخاصية اشتهرت في مساجد

[1]- Dessus Lamare (A) et Marçais (G), Op. Cit ,P.534.

المرابطين على غرار الجامع الكبير المرابطي بتلمسان والجامع الكبير بالجزائر[1]، لكن بوجود تلك الترميمات والتجديدات التي حدثت بعد الزلزال قد تنفي أقدميتها، فقد تكون إضافة جديدة، أو ربما أن المرابطين هم من جددوا هذا الجامع وتم إضافة القبة وتوسعة المسجد في نفس الوقت، وتبقي هذه الفرضيات مطروحة في ظل وجود خصائص وفنيات يمكن أن ننسبها لبعض الطرز الفنية والمعمارية.

وتعد الأوتار الخشبية المتصلة بالأعمدة هي الخاصية السادسة التي تميز المسجدين سيدي بلعباس وجامع سيدي معيزة، غير أن هذا الأخير تم إزالتها ليبقى بعض الأثر يوحي لذلك، ولا ندري سبب هذا الفعل، ومن المؤكد أنها نزعت أثناء إعادة ترميم هذا الجامع، فهذه الخاصية كانت سائدة في جامع القيروان وقبلها في مساجد مصر[2]، فهذه إحدى التقنيات الفنية والمعمارية التي تساعد في تخفيف الضغط على الأعمدة وتدعمها، ومن المفترض أن هذه التقنية استعملت أول مرة بهذين المسجدين، وبعدها انتقلت في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس (الصور رقم: 34) (الشكل رقم: 03).

آخر ما يمكن أن نتطرق إليه بعض الخصائص التي يشترك فيها المسجدان (سيدي بلعباس وسيدي معيزة)، كعدم وجود الصحن والاكتفاء بقاعة الصلاة، مركزية المحراب غير متبعة فيهما، وترجع لأسباب مختلفة منها توسعة المسجد والمحافظة على مكان المحراب، كذلك وجود مدخل رئيسي واحد رغم وجود مداخل أخرى، وتبقى المشكلة الوحيدة التي تؤرق الباحث الأثري ميدانيا هي الترميمات العشوائية على هذه العمائر، من خلال تغير بعض العناصر سواء إضافة عنصر أو حذف أخر وغيرها، لهذا بعض المرات نتخلى عن دراسة بعضها سبب حداثتها وفقط.

---

[1]– عبد العزيز لعرج، «المساجد الزيانية بتلمسان عمارتها وخصائصها»، حوليات، جامعة الجزائر، المجلد:06، العدد:01، ص.114. أنظر: سعيد بوزرينة، « القباب ومناطق الانتقال في العمارة الدينية بالجزائر خلال العصر العثماني»، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد:06، العدد:01، ص.216. أنظر: محمد موشموش، «أثر عمارة مسجد قرطبة على عمارة المساجد المرابطية بالمغرب الأوسط القرنين الخامس والسادس للهجرة»، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد:03، العدد:01، ص.277.

[2] – Dessus Lamare (A) et Marçais (G), Op. Cit, P.536.

هذا ما تم جمعه ووصفه من خلال الزيارات الميدانية التي قمنا بها في هذه المدينة الأثرية، لكن بحكم المقارنة بين ما تم نقله عن المصادر التاريخية والجغرافية ووصفنا للمعالم نجد فرقًا كبيرًا جدا؛ فمن الناحية المعلوماتية المصدرية قليلة جدا مقارنة مع المادة الأثرية الواسعة والكثيرة في المواقع، وعدم التوافق في بعض المرات مع ما قيل وما لوحظ على بعض المعالم، بالإضافة أن الخصائص المعمارية والفنية بهذه المساجد ترجح بعض المرات الطراز الفني الذي ينتمي إليه هذا المعلم الديني، فمن خلال القبة التي تتقدم المحراب والسقف الجمالوني وبساطة العمارة يمكن أن ننسبها للطراز المرابطي.

1-2- العمارة المدنية:

إن العمارة المدنية ليست شكلا صامتا ولا جامدا، وإنما لها لغة تعبر عنها من خلال عناصرها الخارجية وفضائها الداخلي، فرمزية بعض العناصر المعمارية والزخرفية جعلت منها محل بحث يتداول عليها العديد من الباحثين بمختلف مشاربهم وتوجهاتهم الفكرية[1]، فكل واحد منهم يعطي لنا معلومات ومسميات مختلفة حول هذه المنشئات المعمارية المدنية؛ لكن كلها تصب تحت باب معرفي واحد متفق عليه من قبلهم، وعليه فمدينة تنس هي إحدى مجالات البحث التي تطرقت لها المصادر التاريخية والجغرافية، وقد فصلنا في هذه الأقوال في الفقرات السابقة، فهي لم تفصل لنا في العمارة المدنية بل اكتفت ببعض المعلومات السطحية حول بعض الهياكل المعمارية على غرار القلعة والحمامات والسوق والأبواب، وعليه سنحاول في الفقرات القادمة الإشارة لبعض الآثار المدنية الباقية:

1-2-1- دار الحكم (الإمارة):

إن أول ما يمكن التطرق له في هذه الأسطر " دار الحكم" (الإمارة) فهي إحدى المنشئات المعمارية التي تقوم عليها المدينة الإسلامية، حتى وإن كانت نشأتها تاريخيا ومكانيا محل خلاف بين الباحثين كهيكل معماري، غير أنهم يتفقون على أنها بدأت من بيت الرسول صلى الله عليه وسلم بصفته حاكم الأمة ونفس الأمر كان سائدًا مع الصحابة رضي الله عنهم، غير أن الأمصار التي تم فتحها من قبل القادة المسلمين تم تخصيص أماكن أو دار للإمارة

[1]- عبد القادر نفيدسة، «الرمزية الدينية في العمارة الإسلامية»، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، المجلد:05، العدد:02، أفريل 2022م، ص.572.

قرب المسجد الجامع [1]، ومن المؤكد أن هذا العمل تم تطبيقه في العديد من المدن الإسلامية، لكن قد تخرج هذه القاعدة عن المألوف من خلال بناء دار الحكم بعيدة عن وسط المدينة؛ وهذا بسبب الموقع الطبوغرافي من جهة، أو بسبب الحماية والتحصين، أو اختيار يكون أساسه الحاكم.

وعلى العكس من ذلك فإن دار الحكم بمدينة تنس تقع بعيدة عن وسط المدينة، فقد ذكرها البكري تحت مسمى القلعة ووصفها بالصغيرة، وأنها صعبة الاختراق والدخول وينفرد عمالها بها[2]، هذه النقطة الأخيرة تشير إلى أنها دار الحكم، ونفس الأمر نجده في وصف مارمول كربخال حين أشار لوجود قصر الأمير الموجود بالقلعة[3]، لكن من الناحية الأثرية لا وجود لهذا الهيكل المعماري في الموقع، فمن الممكن أنها تعرضت للتخريب سواء بسبب الظروف الطبيعية مثل الزلازل، أو خربت من قبل البشر سواء الفترات الوسطى أو بعد الفترة العثمانية على الأغلب، غير أن الباحث بن نعمان يرى بأن موقعها قريب من برج الغولة، وهذا نظرا للحصانة الدفاعية من خلال البرج والوادي الذي يحيط بها[4]، وتبقى هذه النظرية الأقرب للواقع في ظل تلك المميزات التي تتصف بها.

وقد حاولنا من خلال الزيارة الميدانية التي قمنا بها ربط بين ما تم ذكره في المصادر مع موقع هذه القلعة، لكن صراحة لم نستطع أخذ صورة كاملة عن وجودها، وهذا بحكم أن المعالم الباقية هي أجزاء من الأسوار والأبراج، أما المساحة الشمالية الشرقية لبرج الغولة هي من المفروض أنها كانت دار الحكم (الإمارة)، وقد تم استغلال تلك المساحة من قبل السكان في جعلها حدائق زراعية، وكذلك هناك جزء منها تم استغلاله كمقبرة ترجع لفترة معاصرة نوعا ما، وعليه نعتقد أن تلك المساحة هي الموقع الأصلي للقلعة، وقد تم اختيار هذا الجزء لبناء القلعة لحصانتها من جهة ووجودها في أعلى مكان للمدينة، بحيث تمثل برجًا للمراقبة،

---

[1]– بلحاج طرشاوي، العمارة الإسلامية أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية من خلال بعض النماذج، أطروحة دكتوراه في الفنون، شعبة الفنون، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006–2007م، ص ص.37– 38.

[2]– البكري، المصدر السابق، ج.2، ص ص.241–242.

[3]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.354.

[4]– إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...، ص.186.

ومن الصعب الوصول لها سواء من طرف الأعداء أو حتى السكان، على العموم من الصعب تحديد جميع أجزاء هذه القلعة في ظل غياب دلائل الأثرية، وهي تحتاج لحفرية للكشف عن ذلك (الصورة رقم:35).

1-2-2- المساكن:

تعتبر المساكن من الأركان الأساسية للمدينة الإسلامية، فلا يمكن أن نتصور مدينة بلا بيوت ودور للعامة، فهي وإن كانت تختلف نوعا ما في شكلها إلا أنها تخضع لأعراف المجتمع، فكل فرد يبني منزله وفق ثقافته وقدرته دون أن تعارض مع فقه العمران الإسلامي، كما أن الموقع والحالة الاجتماعية يتحكمان في شكل موقع هذا المسكن، لكن تبقى المرافق المكونة له ثابتة والمتمثلة في: المدخل، والدهليز، والصحن، والغرف، والإيوان، والمطبخ، وهناك من يزيد عناصر أخرى مثل البئر وغيرها[1]، مع العلم أن المسكن الإسلامي جماليته وزخرفته تكمن في الصحن الداخلي، وقوامها زخارف نباتية وهندسية ومربعات خزفية وغيرها، وكل هذا من أجل توفير راحة نفسية لحريم البيت.

وإذا حاولنا العودة لما ذكرته المصادر حول هذا الجانب فإننا نجد إشارتين حول ما يتعلق بالمساكن، فالأولى ذكرها عبيد الله البكري من خلال قوله:"...ويجعلوها سكنى وانتقلوا إلى القلعة"[2]، فالإشارة في هذا القول هي كلمة سكنى من المسكن، أما الإشارة الثانية وردت في البيت الشعري: إن صعدت السطوح لم يتركوني....وأراهم على الدرج يسبقوني[3]، وهنا يوجد مصطلحان متعلقان بالمنزل وهما السطوح والدرج، لكن ما تحظى به المدينة يبقى شيء مخالف عما ذكر، فالمنازل من ناحية المظهر الخارجي تبدو قديمة نوعا ما، لكن أن ترجع للفترة الوسيطة فهي بعيدة عن ذلك، خاصة ما تم تداوله بين المصادر على أنها خربت بسبب مياه الأمطار[4]، أو بحكم الزلازل التي ضربتها، وحتى التجديدات التي أحدثها الإستعمار الفرنسي وبعدهم السكان، هذا ما يجعلنا نقف على بعض العمائر دون التفصيل في عناصرها.

---

[1]- بلحاج طرشاوي، المرجع السابق، ص ص.27-28.

[2]- البكري، المصدر السابق،ج.2، ص.242.

[3]- القزويني، المصدر السابق، ص.173.

[4]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.2، ص.48.

تماشيا مع ما لاحظناه على هذه العمائر يمكن أن نبدأ تفصيلنا من السقوف التي تبدو ذات تسقيف مائل، أستعمل فيها القرميد لوسط الدار، وهذا من أجل جمع مياه الأمطار في بئر ليستعمل في أيام الصيف سواء من أجل السقي أوالغسل، ولا يستعمل ميل القرميد نحو الشارع أو الزقاق لكي لا تضيع مياه الأمطار ولا تسيل على المارة في فصل الشتاء، لكن معظم القرميد المستعمل في تغطية السطوح هو حديث وليس له علاقة بالفترة الوسيطة، كما أن بعض المنازل اليوم شوهت المدينة الأثرية من خلال تعدد الطوابق وفق الأبنية الحديثة، وعليه أردنا تقديم صورة واضحة عن المظهر الخارجي من جانب السطوح (الصورة رقم:36)

1-2-3- مداخل المساكن:

لقد سعى الحرفي البناء إلى الإهتمام والعناية بمداخل المساكن منذ القدم، وقد شهدت تطورًا سريعًا وتجديدًا واضحًا في هذا العنصر المعماري، بحيث يعتبر رمزية ترحيبية للوافدين على هذه الدار[1]، فكان من الواجب إعطاؤه صبغة زخرفية وشكلاً فنيًا متميزًا عن باقي العناصر، فهو المنفذ الرئيسي للجزء الداخلي للبيت، وكذلك الجزء الفاصل بين الشارع أو الزقاق ومكونات المسكن، وتختلف المداخل في شكلها وحجمها؛ وتحمل عدة مميزات سواء في الجانب الزخرفي وطريقة تشكيل عقودها ونوعها كذلك، كما أن بابها الخشبي قد يكون ذي دفتين وخال من الزخارف والموضوعات الفنية، ومن الممكن أن تقتصر على بعض الزخارف الهندسية وفقط[2]، غير هذا لا يوجد شيء يستدعي الإنتباه خاصة عندما نتكلم عن المساكن في الفترة الوسيطة، والتي لم يبق منها أثارها إلا القليل خاصة في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر).

إن مداخل المساكن الأثرية في مدينة تنس نادرة جدا إن لم نقل منعدمة، فمن خلال الزيارة الميدانية التي قمنا بها مرارا، فإننا لم نجد ولا مدخلاً أصليًا يعبر عن تلك الفترة الوسيطة، فكل ما هو موجود هي تجديدات حديثة تميزت بالبساطة ولا تحمل أي مظهر فني، وقد تم استعمال مواد حديثة على غرار الإسمنت والمربعات الخزفية وأبواب من الحديد، غير

[1]- ليلي دردبش، المداخل بالعمائر الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2012/2011م، ص.72.

[2]- بلحاج طرشاوي، المرجع السابق، ص.28.

أننا نجد بابين على الأكثر ذو طابع موريسكي إلى حد ما، وهذا من خلال بعض السمات منها الظلة التي تغطي المدخل والعمودين من الإسمنت اللّذاني يقومان على جانبي المدخل، وكذلك نجد أن العقود في هذه المداخل متنوعة بين العقد نصف دائري والمدبب والحدوي، فحتى الصور القديمة لا تظهر أي جديد حول المداخل (الصورتين رقم: 37-38).

من خلال ما تم دراسته يمكن القول إن مساكن تنس جاءت بسيطة خالية من المظاهر الفنية والزخرفية، بحيث اتخذت شكلاً واحدًا بالتقريب من خلال المرافق المكونة لها، لكن الشيء الذي يغيب فيها هو عدم وجود الأروقة الفاصلة بين وسط الدار والغرف المحيطة بها، وهذا ما أشار إليه بعض الباحثين[1]، ونفس الأمر يشبه ما هو موجود في العمارة الصحراوية والتقليدية في الكثير من المنازل، وبخصوص الطوابق لا تتعدى طابق في ظل موقع المدينة الذي لا يسمح بذلك، بالإضافة إلى أن التحديثات التي طرأت على هذه العمارة أثرت في القيمة الأثرية للمدينة بصفة عامة، وجعلت من الباحث الأثري يرى أن معظم المنازل ليست أثرية نظرا لتلك الأعمال العشوائية من قبل السكان.

أما الشيء المميز في هذه العمائر المدنية هو مطابقتها للفقه العمراني الإسلامي، بحيث أنها تبعت أسسه وقواعده في مقاسات الشوارع والأزقة، وعدم وجود نوافذ مفتوحة على الشوارع، كذلك خاصية الأبواب غير المتقابلة، إضافة لذلك المدخل المنكسر وغيرها من السمات الفقهية التي أقرها العلماء والفقهاء، وهذا رغم أن هذه المساكن بعيدة نوعا ما عن الطراز الفترة الوسيطة.

1-2-4- الحمام:

يُعَدُ الحمام من أهم المرافق العامة والضرورية في المدينة الإسلامية، ولا يقاس وجوده بكبر ولا صغر المدينة، بل يكثر عدده بكثافة السكان ومطالبهم لهذه العمارة، مع العلم أنه يرتبط بجانب ديني إلى حد كبير رغم أنه ذو استعمال مدني، فلو عدنا للقرآن الكريم والسنة النبوية لوجدنا الكثير من الآيات والأحاديث المتعلقة بالحمام؛ سواء تصريح مباشر أو يحمل معاني وأعمال تجري في الحمام وغيرها، وهنا يمكن الإشارة لبعض المناسبات التي توجب

[1]- إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...، ص.201.

الالتقاء في هذا الصرح المعماري (غسل العيدين، الجمعة، الزواج، الختان، الحجامة، غسل الجنابة... وغيرها)[1]، بالإضافة إلى أنه مكان للتعارف وتجاذب أطراف الحديث في أمور مختلفة، أي أنه لم يقتصر على الغسل والطهارة فقط بل تعدى ذلك[2]، وهذه السمة كانت سائدة في جميع المدن الإسلامية، وهذا يرجع لعقلية الفرد المسلم الاجتماعي.

ولم تكن حمامات المغرب الإسلامي مفصولة عن المشرق الإسلامي من ناحية التأثير، بل تطورت مع الظروف الملائمة التي وجدتها في كل مدينة، غير أن بعض الأبحاث تشير إلى أن فخامة الحمامات المشرقية هي أكثر رونقا وجمالا من المغربية، خاصة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين (5-6 هـ/11-12م)، لكن بعد هذا شهدت تطورًا سريعًا وتأنقًا في الزخرفة وتلبيس قاعاتها بالمربعات الخزفية، وأرضيتها بالفسيفساء، وكذلك لوحات الرخام وغيرها[3]، فمن المؤكد أن التأثير الحاصل والمتبادل خاصة ما بين الأندلس والمغرب ساهم في تطور هذه العمارة، لكن بالعودة وإعطاء قراءة عن المدن الأولى في بلاد المغرب الإسلامي؛ فإننا قد لا نجد هذا التطور وذلك التميز الفني والزخرفي في عمارة الحمامات، وهذا ما ينطبق على مدينة تنس ومرسى الدجاج وغيرها.

وفيما يخص ما أوردته المصادر المكتوبة حول الحمامات فإننا لا نجد وصفا دقيقًا لهذه العمارة؛ أي ما تم ذكره لا يتعدى كلمة واحدة فقط ومجردة من كل التفاصيل، ونجد هذا الكلام عند البكري حين ذكر أن لها حمامات[4]، ولم يزد على ذلك شيء سوى أن ذكرها بمصطلح الجمع، وهي دليل على وجود عدد معتبر من الحمامات، غير أن الحميري لم يرد على لسانه سوى حمامان[5]، مما جعلنا نبدي بعض الفرضيات وهي؛ أن هذا المصدر وجد المدينة في حالة

---

[1]- عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو، مصر، 2005م، ص.110.

[2]- علي بوتشيشة، «الحمامات العامة بالجزائر خلال العهد العثماني حمام الباي مصطفى المسراتي بوهران أنموذجا»، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد:14، العدد:02، ص.84.

[3]-عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ط.1، جروس للطباعة والنشر، بيروت، 1988، ص.143. أنظر: خليل خلف الجبوري، «معالم من الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس الحمامات أنموذجا»، مجلة كان التاريخية، العدد الثاني والثلاثون، السنة التاسعة، يونيو 2016، ص.163.

[4]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص. 242.

[5]- الحميري، المصدر السابق، ص.138.

انحطاط وضعف في شتى المجالات، أو من الممكن أنها تعرضت للتخريب أفقدها بعض العمائر ومنها الحمامات، أو من نسخ نص الحميري أخطأ أو نسي أو استبدل التاء نونًا دون قصد، مع العلم أن النص الذي ورد عن الحميري هو نص البكري ولم يضف شيء عنه، ويبقى هذا الرأي الأخير أقرب للصواب إلى أن يثبت العكس.

يقع الحمام المراد دراسته قرب المدخل الرئيسي على بعد بعض الأمتار منه، فوجوده بهذا الموقع يطرح عدة إشكاليات، فمن الممكن أن شيد من أجل الجماعات البرانية خاصة التجار وأهل الحرف، ويحده من الشمال أحد المنازل ومن الشرق مسجد لالة عزيزة ومن الجنوب طريق رئيسي مستحدثٍ، لكن لا يظهر على هذه العمارة أنها ترجع للفترة الوسيطة أبدا، بحيث جاء شكله العام يشبه نوع ما مخازن السلع، وهذا من خلال المظهر الخارجي، غير أننا لم نستطع دخوله لأنه أصبح ملكية خاصة لبعض العائلات، ووفق المعطيات والزيارات الميدانية التي قمنا بها لا يمكن أن ندرج هذا المعلم في الفترة الوسيطة، فلا توجد أي خاصية فنية أو أثرية توحي لذلك العصر، وحتى أنها لا تشبه حمامات الفترة العثمانية في ظل تشابه هذه الأخيرة مع الفترة الوسيطة[1]، فحتى الحمام الذي أشار له الباحث بن نعمان والذي يقع بالجهة الشمالية على الطريق الرئيسي مستحدث عن آخره[2]، وللأسف لم ننتبه له ما بين المساكن في ظل التشابه وكذلك التغيرات، وربما تغيرت وظيفته من حمام إلى مسكن مما صعب علينا معرفته.

1-2-5- السوق:

تحظى الأسواق بمكانة مهمة في المدينة الإسلامية بحيث تخصص لها مساحة واسعة وقريبة من مركز الحكم والمسجد الجامع، وفيها يتم تداول العديد من المنتجات والصناعات المختلفة عن طريق البيع والشراء، وهي ترتبط بحاجات الإنسان اليومية، وقد كانت سائدة منذ الحضارات القديمة، لكن بحكم أننا نتكلم عنها في الفترة الإسلامية يمكن القول إن ظهورها كان مع بداية بناء أول مدينة إسلامية، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى سوق النَّبِيطِ، فنظر إليه فقال:" ليس هذا لكم بسوق" ثم ذهب إلى سوق، فنظر إليه فقال:" ليس

[1]- علي بوتشيشة، المرجع السابق، ص.86.

[2]- إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...، ص.223.

هذا لكم بسوق" ثم رجع إلى السوق، فطاف فيه، ثم قال:" هذا سوقكم، فلا يُنْتَقَصنَّ ولا يُضْرَبَنَّ عليه خراج" [1]، وأهمية السوق واضحة من خلال هذا الحديث النبوي، وقد ثبت أن ذلك السوق كان مفتوحًا وواسعًا ومستو بحيث يرى الراكب بعيره من بعيد[2]، لكن مع مرور الوقت تطور السوق وخصصت له عمائر داخل المدينة يقف على تنظيمها المحتسب وفق عامل لا ضرر ولا ضرار.

بالعودة لما ذكرته المصادر المكتوبة حول وجود الأسواق بمدينة تنس، فإن المعلومات التي وردت ليست بالكافية ولا بالدقيقة، فالبكري تكلم عن أسواق كثيرة مع أنه حدد بعض الموازين والمكاييل فقط[3]، ونفس الأمر ينطبق عند صاحب الاستبصار فلم يحدد لنا موقع السوق ولا عمارتها بل وصفها بالكثيرة والحفيلة لا غير[4]، لكن بحكم الزيارة الميدانية لم نستطع تحديد موقع السوق في ظل السكنات الحديثة والتغيير الجذري الواضح في المدينة، حتى وإن كانت بعض الدراسات تشير لوجوده قرب مسجد سيدي بلعباس من الناحية الشرقية الشمالية[5]، وتبقى هذه نظرية لا غير في ظل عدم وجود أي دليل يحدده بهذه الجهة، لكن وفق موقع المدينة الطبوغرافي يمكن إثباته بهذه الناحية، خاصة قرب موقع المستوصف حاليا بالإضافة لبعض المنازل، إضافة لذلك فهذا المكان قريب جدا من المدخل ومنه دخول التجار وأهل الحرف، وعليه فمن ناحية العمرانية الأمر مقبول جدًا نظرا للوظيفة التي يشغلها وهي البيع والشراء، مع العلم أن بعض السلع نهى عنها الإسلام أن تباع وسط المدينة نظراً لبعض المفاسد التي قد تتركها.

---

[1]– أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة (ت.275هـ/889م)، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج.2، كتاب التجارات، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ص.751.

[2]– عبد الرحيم الكتامي، «السوق الإسلامية بالمدينة المنورة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم»، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد:06، العدد:02، ديسمبر 2022م، ص.459.

[3]– البكري، المصدر السابق، ج.2، ص ص. 242– 243.

[4]– صاحب الاستبصار، المصدر السابق، ص.133.

[5]– إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...، ص.167.

1-2-6- الشوارع والدروب:

وفيما يخص الشوارع والدروب فهي أحد المميزات الهامة في العمارة الإسلامية، وهي تختلف في مقاساتها وشكلها حسب موقع وموضع المدينة، ويتم تخطيطها وفق بعض المعايير منها إتجاه الريح والشمس وحتى مجرى مياه الأمطار، وقديما أوصى أرسطو مهندسي المدن بأن يأخذوا بعين الاعتبار امتداد الشوارع بالنسبة لاتجاه الرياح، فكم من حي فقد أهميته بسبب أنه لم يوف شرط اتجاه الريح والشمس[1]، إن إتباع تلك المبادئ الأساسية في تخطيط الشوارع والدروب ينجم عنه مدينة إسلامية نموذجية من الناحية العمرانية، ولنا العديد من المدن الإسلامية التي اتبعت هذه القواعد وعلى سبيل المثال مدينة بغداد وغيرها.

إن المدقق في نصوص المصادر المكتوبة حول مدينة تنس لا يجد أي وصف أو معلومة عن الشوارع والدروب، لكن بحكم الزيارة الميدانية نؤكد أن هذه الميزة العمرانية موجودة، رغم بعض الاختلافات؛ هل تعود للفترة الوسيطة أو أثناء الفترة العثمانية أو بعدها؟، ورغم ذلك نؤكد أنها لا تختلف عن القواعد والمعايير التي نصت عليها كتب الفقه الإسلامي، حتى إن التغييرات التي استحدثت في المدينة لم تؤثر بشكل كبير على الشوارع والدروب.

يمكن تحديد شارعين رئيسين بالمدينة حسب ما هو موجود حاليا، بحيث يبدأ الشارع الأول من باب البحر جنوبا ويمر وسط المنازل إلى أن ينتهي عند مسجد سيدي معيزة من الناحية الغربية (الصورة رقم:39)، أما الشارع الثاني فيبدأ من أمام مسجد لالة عزيزة جنوبا ويمر ببعض المساكن ومسجد سيدي بلعباس(الصورة رقم: 40)، من حيث القياسات فهي غير ثابتة بسبب بعض الزيادات التي امتدت على الشارعين الرئيسيين، لكن على العموم تراعي المعايير التي تطبق في المدينة الإسلامية.

أما الدروب فهي كثيرة ومختلفة الطول والعرض بحيث يتراوح عرضها بين 1,50 إلى 2م في بعض الشوارع، ما يميزها أنها متنوعة بين الشوارع المستقيمة والدائرية والمتعرجة، غير أن معظم أرضيتها اليوم أصبحت من الإسمنت وبعضها من الزفت والتراب(الصورتين رقم: 41-42)، وقد فتحت على هذه الدروب مداخل غير متقابلة، وفي نفس الصدد نجد العديد

[1]- عبد الفتاح محمد وهيبة، في جغرافية العمران، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1980م، ص.68.

من تلك المداخل توسعت على حساب الدروب من خلال الدرج الصاعد مما تسبب في تضيق الدرب، وفيما يخص الأزقة فهي قليلة جدا بالمدينة، ولا ندري سبب ذلك فربما موضع المدينة حتم وجود الدروب فقط.

1-2-7- الخزان المائي:

تعد الخزانات المائية إحدى المنشئات المعمارية الضرورية في المدينة الإسلامية، وإنشاء هذه المخازن يرجع لبعض الأسباب منها؛ نقص المياه في المدينة واستغلال مياه الأمطار وتخزينها، وكذلك في حالة الحروب والحصار لأن عامل الماء هو أحد الأسلحة التي يعتمد عليها في إضعاف وإسقاط المدن، وكما ذكرنا سابقا من بين الوصايا التي تكلم عنها ابن منكلي أيام الحصار هي حفر الآبار والصهاريج وجمع مياه الأمطار[1]، وحتى أيام الجفاف تقيهم من العطش الذي قد يطول، وهذا ما حدث في بجاية وتم الكلام عن هذه الظاهرة.

تبقى الشواهد الأثرية عن الخزانات المائية بتنس قليلة جدا، رغم أن موضع المدينة يتطلب وجودها بكثرة، لكن ما تم العثور عليه هو خزانان فقط، فالأول يقع تقريبًا على حافة المدينة، وهو مستطيل الشكل مغطى بقبو، بحيث يتراوح طوله 11,75م وعرضه 2,50م وارتفاعه 2,15م(الصورتين رقم: 43-44)، غير أن هذا الخزان أصبح عرضةً للتخريب ومكاناً لرمي النفايات والقمامة، أما الخزان الثاني فهو موجود قرب الأبراج، غير أننا لم نستطع تصويره بسبب أنه مغطى بالأشجار والحشائش، على العموم هذا ما بقي من الخزانات بالمدينة في ظل غياب الأبحاث الأثرية، والتي قد تغير بعض المعطيات بخصوص هذا الجانب والتي لم تتحدث عنه المصادر.

1-3- العمارة العسكرية:

العمارة العسكرية هي تلك المنشآت والاستحكامات الدفاعية بمختلف أنواعها، فهي تتعد وتختلف في شكلها وحجما لكن أساسها واحد وهو توفير الأمن والحفظ والدفاع عن الحاكم ورعيته، والمدينة بصفة عامة، فالقلاع والحصون، والأبراج والأبواب، والأسوار والخنادق،

[1]- محمد ابن منكلي الناصري، المصدر السابق، ص.379.

ما هي إلا عمائر منفردة أو متداخلة فيما بينها تشغل كل واحدة منها وظيفة معينة[1]، وتكون هذه الوظيفة في بعض الأحيان تحمل وظيفتين وهما؛ مدنية ودفاعية، وهنا نقصد القلاع والحصون والأبراج فلها وظيفة ثنائية بين السكن والحراسة أو الدفاع بصفة عامة، أما الأسوار فدورها واضح هو حماية المدينة من أخطار الأعداء الخارجية، وكذلك من الأخطار الطبيعية مثل الرياح الهوجاء التي تحمل الزوابع الرملية والترابية، بالإضافة لمنع دخول الحيوانات المفترسة وغيرها[2]، إذن الوظائف متعددة في ظل وجود العديد من الأخطار لهذا أبدع الفنان المعماري في التخطيط والتشييد.

لقد شهدت هذه العمارة تطورا سريعا في عمارتها من خلال تدعيم الأسوار والحرص على أن يكون سمكها وارتفاعها يراع الأخطار الخارجية، لهذا نجد أن العمارة العسكرية في بلاد المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط بصفة خاصة لها مميزات دفاعية بدرجة كبيرة، ويرجع سبب ذلك للصراعات التي كانت قائمة بين الدويلات المستقلة، فالآثار الباقية من الأسوار والأبراج والحصون التي تعود للفترات السابقة (الحمادية والمرابطية والمرينية والزيانية) إلا دليل على شدة الصراع القائم من جهة، ومن ناحية أخرى الاهتمام بتشييد وبناء هذه العمائر[3]، غير أن مدينة تنس لم يبقى بها إلا بعض المعالم التي اندثرت وخربت وأهملت إلى حد ما، بحيث أننا نجد بعض أجزاء من الأسوار والأبراج وباب واحد على الأقل، مع العلم أن المصادر تحدثت عن وجود القلعة وأبواب أربعة إلا أنه لم يبق سوى بعض العناصر والأجزاء.

---

[1]– عبد الكريم عزوق، « التحصينات الدفاعية الإسلامية ببجاية»، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد:05، العدد:12، ص.76.

[2]– محمد سيدي نقادي، «وظائف أسوار مدينة تلمسان العتيقة»، دراسات تراثية، ج.1، العدد:05، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2014م، ص ص. 353–354.

[3]– مفتاح عثمان، العمارة الدفاعية لشرق مدينة الجزائر إبان الحقبة العثمانية نموذج "برج القنيطرة بالحراش" 1159هـ/1724م دراسة وصفية أثرية، تحليلية ومقارنة، ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2009/2008م، ص.6.

1-3-1- الأسوار:

تعتبر الأسوار الحد الفاصل بين الداخل والخارج، وهي أحد العناصر الأولى التي تشيد في العمارة العسكرية وبصفة عامة في المدينة، وهي تخضع لتضاريس الموضع المراد البناء عليه، لهذا تكون مستقيمة ومنظمة في المواضع المسطحة، وتكون متعرجة ودائرية في المواضع الجبلية الصعبة، ويختلف علو الأسوار من جهة إلى أخرى حسب درجة الانحدار والاستواء؛ بحيث أن الجهات التي يكون منحدرُها صعبًا التسلق تكون متوسطة الارتفاع، عكس الجهات المستوية والمفتوحة التي نجد فيها أسوارًا عالية ومدعمة بأبراج كثيرة[1]، ومن المؤكد أن هذه النظرية تنطبق على أسوار مدينة تنس، رغم أن الدلائل الأثرية قليلة إن لم نقل منعدمة.

إن الأجزاء الباقية من السور موجودة في الجهة الجنوبية في أعلى المدينة قرب برج الغولة، بحيث يبلغ سمك هذه الأسوار على الغالب 1,75م إلى 1,80م، وقد تم تشييد هذه الأسوار بتقنية الطابية، غير أن الأجزاء الباقية أصبحت عرضةً للتخريب سواء من قبل الإنسان أو الظروف الطبيعية(الصور رقم: 45-46-47)، لهذا من الصعب إعطاء قراءة واضحة حول شكل السور، لكن من المفروض أن يشابه ما هو موجود في أسوار مدينة المنصورة بتلمسان ومدينة هنين، مقارنة مع نفس التقنية المستعملة وسمك الجدار، يبقى فقط وجود الممشى الجند من عدمه غير واضح، ومع ذلك نراه ضروريًا مع وجود المزاغل والشرافات التي يرمي منها الجند سهامهم وتحميهم أيام الحصار والحروب، مع العلم أن أساس هذه الأسوار تم بناؤه عن طريق الحجارة المشذبة وغير المشذبة وهذا بعد استواء قاعدة الأساس.

قياسا مع باقي الأجزاء فمن المفروض أن أسوار المدينة كانت تستدير بها من كل الجهات، مع استخدام تقنية الطابية في بنائها، لكن ربما تلك الجدران اندثرت بسبب الزلازل التي تعرضت لها المدينة في العديد من المرات، وحتى التوسعات العشوائية للسكان التي امتدت عليها في معظم الجهات، وهذا رغم أن المصادر لم تتحدث عن شكل وخصائص هذه

[1]- محفوظ بوطبة، أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية والكتابية، دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2018/2017م، ص.89.

الأسوار إنما ذكرتها بمصطلح الحصانة والمناعة بصفة عامة، وعليه فالأسوار تدخل في هذا المجال الدفاعي للمدينة، فلولا تلك الأجزاء الباقية في أعلى القلعة أو المدينة لما أعطينا هذه الصورة التقريبية والسمات التي بنيت عليها الأسوار.

1-3-2- الأبراج:

إن الحديث عن الأبراج بمدينة تنس لم يكن له أثر واضح في أوصاف المصادر المكتوبة، ولا ندري سبب هذا الغموض حول أحد العناصر المعمارية في العمارة العسكرية، رغم أن موضع وموقع المدينة على ساحل البحر يحتم وجود هذا العنصر، ووفق ما تحتويه المدينة من آثار باقية نؤكد وجودها، وهي ليست بالكثيرة فالباقية منها لم يبق منها إلا الأساس، وهذا ما نراه في الجهة الشرقية الجنوبية، بحيث نجد أربع أبراج ثلاثة منها مازالت جدرانها إلى حد ما منها برج الغولة (الصورة رقم: 48)، أما واحد منهم فقد سقطت جدرانه وفقد شكله العام (الصورة رقم:49)، وتظهر على الأخرى تشققات وتصدعات قد تسقط في أي لحظة، رغم أن معظمها شيدت بتقنية الطابية التي تزيد من صلابة الجدران.

أما البرج الذي بقي يحافظ على أصله نوعا ما هو برج باب البحر، ويقع هذا الأخير في الجهة الشمالية الغربية للمدينة، فمن ناحية الشكل العام فهو مربع الشكل طول ضلعه 7,90م ، وهذا رغم بعض الاختلافات في بعض السنتيمترات، في حين يبلغ علوه بـــ13,50م، وعليه فهذا الارتفاع مقبول إلى حد كبير، وهو موجود في مكان مكشوف مما سمح بهذه العلو حتى يصعب من دخول الأعداء ويزيد من حصانة المدينة، أما واجهة هذا البرج فهي تقع بالجهة الشمالية، وهي في نفس الوقت واجهة لأحد أبواب المدينة الرئيسية(الصورة رقم: 50).

أما من الناحية الداخلية للبرج فهو يتكون من قسمين، فالقسم الأول والمتمثل في جزء مستطيل الشكل يبلغ طوله 2,73م وعرضه 1,50م، غير أن الجدار الواقع في الجهة اليمني للداخل تعرض للتخريب وسقطت بعض أحجاره، وهذه المساحة هي التي تفتح عليها دفتيا الباب، وقد تم تسقيف هذا القسم بقبو متقاطع تختلف قياساته من ركن إلى أخر (الصورة رقم:51)، وبعد المرور لمركز البرج فإننا نجده مغطى بقبة دائرية محمولة على عقود نصف دائرية، لتلتقي هذه الأخيرة في حنايا ركنية، وقد تم تشكيل هذه الحنايا والقبو والقبة بمادة

الأجر بنظام التراص والتقاطع فيما بينها(الصورة رقم:52)، وفي نفس الوقت يمكن القول أن هذا البرج يتكون من قسمين قسم سفلي تغطيه هذه القبة، وقسم علوي غير مغطى، فمن الممكن أنه هذا الأخير كان مكاناً للحرس، ومن أجل الوصول لذلك هناك ممشى السور الملاصق للبرج يصعده الحرس.

وفيما يخص حالة الحفظ لهذا البرج فهي سيئة جدا وهذا لعدة أسباب نذكر البعض منها؛ أول شيء يمكن أن تراه العين هو أن هذا المعلم أصبح مفرغة للقمامة وقد تم حرقها داخله مما أثرت عليه من ناحية المظهر، بحيث أصبحت جدرانه مغطاة باللون الأسود جراء الدخان، كذلك الترميمات العشوائية التي طرأت عليه مرارا، وهي تظهر جليا لأي زائر لها، خاصة مادة الإسمنت التي تظهر على جدرانه، وهذه ظاهرة سلبية ومخالفة لمبادئ الصيانة والترميم، كما نجد تشققات تمتد من الأعلى إلى الأسفل في الواجهة الشمالية والغربية، كذلك نلاحظ وجود شجرة في أعلى البرج زادت من تشققه بسبب تلك الجذور، لكن في نفس الوقت من الصعب نزع هذه الشجرة، بسبب أن المعلم أصبح هشاً، وهي كذلك أصبحت جزءًا قد يساهم في ثباته، وأي عمل غير مدروس قد يؤدي لسقوطه (الصور رقم: 53-54-55).

استنادًا لما تم ذكره عن هذا البرج الذي يحمل العديد من الإشكاليات، والتي تحتاج لقراءة معمقة وتحليلات وتفسيرات مع الاستناد على حجج ودلائل مصدرية وعلمية، فمن خلال المقارنة الأولية بين برج الغولة وبرج باب البحر لا يتشبهان في طريقة البناء ولا الشكل العام، كذلك من الناحية الزخرفية نجد أن واجهة برج باب البحر تحتوي على زخارف هندسية تتمثل في عقود وإطار هندسي، عكس برج الغولة الذي لا نرى فيه أي زخرفة، وربما أنها كانت موجودة لكن سقطت أو زالت مع الجدران أو المدخل، أي أن السمات المعمارية لبرج باب البحر بعيدة جدا عن الفترة التي بنيت فيها المدينة، وهذا حسب ما أشارت إليه بعض الدراسات الحديثة، بحيث يذكر الأستاذ بن نعمان أن النمط المعماري الذي شيد عليه هذا البرج شبيه بعمائر الموحدين مثل الأبراج والأبواب الموجودة بالمغرب الأقصى، وحتى العقد المفصص الذي قد يعود للفترة المرابطية[1]، أي ربما أن البرج أعيد بنائه من جديد في إحدى

[1]- إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس ...، ص.244.

الفترات سواء الموحدية أو المرابطية أو حتى الزيانية، وقد ذكرنا مرارا أن المدينة قد تعرضت لعدة زلازل فربما أعيد بناؤه وفق إحدى الأنماط الفنية، وفي ظل غياب أدلة مصدرية حول بناء هذا البرج فلا يمكن إرجاعه لأي فترة دون وجود دليل.

ومن أجل أن نبين حالة الأبراج قمنا بتقديم جدول يحتوي على بعض العناصر المهمة في هذه العمارة:

الأبراج	برج الغولة	برج باب البحر
الوظيفة	عسكري	عسكري
الشكل العام	مستطيل	مربع
الجانب الزخرفي	لا توجد	توجد زخرفة في الواجهة الشمالية للمدخل الرئيسي
مواد البناء وتقنياته	خليط من التراب والدبش والأجر والفخار مع إستعمال تقنية الطابية	الحجارة المشذبة والغير مشذبة والإسمنت والطين، استعمال تقنية طابية والبناء العادي.
حالة الحفظ	سيئة جدا، سقوط جزء بعض جدران.	سيئة جدا، وقد تم ترميمه عدة مرات.

1-3-3- مداخل المدينة:

وفيما يتعلق بمداخل المدينة فيمكن أن نحدد مدخلاً واحدًا مازال لحد الساعة وهو باب البحر، هذا الأخير هو جزء من البرج الذي تم ذكره سابقا باسمه، بحيث يقع في الواجهة الشمالية الغربية، ويبلغ عرضه 2,30م وعلوه بـــ2,60م، أما سمك جدرانه فيبلغ 0,65 م، وعليه الباب ذو مصراعين وهو متوسط الحجم، أما واجهته الرئيسية فتتميز بزخارف هندسية ومتمثلة في العقد النصف الدائري ويليه عقد مفصص، وبعد نجد إطارين يحدان هذا الباب ببروز محدود لا يتجاوز 0,15م، وقد تم تشكيل وبناء الباب والعقود بمادة الأجر وفق نظام أفقي وعمودي ودائري(الشكل رقم:04)، وفي نفس الوقت أعطى هذا النمط من البناء مظهرا فنيًا وزخرفيًا (الصورة رقم: 56)، وبعد دخول الباب نجد حلقتين من الحديد على طرفي

المدخل في الأعلى كانتا تستخدمان في تثبيت محور الدفتين وحتى أنهما تساعدان على دورانه وفتحه، ونلاحظ بأن المدخل منكسر مثل ما هو متعارف عليه في العمارة الإسلامية.

وفي نفس الصدد نجد أن المصادر ذكرت مداخل أخرى على غرار باب ابن ناصح بالجهة الغربية لكن لم نصل إليه للأسف ومزال بعض أجزائه قائمة، وبابين بالجهة الجنوبية، وباب الخوخة بالجهة الشرقية، غير أننا لا نجد لها أثرًا بالمدينة فمن المؤكد أنها خربت سواء بفعل الإنسان أو الطبيعة أو عوامل أخرى، ونفس الأمر ينطبق على العديد من الأبراج التي كانت تتخلل الأسوار، لهذا تبقى نظرتنا للعمارة العسكرية بتنس محدودة نوعا ما، لكن ليست قاصرة لأننا نملك نماذج حية عن تلك الفترة، خاصة عندما نتكلم عن برج الغولة والأسوار الباقية في الجهة الجنوبية، وحتى برج وباب البحر وما يحمله من زخارف هندسية قد نصنفها للفترة الموحدية بالتقريب، وحتى مواد البناء وتقنياتها بين الحجر المشذب وغير المشذب والطين والأجر واستعمال تقنية الطابية، توحي بأقدمية هذه العمارة ببلاد المغرب الأوسط، رغم أن المصادر المكتوبة لم تفصل في هذا الشأن، ولا تعطينا تاريخاً محددًا عن الدويلات التي مرت بهذه المدينة، إلا أننا من خلال ما نملكه من اللقى والمعالم الأثرية يمكن أعطاء تاريخ نسبي لها.

1-4- خلاصة:

وخلاصة القول حول ما تم وصفه يمكن الخروج بعدة نقاط مختلفة ومهمة؛ فمن ناحية الشكل العام للمدينة هناك ثراء أثري كبير بين ما هو ديني ومدني وعسكري، وهذا رغم بعض الاختلافات في موقعها أو شكلها الحالي، فمثلا لو عدنا للمساجد سواء سيدي بلعباس وسيدي معيزة لوجدنا أنهما من أقدم المساجد ببلاد المغرب الأوسط، وهذا من خلال شكلهما وخصائصهما المعمارية والفنية؛ وهنا نكتفي فقد بالأعمدة الرومانية والسقف الجمالوني المستعمل، والتي توحي بأصالتهما، لكن بحكم التدقيق يمكن القول أن مسجد سيدي بلعباس أقدم من سيدي معيزة؛ نظرا لعدة عوامل منها مساحة المسجد وموقعه وبساطته، ولا يمكن أن ننسى مسجد لالة عزيزة فهو أحد المساجد التي ترجع للفترة العثمانية، وهو مسجد صغير وبسيط مقارنة بالمساجد الأخرى.

أما فيما يخص العمارة المدنية فهنا تكمن الإشكالية في ظل التغيرات والتجديدات التي طرأت على العديد من المنازل، وحتى المرافق العامة التي لا وجود لها، غير أن الشوارع والدروب تبقى نموذجًا يمكن الرجوع لها لأصالة العمران الإسلامي، وفيما يخص العمارة العسكرية فنجد بها نماذج ترجع للفترات الأولى التي شيدت فيها المدينة مثل برج الغولة والأسوار الباقية، ويمكن أن نضيف على ذلك برج وباب البحر الذي مازال يحافظ على أصله، رغم وجود بعض الاختلافات في إعادة بنائه أو تجديده سواء من قبل الموحدين أو المرابطين.

وفي نفس الصدد يمكن القول إن المصادر المكتوبة حملت جملة من الأوصاف المعمارية والعمرانية لكن لم تفصل فيها، فهي أعطت لنا صورة تقريبية عما كان موجودًا بمدينة تنس؛ على غرار المسجد الجامع والأبواب والأسوار والحمام، وجزء لم يذكر كالمسجد الثاني والأبراج، وهناك أشياء ذكرت في كتبهم لم نجد لها أثرًا، وهذا أمر طبيعي في ظل الظروف التي مرت بها المدينة سواء الحروب والزلازل أو حتى التجديدات والتوسعات الحديثة التي مست المدينة، وعليه حاولنا تغطية كل المعالم الأثرية الباقية وذكرناها حتى يتسنى للقارئ معرفة ما هو باق من المعالم التي ذكرتها المصادر.

ثانيا: الدراسة الأثرية لمدينة مرسى الدجاج:

1- أهم البقايا الأثرية:

يعد موقع مرسى الدجاج أحد المواقع الأثرية المدفونة تحت التراب، وقد كان هذا المكان مخصص لرمي الأتربة والرمال بحيث غطى معظم الموقع، غير أن الروايات الشفهية تتحدث عن وجود بعض البقايا والعناصر المعمارية الأثرية، وهذا أثناء نقل تلك الرمال من ذلك الموقع بدأت معالمهما تظهر شيئا فشيئا، وبعدها وزع موقعها إلى قطع أرضية من أجل البناء وهذا خلال سنة 2006م[1]، لكن بفضل جمعية السواقي تم توقيف العمل وبعدها تم فتح حفرية إنقاذية، وعليه سنحاول التطرق لهذا العمل مع الإشارة لأهم نتائج بهذا الموقع:

1-1- نتائج الحفريات الأثرية:

[1]- إسماعيل بن نعمان، « مرسى الدجاج...»، ص.9.

يعود أول بحث أثري لهذه المدينة لسنة 2007 م في إطار حفرية إنقاذية قام بها المركز الوطني للبحث في علم الآثار، وكان هذا العمل جراء اكتشاف بعض البقايا الأثرية من قبل السلطات المحلية في إطار تسوية وتقسيم ذلك الموقع للقطع أرضية؛ ومنها تم تخريب بعض الأسوار الأثرية وجرة (دوليوم) وقطع فخارية كثيرة، ليتوقف العمل بعد إلحاح من طرف جمعية السواقي، ومن خلال تلك الحفرية تم العثور على العديد من البقايا متمثلة في أجزاء من الأسوار التي شيدت بمادة الأجر(الصورتين رقم:57–58)، وحتى الأرضية التي بلطت بمادة الآجر بعدة تقنيات سواء تقنية السنبلة أو المنتظمة، كما تم العثور على كميات كبيرة من مادة القرميد بمعني أنه أستعمل في التسقيف (الصورة رقم:59).

كما تم العثور على جرتين (الدوليوم) فالأولى تم نقلها لساحة مخيم الزيتونة (الصورتين رقم:60–61)، أما الثانية لم تستخرج وتم تركها في مكانها لحد الساعة(الصورة رقم:62)، بالإضافة أنه تم اكتشاف مد نبوي مشكل من مادة الفخار، به كتابة زخرفية كوفية بها شعارات دينية (الصورة رقم: 63)، كما تنوعت الاكتشافات بين القطع الفخارية والخزفية والمصابيح الزيتية والمسكوكات الموحدية[1]، وتم نقل جل البقايا لمتحف الآثار القديمة والإسلامية بالجزائر العاصمة، ووفق تلك النتائج الإيجابية تم تصنيف وحماية الموقع الأثري من أي اعتداء غير قانوني، لكن رغم ذلك هناك تنقيب عشوائي عن الكنوز وتوسعات سكنية على حساب الموقع.

وحرصا على إكمال ما تم الكشف عنه سنة 2007 م، قامت فرقة البحث الأثري التابعة لمعهد الآثار بجامعة الجزائر 02 بقيادة الباحثة عائشة حنفي وفريقها المتكون من العديد من الأساتذة والطلبة على مواصلة العمل من خلال القيام بحفرية متظمة، فقد كانت بدايتها سنة 2017 م بمسح شامل للموقع وإجراء أسبار للتأكد من أهمية الموقع، ودامت هذه العملية 15 يوم تخللته بعض الأعمال، بداية من عملية المسح وجمع اللقى الأثرية من السطح، وبعدها تم تنظيف شامل لبعض القطاعات التي من الممكن إجراء حفريات عليها في المستقبل، كما تم رفع شامل للموقع بجهاز التيودوليت من أجل تحديد الحدود العامة للموقع الأثري، ومع إجراء تلك الأسبار تم الكشف عن بعض الأجزاء من الأسوار، وكذلك بعض الأرضيات التي كانت تظهر مسبقًا، ووفق هذه المعطيات والنتائج تم التأكيد على أهمية الموقع من الناحية الأثرية،

[1]– إسماعيل بن نعمان، « مرسى الدجاج...»، ص ص.22–24.

ومنها تم إرسال تقرير شامل لوزارة الثقافة والجامعة للحصول على ترخيص للقيام بحفرية أثرية، وقد تم الحصول على الموافقة من الجهات الوصية.

وبمجرد الحصول على الترخيص النهائي بدأ عمل الفريق في الموسم الأول سنة 2018م، وفيها تم الكشف عن مجموعة من الأسوار والأرضيات وثلاثة آبار وقناة مياه لجمع مياه الأمطار وبعض المساحات التي يرجح أنها غرف لمسكن، وفي الموسم الثاني سنة 2019 م تم مواصلة العمل ليتم الكشف كذلك عن دورة للمياه، وسلم غير مكتمل وكذلك بعض الأسوار وتم تحديد نسبي لمدخل هذا المركب المعماري، وفي الموسم الثالث سنة 2022م؛ تم مواصلة العمل بنفس القطاع 02 ليتم الكشف عن أجزاء أخرى من الأسوار والعثور على العديد من المسكوكات والقطع الفخارية الهامة(الصورة رقم: 64)(المخطط رقم:07)، أما في الموسم الرابع سنة 2023م فتم الكشف عن جزء جديد في المنطقة 01 والمتمثل في بئر وأرضية وأسوار(الصورة رقم:65)، وكان هذا العمل الأثري يسير وفق مبادئ وضوابط وأساسيات الحفرية من تقسيم للمربعات وحفر طبقي منظم وتصوير اللقى والعناصر المعمارية، وتسجيل لكل صغيرة وكبيرة عن المكتشفات الأثرية ووضع بطاقات تقنية وفنية لها.

وللتوضيح أكثر سنحاول في الفقرات القادمة عرض أهم العناصر المعمارية المكتشفة خلال الحفريات السابقة، مع العلم أن البحث الأثري ستواصل في السنوات المقبلة في ظل شساعة الموقع الأثري، فهذه المكتشفات التي سنتطرق إليها مربوطة بسنوات العمل التي ذكرناها فقط، بحيث قد تتغير الآراء والشكل والمسميات في المستقبل، وتتمثل هذه العناصر فيما يلي:

1-1-1- الأسوار:

وفق الأعمال التي قمنا تمت خلال الحفرية الأثرية بالموقع الأثري، فإن أول شيء كان يظهر لنا من العناصر المعمارية هي الأسوار، هذه الأخيرة اختلفت أشكالها ومواد بنائها حسب الوظيفة التي كانت تؤديها، فهناك الأسوار الخارجية التي شيدت بمادة الحجارة المشذبة وغير المشذبة(الصورتين:66-67)، كما نجد بعض الجدران التي استعملت فيها مادة الآجر(الصور

رقم: 68–69–70)، وكان سمكها يتراوح بين 0,50م إلى 0,55م، أما ارتفاعها فلا يمكن معرفة لأن كل البقايا هي أجزاء من الأسوار فقط.

أما الجدران الداخلية فقد شيدت بمادة الآجر في الغالب بحيث يتراوح سمكها بين 0,21م إلى 0,23م على الغالب، أما ارتفاعها المتوصل إليه فيتراوح بين 1م إلى 1,20م، غير أن هذه الجدران ضعيفة جدا مقارنة بالجدران الخارجية، لهذا نعتقد أنها ثانوية في هذا المركب المعماري (الصور رقم: 71–72–73–74)، حتى أن طريقة بنائها كانت وفق تقنية منتظمة بمادة الآجر.

ويتخلل بعض الجدران دعامات مدمجة من أجل تدعيم وتثبيت تلك الأسوار بالإضافة إلى أنها تعطي ميزة معمارية فنية داخل الهيكل المعماري، أما المسافة بين الدعامات فهي ليست ثابتة بحيث تتراوح بين 1,17م في الأولى بجانب البئر، والثانية هي الوسطى 1,14م، والثالثة 1,07م، غير أنها تبرز عنه بحوالي 0,10م على الغالب(الصورة رقم:75)، كما نجد دعامات مربعة الشكل طول ضلعها 0,35م مجاورة للجدران أو بعيدة عنها، وظيفتها حمل العقود التي ترفع السقف بالاشتراك مع الأسوار، وشيدت بمادة الآجر وفق طريقة منتظمة(الصور: 76–77–78).

2–1–2– الأرضية:

تميزت الأرضيات المكتشفة في منشآت المدينة بتنوعها من حيث مادة البناء فهي بالآجر والحجارة والتراب، ويغلب عليها مادة الآجر وتنحصر في الفناء الداخلي للمباني، واستعمل في تشكلها تقنيات متنوعة، أكثرها استعمالا تقنية السنبلة مرتبة على الجهة الجانبية الطويلة من الآجرة التي يتخللها فواصل عمودية مشكلة بطريقة منتظمة على الجهة العريضة من قطع الآجر (الصورة رقم: 79).

أما في آخر اكتشاف لسنة 2023م في المنطقة الأولى فكانت الأرضية مشكلة من الآجر؛ الذي يختلف شكله بين المربع والمستطيل، فالآجر المربع كان يحيط بالبئر من كل الجهات، وقد تراوح طول ضلعه بين 0,22م و0,23م، ويليه جزء آخر من الأرضية المشكل بتقنية السنبلة بالآجر المستطيل، ويفصل بين التقنيتين أعمدة أرضية من الآجر كذلك، وقد

جاءت في مستويات متفاوتة حيث يرتفع جزء منها ببعض السنتيمترات، لهذا لم نستطع تحديدها في ظل عدم نهاية الحفرية المبرمجة (الصورة رقم:80).

2-1-3- الآبار:

لقد تم اكتشاف لحد الساعة أربعة آبار بحفرية مرسى الدجاج، ونعتقد أن العدد مازال مرشحا للزيادة، ففي المنطقة الأولى تم الكشف عن بئرين بعيدتين عن بعضهما البعض، فالأول تم العثور عليه سنة 2017 م بحيث كانت تظهر على سطح الأرضية، لم يتسن الحفر بداخلها نظرا لوجودها بالطريق التي يربط بين مخيم الزيتونة والسكنات الفوضوية التي تقع في الجهة الجنوبية للموقع، ويبلغ قطرها 0,50م، ومن المعتقد أن الجزء الذي كان يبرز عن الأرضية خرب أثناء شق الطريق سنة 2006م، والدليل على ذلك التخريب الذي أصاب الأرضية المجاورة له(الصورة رقم:81).

أما البئر الثانية فهي تدخل في آخر الاكتشافات لسنة 2023م، وتعد من أهم المميزات المعمارية لمدينة مرسى الدجاج، فهي تتميز عن الآبار الثلاثة الأخرى من خلال شكلها المربع والذي ينتهي بحنايا ركنية ثم ينتقل عن طريقهما للشكل الدائري في الجزء العلوي، حيث يبلغ قطرها 0,50م، غير أن العمق المتوصل إليه لحد الساعة بلغ 4,10 م، ومن المفروض أن عمقها قد لا يزيد عنه 5 م؛ وهذا بسبب تغير لون التربة المستخرجة من الرمل إلى التراب ثم الحجارة وتراب مبلول بالماء، ووفق هذه المعطيات فالعمق ليس ببعيد عن 4.10م،(الصورتين رقم: 82-83).

فيما يخص المنطقة الثانية تم العثور على بئرين في فناء واحد، فالبئر الأولى قريبة من الجدار الشمال الغربي، بحيث تبعد عنه بـــ0,40 م وترتفع عن سطح الأرضية من الجهة الشرقية والجنوبية بـــ0,20 م و 0,35م، أما قطرها فيبلغ 0,50 م، غير أن عمقها فلم يتم التعرف عليه في ظل التراب الذي يغمرها، بحيث تم الوصول لعمق بـــ1,60م على الأقل (الصورة رقم: 84)، أما البئر الثانية فتقع بالتقريب في وسط الفناء تميل للجهة الشرقية الجنوبية، بحيث تبعد عن الجدار الشرقي المشكل بالطابية بـــ1,30م، وعن الجدار الشمالي الشرقي بـــ3,50م، وعن الجدار الجنوبي بـــ2,30م، وترتفع عن سطح الأرضية بـــ0,35م،

ويبلغ قطره 0,50م، والعمق المتوصل إليه يزيد عن 2م (الصورة رقم: 85)، وتم تشكيل هذان البئران بالحجارة من الداخل، وفي نهاية البئر تم استخدام مادة الآجر، ويعتقد أن البئرين هما عبارة عن جب بحيث تتسع كثيرًا من الداخل ومن الأعلى تضيق، ويصعب الوصول للعمق الحقيقي للبئرين بسبب التراب، وكذلك في ظل خطورة العمل داخل البئرين.

2-1-4- السلم:

من بين البقايا المكتشفة أيضا سلم موجود بالمنطقة الثانية داخل المبنى المعماري المكتشف، بحيث يتكون من ثلاثة درجات مخربة جزئيا خاصة الدرج الثاني والثالث، ويبلغ طول كل درجة 1م، أما عرضها فلا يمكن تحديده بسبب أنها غير مكتملة، ونعتقد أن عرضها قد يصل لـــ 0,25م (الصورة رقم:86)، وتم تشكيل هذا الدرج بمادة الآجر بتقنية منتظمة تعتمد على الترابط والتقاطع، وفي ظل غياب الصورة النهائية لهذا السلم فإننا لا نستطيع تحديد وظيفته؛ غير أننا من الممكن أن نطرح بعض الفرضيات مثل أنه أستعمل من أجل الصعود لطابق علوي، هذا ما يمكن استخلاصه من المعطيات المتوفرة لدينا.

2-1-5- قنوات المياه:

لقد حرص المعماري على تجميع مياه الأمطار من خلال إنشاء وبناء بعض العناصر المعمارية التي تساعده وتسهل عليه الحياة المعيشية، فتعددت تلك المنشآت بين الآبار والمخازن والسواقي والمجاري والقنوات، وقد انتشرت كثيرًا في بلاد المغرب الإسلامي، وكانت تحفر من طرف الأفراد فيكون استغلالها وملكيتها خاصة، ووجدت في الكثير من العمائر مثل المساجد والحمامات والمنازل[1]، هذه الأخيرة انتشرت بها الآبار بكثرة والتي

[1]- خليل عمبار ونور الدين غرداوي، « منشآت السقي وأهميتها ببلاد المغرب في القرن (9هـ/15م) من خلال النوازل »، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال أفريقيا، المجلد:04، العدد:02، سبتمبر 2021م، ص.372.

توزع مياهها عن طريق السواقي والقواديس والقنوات[1]، وقد تختلف المسميات بين الباحثين حول تلك المنشآت إلا أن الوظيفة متفق عليها وهي نقل الماء.

ومن خلال الحفرية تم الكشف عن قناتين للمياه تختلفان في طريق بنائهما، فالقناة الأولى موجود بالمنطقة الثانية بوسط المبنى المعماري، بحيث تبعد عن البئر الثانية بحوالي 0,50م، ويمكن القول أنها عبارة قناة أرضية مستطيلة الشكل مكشوفة، وتم تشكيلها بمادة الآجر بتقنية منتظمة يكون فيها الأجر عموديًا مترابطًا، وتتكون من جزأين، بحيث يتراوح طول الجزء الأول من الشمال إلى الجنوب بـــ3,20م والعرض بـــ0,25م، أما الجزء الثاني من الشرق إلى الغرب فيبلغ 1,44م والعرض بـــ0,20م، لينتهي هذا الأخير بالجدار الذي يبرز من الأسفل بحوالي 0,15م، ثم تستدير هذه القناة جنوبا بمسافة 0,30م، ومنها نجد قناة داخل الجدار الشرقي للمرحاض (الصور رقم: 87–88–89)، أما عمق هذه القناة فهو ليس ثابتًا بحيث يتراوح ما بين 0,8 م و0,12م و0,22م في آخر القناة، ويلاحظ أن هذه القناة غير مستوية في مجراها بسبب التحركات الأرضية التي مست المدينة بصفة عامة والمبني بصفة خاصة، وربما أثرت فيها الزلازل ومياه الأمطار وحتى المد البحري الذي ضرب المدينة.

أما فيما يخص القناة الثانية فهي موجودة بالمنطقة الأولى، وهي تدخل ضمن آخر اكتشاف لفرقة البحث الأثري، ما يميز هذه القناة أنها جاءت مغطاة بمادة الآجر، ومن خلال الملاحظة الأولى أنها تصب بالبئر ولا يتعدى عرضها 0,10 م، أما طولها فلا يمكن تحديده بسبب أن القناة مغطاة والكشف عنها مازال لم يكتمل بعد (الصورة رقم: 90)، فهذه القناة لا تشبه الأخرى التي وجدت في المنطقة الثانية بحيث تختلف معها من ناحية المقاسات والشكل، أما الوظيفة فقد تكون متشابهة وهي تصريف مياه الأمطار نحو الخارج.

من خلال القراءة الأولية بخصوص القنوات يمكن القول أن المدينة كان بها إبداع معماري متميز تأصل حتى في قنوات المياه، سواء من خلال طريقة بنائها والمادة المستعملة، وقد يكون سبب بناء هذه القنوات هو استغلالها للسقي أو جمع مياه الأمطار، وفي نفس الوقت

[1]– علي عشي، « استغلال المياه في بلاد المغرب الأوسط " نظرة تاريخية أنثروبولوجية»، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد:32، العدد:03، ديسمبر 2021م، ص.572.

من أجل احتياطات ضرورية داخل المنازل أو القصور والمساجد، وهي تفادي تجمع المياه فناء المباني.

2-1-6- حوض الماء:

يقع هذا العنصر قريبًا من مدخل المرحاض يتخذ شكلاً غير منتظم، بحيث يبلغ طول ضلعه الشمالي بـــ0,50م وضلعه الشرقي بـــ0,78م، في حين العمق يصل إلى 0,40م (الصورة رقم:91)، ويبدو أن وظيفة هذا العنصر المعماري هو مكان يجمع فيه الماء، ليساعد الداخل لبيت الخلاء (المرحاض) في أخذ الماء منه، وهذه إحدى المميزات المعمارية بمدينة مرسى الدجاج.

2-1-7- الكنيف (دورة المياه):

نجد هذا البناء في المنطقة الثانية بالجهة الشمالية الغربية للمبنى المعماري المكتشف، وندخل له عبر مدخل عرضه 0,55م، شكله غير منتظم فأضلاعه غير متساوية، بحيث يبلغ الضلع الشمالي بـــ1,64م، والجنوبي بـــ1,44م، أما الشرقي بـــ1,35م، والغربي بـــ1,66م، أما أرضيته فقد تم تبليطها بحجارة كبيرة مسطحة ضمت لبعضها البعض(الصورتين رقم: 92-93)، ويلاحظ كذلك وجود مجرى أسفل تلك الحجارة(الصورتين رقم: 94-95)، وما يثبت أن البناء هو كنيف وجود بعض الرواسب الكلسية في ذلك المجرى وعلى الحجارة كذلك، وللعلم أن إرتفاع جدرانه لا يتعدي 1م على الأغلب، ويظهر عليها تكسية بالجبس، وهي مادة تساعد على سد التشققات والفتحات بالإضافة إلى أنها مادة داعمة للجدران، مما يلاحظ كذلك على الجدارين الشمالي والشرقي أنه تم إعادة بنائهما أو تجديدهما في تلك الفترة، ويظهر هذا من خلال طريقة تشكيل الجدار بحيث يوجد حد فاصل في السور (الصورة رقم: 96).

كما تم الكشف عن بناء ثان في المنطقة الأولى يعتقد أنه كنيف في ظل وجود بعض المؤشرات التي تدل على ذلك، منها القناة الموجودة في الجدار، بالإضافة لوجود طبقة كلسية ناتجة عن الماء وبعض السوائل غير الطبيعية، وتبقى الفرضية بأنه مرحاض مطروحة لحد إثبات العكس (الصورتين رقم:97-98).

ويستخلص مما سبق أن الكنيف هو من بين العمائر التي لا نجد لها أثرًا في عمارة بلاد المغرب الأوسط، فهذا الاكتشاف يعد بمثابة إنجاز علمي يضيف معلومات هامة في شأن عمارة المغرب الأوسط، رغم أن المكان الذي يشغله في المبنى فيه تحفظ نوعا ما، فهو قريب جدا من المدخل والقاعة، فهذا الأمر ينافي التقسيمات التي قد تشغلها بعض الأقسام داخل العمارة، على العموم ما دامت الحفرية لم تكتمل فلا نستطيع الحكم.

2-1-8- القاعة:

هي عبارة عن قاعة مستطيلة الشكل، يبلغ طولها جدارها الجنوبي 7,05م وعرضها 2,35م، ويمكن الدخول إليها عبر مدخل عرضه 1م، ونجد على جداري المدخل فراغات كان يثبت فيها إطار الدفتين، وللصعود للقاعة يكون عبر درج واحد، ولا يمكن معرفة مقاسات الجدران الشمالية للقاعة بسبب سقوطها، غير أن أرضيتها لم يتم الكشف عنها بعد وقد تكون مبلطة بمادة الآجر(الصورتين رقم: 99-100)، ومع وجود تلك المؤشرات وبعض المعلومات السابقة يمكن تصنيفها قاعة مهمة في المبنى بسبب كبر مساحتها، وتبقى وظيفته مجهولة ويمكن حصرها في النوم أو استقبال الضيوف، وتبقى الآراء مطروحة في ظل نقص المعلومات الأثرية.

2-1-9- المدخل:

يعتبر المدخل العنصر الأساسي في العمارة الإسلامية فهو الذي يحدد الإطار الداخلي والخارجي للمبنى أو المسكن، وتختلف هذه المداخل في تصميمها وحجمها[1]، ومن خلاله يمكن أن نعبر عن قيمة ذلك المسكن في المدينة، فمن خلال الحفرية وفي المنطقة الثانية تم الكشف عن جزء في الجهة الشمالية الغربية يفترض أنه المدخل الرئيسي للمبني، وتم بناء هذه

[1]- ليلى دريش، المداخل بالعمائر الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، ماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، 2012/2011م، ص.63.

الفرضية على وجود بعض المؤشرات، فأول مؤشر وجود مدخل بعرض 1,25م محدود بدعامتين، ونلج لداخله عبر درج واحد شيد بالآجر بطريقة منتظمة عمودية، ثم نصل لمساحة من تراب؛ أي أننا لم نصل للأرضية، وبعد نجدها درج آخر بني بنفس تقنية الدرج الأول، في حين تبلغ المسافة بين الدرجين 0,51م، بعدما نمر الدرج الثاني ننزل بمسافة 0,11م للأرضية التي شكلت بتقنية السنبلة وهذه المساحة عبارة عن رواق أول(الصورة رقم:101)، وبعدها نستدير يمينا وننزل بمسافة 0,11م لمساحة صغيرة يعتقد أنها رواق ثاني، يقدر طول جدارها الغربي 1,64م، أما الشمالي فيقدر بـــ 1,05م، وتم تبليط أرضيتها كذلك بالآجر بتقنية السنبلة(الصورة رقم: 102)، ومن أجل الوصول لوسط الدار نستدير يسارًا عبر مدخل يؤدي لذلك، ويكتنف هذا المدخل دعامتان على طرفيه، يبلغ عرض الباب 1م، وبعدها نصل لوسط الدار بعدما ننزل بمسافة 0,11م(الصورة رقم:103).

وفق هذه المعطيات التي تم الكشف عنها ووصفها يمكن القول بأن المدخل الرئيسي يقع في الجهة الشمالية الغربية، ومع وجود مساحتين يعتقد أنهما بهو، ووجود انكسار واضح أثناء الدخول، فيمكن الحكم على ذلك الجزء بأنه المدخل الرئيسي للمبني، إضافة لذلك أننا نعتقد أنه مسكن عام، وبسبب الخراب الذي أصاب هذه المدينة فلم نستطع تحديد ارتفاع الأسوار ولا الشكل العام للمدخل، رغم أننا وجدنا بقايا الأسوار سقطت بجنب المدخل، وربما تكون مكملة لدعامات، أو تكون جزءًا من العقود التي كانت تعلو المدخل.

2-2- خلاصة:

استخلاصا لما سبق من وصف وقياس لأهم البقايا المكتشفة بحفرية مرسى الدجاج، ووفق تلك المعطيات والنتائج الإيجابية فإن المدينة بصفة عامة كانت حاضرة عمرانية بدرجة كبيرة، فالبقايا المتمثلة في وجود مبني في المنطقة الثانية وهو عبارة عن مسكن، يضم بعض المرافق على غرار المدخل المنكسر ووسط الدار (الفناء) الذي يحتوي على بئرين وسلم درجي، وكذلك وجود قاعة كبيرة، والكنيف، وفي المنطقة الأولى تم الكشف عن بقايا مختلفة؛ بئرين وأرضية من الآجر سواء المربع أو المستطيل وحتى قناة المياه (الصورة رقم:104)، فتلك البقايا ومن خلال الملاحظة الأولى نجد أن معظمها شيد وفق اتجاه القبلة، وهذه إحدى الخصائص المميزة في عمران مرسى الدجاج.

ويظهر هذا التطور من ناحية الشكل العام، فمن خلال المبني المكتشف والذي نعتقد أنه سكن مدني يحتوي على العديد من المرافق، أهم مرفق يمكن أن نقيس عليه هو وسط الدار؛ أي من المحتمل أن نجد العديد من المساكن بها وسط الدار، والذي قد يحتوي بدوره على بئر أو بئرين، ويظهر كذلك أن هذه المساكن هي من مساحتها كبيرة في ظل أن المبني المكتشف لا يزال التنقيب به متواصلاً، أي لا يزال المطبخ والغرف لم يكشف عنهما، وهذا إذا سلمنا أنه مسكن، إن لم نكتشف عناصر جديدة به تكون مخالفة لطابع المسكن (الصورة رقم: 105).

وفيما يخص مواد البناء فهي مختلفة ومتعددة في العمارة الإسلامية، لكن في هذه المدينة تم استعمال مادة الآجر بشكل كبير، وحتى أنه استخدم في تبليط الأرضية، بحيث أن أغلب الجدران الداخلية والدعامات كانت من تلك المادة، مع العلم أنه اتخذ أشكالاً مختلفة سواء المربع أو المستطيل، واختلفت قياساته بحيث وجدنا ثلاثة أنواع مختلفة؛ منها النوع الأول بحيث يبلغ طوله 21 سم، وعرضه 11سم، وسمكه 2سم، وهناك نوع ثان يبلغ طوله 21 سم، وعرضه 7,5سم، وسمكه 3,5سم، أما النوع الثالث فيبلغ طوله 18سم، وعرضه 6 سم، وسمكه 4,5 سم، وبخصوص المادة الثانية المستعملة هي الحجارة المشذبة وغير المشذبة، وتم استعمالها في الأساسات والأركان، وكذلك في الجدران الخارجية للمبني، بالإضافة لذلك وجدنا حجارة مسطحة استعملت في تبليط أرضية الكنيف، ومن أسباب استعمال هذان المادتين هو توفرهما بكثرة بالمنطقة سواء مادة الآجر التي صنعت بالمدينة أو جلبت من مدن قريبة، أما الحجارة بأنواعها فهي منتشرة بكثرة في الوديان والجبال.

وفي نفس الصدد تم استخراج عدد كبير من مادة القرميد، فهو ذو شكل مقعر أحد طرفيه واسع، والآخر ضيق، وقد جاءت ألوانه مختلفة بين الأصفر الصافي والأحمر المائل للبني والبنفسجي الغامق، وغالبا ما يتم اقتنائه من ورشات تمتهن هذه الحرفة[1]، فالقرميد الذي تم الكشف عنه كان أغلبه متداخلاً فيما بينه، يميل في الأغلب لخارج الجدران، وهناك العكس يميل لداخل المسكن، أما من ناحية القياس فطول هذا القرميد يبلغ 36سم، وطرفه الضيق يبلغ

[1]– إسماعيل بن نعمان، «حرفة إنجاز السقف القرميدي في قرى منطقة القبائل بالجزائر»، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد:16، العدد:01، 2018م، ص.71.

نصف قطره 11 سم، وطرفه الواسع يبلغ 17سم، فالسقف القرميدي شكله معروف في ظل كون القاعات مستطيلة الشكل.

أما عن المواد الداعمة والمثبتة (الجص، الجير، الملاط)، فقد تم استخدامها في العديد من الأماكن منها الملاط الذي استعمل الرابط بيم مواد البناء كالحجارة والآجر، أو لسد الفراغات والتشققات في الجدران، أما عن مادة الجص فتم استعمالها في تكسية بعض الجدران خاصة التي شيدت بتقنية الطابية، ولا ننسى مادة الطين التي استخدمت في البناء كمادة مثبتة للحجارة في الأسوار الخارجية، وكما قلنا سابقا بأن وصول البحر إلى المدينة وفيضان الأودية خرب وأخلط كل شيء، وجعل من المعرفة الدقيقة لأنواع مواد البناء المستعملة أمرا صعبا.

تجدر الإشارة إلى أن المعماري في مدينة مرسى الدجاج قد استعمل طرقًا مختلفة في تشييد عمارتها، وقد تم إحصاء ثلاثة طرق على الأقل وهي؛ التقنية المنتظمة، التناوب، السنبلة، فكان استعمالها في بعض المرات منفردًا وأخرى متداخلة، بحيث استخدمت التقنية المنظمة في بناء أغلب الأسوار سواء المبنية بالحجر أو الآجر، أما تقنية التناوب فوجدناها في بعض الجدران فقط، أي أنها لم تستعمل كثيرًا من خلال البقايا، وفيما يخص تقنية السنبلة فكان استعمالها واسع في الأرضية، فقد شكلت لنا مظهرًا فنيًا متميزًا قد تنفرد بها مرسى الدجاج عن باقي مدن المغرب الإسلامي بصفة عامة.

ونشير في الأخير أن البحث الأثري الذي أجري على مرسى الدجاج أعطى معلومات هائلة وكثيرة بخصوص المدينة وعمرانها، رغم أن المصادر المكتوبة لم تفصل في شؤون عمارتها وعمرانها، وكانت معظم أوصافهم عامة سواء ذكرهم للسور والمسجد الجامع والميناء غير الآمن، لكن من خلال الحفرية يمكن أن نحدد شكل المنازل، والآبار وقنوات المياه، والكنيف، ومواد البناء، والمسكوكات والصناعات، وغيرها من المعلومات التي كشفتها فرقة البحث الأثري، فالأفاق المستقبلية ستكشف لنا معلومات أخرى متعلقة بالمسجد الجامع والشوارع والطرق والحمامات وغيرها، لهذا فالميدان الأثري هو مصدر المعلومة غير قابل للطعن ومصحح لأقوال المصادر المكتوبة.

ثالثا: الدراسة الأثرية لمدينة مستغانم:

1- أهم المعالم الأثرية لمدينة مستغانم:

تبعا للزيارات الميدانية التي قمنا بها للمدينة في الكثير من مرات، نؤكد على أن المعالم الأثرية التي تعود للفترة الوسيطة قليلة جدا، إذا ما تم مقارنتها مع أوصاف المصادر المكتوبة، فهذه الأخيرة ذكرت الكثير من المنشآت بهذه المنطقة، على غرار الأسوار وبرج أمحال، والأسواق والحمامات، ومسجد حسن ومنازل جميلة، هذه جل المعالم التي وردت في كتابات المصادر عند البكري[1] والإدريسي[2] وحسن الوزان[3]، لكن ما هو موجود اليوم لا يتعدى معْلَمَيْنْ؛ أما المعلم الأول فهو برج أمحال المرابطي بحيث أصبح اليوم جزءًا من سجنٍ، أما المعلم الثاني فهو المسجد الجامع المريني، هذا ما بقي من معالم ترجع للفترة الوسيطة، وحتى أنا هذه الباقية تم التغيير فيها جذريا خاصة الجامع، ونلفت انتباه القارئ إلى أن المعالم الموجودة بكثرة بمستغانم هي العثمانية على غرار دار القايد ودار القاضي وحميد العبد وضريحي الباي مصطفي ولحمر بوشلاغم وبرج الترك وغيرها، وهناك عمائر ترجع للطراز المورسكي، ومن المؤكد أن هذه الأخيرة قد شيدت على أنقاض عمارة الفترة الوسيطة، أما العمائر التي ترجع للفترة الوسيطة هي:

1-1- المسجد الجامع أبي الحسن المريني:

يقع هذا المعلم الديني في الجهة الشمالية الشرقية للمدينة بحي الطابة بشارع حمو محمد، وهو على حافة وادي عين الصفراء، يحيط به مجموعة من المساكن تعود للفترة العثمانية، منها دار القاضي من الجهة الشرقية، والمدرسة في الجهة الغربية، ومن الجنوب بعض المنازل الحديثة يفصل بينهما الطريق، أما من الجهة الشمالية فنجد وادي عين الصفراء.

يعود بناء هذا المسجد الجامع للعهد المريني أيام حكم السلطان أبي الحسن، وهذا خلال التوسعات التي قام بها في بلاد المغرب الأوسط، والتي بدأها من تلمسان سنة 738هـ/1336م ثم زحف على المدن التي تليها شمالا وشرقا على غرار وهران ومزغران،

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص ص.252-252.

[2]- الإدريسي، المصدر السابق، مج.1، ص. 271.

[3]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.32.

ومستغانم وتنس وبلاد بني مزغنة، أي جميع المدن التي كانت تابعة لبني عبد الواد وبلاد مغراوة[1] ، ويرجع تاريخ بناء هذا الجامع لسنة 742هـ/1342م، وهو يوافق تاريخ بناء مسجد العباد بتلمسان[2]، وقد حبس عليه حانوتين بالسوق الكبير[3]، وهذا ما يوحي بوجود عمران واسع بالمدينة، خاصة أن المصادر تذكر في كتبها الأسواق والحمامات والطاحونات، لكن لا يذكر المسجد الجامع إلا مع المصادر المتأخرة، ولا ندري سبب هذا التجاهل من قبلهم، هذا ما يجعلنا نطرح فرضيات حول هذا الجامع، فربما قد تم تخريبه من قبل المد الإسباني أو حتى الفترة الفرنسية، أو من الممكن تعرض لأحدى الكوارث الطبيعية تسببت في خرابه، فلم تذكره المصادر خاصة مع فترة الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد المغرب الإسلامي.

لعله من المفيد أن نؤكد على أن هذا الجامع طرأت عليه عدة ترميمات أفقدته سماته وخصائصه المعمارية التي ترجع للفترة الوسيطة أو حتى الإضافات العثمانية، وهذا ما تم ملاحظته خلال الزيارة الميدانية التي قمنا بها، حيث يظهر أن المسجد حديث البناء بسبب الترميمات العشوائية، وهو يتربع على مساحة تقدر بـــ1200م^2، وهذا يعني أن المسجد تم توسعته عدة مرات، مما تسبب في تغيير وإضافة عناصر جديدة سواء في الفترة العثمانية وبعد ترميماتها الحديثة(المخطط رقم:08)، وعليه تبقى دراستنا ناقصة وغير كاملة عن هذا المعلم الديني، بالرغم من بحثنا عن خصائصه وسماته ترجع للفترة المرينية فلم نجد سوى تلك اللوحة التأسيسية للجامع (الصورتين رقم:106–107).

1–1–1– الكتابة التأسيسية للجامع:

تعتبر هذه اللوحة التأسيسية أصلية بحيث صنعت من الرخام الأبيض، وهي مستطيلة الشكل بحيث يبلغ طولها بـــ1,30م وعرضها بـــ0,70م، وتم تنفيذ هذه الكتابة بالخط النسخي الأندلسي ذي النقش البارز، وتحيط بها زخارف نباتية متماثلة تغطي الفراغ بين الحروف،

[1]– عبد العزيز فراج، تلمسان مدينة محراب، منشورات أبيك، الجزائر، 2011م، ص.271.

[2]– يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ط.1، المطبعة الحديثة I.M.A.G. للفنون المطبعية، أفريل، 2004م، ص.187.

[3]– بوعبد الله بلجوزي، المرجع السابق، ص.42,

وهي عبارة عن وريقات وأغصان نباتية تم تجسيدها باللون الأخضر، أما النص فهو يحتوي على ثلاثة عشر سطر؛ وهي على النحو التالي: (الصورة رقم: 108)

وجاء نصها على النحو التالي:

1- الحمد لله رب العالمين والعافية للمتقين أمر بناء هذا الجامع المبارك سيدنا.

2- ومولانا السلطان الأعدل عبد الله علي أمير المسلمين المجاهد في سبيل

3- رب العالمين أبو الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل

4- رب العالمين أبي سعيد بن مولانا أمير المسلمين المجاهد

5- في سبيل رب العالمين أبي يوسف بن عبد الحق وصلى الله

6- على نبيه وبلغه في فعل الخير سعيد ومقصوده وجعل

7- ملوك الشرك خوله وعبيده وذلك في عام اثنين وأربعين

8- وسبع ماية [1]وحبس عليه خلد الله مفاخره وأبدأ أثار الكريمة ومآثره حانوتين اثنين

9- بالسوق الكبير فتح باباهما قبلة وهما الملاصقين لدار ابن أبي عزوز وفرنين اثنين أحدهما

10- قبلي هذا الجامع المبارك والأخر على يمين الخارج من باب البلد وثلاث جرار من الزيت المستفاد

11- في العشر لتصرف غلات الربيع المذكور في مراتب الإمام الخطيب وقراة الحب و المؤذنين والحصر بعد

12- الروم والاصلاح ويصرف من الزيت المذكور في الاستصباح ويتولى

النظر في ذلك وصرفه حيث

[1]- رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية...، ص.91.

13- ذكر القاضي والخطيب معا وعشرةمن أهل الخير نفعنا الله بذلك المقام العلي وضافع أجره وطال عزه.

تعتبر هذه الكتابة التأسيسية الشيء الوحيد الذي يؤرخ للتواجد المريني بالمنطقة، رغم أن المصادر لا تذكر بالتدقيق تواجدهم أو مرورهم بمستغانم، فهذا نص يحمل عدة معلومات هامة على غرار المؤسس ونسبه وسنة بناء الجامع، بالإضافة إلى أنه يضم مصطلحات دالة على وجود عمران بالمدينة، وهنا نذكر الأوقاف التي خصصت للمسجد الجامع؛ وهي حانوتين بالسوق الكبير، وحتى المصطلح الأخير يفهم منه أنه يوجد عمران واسع بالمدينة، فلولا هذه الكتابة لما علمنا بأنه يوجد جامع مريني بالمدينة، وهذا يرجع لغياب تام للعمائر في الفترة الوسيطة.

1-1-2- المئذنة:

وبخصوص العناصر المعمارية لهذا المسجد الجامع فمعظمها تم ترميمه وتغيره بحيث لم يبق أي عنصر إلا وتم تغيره، بداية من المئذنة والتي تظهر على أنها عثمانية، وهي تقع في الركن الجنوبي الشرقي للجامع، فهي مثمنة الشكل فهذا ما جعلنا ننسبها لتلك الفترة، ويبلغ ارتفاعها حوالي 23م، وهي تتكون من قسمين البدن والجوسق، ويحمل بدنها مربعات خزفية حديثة، وفي أعلى نجد شرفة المئذنة التي تحتوي على زخرفة مخرمة على شكل مثلثات صغيرة مسننة في جهاتها الثمانية، ومنه يمكن القول إنها غير أصلية بنيت بعد دخول العثمانيين للمدينة .

1-1-3- مدخل المسجد الجامع:

يحتوي هذا الجامع على أربعة مداخل؛ منها المدخل الرئيسي الذي يقع في الجهة الجنوبية للجامع، بحيث يبلغ ارتفاعه 2,40م، أما عرضه فيبلغ 1,60م، ويعلوه عقد متجاوز منكسر، وفي أعلاه نجد زخارف نباتية ويعلوها شريط كتابي يشير لاسم المسجد وسنة إنشائه، والباب هو عبارة دفتين من خشب العرعار (الصورة رقم:109)، ونجد المدخل الثاني في الجدار الشرقي قريبًا من المحراب على الجهة اليمني، والمدخل الثالث يقع على يسار المحراب في الجدار الشرقي، أما المدخل الرابع فهو يقع ببيت الصلاة يفتح إلى الخارج الذي

يؤدي للمدرسة من الجهة الجنوبية، لكن هذه المداخل مستحدثة وليست أصلية، حتى وإن جددت في الفترة العثمانية إلا أنها بعيدة كل البعد عن ذلك.

1-1-4- بيت الصلاة :

مما يلاحظ على بيت الصلاة أن ترميمه أكثر حداثة من خلال تلك المربعات الخزفية التي تكسو الجدران والأعمدة والمحراب، في حين يتخذ الشـــكل المستطيل بمساحة تـــقدر بـــ600م^2 ، بحيث يتكون من 6 أساكيب موازية لجدار القبلة، و10 بلاطات عمودية عليه، بحيث نجد 50 عمودًا ترتكز عليها عقود نصف دائرية ومتجاوزة منكسرة، أما عن الدعـــامات فيبلغ عددها 8 وهي مدمجة في الجدار، كما نجد قبة تسبق المحراب وهي مثمنة بها شمسيات من أجل إدخال الضوء، وهي كذلك تم إعادة بنائها من جديد، وعليه فكل هذه الأوصاف التي نوردها ما هي إلا أوصاف حديثة.

وفيما يخص محراب الجامع فهو مرمم كذلك، وهو خماسي الأضلاع تعلوه قبيبة صغيرة، يقدر عمقه بـــ 1,50م، وارتفاعه 2م، ويعلوه عقد متجاوز منكسر، وقد تم تكسية جدرانه بالمربعات الخزفية، أما المنبر فهو مصنوع من خشب العرعار، ويبلغ طوله 4م وعرضه 1م بالتقريب، ولا يحتوي على زخرفة ولا يرجع للفترة الوسيطة ولا العثمانية.

من الواجب أن ننبه القارئ إلى بعض النقاط المتعلقة بهذا الجامع؛ وهي أن هذا الجامع يرجع للفترة المرينية، وهذا وفق اللوحة التأسيسية الموجودة به، أما العناصر الأخرى فكلها تم ترميمها ولا شيء بقى أصليًا فيها، وهذه العملية مرت بمراحل مختلفة بداية مع العثمانيين، والذين استقروا بالمنطقة، فمن المؤكد أنهم وسعوا المسجد وأضافوا عناصر جديدة مثل المئذنة، كما يظهر على الجامع ترميمات حديثة من خلال استعمال المربعات الخزفية في تكسية معظم الجدران، أو من خلال الإسمنت المستعمل في أسواره خاصة من الخارج.

لقد حاولنا في هذه الدراسة تقديم بعض المعلومات حول هذا الجامع المريني، وهذا من خلال تحديد موقعه ونبذة تاريخية عن مؤسسه وسنة بنائه، لكن من الناحية الوصفية لا نستطيع دراسته في ظل التغييرات الجذرية للجامع، وغلبت عليه الترميمات وكأنه مسجد يرجع للفترة الحديثة، وهذا رغم وجود لوحة تأسيسية تؤرخ للإنجازات المرينية بمستغانم، وعليه يمكن أن

ننسبه للفترة العثمانية من خلال بعض العناصر المعمارية على شاكلة المئذنة المثمنة، لكن من ناحية العمرانية نؤكد أن هذا المسجد الجامع شيد على أطراف المدينة، وهذا الأمر يوحي لبعض الفرضيات والتخمينات، فمن الممكن أن عمران المدينة كان واسع جدًا لهذا تم اختيار مكان على الأطراف وعلى حافة الوادي، وقد يدخل ضمن التحصين الدفاعي الذي شيد أيام توسع الدولة المرابطية، وتبعه بني مرين في تشييد هذا المعلم الديني، ولا ندري إن كان هناك مسجد آخر أو لا، فالمصادر لم تذكر لنا هذا حسب إطلاعنا، ومهما يكن يبقى هذا المعلم الديني يحتاج لدارسة معمقة من الناحية التاريخية والأثرية.

1-2- برج أمحال:

تعد الأبراج من العناصر الأساسية في العمارة العسكرية ومن العمران بصفة عامة، حيث يحرص الحكام على تحصين مدنهم من خلال بناء هذه المنشآت التي تضمن لهم الحماية والأمن من الأخطار، وهذا ما تحدثت عنه المصادر المكتوبة بخصوص مستغانم، فأغلبها أكدت أنها محصنة ويحيط بها سور، وهذا ما ذكره البكري[1] وتبعه الإدريسي[2] والحميري[3]وغيرهم، فمن الطبيعي أن تكون المدينة محصنة في ظل موقعها الإستراتيجي بالنسبة للمغرب الإسلامي، لكن وفق ما هو موجود اليوم نجد فقط برج أمحال، أما المخلفات الأخرى فلا أثر لها سواء الأسوار أو الأبراج أو حتى الحصون، فربما خربت أيام الصراعات ما بين الدويلات أو في الفترة الإسبانية، أو من الممكن تم توسعتها وإعادة بنائها خلال العهد العثماني، وتبقى هذه الفرضيات مجرد وجهات نظر نطرحها وفق المعطيات التي تتعلق بمستغانم.

يقع هذا البرج في الجهة الغربية الجنوبية للمدينة، وهو اليوم عبارة عن جزء من مؤسسة عقابية (السجن)، لهذا من الصعب دراسته من الناحية الأثرية في ظل القوانين التي تفرضها هذه الجهة الأمنية، وعليه نحاول أن نكتفي بذكره من الجانب التاريخي، وقد تم تشييد هذا البرج أيام التوسع الذي قام به يوسف بن تاشفين (400هـ-500هـ/1009م-1106م)

[1]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص ص.252-252.

[2]- الإدريسي، المصدر السابق، مج.1، ص. 271.

[3]- الحميري، المصدر السابق، ص. 558.

على بلاد المغرب الأوسط، بحيث جعل به حامية عسكرية ثم واصل سيره إلى الشرق حتى وصل إلى جزائر بني مزغنة[1]، وعليه يمكن القول أن هذا البرج من المؤكد أنه شيد أثناء ذالك التوسع الذي قام به القائد المرابطي يوسف بن تاشفين، ونعتقد أن المدينة كانت مهمة جدا بالنسبة له حتى يؤسس هذا المعلم، كما نظن أن هذا البناء يوحي بوجود عمائر وعمران بالمدينة، وعليه فمن المستبعد أن تخلو مستغانم من وجود إنجازات معمارية وعمرانية تعود للفترات التي تسبق المرابطين أو حتى تزامنت معهم.

ومن خلال الصورة القديمة لبرج أمحال يتضح أنه أعيد بناءه أو ترميمه في الفترة الاستعمارية خاصة، حيث نلاحظ جزء يتقدم البرج وملاصق له، وحسب الصورة وطريقة بناؤه نرجح أنه فرنسي، ويظهر على البناء الذي يلي الجزء الأول أن هناك برجين مختلفين؛ فالأول يتخذ شكلاً نصف دائري به مزغل، أما البرج الثاني فيظهر على أنه مربع الشكل، ويعتقد أن هذا الأخير هو الجزء الأصلي عكس الجزء الأول الذي يبدو أنه يرجع للفترة الفرنسية (الصورة رقم: 110).

1-3- خلاصة:

خلاصة القول في هذا العنصر حول مدينة مستغانم؛ أن المدينة عرفت أحداث تاريخية فاصلة أثرت في عمارتها وعمرانها، فالمصادر المكتوبة أوردت جملة من التفاصيل المتعلقة بأهم الإنجازات الحضارية المتعلقة بالعمران؛ سواء الأسوار أو الطاحونات أو الأسواق أو الدور أو المسجد الجامع، لكن بالرجوع للبقايا الموجودة فإننا لا نجد إلا المسجد الجامع وهو مرمم عن آخره، ولا توجد به أي خاصية توحي بأنه يعود للفترة المرينية سوى تلك اللوحة التأسيسية، ونفس الأمر ينطبق على برج أمحال الذي تم إعادة بنائه في الفترة الاستعمارية ويظهر ذلك من خلال الصورة، ومن الممكن أن الشيء الوحيد الذي قد يرجعه للفترة المرابطية هو طريقة بنائه وشكله فقط.

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.62. أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.143. أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج.4، ص.29. أنظر: عبد العزيز شاكي، المرجع السابق، ص ص.113-114.

وعلى العموم فمدينة مستغانم هي إحدى المدن التي فقدت جزءًا كبيرًا من معالمها الأثرية، رغم أهمية موقعها الإستراتيجي الذي لم يشفع لها عبر تلك الفترات الزمنية، فمن خلال وجود العديد من المعالم التي تعود للفترة العثمانية يمكن أن نطرح عدة فرضيات حول تلك الإنجازات، أي ربما أنها شيدت على أنقاض المعالم التي تعود للفترة الوسيطة، وهذا بعدما خربت خلال الصراعات التي حدثت بين الدويلات أو بين القبائل، أو ربما خربت تلك المعالم بسبب ظاهرة طبيعية مثل الزلازل، وعليه لا ندرك صراحة سبب هذا النقص من الناحية الأثرية أو حتى من جانب وصف المصادر.

رابعا: الدراسة الأثرية لمدينة هنين:

1- نتائج الحفريات الأثرية:

قبل أن نستهل حديثنا ووصفنا للمخلفات الأثرية بهنين؛ سنحاول في بداية الأمر التطرق لأهم الأبحاث الأثرية بالمدينة، والتي كشفت عن جزء كبير من عمران المدينة، وقد قام بهذا العمل كفاءات جزائرية في علم الآثار بقيادة عبد الرحمن خليفة بين سنوات 1971م إلى سنة 1972م، وقد أجريت الحفرية في الجزء السفلي، بحيث تبعد عن وادي هنين بحوالي 6 م شرقا، ومن الغرب تبعد عن البلدية ببعض الأمتار، ومن الشمال تحدها مدرسة ابتدائية، ومن الجنوب السور الأثري، وتم فتح خمسة أسبار بالموقع؛ اثنان منها تقابل المدرسة الابتدائية، وثلاثة تقابل دار البلدية، وفيها تم لكشف عن بعض الأجزاء من الأسوار والأرضيات والكثير من القطع الفخارية والزجاج وغيرها، ليتواصل العمل مع نفس الباحث في سنة 1980م في نفس القطاع لكن مع التركيز على الجهة الشمالية الشرقية، وانتهت الحفرية بالكشف عن مباني سكنية بمساحة واسعة، وقد حددت بعض معالمها في غرفة وآبار ومداخل وأرضية[1].

بفضل تلك الحفرية تم الخروج بنتائج إيجابية جدا خاصة ما تعلق بالمسكن الإسلامي في الفترة الوسيطة، فالشواهد الأثرية عن ذلك قليلة جدا في ظل الخراب الذي مس العديد من

[1]- بوزياني فاطمة الزهراء، الحفائر الأثرية بمنطقة تلمسان دراسة المكتشفات والنتائج، دكتوراه علوم تخصص علم الآثار الوقائي، قسم علم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2017/2016م، ص ص.164، 168.

المدن ببلاد المغرب الأوسط، مع العلم أن ذلك التخريب يرجع لعدة أسباب سواء الحروب في الفترة الوسيطة أو الحديثة (الإستدمار الفرنسي)، أو حتى العوامل البشرية العشوائية وغير القانونية، أما الظروف الطبيعية فقد أثرت كثيرا سواء الزلازل أو الفيضانات وغيرها، لهذا فما تم الكشف عنه يعد كنزا علميا كبير جدا، مع أننا ننتظر ما ستكشفه لنا حفرية الباحثة دحماني صبرينة[1] بالمدينة، وقد تعطي لنا إضافات جديدة في شأن عمران هنين.

2- أهم المعالم الأثرية الباقية:

2-1- العمارة الدينية:

بحكم العمل الميداني الذي قمنا به في هذه المدينة، والوقوف على أهم المعالم الأثرية الباقية، فإننا لا نجد أي معلم ديني ظاهر داخل أسوارها، فالحكم هنا يقتصر على البقايا الموجودة ولا ننفي وجودها، بحيث يمكن أن نكتشفها بالأبحاث والحفريات مستقبلا، خاصة عندما نتكلم عن المسجد الجامع الذي وصفه لنا ابن مرزوق التلمساني، فهو أحد النماذج الذي يعبر عن حاضرة هنين وتطورها عمرانيا، وقد لا ترتبط هذه المنشآت المعمارية بالإطار الداخلي للمدينة فقط بل قد نجد خارجها، وهنا نتحدث عن عمارة الأضرحة؛ وهي إحدى المنشآت المعمارية المتميزة بفنها وزخرفتها في العمارة الإسلامية، وهنين هي إحدى المدن التي شيدت بها الأضرحة.

2-1-1- ضريح إبراهيم الأبلي:

يقع هذا المعلم على منحدر جبلي في الجهة الشمالية الشرقية للمدينة، بحيث يرتفع عن سطح البحر بحوالي 117م[2] (الصورة رقم: 111)، وينسب هذا الضريح لإبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني الأبلي، فقد كان جنديًا في جيش الأمير يغمراسن الزياني، كما عمل قائدًا

[1]- أستاذة علم الآثار بجامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، وقد بدأت حفريتها منذ 2022م.

[2]- أمينة دحماني، دراسة تشخيصية لأضرار الشواهد الأثرية بمدينة هنين" القلعة، برج سيدي إبراهيم، برج البحري أنمودجا"، ماستر في علم الآثار، تخصص الصيانة والترميم، جامعة أبي بلقايد، تلمسان،2021/2020م، ص.23.

لحماية مرفأ هنين شمال تلمسان، ويذكر أنه تزوج من ابنة قاضي تلمسان أبي الحسن محمد بن غلبون، وأنجب ولده محمد الذي اشتهر بلقب الآبلي[1]، فقد برع في العلم وتعددت علومه وأشتهر كثيرا في بلاد المغرب الإسلامي، توفي الآبلي بمدينة فاس في ذي القعدة عام 757هـ/1356م، ودفن ما بين المدينة البيضاء وفاس، وحضر السلطان المريني جنازته وسار في موكبها[2].

لكن يبقى السؤال المطروح هنا؛ إذا كانت هذه الشخصية دفنت ببلاد فاس وضواحيها، فما علاقة هذا المعلم به ؟ وما صحة الروايات الشفهية بقولهم أنه دفن بهنين ؟، صراحة تبقى الآراء مطروحة حتى تثبت الحقيقة حول مدفن هذا الشيخ الجليل، ومن الممكن أن يكون هذا المعلم لأحد أقاربه أو يكون شخصية أخرى مشابهة لاسمه وكنيته لا غير، فالأحداث التاريخية كثيرة جدا وقد تحمل بعض الأخطاء والهفوات في بعض الأحيان، لهذا نحتاج للأبحاث الأثرية والدلائل المادية التي تنفي أو تأكد تلك المعلومات التاريخية.

2-2- العمارة المدنية:

2-2-1- المساكن:

بحكم أن المدينة هي إحدى المدن المندثرة ببلاد المغرب الأوسط ولم يبق منها إلا بعض البقايا الأثرية؛ فإننا لا نجد معالم مدنية باقية سوى ما كشفت عنه الحفرية، والمتمثل في بعض الأجزاء من الأسوار يعتقد بأنها أساسات المنازل وأسوارها، مع وجود بعض المؤشرات التي تدل على أنها تابعة للعمارة المدنية، وقد تكلمنا سابقا أن المصادر المكتوبة كانت عبارات سطحية إلى حد بعيد في هذا الجانب خصوصا، وخير مثال نأخذه من وصف الإدريسي؛

---

[1]- جلول هادي، « الشيخ محمد بن ابراهيم الأبلي التلمساني (خلال القرن 9هـ/15م)»، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد:06، دسمبر، 2017، ص.27. أنظر: محمد مكيوي، « من أعلام المغرب أبو عبد الله محمد بن إبراهيم»، مجلة الفضاء المغاربي، المجلد:07، العدد:01، ص70.

[2]- فاطمة الزهراء مالكي، « رأي الآبلي (ت 1356م) والمقري (ت 1051هـ) في كثرة التأليف وبناء المدراس ببلاد المغرب من خلال كتاب نفح الطيب»، مجلة البحوث والدراسات، المجلد:02، العدد:07، ص.08. أنظر: قدور وهراني، « الأبعاد الفكرية والسياسية لموقف الآبلي من اتخاذ المدارس بتلمسان»، المجلة الخلدونية، المجلد:06، العدد:01، ص ص. 93-94.

والذي ذكر المدينة بالحسنة والعامرة[1]، فهذا دليل على شح المعلومات رغم كلمتي الحسنة والعامرة لها علاقة كبيرة ووطيدة بما هو مدني.

للعلم أن حسن الوزان قد أعجب بمساكنها الجميلة والزخرفة والأرضية المبلطة بالزليج والجدران التي كسيت بالفسيفساء[2]، فمن خلال ما سبق تظهر قيمة العمارة المدنية بهنين، رغم أن الدلائل الأثرية الحالية قليلة جدا مقارنة بما تم وصفه، لكن الباحث الفرنسي مارسي يذكر أنه شاهد بعينه مباني وسط البساتين مكونة من غرفتين أو ثلاث غرف طويلة[3]، رغم أن هذا الأخير لا يعطينا شكلها ولا وصفها العام، وهذا ما لا نفهمه من خلال ما أورده، على كل حال تبقى المعلومة قيمة جدا تحتاج للتنقيب مستقبلا.

لقد كشفت لنا حفرية هنين التي قام بها الباحث عبد الرحمن خليفة وفريقه، على مكتشفات قيمة جدا تتعلق بالعمارة المدنية، بحيث تم الكشف عن خمسة منازل متشابهة إلى حد بعيد من ناحية التخطيط ومواد البناء، رغم اختلاف مساحتها حيث تتراوح ما بين 70م و100م^2، وهذا ما يجعل من المسكن واسعًا ويضم مرافق مختلفة، وتختلف قياساته حسب الوظيفة التي يشغلها، بحيث نلاحظ وجود قاعة واسعة يبلغ طولها 8,50م وعرضها ما بين 2,45 م و 3م، كما نجد قاعات أخرى صغيرة مقارنة بالتي ذكرناها، وربما تكون قاعة للنوم إلى حد ما.

وفيما يتعلق بمداخل هذه القاعات فهي كذلك مختلفة بحيث يقدر عرضها ما بين 1م و1,20م وهي في الغالب منكسرة بما هو سائد في المدينة الإسلامية، وتم تشكيل تلك المداخل بمادة الآجر والخارجية مشكلة بمادة الحجر، وبما أن هذه المكتشفات لا يتعدى علوها 1,20م فمن الصعب تحديد ارتفاع الأبواب، وتحتوي كل تلك المساكن على وسط الدار والذي يختلف من مسكن إلى آخر، بحيث نجد البعض منها مربعًا والبعض الآخر مستطيلاً، كما يحتوي على بئر كانت تستعمل لتخزين المياه، كما تضم تلك المساكن سلالم صاعدة ربما تؤدي للطابق العلوي، ومن بين المكتشفات كذلك حسب الباحث عبد الرحمن خليفة وجود غرفة صغيرة

[1]– الإدريسي، نزهة المشتاق....، ص.534.

[2]– حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.15.

[3] - Marçais (G), «Recherches d'archéologie musulmane Honain.... », P.346.

ويعتقد أنها كنيف، وبخصوص أرضيتها فهي مبلطة بمادة الأجر في الغالب، كما أن الردم الحالي على تلك الأسبار لم يسمح لنا بمعاينة جميع هذه المكتشفات[1].

رغم الإيجابيات التي قدمتها لنا هذه الحفرية خاصة شكل المساكن والقاعة ووسط الدار وحتى المداخل، بالإضافة لمواد البناء المستعملة والمختلفة بين مادتي الآجر والحجر والطوب وغيرها، أو حتى اختلاف تقنيات البناء بين الطابية والتناوب والسنبلة في تشكيل الأسوار، إلا أن وجود بعض الممرات الباقية لم تسمح لنا بوضع قراءة عامة لشكل تلك المساكن بصورة عامة، وحتى الردم والحشائش وبعض النفايات المرمية في القطاع الأثري(الصورتين رقم:112–113)، على العموم لقد قدمت لنا الحفرية الأثرية والمقالات العلمية للباحث خليفة عبد الرحمن معلومات كثيرة حول ما يتعلق بالمسكن بصفة خاصة والمدينة بصفة عامة، فقد قدم لنا مخططات عن تلك المساكن المتوصل إليها في ذلك الوقت (المخططين رقم: 11–12)، ومع ذلك مازالت الصورة غير واضحة بشأن المسكن بهنين في ظل القيمة الحضارية والعمرانية للمدينة.

2–2–2– خزان الماء:

مما تم ملاحظته وجود خزان للماء بالقلعة قرب الجدار الجنوبي الغربي، لكن للأسف لم نستطيع أخذ قياساته بسبب خطورته، ومن الممكن أنه عميق جدا، وقد كانت تستعمل مياهه في حال الحصار والحروب، حتى أن مارسي قد رأى بئرًا كان يستخدمها السكان المحليون بها خزان مقبب[2] ، ومن الممكن أنه يقصد هذا الخزان الموجود بالقلعة، وقد أكد حسن الوزان[3] أن منازل هنين كانت تحتوي على بئر من الماء العذب، وموقع المدينة يؤكد وجود العديد من الآبار، حتى أن الاكتشافات الأثرية التي كشف عنها الباحث عبد الرحمن خليفة تؤكد ذلك، رغم أننا لم نستطع مشاهدة تلك الآبار بسبب تغطية تلك المخلفات، لكن المخططات تشير لذلك بشكل واضح (الصورة رقم: 114).

2–3– العمارة العسكرية:

[1] - Abderrahmane Khalifa, Op.Cit, Pp.310, 322.
[2] - Marçais (G), «Recherches d'archéologie musulmane Honain…», P.346.
[3] – حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.15.

إن المُلاَحِظ على عمارة هنين يرى أن جلها يدخل ضمن المنشآت الدفاعية العسكرية، وهذا نظرا للمعالم الباقية والبارزة على السطح، سواء الأسوار المتقنة والأبراج المربعة والمداخل الضخمة، وفي ظل ذلك الموضع الذي شيدت عليه المدينة فرضت وجودها بكثرة وبتلك المتانة والضخامة، فلا غرابة أن تحافظ على وجودها إلى حد الساعة رغم الكوارث الطبيعية والتصرفات العشوائية التخريبية لبعض الأفراد، ورغم ذلك لا تزال تلك المعالم تحافظ على بعض السمات والخصائص العمرانية والمعمارية، وعليه سنحاول التطرق لها في الفقرات القادمة.

2-3-1- حصن هنين(القلعة):

لقد أسلفنا سابقا ذكر هذا الحصن من خلال ما جاء به البكري[1]، وبحكم الدراسة الميدانية التي قمنا بها نجد أن هذه القلعة تقع في الجهة الجنوبية الغربية للمدينة على هضبة ترتفع بحوالي 30م عن مستوى سطح البحر، وتتربع على مساحة تقدر بـــ4500م^2 بحيث اتخذت شكل غير المنتظم، وما يلفت الانتباه أنه لم يبق منها سوى الأسوار الخارجية وبعض الأجزاء في الوسط، بالإضافة للأبراج التي تتوزع على أركان القلعة (الصورة رقم:115).

2-3-2- الأسوار:

وفيما يخص أسوار هذه القلعة فقد شيدت بتقنية الطابية في أغلب جدرانها، لكن نجد أن بعض أساستها مشيدة بمادة الحجارة والآجر، وتختلف مقاسات الجدران من جهة إلى أخرى، بحيث يبلغ طول الجدار الشمالي حوالي 100م، في حين يبلغ الجدار الشرقي والجنوبي بالتقريب 80 م، وفيما يخص الجدار الغربي فيبلغ طوله 65م^2، هذه القياسات ليست ثابتة في ظل أن هناك جدران اندثرت وخربت بفعل الإنسان والعوامل الطبيعية كذلك، أما الأسوار الخارجية للمدينة فيبلغ محيطها بـــ 1200م، بحيث مازالت الجدران الشرقية قائمة لحد الساعة، بعكس الجدران الأخرى فلم يبق منها إلا بعض الأساسات هنا وهناك، ونظرا للتقنية

[1]- البكري، المصدر السابق، ج.2، ص.263.

[2]- بن عامر بكارة ومحمد بن حمو، « مراكز الحراسة بساحل مدينة تلمسان دراسة أثرية لبعض النماذج»، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، المجلد:18، العدد:01، أوت 2022م، ص.650.

الطابية المستعلمة في هذه العمارة فإن أغلب سمك الجدران سميكة بحيث يتراوح ما بين 1,70م و 2م في الغالب (الصور رقم: 115–116–117–118).

2–3–3– الأبراج:

إن من أهم السمات الدفاعية التي تنضوي ضمن الأسوار هي الأبراج، فهذه الخاصية لها عدة أدوار؛ فأول وظيفة أساسية تحملها هي المراقبة والحراسة، لكن قد نجد لها دور آخر مثل التخزين وغرف للمبيت خاصة بالجنود، وفي نفس الوقت هي أبراج داعمة للأسوار بغرض كسر ذلك الهيكل المستقيم ببناء مربع أو مستطيل محدود بقياس معين.

من خلال ما تم ملاحظته على أسوار هنين، أنها تضم أبراجًا للمراقبة بمسافات مختلفة، ففي القلعة نجد هناك أربعة على الغالب وهي واضحة للعيان، رغم أن البعض منها قد تهدم، ففي وسط السور الشرقي نجد برجًا لم يبق منه إلا بعض الأجزاء، أما في الركن الشمالي الشرقي يظهر برج أخر، وبرج آخر في السور الشمالي الغربي، وهناك برج آخر في السور الجنوبي الشرقي، هذه الأبراج هي مربعة الشكل ذات سمك يتعدى 1.70م، أما علوها الحالي فهو متباين ومختلف بحيث يتراوح ما بين 4م و 10م، في حين أن المسافة فيما بينها مختلفة بحيث تقدر بحوالي 14م وأكثر (الصورتين رقم: 119–120).

كما أن أسوار المدينة تحتوي كذلك على أبراج خاصة في الجدار الشرقي، بحيث أن أغلبها مربعة الشكل، ولها مقاسات مختلفة، ونجدها عند مداخل المدينة خاصة، ويبلغ طول ضلعها 3م، وارتفاعها يزيد عن 10م، والشيء الملفت في بعض هذه الأبراج أنها مقببة من الداخل، وتحتوي الأسوار على ثقوب وهي فراغات الخشب المستعمل في تقنية الطابية، وهذه خاصية موجودة في أغلب الأسوار، لكن يبدو أن أغلب هذا العنصر الدفاعي تم ترميمه في فترات مختلفة أو أعيد بناؤه، ورغم ذلك هناك أثر واضح بوجودها كعنصر دفاعي بالمدينة، وعلى العموم يمكن القول أن الأبراج الباقية لحد الساعة لا تتعدى عشرة أبراج(الصور رقم:121–122–123–124).

ومن أجل توفير الحماية والمراقبة للمدينة يتم تشييد أبراج مراقبة متقدمة لتعطي التحذير عند أي خطر، لهذا نجد بهنين برج سيدي إبراهيم وهو أحد المعالم الأثرية المتبقية لحد

الساعة، وهو يقع بأعلى الجبل قرب ضريح سيدي إبراهيم، وهو مربع الشكل علوه لا يتجاوز 7م، بحيث أن جزءه العلوي قد تهدم بفعل الظروف الطبيعية وكذلك البشرية، ويمكن أن نلج لهذا البرج عبر باب يقع بالواجهة الجنوبية، ونصعد إليه عبر سلم، ارتفاع هذا المدخل يصل لـــ 3,25م، وبعد العبور عبر ذلك المدخل نصل لغرفة تم تسقيفها بقبو، أما بخصوص تقنية البناء فهي الطابية وتم استعمال الحجارة في أساساتها المصقولة للتثبيت وتدعيم البرج، لكن في الحقيقة يبدو أن هذه البناء المعماري تم ترميمه في عدة مرات في ظل بعض المواد الحديثة المستعملة (الصورة رقم: 125).

وفي نفس الصدد هناك برج آخر يطلق عليه برج البحر، ويقع في الجهة الغربية للمدينة لكن لم يبق منه إلا الركام من الأتربة، ولهذا السبب لم نستطع تحديده بشكل دقيق في ظل اندثاره عن آخره، ربما خرب أيام الاستعمار الإسباني أو الفرنسي وهذا بعد الحملات التخريبية التي دمرت وطمست العديد من المعالم الأثرية، للعلم أن الباحث عبد الرحمن خليفة قد كشف عن هذا المعلم سنة 1987م، وهو مستطيل الشكل يبلغ طوله بـــ5,90م وعرضه بـــ3,20م، وتم تشييده بتقنية الطابية مع استعمال الحجارة والآجر في الأساسات، بمعني أنه يشبه الأبراج التي شيدت ضمن أسوار القلعة، حتى وإن كان بناؤه فيه بعض الغموض سواء القرن الرابع أو الخامس الهجري (العاشر أو الحادي عشر ميلادي) أو حتى الفترات المتأخرة من الفترة الزيانية[1]، إلا أننا من خلال الخصائص المعمارية والعمرانية يمكن وبحكم بناء القلعة يمكن أن ننسبها للفترة الموحدية نسبيا، وهذا في ظل تشابه مواد وتقنيات البناء المستعملة على عمائر هذه المدينة.

2-3-4- مداخل المدينة :

لا يخفى لأحد أن معظم المدن الإسلامية تتعدد مداخلها في ظل القيمة الحضارية والعمرانية للمدينة، وتسمى تلك الأبواب بعدة تسميات مختلفة؛ إما الاتجاه الذي تفتح عليه، أو بأسماء الحكام أو الشخصيات الدينية أو العسكرية، أو بأسماء القبائل أو المدن التي تقطن بها أو تفتح نحوها، أو حتى بأسماء المحيط التي تفتح عليه مثل البحر ويسمى باب البحر، أو

[1]- مصطفى سالم، المرجع السابق، ص.268.

الجبل فيسمى باب الجبل إلى غير ذلك، فهنين هي أحدى المدن الحضارية التي أنشئ بها مجموعة من المداخل وهي خمسة سنذكرها في الفقرات القادمة:

2-3-4-1- باب البحر:

يعد هذا المدخل من أهم المداخل الرئيسية والمهمة بالمدينة نظرا لموقعه الإستراتيجي، بحيث كان يدخله التجار وأهل الحرف وأهل العلم القادمين عبر البحر، لهذا تم العناية به كثيرا بحيث كان يحمل زخارف فنية ومميزة، وحسب الباحثين أن قاعدته كانت مشيدة بتقنية الطابية يعلوها بناء من الحجر(الصورة رقم:126)(الشكل رقم:05)، وقد تم تشبيهه بباب بجاية[1] (الصورة رقم: 127)، لكن لا نجد أثرًا لهذا الباب حاليا وربما تم هدمه أيام التوسعات الإسبانية على الميناء.

2-3-4-2- الباب الشمالي (باب السانية):

مازال هذا المعلم يحافظ على بعض أجزائه، رغم أنه أصبح ممرًا للسيارات بحيث ساهمت هذه الأخيرة في هشاشته، ونجد أن هذا الباب تم تدعيمه ببرجين؛ برج على اليمين مربع الشكل ويصل ارتفاعه إلى 5م على الأكثر، أما البرج الثاني فيقع على يساره على مسافة 2م، وهو مستطيل الشكل طول ضلعه 6م، ويصل ارتفاعه لحوالي 8م، وعليه فتحصين الأبواب هي إحدى مميزات العمارة العسكرية لما لها من أهمية خاصة الوظيفة التي يشغلها الباب، على العموم لا يوجد سمة فنية تميز هذا المدخل في ظل الحالة المتدهورة التي أصبح عليها (الصورة رقم:118)

2-3-4-3- الباب الشرقي (باب السنون أو تاسنون):

يقع هذا في الجهة الشرقية للمدينة، وهو فتحة في وسط الجدار الشرقي بعلو 2م، وعرض 3م على الأكثر، ويعلوه سور بسمك 1,30م، ويظهر أن المدخل غير أصلي ربما تم إعادة بنائه في فترات لاحقة، فحسب الباحث الجزائري عبد الرحمن خليفة كان به عقد من

[1]- Abderrahmane Khalifa, Op.Cit, P p.293-294.

الآجر وأوتاد من الخشب[1]، صراحة نحن نميل لرأي هذا الباحث وفق المعطيات المتوفرة لدينا، وأن المدخل بهذا الشكل والطريقة غير مقبول لحد بعيد(الصورة رقم:129).

2-3-4-4- الباب الغربي:

يعد هذا المدخل من أهم الأبواب المهمة للمدينة من خلال دوره الذي يؤديه سواء من خلال القوافل التجارية القادمة من المغرب الأقصى، وهو أحد الأبواب المؤدية للقلعة[2]، يلاحظ على الباب أنه بسيط جدا خال من أي مظهر فني، ويحيط به برجان في كلتي الجهتين على بعد 3م، لكن هذا المدخل معزول عن الأسوار بسبب البناءات الحديثة التي توسعت نحو الداخل(الصورة رقم:130).

2-3-4-5- الباب الجنوبي (باب الخرجة):

يعد هذا الباب ثانوي بحكم موضعه الذي يؤدي إليه، أي إلي جبل المنزل؛ فقد يكون من أبواب النجدة التي يلجأ إليها السكان أثناء دخول الأعداء من الأبواب الآخرى، بسب أنها مفتوحة ومعرضة للخطر رغم تحصينها، لكن المدخل الجنوبي يساعد أهل المدينة على الفرار نحو الجبل، لكن لم يعد له أثر اليوم وأصبح خرابًا ولا يعرف له مكان بالضبط.

ولا يفوتنا أن ننوه من هذا المقام بوجود العديد من العمائر التي تم تداولها بين المصادر وحتى الباحثين، لكن لا نجد لها أثرًا اليوم فربما أنها خربت أو تم ردمها بفعل فاعل، وهنا نقصد الطاحونات والحمام وحتى الأبار، ونفس الأمر ينطبق على الميناء الذي كان له دور بارز في تطور هنين من شتى الجوانب، وبالخصوص الجانب العمراني والمعماري وحتى الصناعي والحرفي؛ ونظراً للخراب الذي مس جل المعالم فلا نستطيع أن نعطي قراءة كاملة حول هذه المنشآت المندثرة.

وفيما يخص تقنيات ومواد البناء فقد تم ذكرها مع وصفنا للمعالم الباقية، وعليه نؤكد على تقنية الطابية الغالبة في البناء سواء الأسوار أو الأبواب أو الأبراج، كما وجدنا تقنية التناوب والسنبلة في البناء سواء الأرضية وأساسات الأسوار، أما المواد المستعملة فهي مختلفة

[1] - Iibd, Op.Cit, P.293.

[2] – عبد العزيز محمود لعرج، « مدينة هنين تاريخها وأثارها ...»، ص.146.

مثل الحجر والآجر واللّبِنْ والملاط وحتى الجص في تكسية الجدران وتثبيت مواد البناء، وحتى أننا نجد مثبتات داعمة وخشبية في الجدران التي تساعد على صمودها لمدة أطول، وعليه من الممكن أن نكتشف مواد وتقنيات آخرى في حال تم فتح حفريات بهذه المدينة (الصور رقم: 131-132-133)

3- خلاصة:

نستنتج مما سبق أن المدينة تشكل لنا موضوع بحث أثري مفتوح، أي تحتاج للعديد من الحفريات في ظل مكانتها الحضارية، وفق ما هو موجود من بقايا متناثرة على سطح الأرض، رغم أن المصادر لم تعط لها مكانتها اللازمة؛ قياسا لموقعها وموضعها على ساحل البحر المتوسط، لكن قد يرجح هذا التغافل للصراعات والحروب التي أفقدتها أهميتها، خاصة في عصر الموحديين والمرابطين، أو حتى ما بين بني مرين وبني زيان وبني حفص، ولا يمكن أن ننسى الحروب المتأخرة بين الأسبان وبني زيان كل هذا تسبب في خراب هنين، ومنها يروي لنا مارمول كربخال كيف خربت فيقول:"...لكن الأمبراطور أمر بتدميرها لتلافي النفقات، وذهب إليها قائد الأسطول نفسه لتحطيم الأسوار والبروج وحرق الديار وتخريبها، فلم يُعَدْ ترميمها"[1]، وما بقي منها إلا بعض المعالم الموزعة هنا وهناك وهي معرضة للتخريب سواء بسبب العامل الطبيعي أو البشري.

وفي هذا الإطار نسعى لتبيان بعض السمات والخصائص التي لم ترد لدى المصادر المكتوبة، مع أننا نجد العديد من الإشارات توحي بوجود عناصر أو هياكل معمارية أو القطع الأثرية، ولن يتحقق هذا الغرض إلا بإقامة حفريات مستقبلية للكشف عن المزيد من الخبايا الأثرية تحت ركام التراب، مع أننا متيقنين ومستشرفين بكم هائل من البقايا التي ستغير وتضيف الكثير من المعلومات، فالموقع الإستراتيجي يوحي بتلك الأهمية، والحضارات التي مرت على مدينة هنين تؤكد وجود مخلفات حضارية حتى وإن كانت الإشارات الدالة على ذلك ضئيلة، إلا أن الموقع الأثري ثري جدا ويؤكد تلك القيمة والأهمية الحضارية لها.

خامسا: خلاصة الفصل:

[1]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.296.

وفق الدراسة الميدانية التي قمنا بها على هذه المدن (تنس-مرسى الدجاج-مستغانم-هنين)، تم الخروج بجملة من النتائج التي تجمع وتفرق بين تلك النماذج، وقد تم الاستناد على ما ذكرته لنا المصادر المكتوبة، وتتمثل هذه النقاط فيما يلي :

1- موقع المدينة:

لقد تطرقنا في الدراسة الوصفية لموقع المدن في بلاد المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط بصفة خاصة، وأكدنا على أهميته وفق ما ذكرته لنا المصادر التاريخية والجغرافية، خاصة إذا ربطناهم بالمجال التجاري والاقتصادي، في ظل موقعهم على ساحل البحر المتوسط، والذي يوفر لهم العديد من الامتيازات سواء من خلال الثروات الطبيعية، إضافة لذلك وجود الميناء الذي يعتبر العنصر الحيوي في تلك المدن، الذي كان سبب في ظهورهم وتطورهم وبعدها زوالهم إلى حد ما.

2-الموضع:

لقد تم التطرق لهذه النقطة بتفصيل لكل مدينة وما تتميز به من سمات وخصائص، ومن خلال ذلك تم الخروج ببعض النقاط التي تجمع وتفرق بين تلك المدن، فأما التي تجمع بينهم هي القرب من البحر، بحيث أن المسافة بين موضع البناء وساحل البحر لا يتعدى 2 كلم على الأكثر خاصة في تنس، والنقطة الثانية تتمثل في الهضبة التي شيدت عليها المدن بمستوى ارتفاع متقارب إلى حد ما خاصة في مدن تنس وهنين ومستغانم، عكس مرسى الدجاج أين نجد أنها مبنية على هضبة مسطحة لا ترتفع كثيرًا عن مستوى سطح البحر.

3-التحصين الطبيعي:

قد تدخل هذه النقطة ضمن السابق وهذا نظرا للعلاقة الرابطة فيما بينهم، لكن من ناحية المدن يمكن أن نقسمهم على نوعين؛ مدينتين لهما تحصين متشابه إلى أبعد الحدود وهنا نتكلم عن تنس وهنين، إذ نجد سلسلة جبلية تحيط بهما من الجهات الثلاثة بتقريب نفس الارتفاع، وهما مفتوحان من الجهة الشمالية أي من جهة البحر، أما مدينتي مرسى الدجاج ومستغانم فغيب عنهما جانب التحصين الطبيعي الجبلي، وأقرب سلسلة جبلية إليهما تتجاوز 5 كلم، وهذه

إحدى العوامل السلبية في كليهما، وهذا رغم وجود تحصين الواد بمستغانم(واد عين الصفراء)، وعليه يمكن القول أن التحصين الطبيعي ساهم بقدر كبير في بقاء ودوام عمارة وعمران تنس وهنين، والعكس بالنسبة لمرسى الدجاج ومستغانم.

4-المياه العذبة:

بخصوص هذا الجانب لاحظنا أن المدن الثلاثة (تنس-مستغانم-هنين) تحظى بوجود الماء خاصة مع الواد الذي يحيط بكل مدينة، فتنس محاطة بواد علالة من الجهات الثلاثة الشرقية والجنوبية والغربية، ومستغانم يستدير بها واد عين الصفراء من الجهة الشرقية والجنوبية، وهنين يحيط بها واد هنين من الجهة الشرقية وواد رقو من الجهة الغربية، أما مرسى الدجاج فهناك واد صغير في الجهة الجنوبية الغربية للمدينة، وهو لا يرقى لواد علالة أو واد عين الصفراء أو هنين، فهذا هو وجه الاختلاف في هذه النقطة ومن المؤكد له تأثير على تطور وضعف العمران.

5-الطرق التجارية:

تعد هذه النقطة مهمة جدا في بروز وتطور عمران مدن الأقاليم، فالعلاقة التي تربط هذه النقطة مع تلك النماذج متعددة ومختلفة؛ بداية من الجانب المبادلات التجارية التي يرافقها انتقال علمي وفني وحرفي وتأثير وتأثر من المدن الأخرى سواء كانت كبرى مثل العواصم أو المدن الصغرى إلى هذه المدن الساحلية (مدن الأقاليم)، وهناك علاقات أخرى على غرار العلاقات الدينية والسياسية والقبلية وغيرها، ومع هذه الروابط تبرز وتتطور مدن الأقاليم خاصة مدينتي تنس وهنين، عكس مرسى الدجاج ومستغانم اللتان لم تحظ بعناية كبرى في ظل الموقع المفتوح ووقوعهما بين مدن كبرى مثل جزائر بني مزغنة وبجاية بالنسبة لمرسى الدجاج، وتنس ووهران بالنسبة لمستغانم، هذا أحد العوامل الذي أضعف من عمرانهما مقارنة بالمدن الأخرى.

6-التخطيط:

ما شد الانتباه في نظام التخطيط لهذه المدن أنه متشابه إلى حد ما، سواء من حيث الشكل غير منتظم في كل من تنس وهنين، وقد تم الاستشهاد بالمخطط العام لكليهما، لكن لم نستطيع تحديد مخطط كل من مرسى الدجاج بسبب عدم اكتمال الحفرية لحد الساعة، ولا نستطيع تحديده في مستغانم في ظل المباني الحديثة التي غلبت على موضع المدينة الإسلامية، هذا ما تم ملاحظته في هذا الجانب خلال الزيارة الميدانية لتلك المدن.

7- المعالم الأثرية الباقية:

ومن هذا المقام نشير إلى أن عمارة وعمران المغرب الأوسط قليلة جدا مقارنة بالمغرب الأدنى والأقصى، ولا أحد يغفل أو يتجاهل سبب هذا النقص في ظل التاريخ الحافل بالأحداث والتغيرات بالمغرب الأوسط، خاصة لما نتكلم عن ما فعله بني هلال وبني غانية وحتى التوسعات التي مارستها الدويلات المستقلة على هذا الإقليم، وبعدها تأثرت تلك العمائر بالفترة الإسبانية ثم العثمانية وبعدها الإستدمار الفرنسي، فهذا الأخير ينتسب إليه بعض الباحثين الذين كان لهم الفضل في دراسة والكشف عن بعض المعالم، إلا أنه ساهم بقدر في تخريب بعض المعالم وتهريب بعض اللقى الأثرية، خاصة لما نتلكم عن المدن الساحلية التي كانت في الواجهة الأولى للاستيطان الفرنسي، على العموم تحتاج هذه الفترة لإعادة قراءة وتحليل في عمارة وعمران المغرب الأوسط مع إعطاء صورة ولو نسبية لذلك العمران.

لقد تم الاطلاع على جل المعالم الأثرية الباقية لكل مدينة (تنس-مرسى الدجاج-مستغانم-هنين)، وقد تم إحصاء ما تبقى منها والإشارة لموضع المعالم المخربة، والتي يغلب عليها المعالم العسكرية خاصة الأسوار، وتليها الأبراج ثم مداخل المدينة في كل من هنين وتنس، ثم نلاحظ وجود العمارة الدينية بتنس والمتمثلة في مسجدي سيدي بلعباس وسيدي معيزة، وبعدها تليها العمارة المدنية وقوامها بقايا أسوار مكتشفة بحفرية هنين، أما في تنس فأغلب المنازل لا تعود للفترة الوسيطة بل ترجع للفترة العثمانية أو ما بعدها.

وفيما يخص مدينة مرسى الدجاج فلا شيء ثابت لحد الساعة رغم أن الحفرية كشفت على نتائج هامة جدًا، وهذا من خلال ذلك المبني المكتشف ومرافقه (مدخل منكسر-وسط الدار-بئرين-مرحاض-غرفة-درج) ولم يحدد وظيفته لحد الساعة بسبب أن الحفرية في

بدايتها، ونحن على يقين أن الموقع سيظهر لنا معالم هامة ومختلفة تبين لنا تطور العمران بهذه المدينة.

وبخصوص مدينة مستغانم فلم نجد سوى معلمين أثرين وهما المسجد المريني، والذي تم ترميمه جذريا ولم تبق سوى اللوحة التأسيسية التي تدل على ذلك، وهناك برج أمحال وهو اليوم سجن لنساء، لهذا لم نستطع دراسته ووصفه أثريًا إلا أن الصورة تشير لتغيير في عمارته، برغم أن موقع مدينة مستغانم هام جدًا في بلاد المغرب الأوسط ومرت عليها العديد من الدويلات.

أما عن مواد البناء التي تم استعمالها فهي بالتقريب متشابهة خاصة في مدينتي تنس وهنين ومرسى الدجاج، وهنا نتكلم عن مادة الآجر المستعملة في الأسوار وتبليط الأرضية، وهي تظهر جليا في الأسوار الدفاعية بقلعة هنين وتنس وأسوار المبني المتكشف بهنين، وتختلف قليلا في بعض السنتيمترات فقط، كما تم استعمال مادة الحجر المشذب وغير المشذبة في بناء الأسوار الخارجية خاصة وكذلك في أساساتها من أجل البناء بتقنية الطابية أو حتى الآجر، إضافة لذلك هناك مادة التراب المدكوك المستعمل بكثرة في بناء الأسوار بتقنية الطابية، وتم ملاحظة هذا في كل من تنس وهنين بكثرة ومرسى الدجاج بنسبة أقل.

أما المواد المثبتة فقد تنوعت بين الجص والملاط والطين، وتم استخدامها في تثبيت الآجر والحجر وتكسية الأسوار وحتى الأرضية، ويظهر جليا في المدن الثلاثة (تنس–مرسى الدجاج وهنين)، وهي لا تختلف عن المواد المستعملة في عمائر بلاد المغرب الإسلامي، إضافة لذلك نجد مادة الخشب التي تدعم الأسوار والأبراج خاصة في مدينة هنين، كما نجد مادة الحديد التي استعملت في تثبيت وتدعيم الأبواب الضخمة ونلاحظ هذا في باب البحر بتنس، ومن المؤكد أنها كانت موجودة في معظم أبواب هذه المدن، وعليه نرى لا اختلاف في مواد البناء في عمارة وعمران المغرب الأوسط.

إن تقنيات البناء هي أساس تطور ودوام العمارة والعمران، فهي تتعدد وتختلف مواضع استعمالها من منطقة إلى أخرى، فالملاحظ على عمائر هذه المدن المختارة أنه تم استعمالها أربع تقنيات على الغالب، بداية من تقنية الطابية وهي الأكثر استخداما في تشكيل الأسوار

والأبراج خاصة بتنس وهنين، فهذه التقنية لها ميزاتها وخصائصها ولها شهرة واسعة في عمائر المغرب الإسلامي، وهناك تقنية أخرى وهي تقنية التناوب من خلال استعمال مادة الآجر والحجر لبناء الأسوار وحتى الأبراج، أي تستخدم كثيرًا في العمارة العسكرية من أجل متانة وضخامة تلك العمائر، أما التقنية الثالثة فهي المنتظمة بحيث يلجئ المعماري لاستخدام مادة واحدة لتشيده عمارته ولاحظنا هذا كثيرًا في الأسوار المشيدة بمادة الآجر بمدينة مرسى الدجاج، وفيما يخص التقنية الرابعة فتتمثل في تقنية السنبلة ووظيفتها زخرفية إلى حد كبير، ولاحظنا هذا المبني المكتشف بحفرية مرسى الدجاج سواء في الأرضية وجزء من السور، وعليه فاستعمالها كان محدود ويقتصر فقط على مرسى الدجاج.

في ختام العرض نؤكد على أن عمران هذه المدن هو نسبي إلى حد كبير، في ظل أن جل عمارة هذه المدن مندثرة وغير كاملة، لهذه من الطبيعي أن تكون دراستنا تقف عند المعالم الباقية، كما أن البعض منها أعيد ترميمه وآخر أعيد بناؤه من جديد بمواد وتقنيات حديثة وهنا نقصد المسجد الجامع المريني بمستغانم وحتى مسجد سيدي معيزة بتنس، لهذا لا يمكن إعطاء صورة واضحة للمسجد الجامع في الفترة الوسيطة في ظل هذه التغيرات، ونفس الأمر ينطبق على المنزل فلا نجد معلم معماري قائم يعود لتلك الفترة سوى بعض البقايا في هنين ومرسى الدجاج، من الناحية الفنية والزخرفية نجد غياب كبير على تلك العمائر سوى بعض الزخرفة الهندسية على واجهة باب البحر، وقد يظهر هذا الجانب في التيجان بمسجدي سيدي بلعباس وسيدي معيزة، لكن هذا المظهر الفني يعود للفترة القديمة ولا نرى فيه جديد.

خـــــــاتـــــمة

في نهاية هذه الدراسة تجدر الإشارة إلى أنه لم يكن من السهل على الإطلاق التعامل مع هذا الموضوع في ظل محدودية الوصف الأثري من قبل المصادر المكتوبة، وكذلك في ظل أن عمران هذه المدن غير مكتمل لعدة أسباب مختلفة، سواء الخراب الذي تعرضت له في الماضي أو الحاضر، وعليه حاولنا قدر المستطاع الإلمام بتلك الحواضر العمرانية من الناحية التاريخية والأثرية، وهذا من أجل إبراز أهميتها ودورها في بلاد المغرب الأوسط، فمن خلال هذه الدراسة تم الخروج بجملة من النتائج هي على النحو التالي:

إن أول نقطة تصادف أي باحث هي المصادر التي يستقي منها معلوماته حول تلك المدن التي يريد دراستها، فمن خلال دراستنا هذه حاولنا الإطلاع على أكبر قدر ممكن منها، فهي تتعدد بتعدد زمانها ومكانها، ومضمونها وقيمتها التاريخية والأثرية، فأصحاب هذه الكتب المصدرية هم بشر يصيبون ويخطئون، يطنبون ويوجزون في كلامهم؛ وهذا ما وجدناه في أوصافهم الحضارية والمعمارية حول مدن الأقاليم، بحيث اختلفت أقوالهم من مصدر لآخر سواء من ناحية التفصيل والتدقيق وهنا نضرب مثالاً عن البكري، وهو أحد المصادر التي استفدنا منه كثيرًا في هذه الدارسة، وهناك من ينقل عنه مثل الحموي والحميري ولا نرى أي اختلاف في مضمون كلامهما، بالإضافة لوجود بعض المصادر التي تتميز بالإيجاز في أوصافها لبعض المدن عكس المدن الكبرى مثل العواصم.

في نفس السياق نشير أن بعض الرحالة والجغرافيين منهم من لم يزر بلاد المغرب الأوسط على الأغلب على غرار البكري، فكل كلامه كان يأخذه من التجار ورسائل الدواوين وغيرها، لكن قيمة وحجم تلك الأوصاف التي قدمها لنا جعلتنا نقف عنده كثيرًا؛ لأن الأمر غير معقول في ظل أنه لم يدخل بلاد المغرب الإسلامي، وهنا جعلنا نخمن في مصداقية تلك المعلومات المصدرية التي أوردها، وهذه الحقيقة إنما تثبت من خلال البقايا الأثرية التي مازالت تحافظ عليها تلك المدن، وهذا ما وجدناه من خلال نماذج الدراسة خاصة في مدينة تنس ومرسى الدجاج، إذن مصداقية المصادر التاريخية والجغرافية تؤكدها أو تنفيها المخلفات الأثرية الباقية.

إن الخدمة التي قدمتها لنا المصادر المكتوبة في شأن عمارة وعمران هذه المدن عظيمة، فلولا تلك الأوصاف لما عرفنا قيمة تلك المدن أثريًا، فهي ذكرت العديد من المعالم

الأثرية على غرار المساجد والأسوار والمساكن ومداخل المدن التي حددت مواقعها بالضبط، وهذا ما سهل علينا الوصول إليها رغم أن بعضها خرب عن آخره، وهذا ما نراه في العديد من المدن خاصة هذه النماذج المدروسة، وعليه يمكن القول أن قيمة المصادر لا تقاس بأي شيء، فهي أكدت عظمة تلك المدن الحضارية في شتى المجالات خاصة في الجانب العمراني الذي يرتبط بجميع الجوانب.

من أسباب ضعف وخراب هذه المدن هي الحروب والصراعات التي برزت في بلاد المغرب الأوسط، خاصة عندما نتحدث عن الحروب التي كانت بين الدويلات المستقلة حول الحدود وتوسعاتهم أثناء قوتهم وضعف غيرهم، أو حتى حركة القبائل المناهضة للحكم وهنا نتحدث عن بني هلال والخراب الذي ألحقوه بالعمران الإسلامي في هذه الإقليم، أو حتى بعد دخول الإسبان ثم الإستدمار الفرنسي الذي أهلك جزءًا كبيرًا من الآثار، باعتبار أن هذه المدن هي الواجهة الأولى الذي بدأ منها الصراع، وحتى الجهل بهذا الجانب ساهم بدرجة كبيرة في تدهوره وخرابه، هذه بعض الأسباب التي جعلت من عمران تلك المدن غير تام.

أما من الناحية الأثرية فيمكن أن ندرج هذه المدن في خانة المدن المندثرة في ظل عدم تمام عمرانهم، وهذا أمر طبيعي فمن الصعب أن نجد مدينة تامة وكاملة في هيكلها العمراني الذي بنيت عليه في البداية، لأن الأحداث الماضية مثل الصراعات والحروب مست الكثير من العمائر فخربتها، وحتى الظروف الحالية كالجهل أو التعمد في تخريبها ولنا أمثلة عدة في المدن الأربعة المدروسة، ولا ننسى الكوارث الطبيعية مثل الزلزال الذي ضرب عدة مرات تنس، وظاهرة المد البحر الذي خرب مرسى الدجاج، هذه بعض العوامل التي تجعلنا نصنفهما ضمن المدن المندثرة، ومنها لا نستطيع الخروج بقراءة كاملة وتامة في شأنهم.

أما على المستوى الإحصائي لأهم المعالم الباقية بهذه المدن فإنها ليست بالكثير، بل هي محصورة في بعض الأسوار والأبراج والمساجد والآبار وأرضية المساكن، بحيث نجد أن بعضها غير مكتمل والبعض الآخر تعرض لترميمات مما أفقدها أصلها، ومن أهم المعالم التي تم إحصائها بمدينة تنس نجد مسجدين سيدي معيزة وسيدي بلعباس، وبرج الغولة وبرج باب البحر، وبعض بقايا الأسوار، كما نجد المنازل بالاضافة للدروب والشوارع، أما مرسى الدجاج فتضم مجموعة من الأسوار والآبار وأرضية المباني، وقنوات المياه، ومرحاض، وفيما

يخص مستغانم نجد بها مسجد أبي الحسن المريني وبرج أمحال، أما مدينة هنين فهي تضم بقايا مساكن، وبرج سيدي إبراهيم الإبلي، والأسوار وبئر، إذن هذه أهم ما تم جمعه وإحصاؤه من بقايا تلك المدن، رغم أننا متأكدون من وجود بقايا آخرى مدفونة لم يتم الكشف عنها لحد الساعة، لهذا من الممكن وضع خريطة تقريبية مؤقتة لهذه العمائر مع توثيق المعالم المندثرة والإشارة للأماكن التي تشغلها.

ومن بين النتائج التي تم استخلاصها حول موضع المدن الأربعة هو التشابه المزدوج بينهما، بحيث نلاحظ أن مدينة تنس تشبه إلى حد كبير مدينة هنين، خاصة من ناحية التحصين الطبيعي سواء من خلال الجبال التي تحيط بهما من ثلاث جهات الشرقية والجنوبية والغربية، وكذلك الوادي الذي يستدير بهما، بالإضافة للهضبة التي بنيت عليهما المدينتان بحيث تم تشييدهما على منحدر يصعب الصعود إليهما واختراقهما، أما مدينتا مرسى الدجاج ومستغانم فهما متشابهان في نقص التحصين وضعفه إلى حد ما، بحيث تم تشيدهما على هضبة منخفضة غير محصنة طبيعيا، ويبعدان عن الجبال بحوالي 2 كلم على الأقل، هذا ما جعلهما تتعرضان للخطر القادم من البحر والبر، وساهم بقدر كبير في ضعف عمرانهما وخرابهما.

كما لا يمكن أن ننسى أن مواد وتقنيات البناء متشابهة إلى حد ما، بحيث نجد أن مادة الآجر استعملت كثيرًا في المدن الثلاثة، وهي لا تختلف إلا في المقاسات رغم أنها شكلها بالتقريب واحد بين المربعة والمستطيلة، كما نجد استخدام واسع للتراب المدكوك في كل من تنس وهنين وحتى مرسى الدجاج بدرجة أقل، أما التقنيات المستعلمة فقد تم حصرها في تقنية التناوب والسنبلة والمنتظمة والطابية، وهي تظهر جليا في كل من تنس ومرسى الدجاج وهنين، وعليه يمكن القول أن هذه بعض الأساليب والمواد التي استعملت في هذه النماذج المختارة.

إن الإختلاف الذي يبرز ما بين تلك المدن لا يتعدى بعض النقاط، وهي بالنسبة لنا أمور منطقية؛ وهذا بداية من سنة تأسيس وبناء تلك المدن، وكذلك عناية وإهتمام المصادر بهما من ناحية التأثير والتأثر، ومن ناحية الموقع والموضع فلكل منطقة خصائصها الطبيعية لهذا فالإختلاف أمر متفق عليه، بالإضافة لحجم الخراب المتفاوت والمتباين بينهما وهذا راجع لمكانتهما وموقعهما في بلاد المغرب الأوسط، وفيما يخص الاختلاف من الناحية الأثرية

فيكمن في حجم البقايا الأثرية أولا، فالكثرة ترجع لعدة أسباب على رأسها أنها لم تتعرض للتخريب بدرجة كبيرة، أضف إلى ذلك البقايا المستخرجة من الحفريات، زد على ذلك يظهر الإختلاف في شكل الأبراح والأبواب، سواء من ناحية طريقة البناء وشكلها وموقعها في المدينة، كذلك نجد أن أبواب تنس مدمجة في البرج ويكون المدخل منكسرًا عكس ما هو موجود في هنين، كذلك نجد أن قلعة هنين معزولة عن المدينة أي موجودة على الهضبة، عكس قلعة تنس الموجودة ضمن المدينة رغم أنها موجودة في أعلى قمة للهضبة، على كل حال هذه بعض أوجه الإختلاف بخصوص هذه المدن.

وفيما يخص النسيج العمراني لهذه المدن نؤكد على أن لا يوجد مدينة كاملة عمرانيا، بحيث نجد بعض المعالم الموزعة هنا وهناك خاصة في مدينة هنين ومستغانم، تبقى فقط مدينة تنس فيها بعض السمات مثل الشوارع والطرقات وبعض الأحياء، هذه الأخيرة غلبت عليها التجديدات الحديثة، أما عن النسيج العمراني لمدينة مرسى الدجاج فلا نستطيع الحكم عليها بحكم أن الحفرية لا تزال في بدايتها.

إن إعطاء صورة كاملة عن العمران الإسلامي لمدن أقاليم المغرب الأوسط لا يتم إلا إذا تم فتح حفريات بشكل دوري في جميع مواقع تلك المدن، حتى نتمكن من إستخراج والكشف عن البقايا والمعالم الأثرية المدفونة تحت التراب، ولا يكون هذا العمل البحثي إلا إذا كان للأدوات التكنولوجيا الدور الفعال في الكشف عن ذلك، ومن بين الإقتراحات كذلك هو إعادة تجسيد وبناء المباني المخربة وفق ما وجدت وبنيت عليه أول مرة، مع مراعاة مواد وتقنيات البناء المستعملة دون زيادة أو إضافة، وهذه من بين الإقتراحات التي تم تقديمها في العديد من الملتقيات الوطنية والدولية بخصوص العمران المندثر، مع العلم أنه من صعب تجسيده لكن ليس مستحيلاً في ظل الإمكانيات الحديثة.

من بين التوصيات التي نسعى لتقديمها للجهات الوصية هو إخلاء قصبة تنس نهائيا من السكان مع تعويضهم بمساكن جديدة، وإعادة ترميمها وفتحها من أجل السياحة، لأن الأفاق المستقبلية تستدعي هذا الأمر في ظل أنها من بين القصبات التي مازالت تحافظ على ميزتها الإسلامية في الجزائر، أما فيما يتعلق بمدينة هنين فلابد من وضع حد فاصل للتوسعات

العمرانية الحديثة التي إجتاحت الموقع الأثري من الجهة الشمالية والشرقية وحتى الجهة الجنوبية.

أما الإجابة عن السؤال الجوهري الذي طرح حول إستقراء العمران الإسلامي لا يتحقق إلا من خلال وضع مصنف يُجْمِلُ تلك الأوصاف في كتاب أو مجلد، مع مراعاة المصطلحات القديمة والحديثة وتحديد موقع المخلفات الأثرية الباقية، لأن الأبحاث الأثرية الحالية تستدعي تحيين وإعادة صياغة أقوال تلك المصادر التي حملت في بعضها بعض الهفوات والأخطاء، وعليه فالإستقراء والإستنباط يقف على مدى توفر المادة العلمية المصدرية وفهم معانيها ومصطلحاتها مع الحفاظ على المعالم الباقية، وإجراء حفريات للكشف عن المخلفات المدفونة تحت التراب، وعليه فالدافع الأثري يدعو لتخصيص دراسات مصدرية وفق النتائج والأبحاث الأثرية.

إن دراستنا هذه جاءت لتتم ما بدأه الكثير من الباحثين في صورة جامعةً للعمران الإسلامي لمدن أقاليم المغرب الأوسط، وبالخصوص ما يتعلق بتلك المدن المختارة (تنس– مرسى الدجاج–مستغانم–هنين)، فهي إحدى النماذج التي تتميز بوجود مخلفات أثرية مازالت شاهدة على تلك الفترة، وقد أولتها المصادر المكتوبة بأوصاف مختلفة ومتباينة من شتى الجوانب، خاصة ما يتعلق بالجانب المعماري والعمراني والذي هو من أولويتنا العلمية، وهذا لا يعني أن نهمل الجوانب الآخرى كالتجارة والاقتصاد والأدب والشعر وغيرها، بل إن الآثار تجمع كل العلوم وهذا ما رأيناه من خلال أوصاف المصادر خاصة عندما ذكروا لنا بعض السمات المعمارية في أبيات شعرية، لهذا نأمل أن يكون بحثنا جزءًا من الدراسات التي ستمهد مستقبلا لكتابة كتب أو مجلدات خاصة بالعمران الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط.

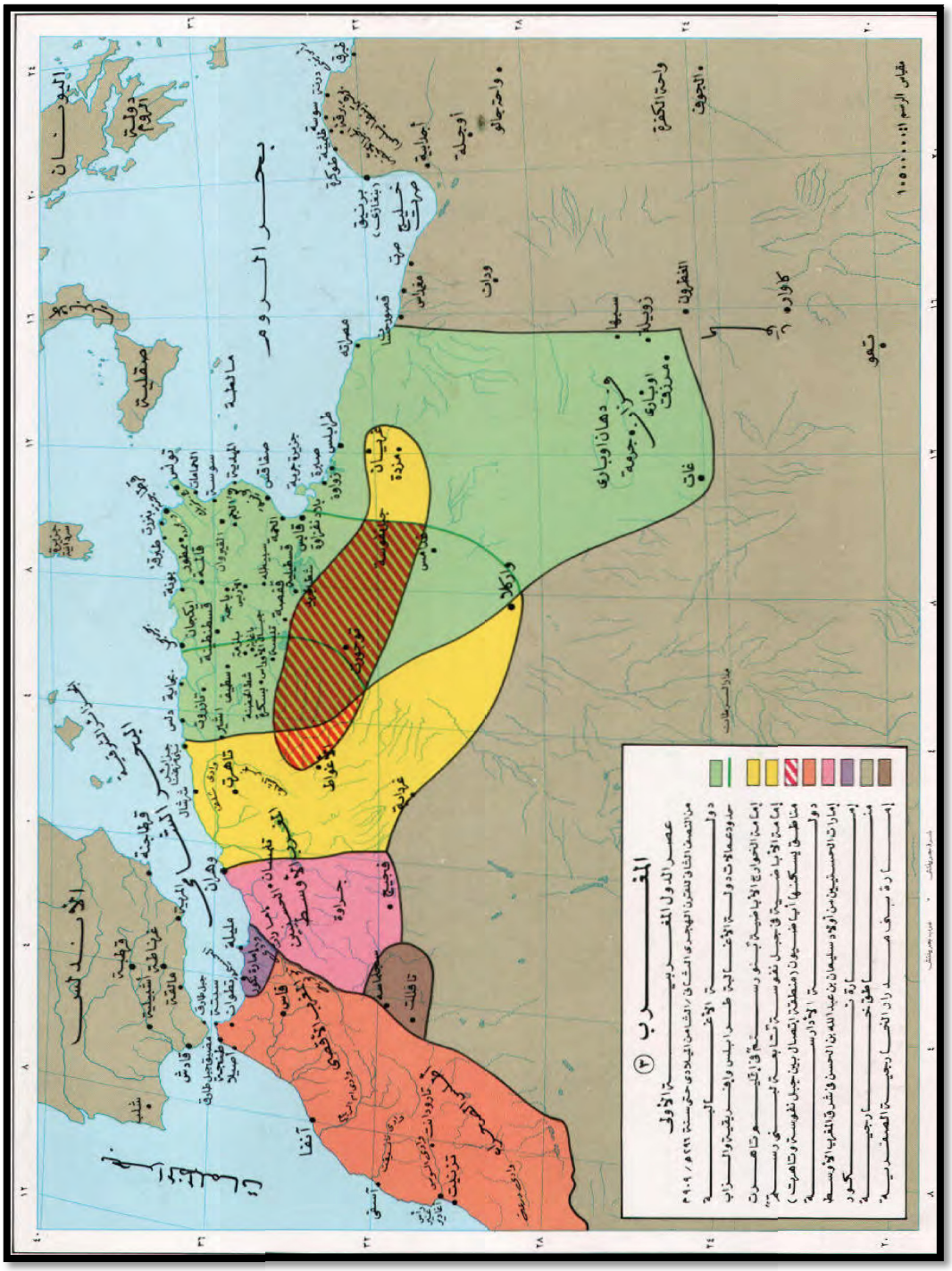
الملاحق:

1- ملحق الخرائط.

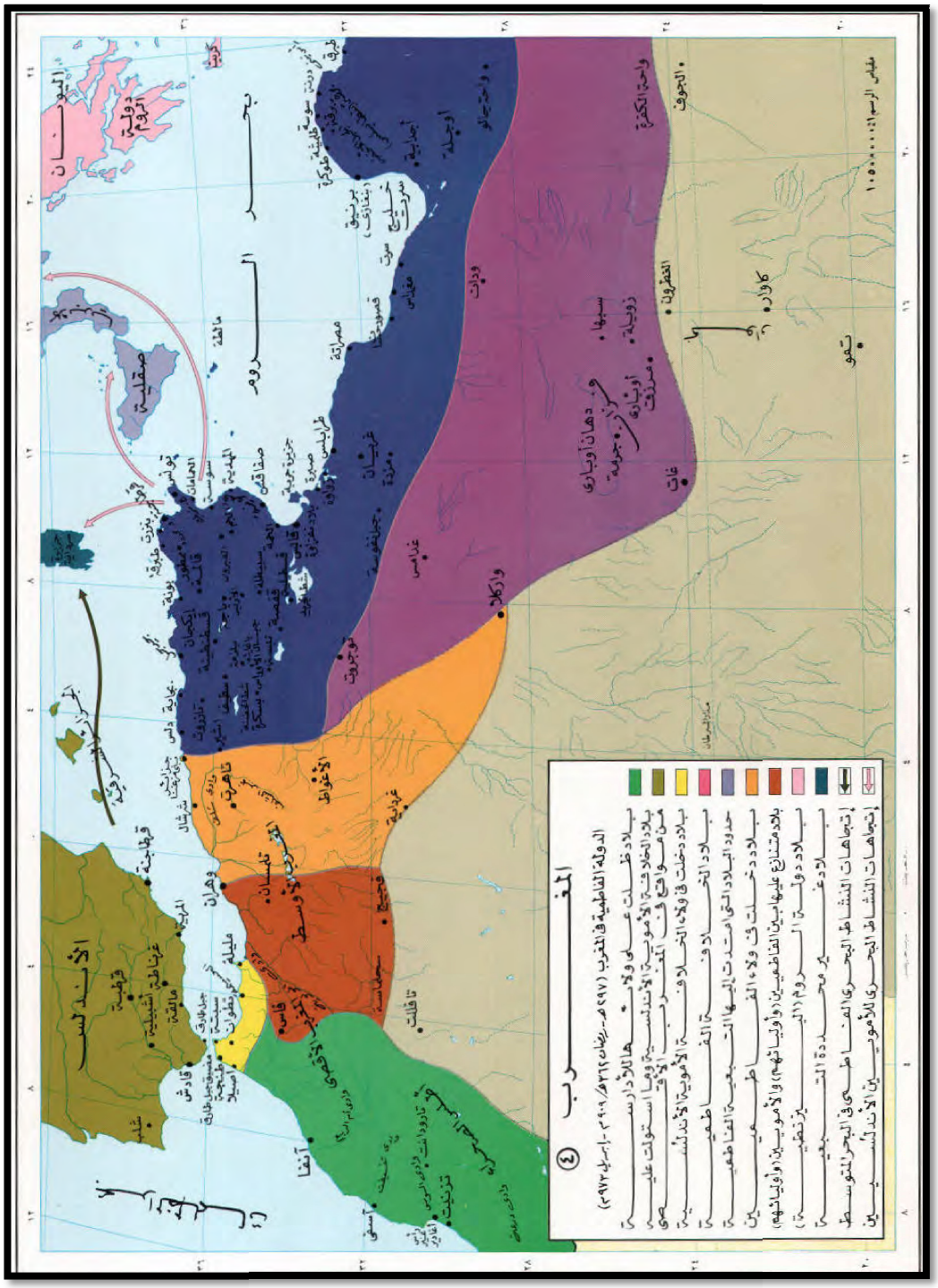
2- ملحق المخططات.

3- ملحق الأشكال.

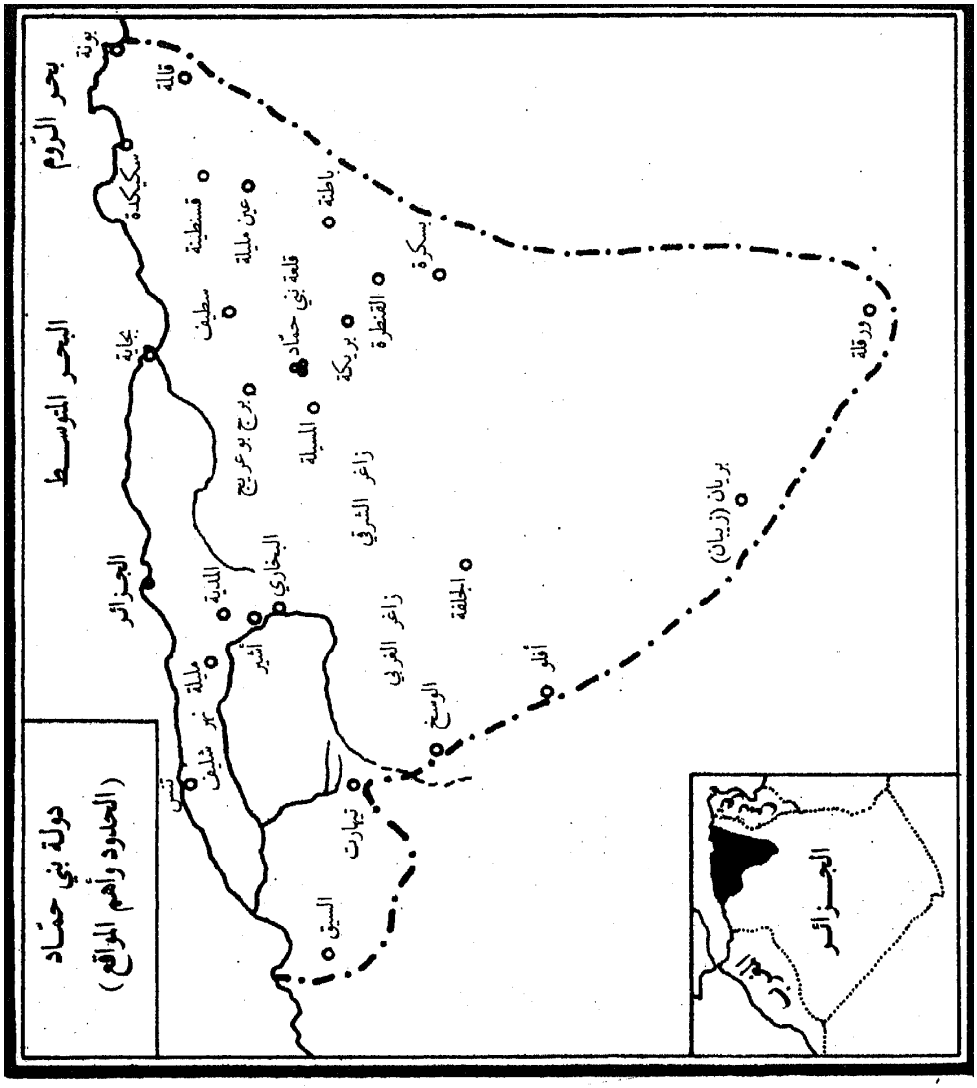
4- ملحق الصور.



الخريطة رقم 01: تمثل الدويلات الأولى في المغرب الإسلامي(الرستمية –الأغلبية– الإدريسية)(عن حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام...، ص.159)



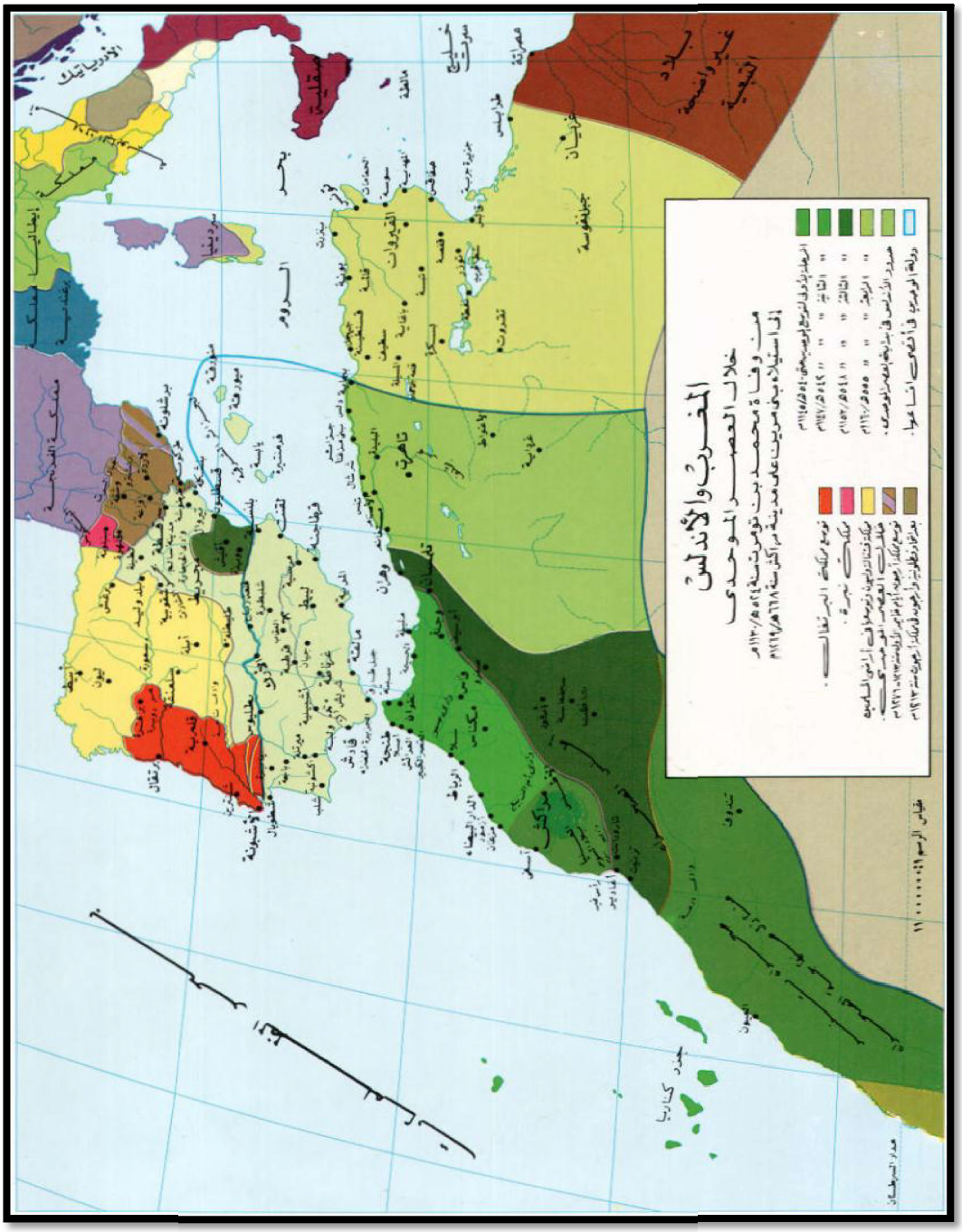
الخريطة رقم 02: خريطة توسع الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي(عن حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام...، ص.162)



الخريطة رقم 03: تمثل توسعات الدولة الحمادية(عن عبد الحليم عويس، الدولة الحمادية...،ص.97.)

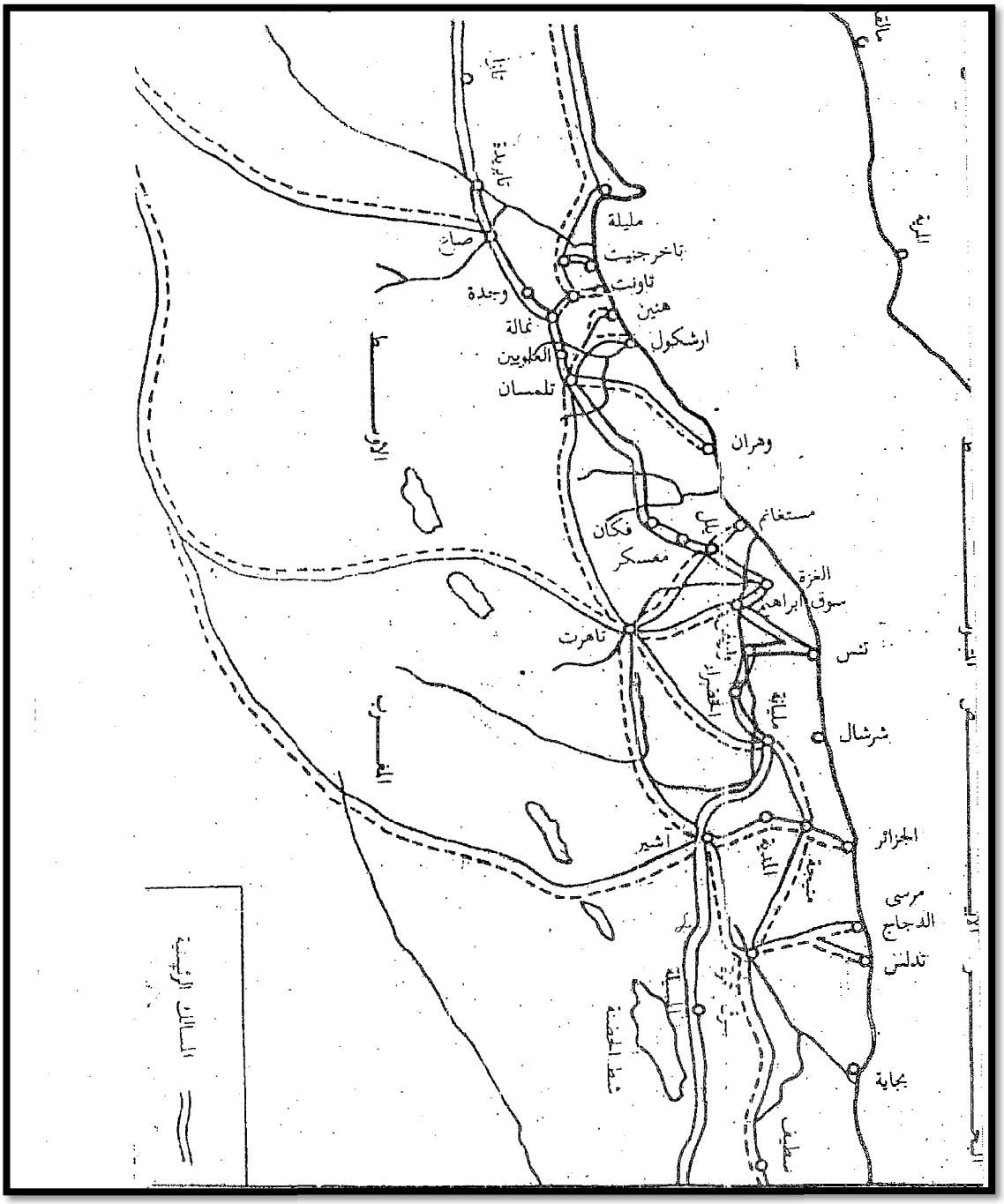


الخريطة رقم 04: خريطة تمثل توسعات الدولة المرابطية(حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام...، ص.165.)

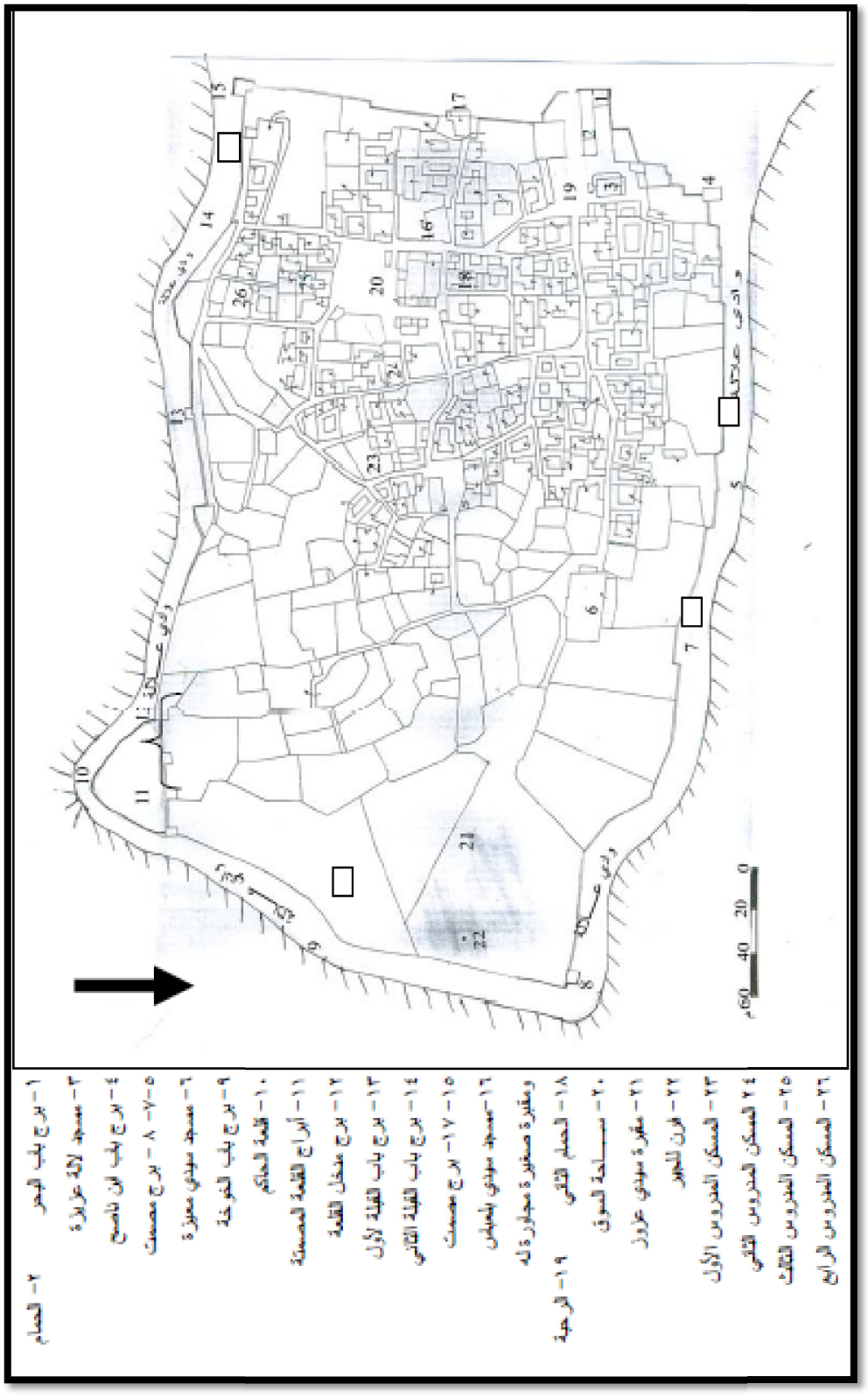

المغرب والأندلس
خلال العصر الموحدي
من وفاة محمد بن تومرت سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م
إلى استيلاء بني مرين على مدينة مراكش سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م
بحر الروم
بلاد غير داخلة في الدعوة
خليج سرت
برقة
طرابلس
جبل نفوسة
قابس
قفصة
تقدوت
تاهرت
الجزائر
بجاية
قسنطينة
سطيف
تلمسان
وهران
مستغانم
مليانة
تنس
شلف
مازونة
مدينة الجزائر
بونة
سوق أهراس
سوق الثلاثاء
سوق الأربعاء
سوق الخميس
سوق الاثنين
سوق الأحد
سوق الجمعة
سوق السبت
مدينة تلمسان
مدينة وهران
مدينة مستغانم
مدينة مليانة
مدينة تنس
مدينة شلف
مدينة مازونة
مدينة الجزائر
مدينة بجاية
مدينة قسنطينة
مدينة سطيف



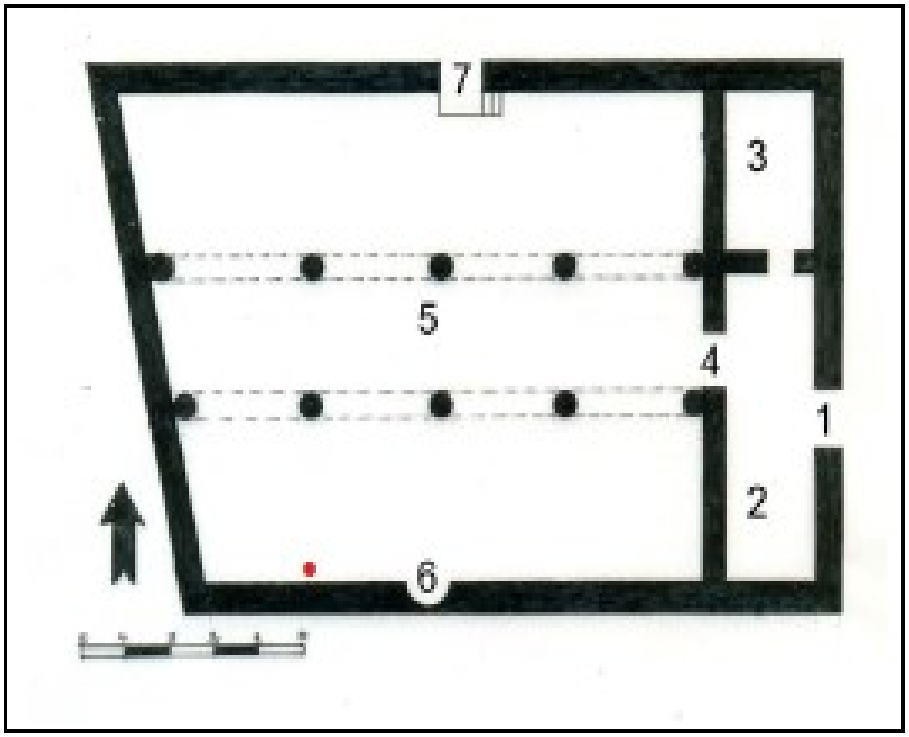
الخريطة رقم 06: تمثل توسعات الدول: الحفصية والزيانية والمرينية (حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام...، ص.167.)



الخريطة رقم 07: توضح المسالك التجارية الرابطة بين مدن المغرب الأوسط خلال القرن الخامس الهجري(11م) (عن الباحثة؛ خيرة بلعربي، المسالك والدروب وأثرها...،ص.187.)

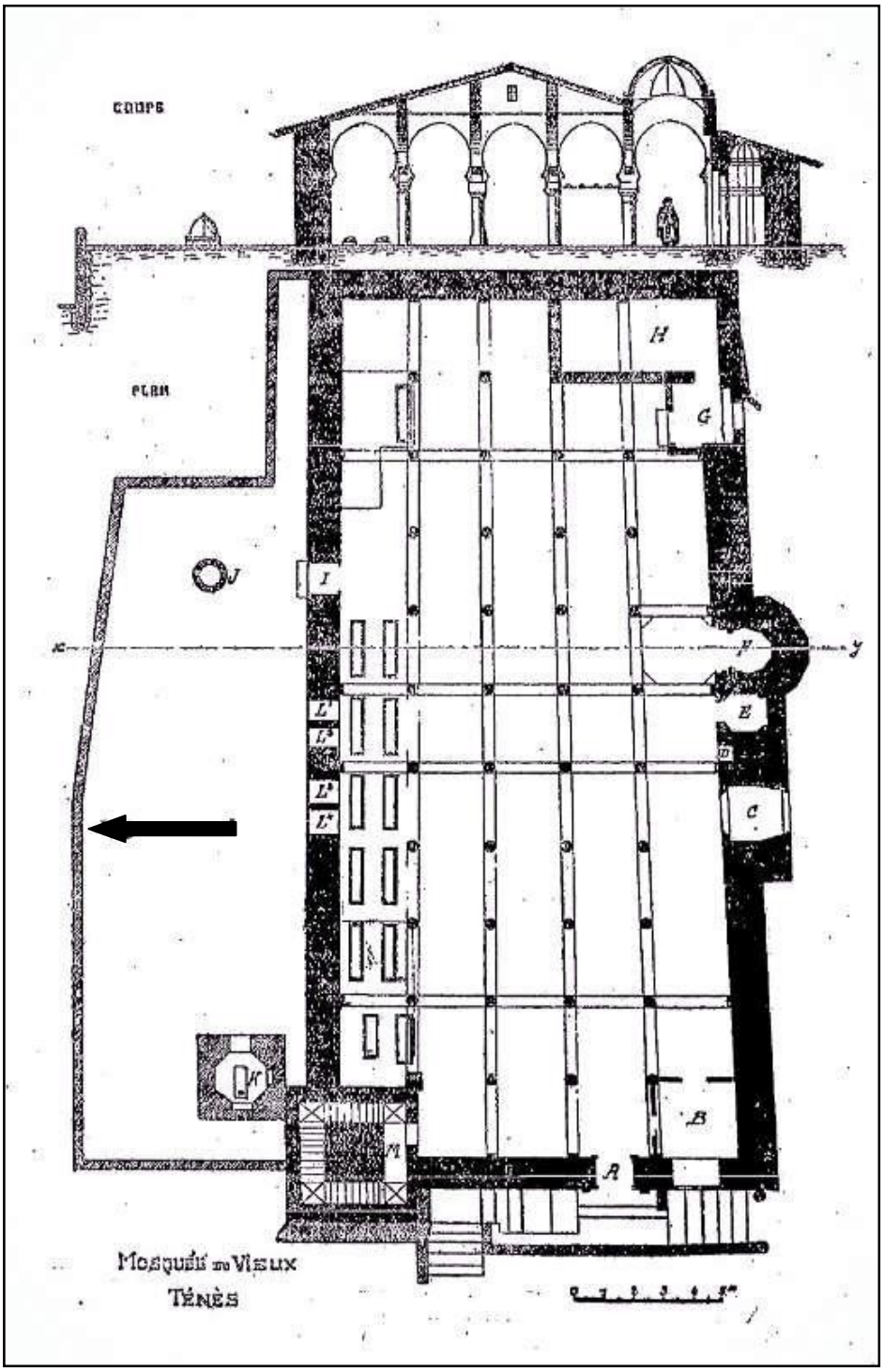


المخطط رقم 01: المخطط العام لمدينة تنس (عن إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...،ص.454)



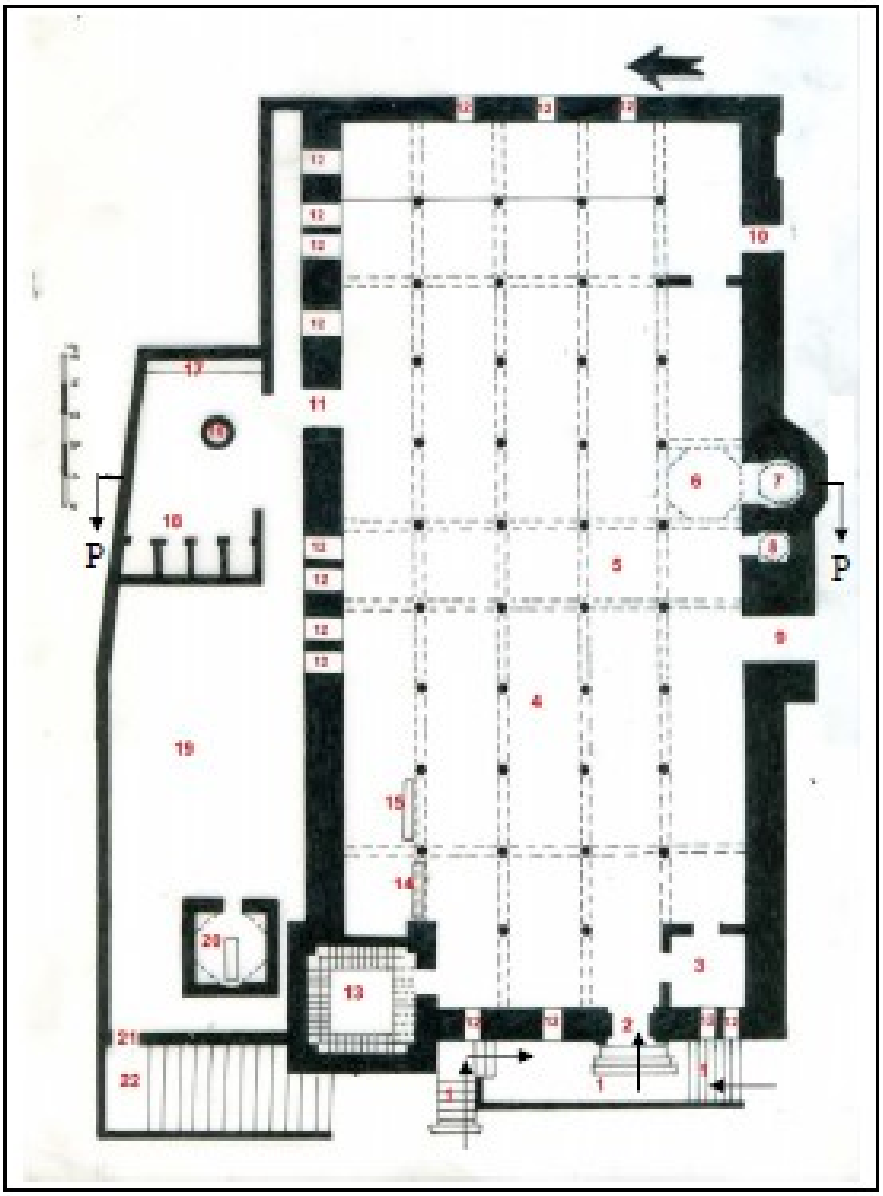
١- المدخل الرئيسي
٢- رواق
٣- مخزن (استعمل سابقًا كخزنة للمياه)
٤- مدخل قاعة الصلاة
٥- قاعة الصلاة
٦- جنبة المحراب
٧- باب استحدث بعد الإنجاز

المخطط رقم 02: المخطط العام لمسجد سيدي بلعباس(عن إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...،ص.458)



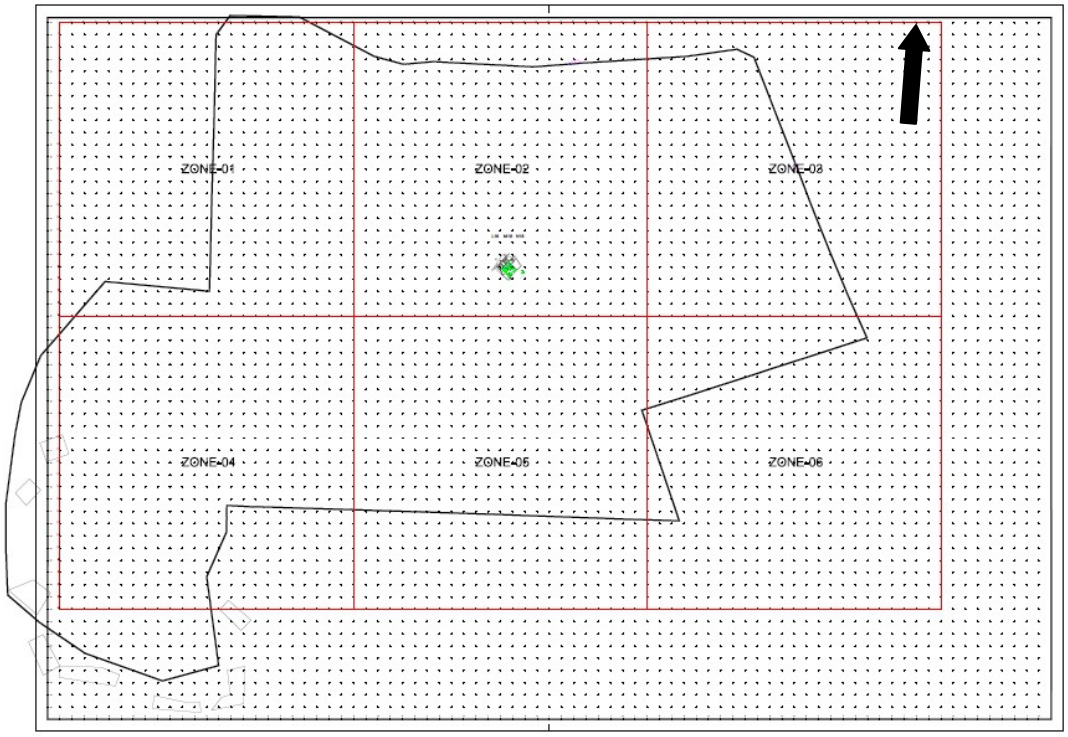
المخطط رقم 03: المخطط العام لمسجد سيدي معيزة تنس عن

(Dessus Lamare (A) et Marçais (G) , La Mosquée du vieux Ténès…p.531.)

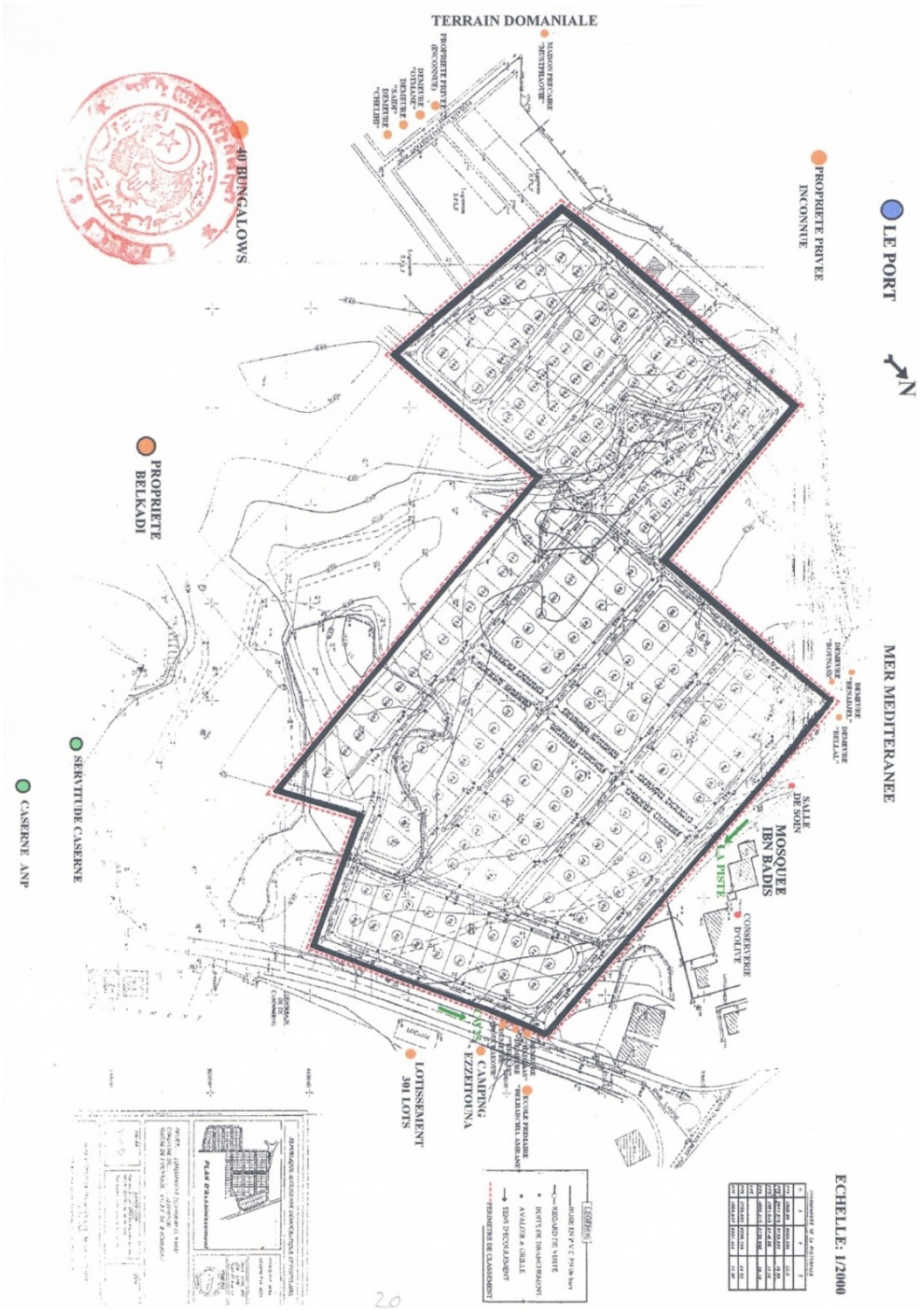


١- سلم المدخل ٢- المدخـــــــــــل ٣- قاعة لتخزين بعض أغراض المسجد
٤- قاعة الصلاة ٥- البلاطة المحددة بصفين من الأعمدة والأقواس ٦- قبة مقدم المحراب
٧- حنية المحراب ٨- الحنية المجاورة للمحراب ٩- مدخل ثانوي للمسجد
١٠- مدخل مصلى النساء ١١- الباب المؤدي إلى الفناء ١٢- نوافـــذ ١٣-المئذنـــة
١٤- قبر مجهول ١٥- قبر زوجة سيدي معيزة ١٦- بئـــــر
١٧- مكان الوضوء ١٨- دورة مياه حديثة ١٩- الساحة الجانبية (الفناء)
٢٠- ضريح مجهول الهوية ٢١- مدخل خارجي للفناء ٢٢- سلم مدخل الفناء الخارجي

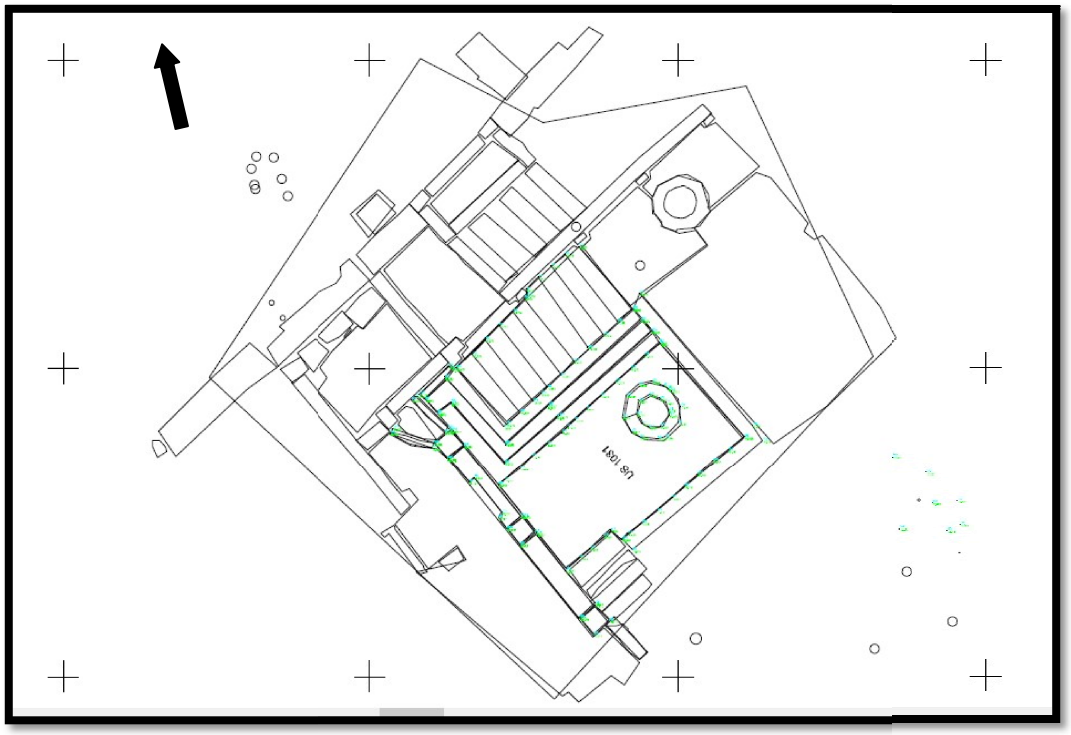
المخطط رقم 04: المخطط العام لمسجد سيدي معيزة (عن إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...،ص.457)



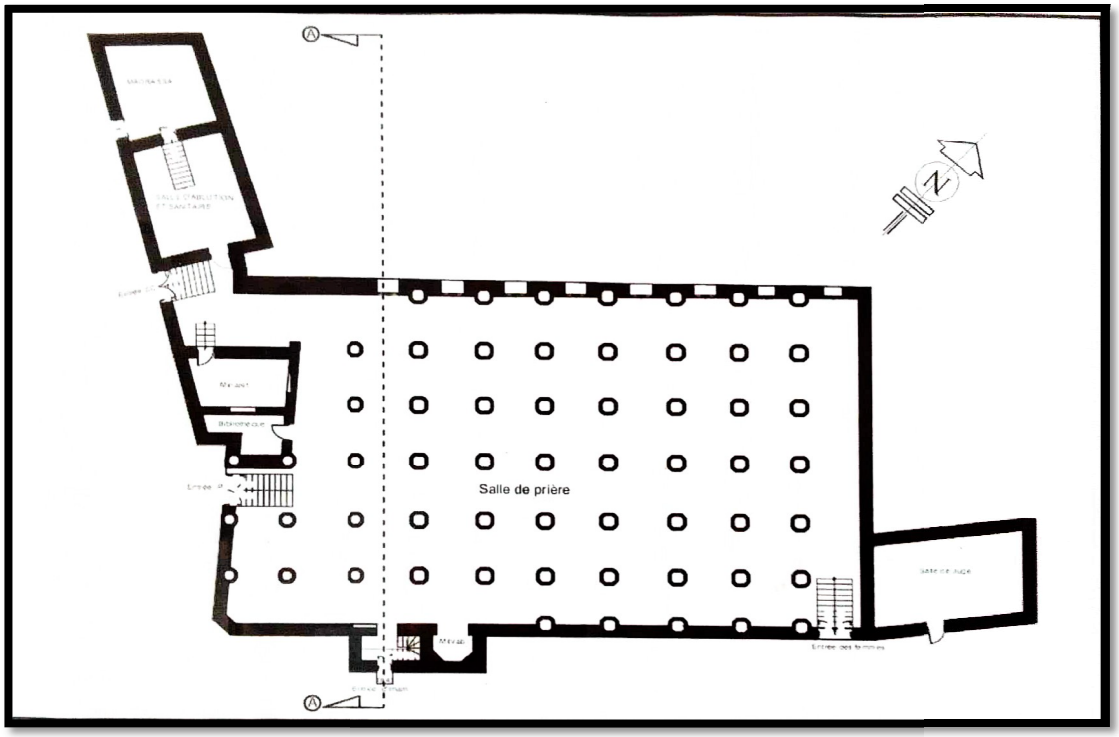
المخطط رقم 05: المخطط العام لموقع مرسى الدجاج(أرشيف الحفرية)



المخطط رقم 06: المخطط العام للموقع الأثري لمدينة مرسى الدجاج (عن وزارة الثقافة)

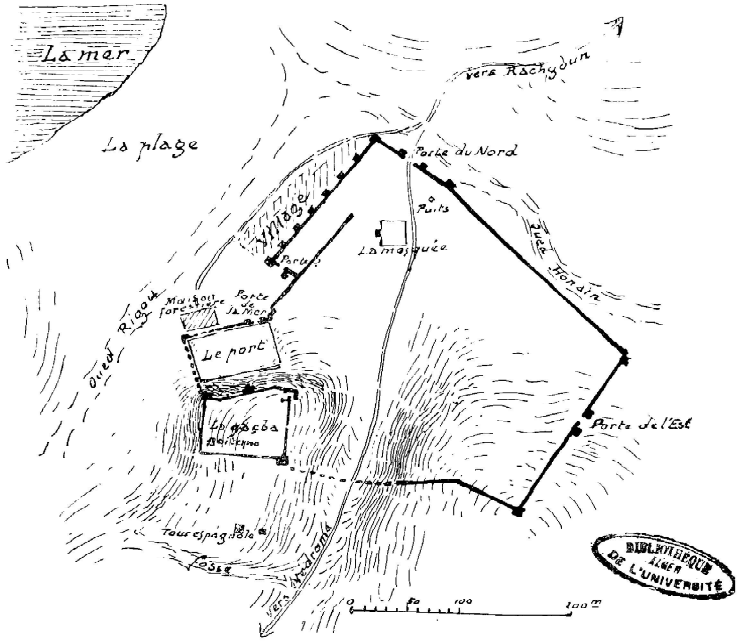


المخطط رقم 07: المبني المعماري في القطاع الثاني مرسى الدجاج (أرشيف الحفرية)



المقياس: 200/1

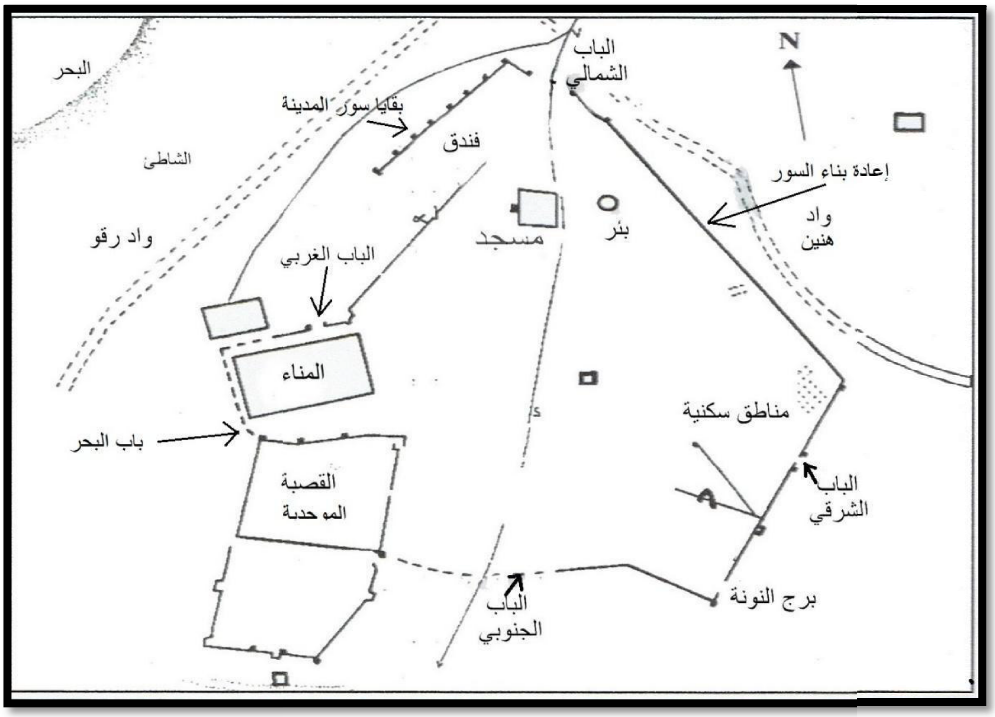
المخطط رقم 08: المخطط العام لمسجد الجامع ابي الحسن المريني بمستغانم(عن متحف برج الترك)



Pl. I. — Plan d'Honain.

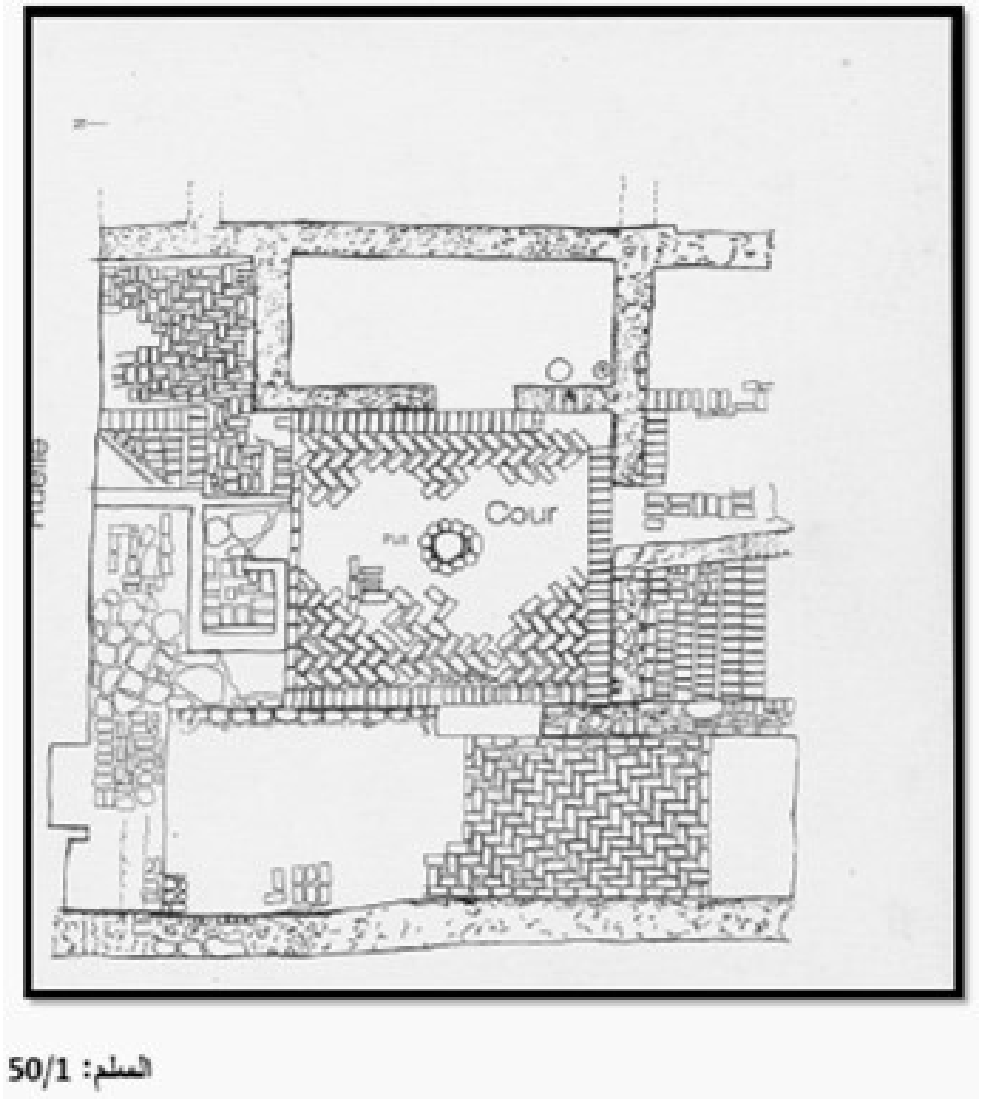
المخطط رقم 09: المخطط العام لمدينة هنين

(Marçais George, Honain Recherches d'archéologie musulmane…,P,349.)



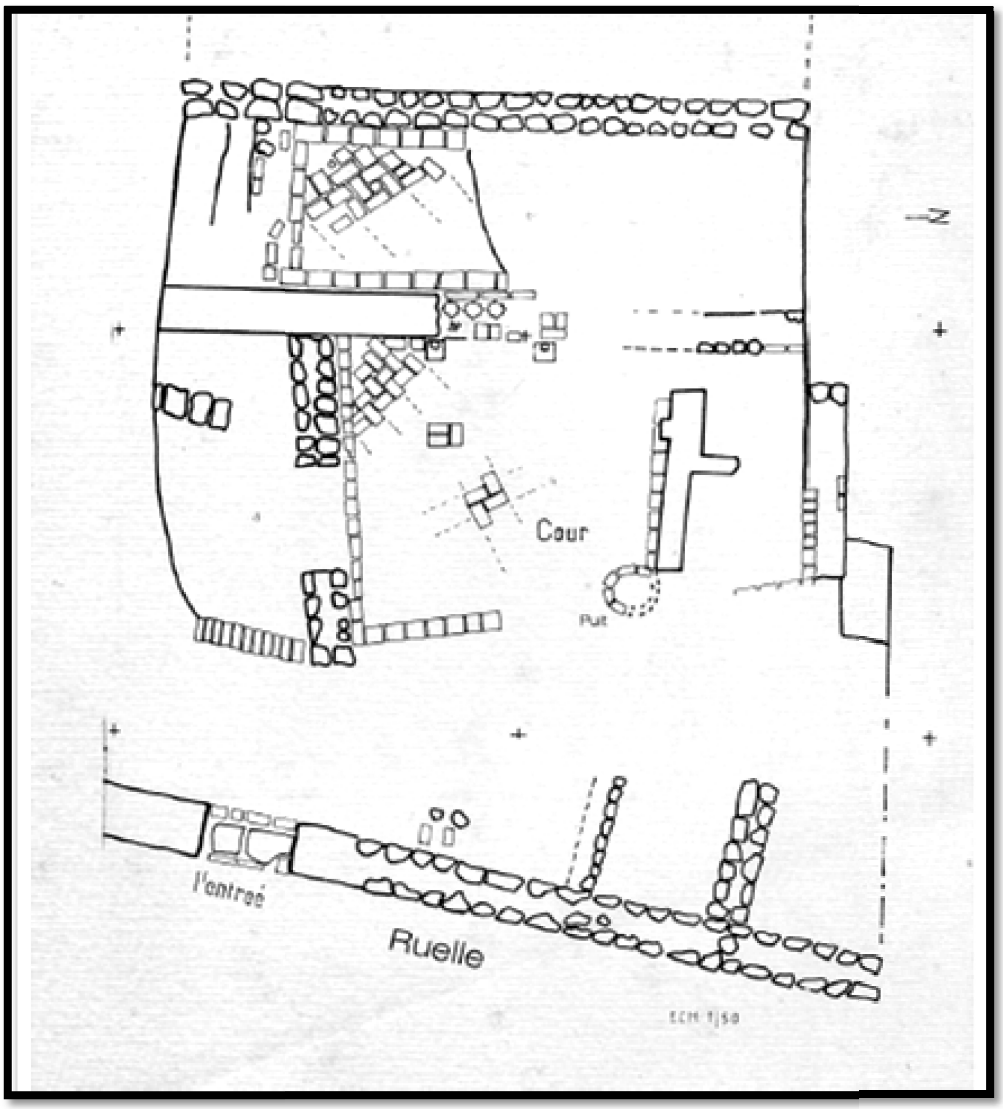
المخطط رقم 10: مخطط تقريبي لمدينة هنين(مصطفى سالم، الاستحكامات العسكرية الموحدية ...

ص.511.)



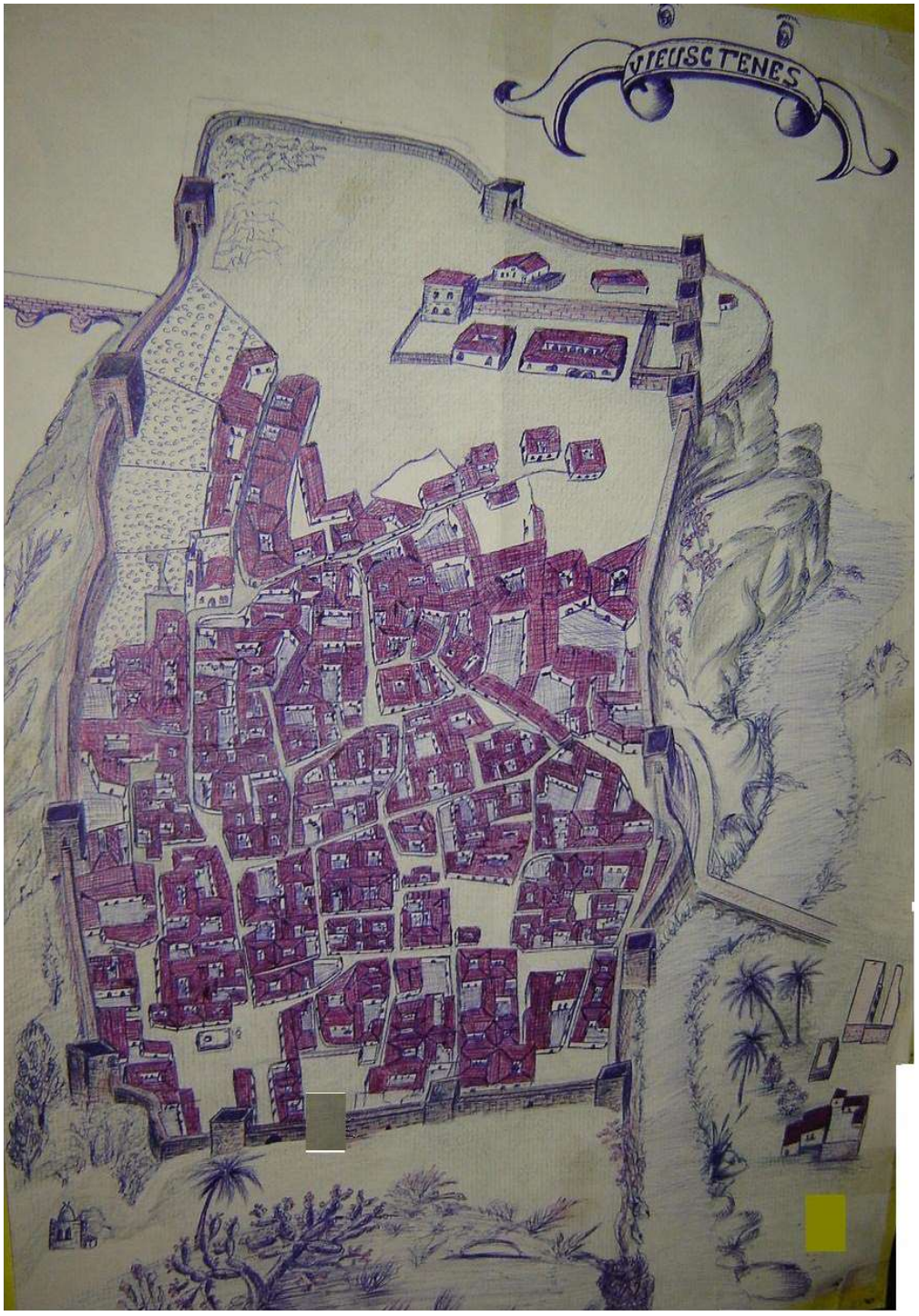
المخطط رقم 11: مخطط منزل مكتشف بمدينة هنين عن

(Khelifa Abderrahmane, Honain ...P.323.)

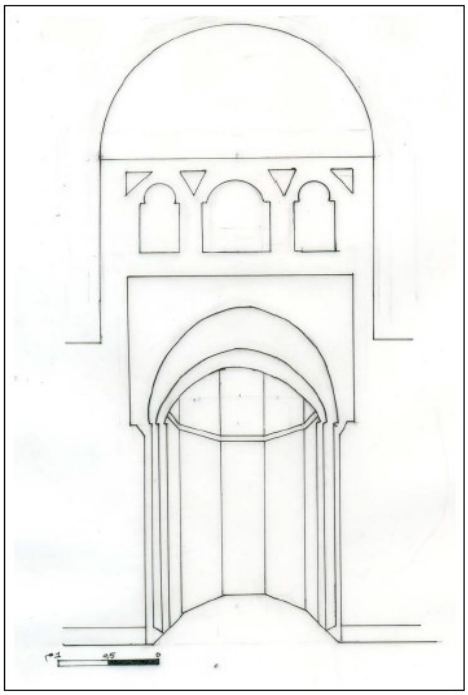


المخطط رقم 12: مخطط منزل مكتشف بمدينة هنين عن

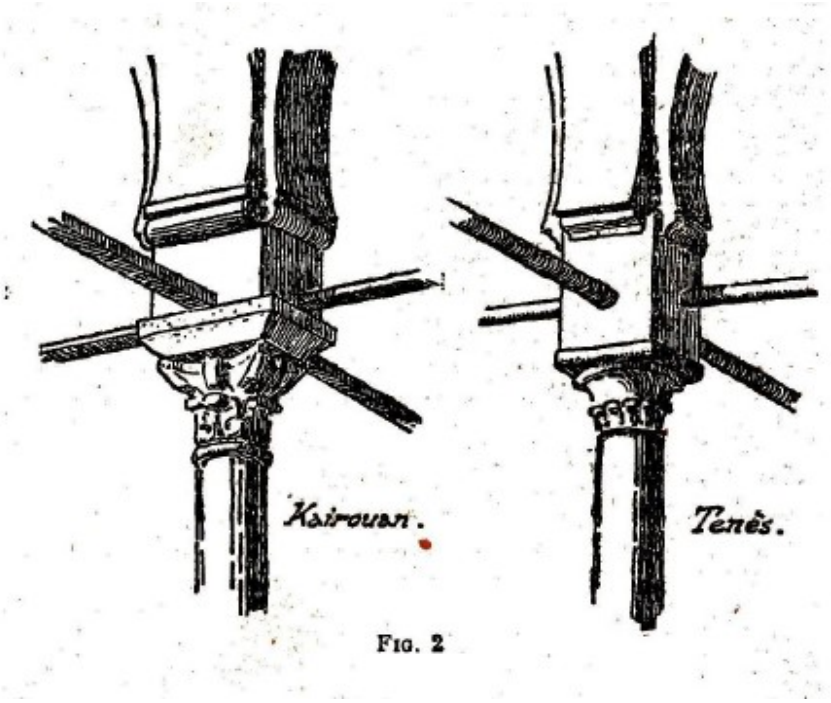
(Khelifa Abderrahmane, Honain ...P.323.)



الشكل رقم 01 : رسم تقريبي لمدينة تنس (عن إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...،ص.455)

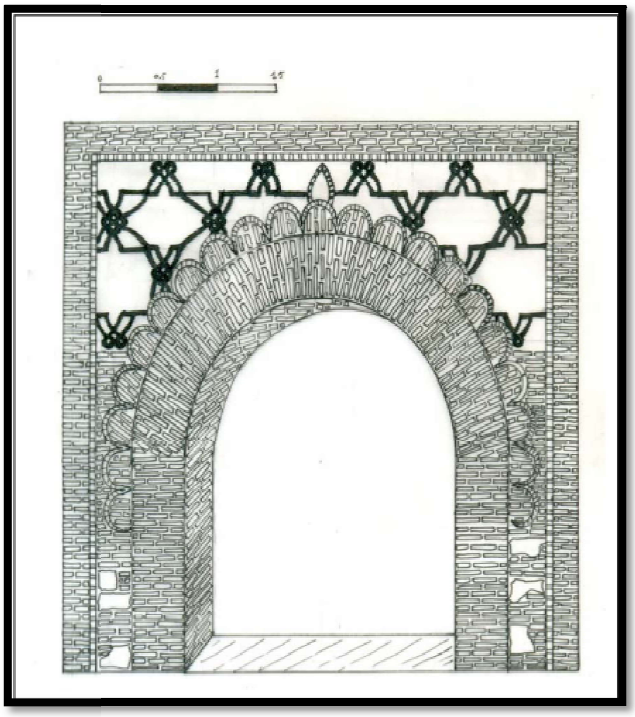


الشكل رقم 02: واجهة محراب سيدي معيزة (عن إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...،ص.464)

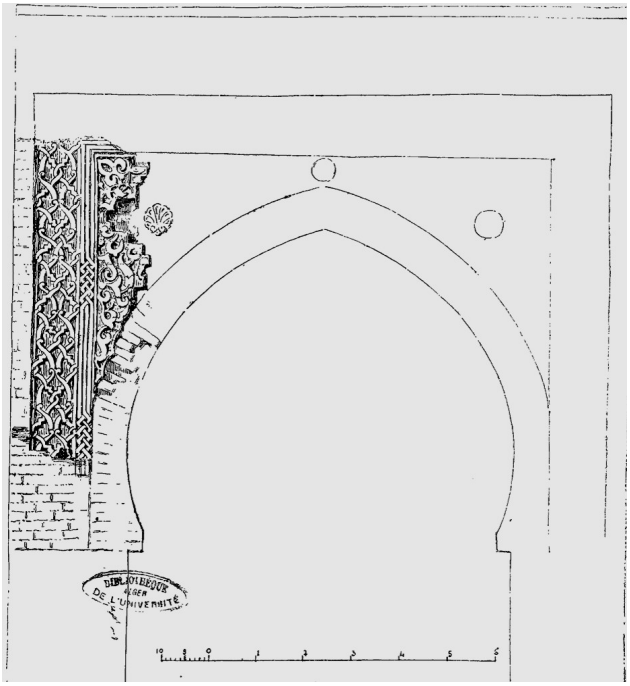


الشكل رقم 03: الأوتار الخشبية بمسجدي تنس والقيروان عن

(Dessus Lamare (A) et Marçais (G) , La Mosquée du vieux Ténès…p.536.)



الشكل رقم 04: واجهة باب البحر لمدينة تنس (عن إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس...،ص.495)



الشكل رقم 05 : باب البحر لمدين هنين

(Marçais George, Honain Recherches d'archéologie musulmane ,P,355.)



الصورة رقم 01: صورة جوية لموضع مدينة تتس بواسطة: Google Maps




الصورتين رقم 02– 03: وادي علالة الذي يحيط بتنس



الصورة رقم 04: جبال قصار وسيدي عبد الرحمن في الجهة الجنوبية الغربية لتنس



الصورة رقم 05: سلسلة جبال الظهرة من الجهة الشرقية بتنس



الصورة رقم 06: الجهة الشمالية المفتوحة عن لمدينة تنس



الصورة رقم 07: موضع مدينة مرسى الدجاج تنس بواسطة Google Maps



الصورة رقم 08: موضع مدينة مستغانم تنس بواسطة Google Maps



الصورة رقم 09: موضع مدينة هنين






الصور رقم 10-11-12: السلسلة الجبلية التي تحيط بمدينة هنين



الصورة رقم 13: وادي هنين



الصورة رقم 14: منظر عام لمدينة تنس



الصورة رقم 15: الواجهة الرئيسية لمسجد سيدي بلعباس تنس



الصورة رقم 16: السقف الجمالوني من الخارج لمسجدي سيدي بلعباس بتنس



الصورة رقم 17: بيت الصلاة لمسجد سيدي بلعباس بتنس



الصور رقم 18: عمود بيت الصلاة / الصورتين رقم 19– 20: نماذج من تيجان المسجد



الصورة رقم 21: عقد متجاوز منكسر



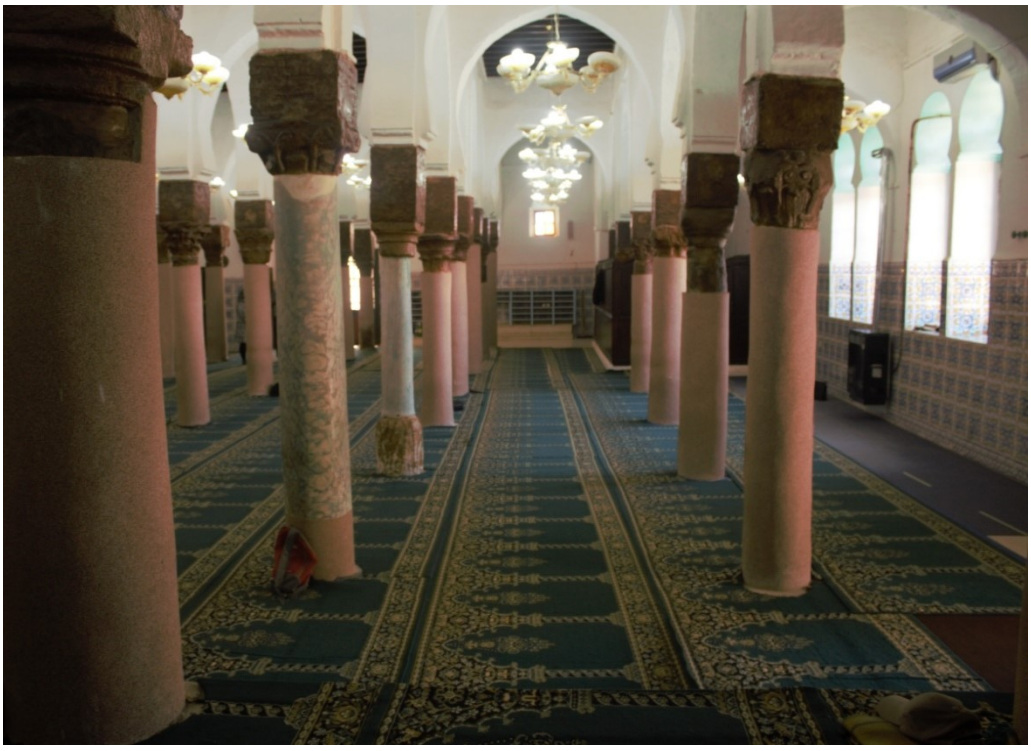
الصورة رقم 22: محراب مسجدي سيدي بلعباس



الصورتين رقم 23– 24: السقف الجمالوني لمسجد سيدي بلعباس



الصورة رقم 25: الواجهة الرئيسية لمسجد سيدي معيزة بتنس



الصورة رقم 26: نماذج من الأعمدة



الصور رقم 27-28-29: نماذج من التيجان



الصورة رقم 30: نماذج من العقود المتجاوزة المنكسرة



الصورة رقم 31: التسقيف الخشبي المسطح



الصورة رقم 32: محراب المسجد الجامع سيدي معيزة



الصورة رقم 33: مئذنة المسجد الجامع سيدي معيزة تنس



الصورة 34 : العوارض الخشبية بمسجد سيدي بلعباس



الصورة رقم 35: موضع دار الإمارة المفترض بتنس



الصورة رقم 36: التسقيف المائل للمنازل بتنس



الصورتين رقم 37– 38 : نماذج لمداخل المساكن حديثة بتنس



الصورتين رقم 39–40: شارعين الرئيسين للمدينة تنس



الصورتين رقم 41–42: نماذج من الدروب بقصبة تنس



الصورتين رقم 43– 44: خزان مائي



الصورتين رقم 45–46: بقايا الأسوار تنس



الصورة رقم 47: جزء من السور المخرب بتنس



الصورة رقم 48: أحد أبراج الغولة بتنس



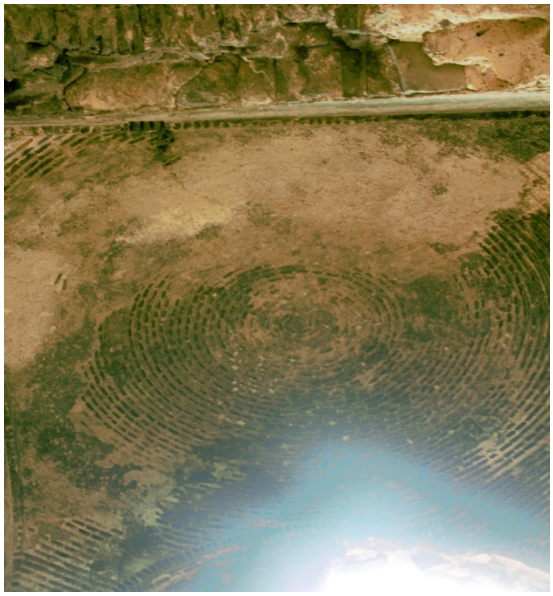
الصورة رقم 49: بقايا الجدران لأحد الأبراج في الجهة الشرقية الجنوبية



الصورة رقم 50: برج باب البحر للمدينة تنس



الصورة رقم 51: القبة ذات الحنايا المتقاطعة للبرج باب البحر



الصورة رقم 52: قبة البرج



الصور رقم 53-54-55: مظاهر التلف التي تظهر على البرج



الصورة رقم 56: مدخل باب البحر بتنس



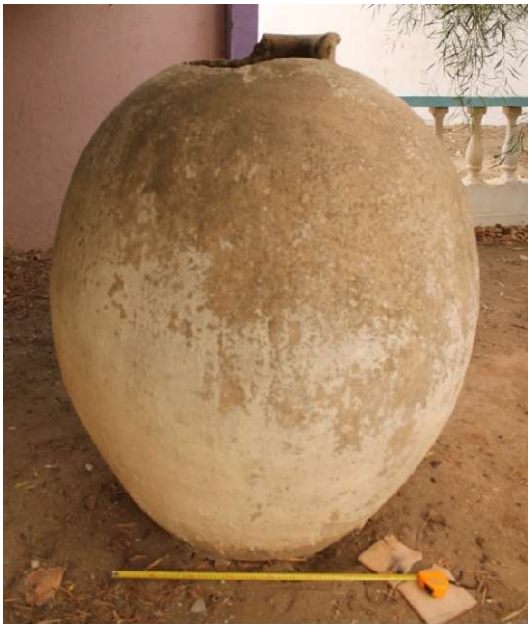


الصورتين رقم 57–58: بقايا أسوار مدنية مرسى الدجاج (عن وزارة الثقافة)

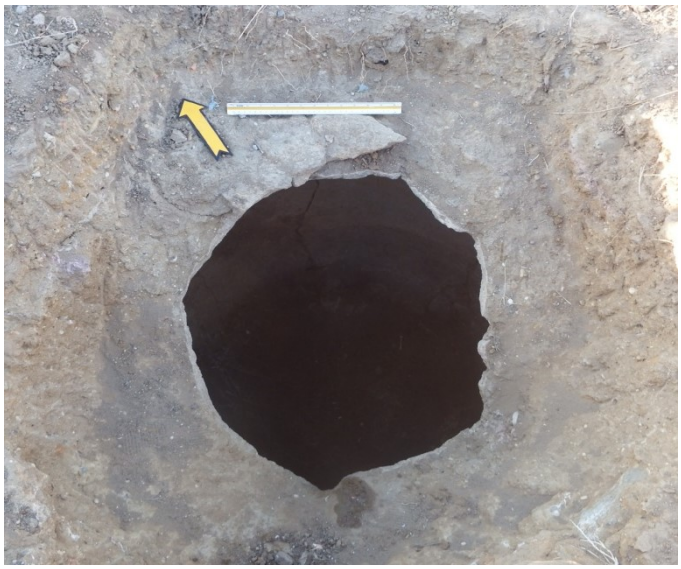


الصورة رقم 59: بقايا القرميد بمرسى الدجاج حفرية 2007 (عن وزارة الثقافة)





الصورتين رقم 60-61: الدوليوم بمرسى الدجاج (عن وزارة الثقافة)



الصورة رقم 62: دوليوم بحفرية مرسى الدجاج



الصورة رقم 63: المد (الصاع) نفذت عليه كتابة بالخط الكوفي (عن وزارة الثقافة)



الصورة رقم 64: للقطاع الثاني المكتشف –المبني السكني– (أرشيف الحفرية مرسى الدجاج: تصوير د.عنان سليم)



الصورة رقم 65: القطاع الأول المكتشف بحفرية مرسى الدجاج سنة 2023





الصورتين 66-67: أجزاء من الأسوار شيدت بالحجارة المشذبة والغير مشذبة بحفرية مرسى الدجاج





الصور رقم: 68–69–70: بقايا أجزاء الأسوار من الآجر بحفرية مرسى الدجاج





الصور رقم 71–72–73–74: بقايا الأسوار الداخلية للمبنى المشيدة بالأجر



الصورة رقم 75 : الدعامات المدمجة في الأسوار





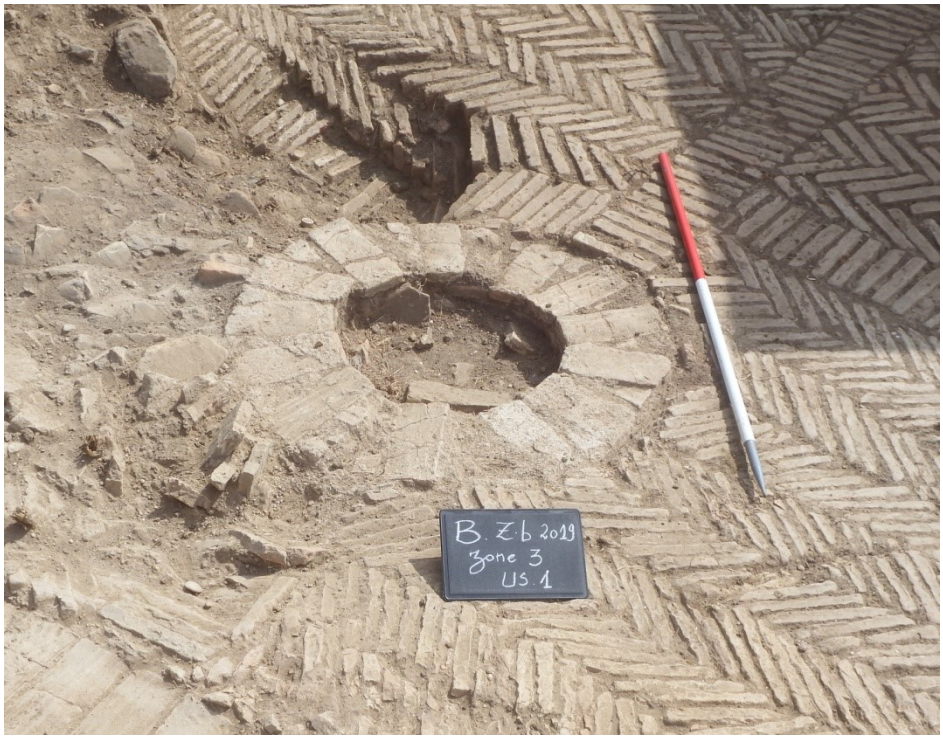
الصور رقم 76–77–78: الدعامات المنفردة بالمبني



الصورة رقم 79: تبليط الأرضية بمادة الأجر تقنية السنبلة



الصورة رقم 80: تبليط الأرضية بالأجر المربع والمستطيل بتقنية السنبلة والمنتظمة



الصورة رقم 80: البئر الأول بالقطاع 01



الصورتين رقم 82–83: البئر المربع بالقطاع الأول بحفرية مرسى الدجاج



الصورة رقم 84: البئر الأول بالقطاع الثاني بحفرية مرسى الدجاج (المبني المعماري)



الصورة رقم 85: البئر الثاني بالقطاع الثاني بحفرية مرسى الدجاج (المبني المعماري)



الصورة رقم 86: الدرج بالمبني المعماري بحفرية مرسى الدجاج







الصور رقم 87–88–89: قناة المياه بالمبني المعماري بحفرية مرسى الدجاج



الصورة رقم 90: قناة المياه بالقطاع الأول



الصورة رقم 91: حوض المياه بالمبني المعماري



الصورتين رقم 92-93: الكنيف(دورة المياه) المبني المعماري بحفرية مرسى الدجاج



الصورتين رقم 94-95: مجرى المياه للكنيف بحفرية مرسى الدجاج



الصورة رقم 96 : الجدار الشمالي للكنيف



الصورتين رقم 97-98: مبني معماري يعتقد أنه كنيف



الصورة رقم 99: مدخل الغرفة الكبيرة



الصورة رقم 100: الغرفة الكبيرة



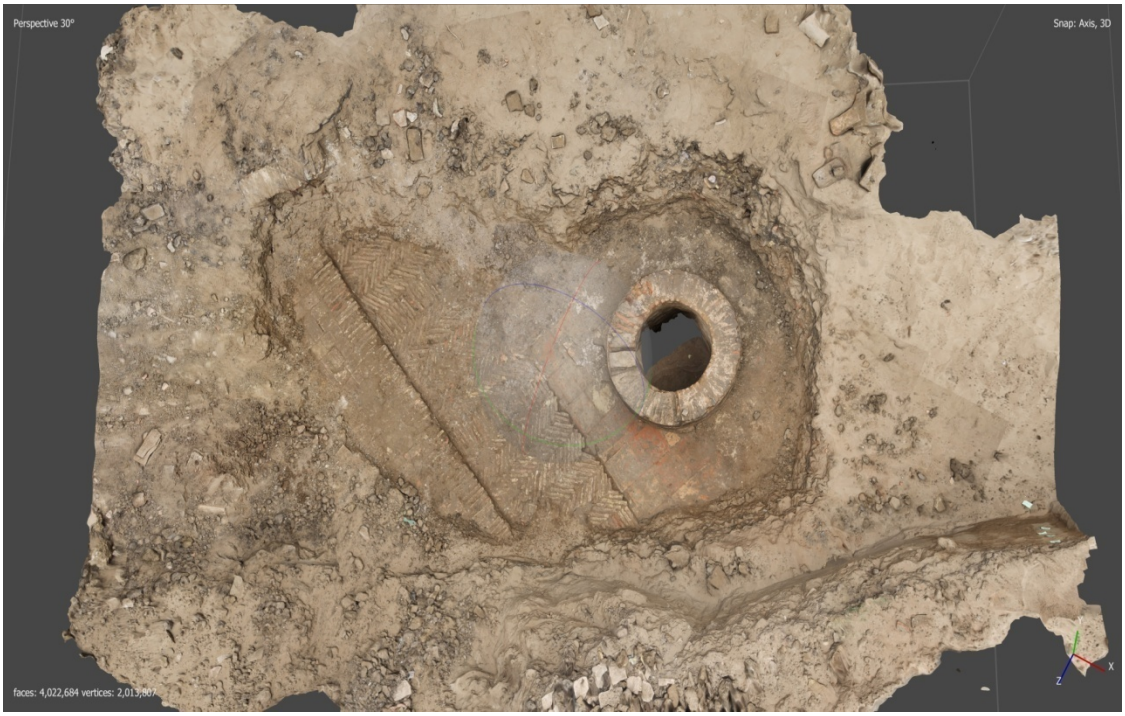
الصورة رقم 101: المدخل والبهو المنكسر



الصورة رقم 102: الرواق الثاني



الصورة رقم 103: مدخل ساحة المبني



الصورة 104: التصميم العام للمبني المعماري في القطاع الأول photogrammétrie

(أرشيف الحفرية مرسى الدجاج: د.محمد العرباوي)



الصورة 105: التصميم العام للمبني المعماري photogrammétrie(أرشيف الحفرية مرسى الدجاج: د.محمد العرباوي)



الصورة رقم 106: الواجهة الرئيسية المسجد الجامع المريني بمدينة مستغانم



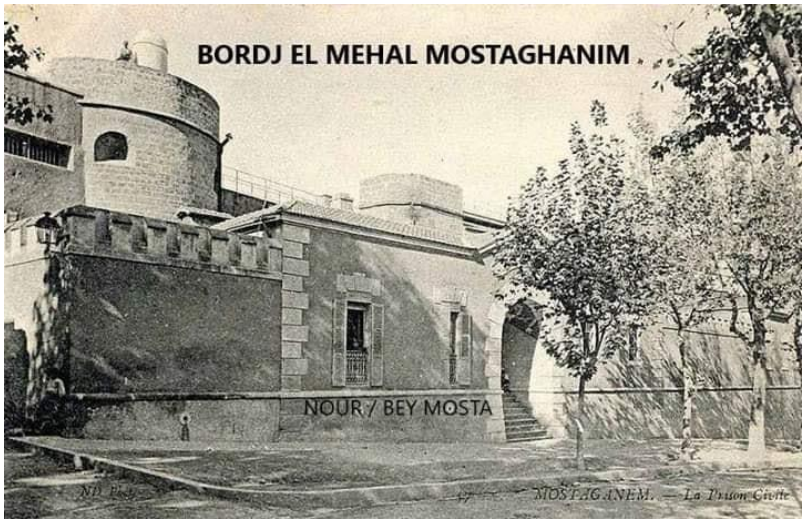
الصورة رقم 107: صورة قديمة المسجد المريني بمستغانم (عن متحف برج الترك)



الصورة رقم 108: اللوحة التأسيسية للمسجد الجامع المريني



الصورة رقم 109: المدخل الرئيسي للمسجد المريني بمستغانم



الصورة رقم 110: برج أمحال المرابطي بمستغانم(عن متحف برج الترك)



الصورة رقم 111: ضريح سيدي إبراهيم الأبلي هنين(عن محمد بن زغادي، المعالم التاريخية والدينية... ص.70)



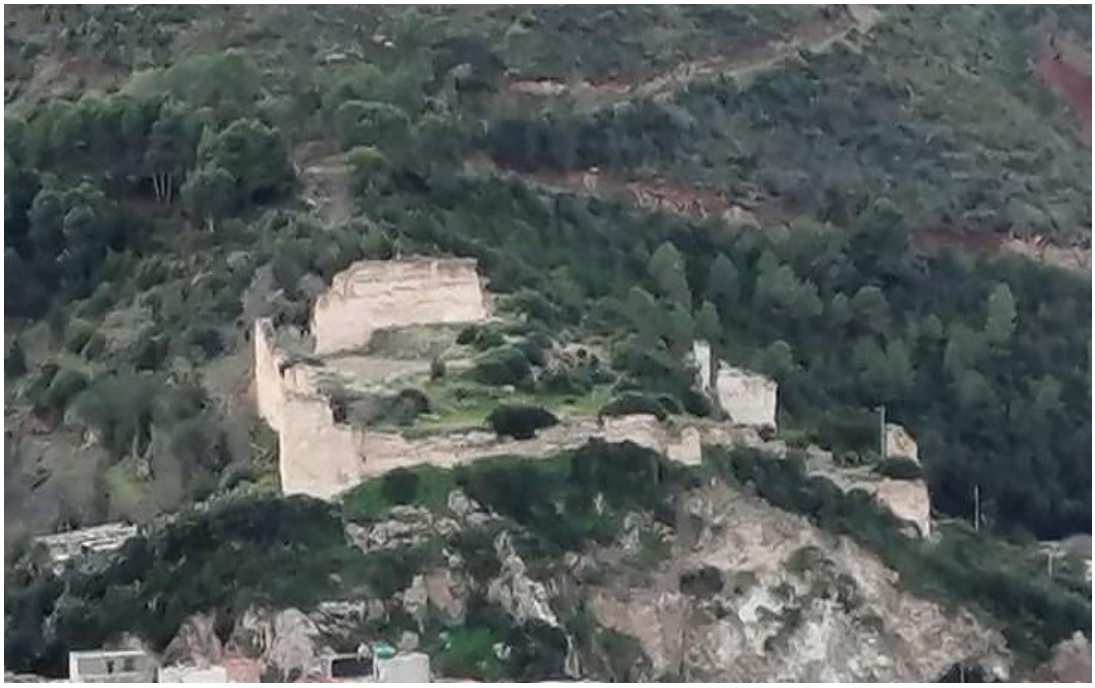
الصورة رقم 112: بقايا المنازل المكتشفة القطاع الأول بهنين



الصورة رقم 113: بقايا المنازل المكتشفة القطاع الثاني بهنين



الصورة رقم 114: خزان الماء بقلعة هنين



الصورة رقم 115: منظر عام قلعة هنين





الصور رقم 116-117-118-119: أجزاء من الأسوار الدفاعية الباقية بهنين

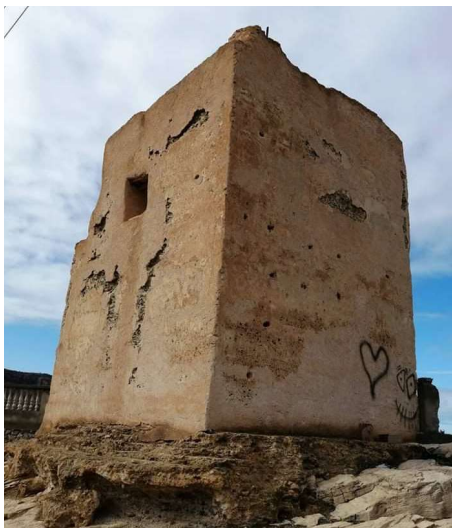


الصور رقم 120-121: أبراج القلعة هنين

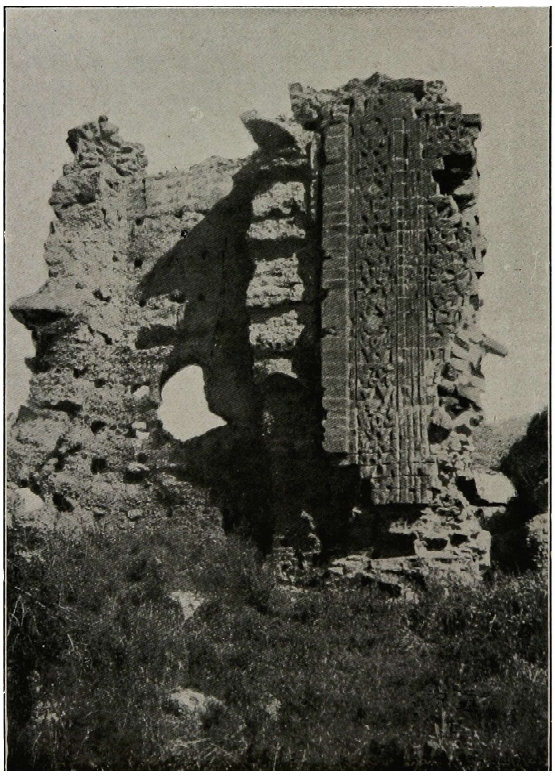





الصور رقم 122–123–124–125: أبراج المراقبة بمدينة هنين



الصورة رقم 126 : برج سيدي إبراهيم الإبلي بهنين



الصورة رقم 127: باب البحر (Honain Recherches d'archéologie musulmane,P,354.)



الصورة رقم 128: باب البحر ببجاية شبيه باب البحر بهنين(عن زوليخة تكروشين، مقال:مواد وتقنيات بناء أسوار...، ص.172.)



الصورة رقم 129: الباب الشمالي مدينة هنين



الصورة رقم 130: الباب الشرقي (باب السنون) مدينة هنين



الصورة رقم 131: الباب الغربي مدينة هنين





الصور رقم 132-133-134: مواد وتقنيات البناء مدينة هنين

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم رواية ورش.

2- المصادر:

- ابن أبي دينار القيرواني، محمد بن أبي القاسم الرعيني، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، المكتبة الوطنية، سوق المطارين، تونس.

- ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

- ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، **الحلة السيراء**، تحقيق: حسين مؤنس، ج.2، ط.2، دار المعارف، القاهرة، 1985م.

- ابن الأثير، أبي الحسن علي بن الكرم بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، **الكامل في التاريخ**، مراجعة: محمد يوسف الدقاق، مجلد.8، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1408هـ/1987م.

- ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية**، تحقيق: هاني سلامة، ط.1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2001م.

- ابن الربيع، أحمد بن شهاب الدين، **سلوك المالك في تدبير الممالك**، تحقيق: عارف أحمد بعد الغني، دار كنان للطباعة والنشر، دمشق.

- ابن الشماع، أبو عبد الله محمد، **الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1980م.

- ابن الصغير المالكي، **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق وتعليق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي.

- ابن القاضي، أحمد المكناسي، **جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرابط، 1973م.

- ابن بسام المحتسب، محمد بن أحمد، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق: حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، العراق، 1968م.

- ابن حزم الأندلسي، محمد علي بن أحمد بن سعيد، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط.5، دار المعارف، القاهرة.

- ابن حوقل، أبي القاسم النصيبي، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م.

- ابن حوقل، **المسالك والممالك**، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل، 1872م.
- ابن خلدون، عبد الرحمان أبو زيد بن محمد الحضرمي الأشبيلي، **ديوان العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج.1،4،6،7، دار الفكر، بيروت، 2000م.
- ابن خلدون، يحي، **بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد**، ج.2، تحقيق، عبد الحميد حاجيات، مطبعة الأخوين الشرفاء، 2010م.
- ابن خلكان القاضي أحمد، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج.1 .
- ابن سباهي زاده، محمد بن علي البروسوي، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، تحقيق: المهدي عبد الرواضية، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1427هـ/2006م.
- ابن سعيد المغربي، أبي الحسن علي بن موسى، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، ط.1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م.
- ابن سعيد المغربي، **بسط الأرض في الطول والعرض**، تحقيق خوان قرنيط خنيس، مطبعة كريماديس، خزانة محمد نزار الدباغ، تطوان، المغرب، 1958م.
- ابن سينا، أبي علي الحسين بن علي، **القانون في الطب**، ج.1، ط.1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420هـ/1999م.
- ابن عبد الحكم، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أعين القرشي المصري، **فتوح مصر وبلاد المغرب**، حققه وقدم له: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م.
- ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقسق: ج س كولان وليقي بروقسال، ج.1،4،2، ط.3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م.
- ابن مرزوق التلمساني، محمد، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م.
- ابن منكلي الناصري، محمد، **الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب**، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 2000م.
- ابن وردان، **تاريخ مملكة الأغالبة**، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط.1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1408هـ/1988م.

- أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، **تقويم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1830م.

- أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة.
- الإدريسي، أبي عبيد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميدي الحسني، **نزهة المشتاق في إختراق الأفاق**، مج.1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م.
- الإدريسي، **المغرب وأرض السودان ومصر والمغرب**، جزء مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1863م.
- الإدريسي، **وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية**، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، صححه ونشره: هنري بيرس، دار الكتب، الجزائر، 1957م.
- الأصطخري، أبي اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي، **وهو معول على كتاب صور الأقاليم للشيخ أبي زيد أحمد بن سهل البلخي**،مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، 1927م.

- البغدادي، أبي فوز محمد أمين، **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ/1989م.
- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي،ج.1، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط.1، دار المعرفة ـ بيروت، لبنان، 1374هـ/1955م.
- البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز، **المسالك والممالك**، تحقيق: جمال طلبة،ج.2، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م.
- البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز، **المغرب في ذكرى بلاد إفريقية**، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- الترميذي، محمد بن عيسى، **الجامع الكبير**، تحقيق: بشار عواد معروف، مج 6، ط.1، دار الغرب الإسلامي، 1996م.
- التطلبلي، عيسى بن موسى، **كتاب الجدار**، تحقيق: إبراهيم بن محمد الفايز، ط.1، دار روائع الكتب للنشر و التوزيع، 1417هـ/1996م.
- التنبكتي، أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تقديم وإشراف: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج.2، ط.1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1398هـ/1989م.
- الجزنائي علي، **جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس**، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1991م.

- الجوهري، أبي نصر إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف**، دار الحديث، القاهرة،1430هـ/2009م.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، مج1-2-3-4-5، دار صادر، بيروت، لبنان، 1387هـ/1977م.
- الحميري، محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، ط.1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.
- الخوارزمي، جمال الدين، **مفيد العلوم ومبيد الهموم**، طبع على نفقة السيد محمد هاشم الكتبي بدمشق، دار التقدم شارع محمد علي، مصر، 1323هـ/1906م.
- الداعي إدريس عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار)**، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.
- الدرجيني، أبي العباس أحمد بن سعيد، **طبقات المشائخ بالمغرب**، حققه: إبراهيم طلاي، ج.1، د.ط، د.ت، 1974م.
- الدينوري، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، **عيون الأخبار**، مج.1، دار الكتاب العربي، دار الكتب المصرية، بيروت، لبنان، 1343هـ/1925م.
- الذهبي، أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، **سير أعلام النبلاء**، إشراف وتحقيق: شعيب أرنؤوط وحسين الأسد، ج.6، ط.11، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1996م.
- الزياني، أبو حمو موسى الثاني، **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، تحقيق وتعليق: محمود بوترعة، دار الشيماء، دار النعمان، برج الكيفان، الجزائر، 2012م.
- السجستاني، أبي داود سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، ج.2، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1416هـ/1996م.
- الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، **السير**، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، ج.1، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1407هـ/1987م.
- الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم، **المِلَلْ والنِّحَلْ**، تصحيح وتعليق: أحمد فهمي محمد، ج.1، ط.2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1412هـ/1992م.
- الشيزري، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، ط.1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م.

- الطبري، بن جعفر محمد بن جرير، **تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، المجلد3،4، 5، 6، 7، ط.1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ/1994م.

- الطرطوشي، أبي بكر محمد بن الوليد الفهري، **سراج الملوك**، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، مج.1، ط.1، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1414هـ/1994م.

- العباسي، الحسن بن عبد الله، **آثار الأول في ترتيب الدول**، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ج.1، ط.1، دار الجيل، بيروت، 1409هـ/1989م.

- العبدري، محمد البلنسي، **الرحلة المغربية**، تقديم: سعد بوفلاقة، د.ط، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 1428هـ/2007م.

- العصفري، عمرو خليفة بن خياط شباب، **الطبقات**، رواية: أبي عمران موسى بن زكريا التُستري، حققه: اكرم ضياء العمري، ط.1، مطبعة العاني، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد، 1387هـ/1967م.

- العمري، أحمد بن يحي بن فضل، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ممالك إفريقيا والصحراء وممالك إفريقية وتلمسان وجبال البربر وبر العدوة والأندلس)**،ج.4، تحقيق: مصطفى أبوضيف أحمد، ط.1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1988م.

- الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج.2، دار ومكتبة الهلال، القاهرة.

- القزويني ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد، **سنن ابن ماجة**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج.2، كتاب التجارات، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

- القزويني، زكرياء بن محمد بن محمود، **أثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر.

- المالقي، أبي القاسم ابن رضوان، **الشهب اللامعة في السياسة النافعة**، ط.1، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، 1404هـ/1984م.

- الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد، **تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق المَلك وسياسة المُلك**، تحقيق: محي هلال السرحان و حسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

- المراكشي، عبد الواحد محي الدين أبي محمد أبي علي التميمي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، 1881م،

- المراكشي، عبد الواحد، **وثائق المرابطين والموحدين**، تحقيق: حسين مؤنس، ط.1، مكتبة الثقافة الدينية، 1997م.

- المزراري، الأغا بن عودة، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا في أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق: يحي بوعزيز، ج.1، ط.1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990م.

- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط.3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411ه/1991م.

- المقريزي، أحمد بن علي تقي الدين، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطمين الخلفاء**، تحقيق: جمال الدين الشيال، ج.1، ط2، القاهرة، 1416هـ/1996م.

- الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج.1، ج.2، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م.

- النميري، الحاج، **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، دراسة وإعداد: محمد ابن شقرون، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.

- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، ج.24، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

- الوزان، حسن الفاسي، **وصف إفريقيا**، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج 1، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م.

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر وهب بن واضح، **البلدان**، تحقيق: محمد أمين الضناوي، ط.1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ/2002م.

- بربروس خير الدين، **مذكرات خير الدين بربروس**، تر:محمد دراج، ط.&، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، 1431هـ/2010م.

- خوجة حمدان بن عثمان، **المرآة**، تحقيق محمد الزبيري، نشر بدعم من وزارة الثقافة، 2009م.

- كربخال مارمول، **إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون، ج.2، دار نشر المعرفة، 1989م.

- مقديش محمود، **نزهة الأنظار في عجائب التاريخ و الأسفار**، مج1، تحقيق: علي الزواري و محفوظ، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م.
- مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب لكاتب مراكشي من القرن السادس الهجري)**، تعليق: سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية، بغداد، بد.ت.
- مؤلف مجهول، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، تحقيق: محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، 1920م.
- مؤلف مجهول، **زهرة البستان في دولة بني زيان**، تحقيق: بوزيان الدراجي، ج.2، مؤسسة للنشر والتوزيع.
- هاينريش، **فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، ترجمة، أبو العيد دودو، ج.1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

3- المراجع:

3-1- الكتب:

- إبراهيم أيوب، **التاريخ العباسي السياسي والحضاري**، ط.1، الشركة العالمية للكتاب، مكتبة المدرسة الدار الإفريقية العربية، 1989م.
- إبراهيم علي، **جغرافية المدن (دارسة منهجية تطبيقية)**، د.ط، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر، 2008م.
- إبراهيمي ك، **تمهيد حول ما قبل التاريخ**، ترجمة: محمد البشير شنيتي ورشيد بورويبة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.
- أبو محمد التميمي عثمان بن محمد الخميس، **حقبة من التاريخ**، تقديم: محمد أحمد إسماعيل المقدم ومحمد نوح، دار القمة، دار الإيمان، الإسكندرية، 1999م.
- أحمد حسن خضيري، **صفحات من تاريخ المغرب الإسلامي**، ط.1، مكتبة المتنبي، المملكة العربية السعودية، 1426هـ/2005م.
- أمين القضاة، **الخلفاء الراشدون أعمال وأحداث**، ط.3، دار الفرقان، 2004م.
- أحمد رجب محمد علي، **المسجد النبوي بالمدينة المنورة ورسومه في الفن الإسلامي**، ط.1، الدار المصرية اللبنانية، رمضان 1420هـ / يناير 2000 م.
- التر سامح عزيز، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: محمود علي عامر،ج.1، ط.1، دار النهضة العربية، بيروت، 1409هـ/1989م.

- إسماعيل محمود، **الأغالبة 184هـ-296هـ سياستهم الخارجية**، ط.3، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000م.

- البسام لطيفة بنت محمد، **الحياة العلمية في إفريقية في عصر بني زيري**، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1422هـ/2001م.

- البياض عبد الهادي، **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق.6هـ-8هـ/12م-14م)**، ط.1، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، أغسطس 2008م.

- بونار رابح، **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، ط.3، دار الهدى، الجزائر، 2000م.

- بحاز إبراهيم، **الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، ط.2، نشر جمعية التراث، القرارة.

- بلعربي خالد، **إضاءات حول تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط**، دار النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2018م.

- بلعربي خالد، **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية 633هـ-689هـ/1235م-1282م**، ط.1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 2005م.

- بلعربي خالد، **تلمسان من الفتح الإسلامي إلى الدولة الزيانية (55-633هـ/675م-1235م)**، دار الألمعية للنشر والتوزيع.

- بن عبد الله محمد بن عبد العزيز، **الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي**، ج.2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1417هـ/1996م.

- بن عميرة محمد وبشاري لطيفة بن عميرة، **تاريخ بجاية في ظل الأنظمة السياسية من عهد القرطاجين إلى العهد الأتراك العثمانيين**، ط.1، دار الفاروق، الجزائر، 1436هـ/2015م.

- بن عميرة محمد، **الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في كتابات المؤرخين الفرنسيين**، ب.ط، الدار الوطنية للكتاب، دراية، الجزائر.

- بن عميرة محمد، **الفتح الإسلامي لبلاد المغرب**، ط.2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2017م.

- بن عميرة محمد، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- بن عيسى عبد القادر المستغانمي، **مستغانم وأحوازها عبر العصور تاريخيا وثقافيا وفنيا**، ط.1، المطبعة العلوية، مستغانم، 1996م.

- بن قربة صالح وآخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، منشورات المركز الوطني لدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 1954م.

- بن قربة صالح، **المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى**، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- بن قربة صالح، **عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدين**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م.
- بن نبي مالك، **شروط النهضة**، دار الفكر للنشر والتوزيع، 2004م.
- بودود عبيد، **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنيين السابع والتاسع الهجريين (ق.13-15م)**، دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي، دار الغرب، وهران.
- بورويبة رشيد، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1397هـ/1977م.
- بورويبة رشيد، **الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية**، ترجمة: إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ/1979م.
- بوزياني الدراجي، **القبائل الأمازيغية أدوارها -مواطنها -أعيانها**، ج.1، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، 2007م.
- بوعزيز يحي، **المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**، ط.1، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، أفريل، 2004م.
- بوعزيز يحي، **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسطى**، ج.1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2009م.
- بوعياد محمود، **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري(15م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- بولقطيب الحسين، **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002م.
- بونابي الطاهر، **التصوف في الجزائر خلال القرنيين 6 و7هـ**، دار الهدي، 2004م.
- تابليت عمر، **هوارة ودورها في تاريخ المغرب منذ بداية حركة الخوارج: أواخر القرن 1هـ -7م حتى إنتهاء ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد 335هـ-946م**، ط.1، دار الألمعية، عين الباي قسنطينة، الجزائر، 2011م.
- التازي عبد الهادي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، مج.4، 1407هـ/1987م.
- التميمي راشد منصور، **العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة**، ط.1، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1435هـ/2014م.

- الثعالبي عبد العزيز، **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، تحقيق: أحمد بن مبلاد ومحمد إدريس، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م.

- الجابري حمد عابد، **فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، ط.6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، أبريل 1994م.

- الجلالي أحمد عبد المعطي، **عمارة المسجد وتطورها في العالم الإسلامي**، دار الحكيم للطباعة، القاهرة، 1990م.

- جودت يوسف عبد الكريم، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، 1984م.

- جورج مارسيه، **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة: مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الإشهار، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م.

- الجنحاني الحبيب، **المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، مطابع السياسة، عالم المعرفة، الكويت، رجب 1426هـ/2005م.

- الجيلالي عبد الرحمن، **تاريخ الجزائر العام**، ج.1، ط.2، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،1384هـ/ 1965م.

- الجيلالي عبد الرحمن، **تاريخ المدن الثلاثة، الجزائر، المدية، مليانة**، ط.2، مطبعة صاري بدر الدين وأبنائه، الجزائر، 1972م.

- الحريري محمد عيسى، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ/296هـ)**، ط.3، دار القلم للنشر والتوزيع، 1408هـ/1987م.

- الحريري محمد عيسى، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م- 869هـ/1465م)**، ط.1، دار القلم، الكويت، 1405هـ/1985م.

- حاجيات عبد الحميد، **الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى غاية بداية العهد العثماني**، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص.455.

- حجي محمد، معلمة المغرب، ج.1، مطابع السلام.

- حركات إبراهيم، **المغرب عبر التاريخ**، ج.2، دار الرشاد الحديثة، 2000م.

- حساني مختار، **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية**، ج.1، دار الهدى، الجزائر، 2011م.

- حساني مختار، **تاريخ الجزائر الوسيط**، ج.1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2013م.

- حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، ج.1، ج.2، منشورات الحضارة، 2009م.

- حسن إبراهيم حسن، **الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية**، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1932م.

- حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، ط.2، دار الفكر العربي، 1416هـ/1996م.

- حسين حمودة عبد الحميد، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي من الفتح وحتى قيام الدولة الفاطمية**، ط.1، الدار الثقافة للنشر، القاهرة، 1428هـ/2007م .

- حليمي عبد القادر، **جغرافية الجزائر (الطبيعية، البشرية، الاقتصادية)**، ط.2، مطبعة الإنشاء، سوريا، 1968م.

- حواله يوسف بن أحمد، **الحياة العلمية في إفريقية " المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (90- 450هـ)**ج.1، ط.1، مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2000م.

- خضيري حسن أحمد، **صفحات من تاريخ المغرب الإسلامي**، ط.1، مكتبة المتنبي، 1426هـ/2005م.

- الخربوطلي، علي حسين، **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، المطبعة الفنية الحديثة، 1972م.

- خطاب محمد شيت، **قادة فتح المغرب العربي**، ج.1، ط.7، دار الفكر للنشر والتوزيع، 1404هـ/1984م.

- خطاب محمود شيت، **قادة الفتح الإسلامي، المغرب الكبير**، ط.1، دار الفكر العربي، 1386هـ/1966م.

- خلف الله حسن محمد اللبان، **البيئة في التخطيط العمراني**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999م.

- الدشراوي فرحات، **الخلافة الفاطمية بالمغرب (296- 365هـ / 909- 975م) التاريخ السياسي والمؤسسات**، ترجمة: حمادي الساحلي، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م.

- دبوز محمد علي، **تاريخ المغرب الكبير**، ج.3، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010م.

- دنون طه عبد الواحد وآخرون، **تاريخ المغرب العربي**، ط.1، دار المدار الإسلامي، طرابلس، الجماهرية العظمى، 2004م.

- دنون طه عبد الواحد، **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس**، ط.1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004م.

- دومنيك فاليرين، **بجاية ميناء مغاربي 1067-1510م**، ترجمة: علاوة عمارة، د.ط، ج.1، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.

- ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي، **تسديد الإصابة فيما شجر بين الصحابة**، مراجعة: صالح بن فوزان الفوزان، ط.2، مكتبة المورد، 1425هـ.

- السراج أحمد، **العمارة الإسلامية خصائص وآثار**، تقديم: أحمد عابد، 1436هـ/2015م، غزة، فلسطين.

- السعدني محمود إبراهيم، **حضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن الأول الميلادي**، ط.1، الناشر عيد الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1998م.

- السيد كمال أبو مصطفى، **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2014م.

- الشكعة مصطفى، **الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته**، ط.3، دار المصرية اللبنانية، 1413هـ/1992م.

- الصلابي علي محمد، **الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي**، ط.1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، الفسطاط، 1428هـ/2007م.

- الصلابي علي محمد، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي**، ط.3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1430هـ/2009م.

- الصلابي محمد علي، **صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي (فقه التمكين عند الدولة المرابطين)**، ج.4، دار البيارق للنشر، عمان ، الأردن، 1998م.

- الطالبي محمد، **الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184-296هـ/800-909م)**، تعريب: المنجي الصيادي، تحقيق: حمادي الساحلي، ط.1، دار الغرب الإسلامي، 1405هـ/1985م.

- الطالبي محمد، **تاريخ إفريقية**، د.ط، دار المعارف التونسية، 1994م.

- الطمار محمد، **تلمسان عبر العصور**، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2007م.

- العبادي أحمد مختار، **سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس**، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية لمدريد، مدريد، 1957م.

- العدوي إبراهيم، **بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي**، مكتبة الأنجلو المصرية، 1970.

- العربي إسماعيل، **دولة بني حماد**، ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

- العربي إسماعيل، **عواصم بني زيري ملوك أشير- القلعة- بجاية- غرناطة – المهدية**، ط.1، دار الرائد العربي، لبنان، 1984م.
- العروسي المطوي محمد، **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م.
- العروي محمد، **مجمل تاريخ المغرب**، ط.2، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، 2000م.
- العصيمي عبد المحسن، **مختصر مقدمة ابن خلدون**، ط.3، قرطبة للنشر والتوزيع، 2013م.
- العقاد عباس محمود، **عمرو بن العاص**، ط.3، دار نهضة للطباعة والنشر، مصر، يونيو 2005م.
- الغنيم عبد الله يوسف، **مصادر البكري ومنهجه الجغرافي**، ط.3، توزيع ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، 1996م.
- المحجوبي عمار، **ولاية إفريقيا من الإحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (146ق.م-235م)**، مركز النشر الجامعي، بدون دار النشر، 2001م.
- المدني أحمد توفيق ، **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية في الجزائر، 1350هـ.
- المدني أحمد توفيق، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792**، د.ط، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- المنتصر الكتاني علي، **إنبعاث الإسلام في الأندلس**، ط.1، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م.
- المنوني محمد، **حضارة الموحدين**، ط.1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1989م.
- المنوني محمد، **ورقات عن حضارة المرينيين**، ط.3، مطبعة النجاح الجديدة، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، 1420هـ/2000م.
- المهدي البوعبدلي، **تاريخ المدن**، جمع: دويب عبد الرحمان، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2013م.
- الموسوي مصطفي عباس، **العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية**، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام، العراق، 1982م.
- الميلي مبارك بن محمد، **تاريخ الجزائر القديم والحديث**، تقديم: محمد الميلي، ج.1، ج.2، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- النجار عبد الوهاب، **الخلفاء الراشدون**، تحقيق : خليل الميس، ط.4، دار القلم، بيروت، لبنان، 1414هـ/1993م.

- الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، ترجمة: حمادي الساحلي، ج.1و2 ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م.

- الهلالي عبد الله، **قاعدة لا ضرر ولا ضرار مقاصدها وتطبيقاتها الفقهية قديما وحديثا**، مج.1، ط.1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي الإمارات العربية المتحدة، 1426هـ/2005م.

- رابح لحسن، **أضرحة الملك النوميد والمور**، دار هومة، الجزائر، 2002م.

- ريحاب محمد كمال محمد أحمد المغربي، **التجارة في عهد عصر بني حماد (408-547هـ/1017-1152م)**، قسم التاريخ، جامعة دمياط، 1436هـ/2015م.

- زعروت فتحي، **الجيوش الإسلامية وحركة التغير في دولتي المرابطين والموحدين**، ط.1، دار الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م.

- سالم عبد العزيز، **المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية**، ج.1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

- سالم عبد العزيز، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، ط.2، مؤسسة شباب الجامعية لطباعة والنشر، 1999م.

- سحنوني محمد، **ما قبل التاريخ**، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1999م.

- سعدون عباس نصر الله، **دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 172-223هـ/788-835م**، ط.1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1408هـ/1987م.

- سعيدوني ناصر الدين، **دراسات أندلسية**، مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، د.ج، ط.2، البصائر، الجزائر.

- سوادي محمد عبد وصالح عمار الحاج، **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي (الأحوال الجغرافية- الفتوحات الإسلامية- قيام الإمارات والدول-الحضارة الفكرية- الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية)**، ط.1، المكتب المصري لتوزيع والمطبوعات، القاهرة، 2004م.

- سيفر لخضر، **التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي**، ج.2، د.ط، دار الأمل، 2006.

- شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى غاية الفتح الإسلامي**، ترجمة: محمد مزال والبشير بن سلامة، دار التونسية للنشر والتوزيع، 1969م.

- شاكر محمود، **التاريخ الإسلامي**، ج.3، ط.8، المكتب الإسلامي، 1421هـ/2000م.

- شاكر محمود، **الفتوحات الإسلامية**، ط.1، دار أسامة، الأردن، 2002م.

- شاكر مصطفى، **المدن في الإسلام حتى العصر العثماني**، ج.1، د.ط، لسان العرب، 1988م.
- شاوش محمد بن رمضان، **الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي**، ط1، المطبعة العلوية، مستغانم، الجزائر، 1966م.
- شاوش محمد بن رمضان، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.
- شرفي عاشور، **معلمة الجزائر القاموس الموسوعي " تاريخ و ثقافة و أحداث (أحداث ، أعلام، معالم)**، ترجمة: عبد الكريم أورغلة بن يوسف بن جديد، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م.
- شريط عبد الله والميلي محمد، **الجزائر في مرآة التاريخ**، ط.1، مكتبة البعث، قسنطينة، ماي 1965م.
- شلبي أحمد، **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، ط.7، مكتبة النهضة المصرية القاهرة سنة 1984م.
- شمبري لور، **المناخ**، ترجمة: زينب منعم، ط.1، مكتبة الملك فهد أثناء النشر، الرياض، 1435هـ/2014م.
- شينيتي محمد البشير، **الجزائر في ظل الاحتلال الروماني**، ج.1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- طاهر راغب حسين، **التطور السياسي للمغرب من الفتح الإسلامي إلى آخر القرن العاشر الهجري**، ط.3، دار النصر للتوزيع والنشر، جامعة مصر، 1425هـ/2004م.
- عبد الستار عثمان، **المدينة الإسلامية**، عالم المعرفة، الكويت، 1988م.
- عبد الكريم يوسف، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- عبد الله محمد جمال الدين، **الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش**، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1411هـ/1991م.
- عثمان عثمان إسماعيل، **العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، دولة المرابطيين والطراز المغربي الأندلسي**، ج.2، ط.1، مطبعة المعارف الجديدة، الرابط 1993م.
- عز الدين أحمد موسى، **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، ط.1، دار الشروق، بيروت، 1403هـ-1983م.

- عزاوي أحمد، **الغرب الإسلامي خلال القرنيين 7-8 هـ**، دراسة تحليلية لرسائله، ج.2، الرباط، 2007م.

- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، **تاريخ المغرب والأندلس**، د.ط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د.ت.

- علا محمود حمود، **المجاعات والأوبئة في المغرب والأندلس ق 6- 8هـ//12-14م دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي**، جامعة البعث، حمص، سوريا، 1439هـ/2018م.

- عمورة عمار، **الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962م**، دار المعرفة، جزء1، 2007م.

- عبد الرازق هالة، **أسواق فاس العصر المريني(646-869هـ/1248-1465م)**،ط.1، مكتبة الثقافة الدينية، 1434هـ/2013م.

- عبد الفتاح محمد وهيبة، **في جغرافية العمران**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1980م.

- عويس عبد الحليم، **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، ط.2، دار صحوت، دار الوفاء، القاهرة، 1411هـ.

- غالب عبد الرحيم، **موسوعة العمارة الإسلامية**، ط.1، جروس للطباعة والنشر، بيروت، 1988م.

- غانم محمد الصغير، **المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، الملامح الحضارية والتطور الفكري لفترة ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم**، ط.1، دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

- غانم محمد الصغير، **معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر**، ط.1، دار الهدى، عين مليلة، 2003م.

- غلام الله عبد الله، **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، المطبعة الشعبية، الجزائر، 2007.

- غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ترجمة: عادل زعيتر، ط.3، طبع دار إحياء الكتب العربية، 1956م.

- فراج عبد العزيز، **تلمسان مدينة محراب**، منشورات أبيك، الجزائر، 2011م.

- فركوس صالح، **المختصر في تاريخ الجزائر**، د.ط، دار العلوم، عنابة، 2002م.

- فركوس صالح، **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال**، دار العلوم، عنابة، الجزائر، 2005م.

- فكاير عبد القادر، **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910هـ-1206هـ/1505م-1792م)**، دار هومة، الجزائر، 2012م.
- فكري أحمد، **مسجد القيروان**، دار العالم العربي، مدينة نصر، القاهرة، 2009 م، ص.11.
- فيلالي عبد العزيز ، **تلمسان في العهد الزياني**، ج.1، دار موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.
- فيلالي عبد العزيز، **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط**، ج.1، دار الهدي، عين مليلة، 2014م.
- ك إبراهيمي، **تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر**، ترجمة: محمد البشير شنيتي ورشيد بورويبة، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.
- لطفي دبيش، **التواصل الحضاري في الثقافة العربية والإسلامية**، مركز النشر الجامعي، منوبة، 2020م.
- لقبال موسى، **المغرب الإسلامي**، ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- لقبال موسى، **عقبة بن نافع**، صدر عن وزارة الثقافة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م.
- ماجد عبد المنعم، **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، مكتبة الأنجلو، مصر، 2005م.
- محمود إسماعيل، **الأدارسة (172- 375هـ) حقائق جديدة**، ط.1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ-1991م.
-محمود إسماعيل، **الأغالبة سياستهم الخارجية 184-296هـ**، ط.3، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000م.
- محمود الحاج قاسم محمد، **البيئة والأوبئة في التراث الطبي العربي الإسلامي**، ط.1، دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع، الموصل، العراق، 2020م.
- ممدوح حسن، **إفريقية في عصر الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي قراءة جدية تكشف افتراءات دعاة الفاطميين**، ط.1، دار عمار، عمان، الأردن، 1417هـ/1997م.
- مؤنس حسين، **المساجد**، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، عالم المعرفة، الكويت، 1978م.
- مؤنس حسين، **تاريخ المغرب وحضارته**، مج.1.
- مؤنس حسين، **فتح العرب للمغرب**، مكتبة الثقافة الدينية.

– مؤنس حسين، **موسوعة تاريخ الأندلس، تاريخ وفكر، وحضارة وتراث**، ج.1، ط.1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996م.

–ممدوح حسن، **إفريقية في عصر الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي قراءة جدية تكشف افتراءات دعاة الفاطميين**، ط.1، دار عمار، عمان، الأردن، 1417هـ/1997م.

– مهندس وزيري يحي، **العمران والبنيان في منظور الإسلام**، ط.1، روافد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة الكويت، 1429هـ/2008م.

– ناجي عبد الجبار، **دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية**، ط.1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 2001م.

– ناصري عبد المالك، **موقف الفقهاء من التخطيط الحضري للمدن، السلطة والفقهاء والمجتمع في تاريخ المغرب**، الائتلاف والاختلاف، سلسلة ندوات في تاريخ المغرب.

– نجار أحمد ليلى، **المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي**، دارسة تاريخية وحضارية، ج.2.

– نور الدين عبد القادر، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، بئر توتة، الجزائر، 2006م.

3-2- الرسائل الجامعية:

– إسماعيل محمود عبد الرزاق، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دكتوراه في التاريخ، ط.2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1985م.

– الخزاعلي فرات محمود ميران، **الدولة الفاطمية في بلد المغرب دراسة سياسية**، ماجستير في تاريخ إسلامي، كلية التربية، الجامعة المستنصرية.

– العلياني الحجايا سفيان سالم، **بدر الجمالي وتأثيره في أحوال الدولة الفاطمية السياسية والاقتصادية**، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة مؤتة، 2006م.

– الهدون حامدون، **العلاقات الحضارية بين المغرب الأوسط والجمهوريات الإيطالية من القرن 6 هـ -12م حتى القرن 10هـ- 16م**، دكتوراه ل م د في التاريخ، تخصص: التاريخ الحضاري للمغرب الأوسط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، 2018م/2019م.

– باحمد سعيدة، **دراسة تكنولوجية وتنمطية لمجموعة حجرية صناعية لموقع شرشار بمستغانم**، ماجستير في أثار ما قبل التاريخ، جامعة الجزائر، معهد الأثار، 2011 / 2012م.

- بديرة عادل، **بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط(دراسة للواقع الاقتصادي والاجتماعي و تأثيرها على السلوك والذهنيات من القرن 4 إلى 7هـ/10-13م**، ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018/2017م.

- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، **تلمسان في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1555م)**، ماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1422هـ/2002م.

- بلجوزي بوعبد الله، **دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم**، ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2006/2005م.

- بلحاج بن بنوح معروف، **العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي مزاب**، دكتوراه في تاريخ العمارة الإسلامية، قسم علم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1423هـ/مارس 2002م.

- بلول ليلى و ضو فاطمة، **أمهات الكتب المتداولة في الدولة المرابطية وآثارها على الحركة العلمية 448-541هـ**، ماستر في التاريخ، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2021/2020م.

- بن بلة خيرة، **المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني**، دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2008/2008م.

- بن مصطفى إدريس، **السياسية الإقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الإيبيرية في عهد الدولة الزيانية**، ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2007/2006م.

- بن داود نصر الدين، **بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى 10هـ/16م**، دكتوراه في تاريخ الوسيط، جامعة تلمسان، الجزائر، 1431هـ/2010م.

- بن نعمان إسماعيل، **مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية(3-13ه/9-19م)**، دكتوراه في علم الآثار " أثار إسلامية"، معهد الآثار،جامعة الجزائر 2، 2006-2007م.

- بن يوسف مفيدة، **الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني لقرنين السادس عشر والسابع عشر (16م-17م)**، ماجستير، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة وهران، 2011/2010م.

- بوجلال مسعودة، **الاحتلال الإسباني لوهارن والمرسى الكبير ما بين (1505- 1792م) من خلال المدونة الفرنسية: المجلة الإفريقية(R.A) ونشرية وهران الأثرية والجغرافية (B.S.G.A.O) أنموذجا دراسة بيبلوغرافية تحليلية**، دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2020/2019م.

- بوخارش مريم، **آثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط 6-10هـ/12-16م**، دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2015/2014م.

- بوطبة محفوظ، **أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية والكتابية**، دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2018/2017م.

- بوعويرة نبيل، **طرق حماية المعالم التاريخية من خلال دراسة أثرية لقصر البحر بقلعة بني حماد**، ماجستير في الصيانة والترميم، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2008/2007م.

- بوقاعدة البشير، **خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ/909 – 547هـ/1152م**، ماجستير في تاريخ المشرق والمغرب الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2013/2012م.

- بوقاعدة البشير، **خطة الحصار العسكرية في بلاد المغرب الإسلامي بين القرنين الرابع والثامن الهجريين (10-14م)**، شهادة دكتوراه علوم في تاريخ المغرب و المشرق الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2017/2016م.

- بومدين حليمة، **جرد المكتشفات الأثرية بحفرية هنين**، ماستر، تخصص: علم الآثار الوقائي، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2015/2014م.

- تجنانت مراد، **الأزمات الاقتصادية في الغرب الإسلامي مظاهرها وآثارها أسبابها وطرق معالجتها في القرنين الخامس والسادس الهجريين(11-12م)**، دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2015-2016م.

- تواتي حسين، **حكامة التسيير في الدولة الزيانية في المجالين السياسي والاقتصادي من خلال أنموذجي يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني**، دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2017-2018م.

- جلجال فاطمة، **موقع تيهرت الأثري (160-296هـ/777-909م) دراسة أثرية**، ماجستير في تخصص علم أثار المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، 2013/2012م.

- جليد عقيلة، **فخار وخزف مدينة آشير الزيرية " دراسة تنميطية وفنية**، ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2010/2009م.

- خلفات مفتاح، **قبيلة زواوة مابين القرنين (6-9هـ/12-15م)**، دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009م.

- دحماني صبرينة نعيمة، **جرد المعالم التاريخية والمواقع الأثرية لمدينة تلمسان**، دراسة تمهيدية لوضع الخريطة الأثرية، دكتوراه علوم، تخصص علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015/2014م.

- دريش ليلى، **المداخل بالعمائر الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني**، ماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، 2012/2011م.

- دندان محمد الأمين، **الزليج الزياني في القرنين 13م – 14م / 7هـ- 8 هـ(دراسة فنية للزليج المكتشف في حفريات المشور 2008-2009م)**، ماجستير في علم آثار المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014م.

- ربيع عولمي، **مكة ودورها الثقافي والديني في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام**، ماجستير في التاريخ القديم، تخصص: تاريخ الحضارات القديمة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008/2007م.

- رحماني موسى، **الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (27-362هـ/637-972م)**، ماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ المجتمع المغاربي، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007م.

- رشيد عباس، **النظام الغذائي بالمغرب الإسلامي من القرن السادس الهجري إلى القرن التاسع الهجري (12م- 15م)**، دكتوراه (ل م د) في التاريخ الإسلامي الوسيط، 2021/2020م.

- رضوان فاطمة عبد القادر، **مدينة القيروان في عهد الأغالبة 184هـ-296م**، دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1412هـ/1991م.

- سالم مصطفى، **الاستحكامات العسكرية الموحدية في بلاد المغرب والأندلس دراسة تاريخية أثرية**، دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2018/2017م.

- سحنون توفيق، **دراسة أثرية للمجموعات الفخارية والخزفية الإسلامية بمتاحف قلعة بن حماد – سطيف- تلمسان**، ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2008/2007م.

- سكاكو حورية، **التحولات الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهدين الموحدي والزياني من القرنيين (6-10هـ/12-16م) دراسة مقارنة**، ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ و علم الأثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014م.

- سلامة محمد سلمان الهرفي، **الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضارة لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (500- 537هـ)**، ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1402هـ/1982م.

- شاكي عبد العزيز، **الحروب والثورات والفتن الداخلية في دولة المرابطين (447 – 541هـ/1056-1146م)**، دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2016/2015م.

- شرقي الرزقي، **التقييس الرسمي ببلاد المغرب الإسلامي (دراسة أثرية ومقاربات تحليلية لأدواته المتبقية**، دكتوراه في أثار المغرب الإسلامي، قسم علم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2007/2006م.

- شوشان الأسعد، **الموانئ والمراسي بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة دراسة تاريخية أثرية**، ماجستير في علوم التراث، تخصص: آثار إسلامية، جامعة تونس، 2010/2009م.

- صديقي عبد الجبار، **سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات**، ماجستير في تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014/2013م.

- طرشاوي بلحاج، **العمارة الإسلامية أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية من خلال بعض النماذج**، دكتوراه في الفنون، شعبة الفنون، قسم الثقافة الشعبية، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006-2007م.

- طهير عبد الكريم، **التواصل الحضاري بين الأندلس و بلاد المغرب على عهدي المرابطين و الموحدين (ق5-7هـ/11-13م)**، دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016-2017م.

- طيبي مهدية، **مقاربة للوضع الاجتماعي والاقتصادي لأهل الأندلس لمدينة الجزائر القرن (17م-18م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، ماجستير، تخصص تاريخ حديث، الجزائر،2009/2008م.

- عبدلي الأخضر، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/1236-1554م)**، دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2004-2005م.

- عدة الشيخ، **العصبية الدينية دورها في قيام وأفول الدول الإسلامية المرابطية نموذجا، ماجستير في إطار المدرسة الدكتورالية (الدين والمجتمع)**، قسم الفلسفة، جامعة وهران، 2012/2011م.

- عزوق عبد الكريم، **المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها (دراسة أثرية)**، دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2008/2007 م.

- علوي مصطفى، **تلمسان من خلال كتب الرحالة والجغرافيين المغاربة والأندلسيين من القرن السابع الهجري إلى القرن التاسع الهجري (13-15م)**، دكتوراه في تاريخ المغرب الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015م.

- عليلي محمد، **الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنيين الأول والثالث الهجريين / السابع والتاسع الميلاديين**، دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2015-2016م.

- عمارية عايدة، **الفوارق الصوتية والدلالية بين الفصحى والعامية في منطقة هنين**، ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، كلية الأداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2004م.

- عناوي محمد، **النشاط البحري في الأندلس، عصر الإمارة**، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الأدب والعلوم،ج.2، ظهر المهزار، فاس، 1986-1987م.

- عيمور سكينة، ريف **المغرب الأوسط في القرنين 5 و6هـ/11و12م**، دراسة اقتصادية واجتماعية، **ماجستير في التاريخ، تخصص: تاريخ الريف والبادية**، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2013/2012م.

- فراحتية صابرة وسعادة نعيمة، **القبائل الأمازيغية من وفاة الكاهنة إلى نهاية الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط**، ماستر الأكاديمي في التاريخ، تخصص: تاريخ القرون الوسطى، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017/2016م.

- فرشيشي رمزي، **الملف الأثري للموقع زموري البحري**، ماستر 2 في الآثار الإسلامية، معهد الأثار، جامعة الجزائر 2.

- فيسة محمد رابح، **المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة دراسة تاريخية أثرية**، ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2005/2004م.

- قدور منصورية، **منطقة ترارة دراسة تاريخية 76.وحضارية القرن 5هـ /11م حتى القرن 10هـ/16م**، دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2018/2017م.

- لخضر العربي، واقع **الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني (633هـ/1235م-962هـ/1554م)**، دكتوراه، تخصص: تاريخ وسيط إسلامي، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة أحمد بن بلة وهران، 2018/2017م

- لعباسي محمد، **أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط خبر قدوم عروج رايس إلى الجزائر وأخيه خير الدين لمؤلف مجهول من سنة 918هـ/1512م إلى سنة 953هـ/1546م**، ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2006/2005م.

- لعرابة نوال، **آثار الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط من خلال المواقع الأثرية ومجموعة متحفي سطيف وقسنطينة (280هـ-893م/362هـ-973م) دراسة أثرية وفنية**، ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2015/2014م.

- محمد أسامة منال، **انعكاس الثقافات الوافدة على العمارة والعمران في مصر**، ماجستير، قسم عمارة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، 1997م.

- مزدور سمية، **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)**، ماجستير في تاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009/2008م.

- مطهري فاطيمة، **المظاهر الحضارية في القيروان وتيهرت إبان القرنين الثاني والثالث الهجريين دراسة مقارنة**، دكتوراه تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015/2014م.

- مطهري فاطيمة، **مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية (2-3هـ/8-9م)، ماجستير في التاريخ المغرب الإسلامي**، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010م.

- معروف بن بنوح بلحاج، **العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي مزاب**، دكتوراه في تاريخ العمارة الإسلامية، قسم علم الأثار، كلية الأداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1423هـ/مارس 2002م.

- مفتاح عثمان، **العمارة الدفاعية لشرق مدينة الجزائر إبان الحقبة العثمانية نموذج "برج القنيطرة بالحراش" 1159هـ/1724م دراسة وصفية أثرية**، تحليلية ومقارنة، ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2009/2008م.

- منصور عبد الحفيظ، **الأوضاع الإجتماعية والاقتصادية في عهد الإمارة الرستمية**، دبلوم للدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي، معهد العلوم الإجتماعية، جامعة قسنطينة، 1984م.

- ميلود بن أحمد، **التحصينات العسكرية بمدينة مستغانم في العهد العثماني دراسة أثرية،** ماستر في علم الآثار المغرب الإسلامي، قسم علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بلقايد، تلمسان، 2018/2017م.

- ناصري محمد، **الحرب والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني – دراسة في إنعكاسات الحرب على البنى الاقتصادية والاجتماعية والذهنية (633-962هـ/1235-1554م)**، دكتوراه (ل.م.د) في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2021/2020م.

- نشيطو حسين، **علم المقايس في المغرب الأوسط من بداية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن الهجري (من القرن 06 إلى القرن 15م) (دراسة تاريخية أثرية)**، ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الأثار، جامعة الجزائر 2، 2012/2011م.

- هاشمي بن براهيم، **قبائل وهران والاحتلال الإسباني قراءة في مواقف التحالف والولاء،** دكتوراه، تخصص: الحوض الغربي للمتوسط تاريخ وحضارة، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، 2021/2020م.

- هاشمي مريم، **الروابط الثقافية لمدينة بجاية مع حواضر بلاد المغرب الإسلامي – دارسة نماذج- (تلمسان – فاس – تونس) من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجريين /12-15م،** دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، في العصر الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018-2019م.

- وميض محمد شاكر إبراهيم، **أبو عبيد الله البكري و منهجه التاريخي في كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،** ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية التربية، جامعة الموصل، 1424هـ/2003م.

- يخلف حاج عبد القادر، **الدور السياسي والإسهام الفكري لصنهاجة بالأندلس من القرن 4هـ إلى نهاية القرن 6هـ / 10م- 12م،** دكتوراه في التاريخ المغرب الوسيط، قسم التاريخ والآثار، جامعة أحمد بن بلة، 2017/2016م.

- يطغان جمال، **دراسة تكنومورفولوجية لمجموعة صناعية حجرية للوجه الثقافي العاتري لموقع الشعايبية الكحلة لولاية مستغانم (الساحل الغربي الجزائري)،** ماجستير في أثار ما قبل التاريخ، جامعة الجزائر 2، معهد الآثار، 2011 /2012م.

3-3- المجلات والدوريات:

- أبرو عبد الحي، **« دراسة فقهية تطبيقية لقاعدة لا ضرر ولا ضرار»**، مجلة القلم، جوان، 2013م، ص ص. 392 -420.

- ابلالي أسماء، **« التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ/16م قراءة في الدوافع والنتائج»**، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد الثاني، 2017م، ص ص.33-65.

- البدالي المترجي، **« تكامل القواعد الأصولية والفقهية في بناء الحضارة الإسلامية البيئة والعمران»**، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، العدد العاشر، أكتوبر، 2021م، ص ص.26-63.

- العرباوي محمد، **«أشير جزء من تاريخ الجزائر العريق " صيانة وقائية وأعمال ميدانية دائرة عين بوسيف ولاية المدية»**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد:05، العدد:12، ديسمبر 2017م، ص ص 186 - 195.

- العظم علي والدقور سليمان، **«مفهوم العمران في الفكر الإنساني»**، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد:103، ربيع 1443هـ/2022م، ص ص.199 -250.

- الكتامي عبد الرحيم، **«السوق الإسلامية بالمدينة المنورة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم»**، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد: 06، العدد:02، ديسمبر 2022م ص ص. 452 - 469.

- المعتصم محمد، **«المدينة الإسلامية وخصائصها»**، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد:02، مكتبة البنين، قسم الدوريات، جامعة قطر، دولة قطر، 1400هـ/1980م، ص ص.217 -252.

- إلياس حاج عيسى، **« زناتة المغرب الأوسط القبيلة والمجال»**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد: 03، العدد:01، يناير 2020م، ص ص.173 - 195.

- أيمن إسماعيل وآخرون، **« أثر التدخل السياسي في نشأة المدن القديمة والحديثة (حالة الدول الإسلامية)»**، مجلة كلية الهندسة، جامعة الفيوم، ص ص.01 -26.

- بلجوزي بوعبد الله، **«المراحل التاريخية لمدينة مستغانم من الفتح الإسلامي إلى القرن 9هـ/15م»**، مجلة منبر التراث الأثري، العدد:01، ص ص191 -201.

- بلحميسي مولاي، **« نهاية دولة بني زيان»**، مجلة الأصالة، العدد:26، الجزائر، 1979م، ص ص.30-36.

- بن زغادي محمد، **« قراءة في تاريخ مدينة هنين»**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية عربية، العدد:28، 2008م، ص ص.82-87.

- بن ساعو محمد، **«العمارة التجارية في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني من خلال مصنفات النوازل والحسبة (07-09هـ/13-15م»** ، المجلة المغاربية للمخطوطات، المجلد:11، العدد:01، ص ص 07 - 42.

- بن شاعة غالي وقلفاط عبد الباسط، «**مجتمع إقليم مستغانم 1700-1830م»**، مجلة البحوث التاريخية، المجلد:07، العدد:01، جوان 2023م، ص ص.485 -504.

- بن عميرة محمد، **«الصيد البحري بالسواحل المغربية»**، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، يوم 7-8 ديسمبر 2009م، ص ص.369 - 402.

- بن نعمان إسماعيل، **«جوانب من الحياة الاقتصادية لمدينة تنس الإسلامية»**، مجلة عصور، الأعداد:12-13/14-15، 2009/2008م، ص ص.201 -218.

- بن نعمان إسماعيل، **«حرفة البناء ببلاد المغرب الأوسط تقنية الطابية أنموذجا»**، المجلة الناصرية، المجلد:04، العدد:01، جوان 2013م، ص ص. 465 - 482.

- بن نعمان إسماعيل، «**حرفة إنجاز السقف القرميدي في قرى منطقة القبائل بالجزائر»**، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد:16، العدد:01، 2018م، ص ص. 62 -77.

- بن نعمان إسماعيل، **«مدينة مرسى الدجاج من خلال النصوص التاريخية والبقايا الأثرية»**، عصور الجديدة، العدد:19-20، صيف-خريف أكتوبر 1436هـ- 1437هـ/2015م، ص ص.9-31.

- بوتشيشة علي، «**الحمامات العامة بالجزائر خلال العهد العثماني حمام الباي مصطفى المسراتي بوهران أنموذجا»**، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 14، العدد 02، ص ص. 83- 95.

- بوجمعة طيب نعيمة، «**الهجرة الهلالية من خلال مخطوط " كتاب نسب زُغبة ومنتهى أصلهم" لأبي الحسن علي بن محمد بن الخطيب القرشي»**، المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد:06، جانفي 2018م، ص ص.110 - 152.

- بورويبة رشيد، **« مدن مندثرة، تاهرت، سدارتة، أشير، قلعة بن حماد»**، سلسلة فن وثقافة وزارة الإعلام و الثقافة، الجزائر، 1981م.

- بورويبة رشيد، **«أشير»**، مجلة الأصالة، العدد:12، الملتقى السابع للتعرف على الفكري الاسلامي، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، تيزي وزو، 1973م، ص ص. 113-119.

- بورويبة رشيد، «**جولة عبر مساجد تلمسان**»، مجلة الأصالة، العدد:26، الجزائر، 1975م، ص ص.171 - 182.

- بوزرينة سعيد، **«القباب ومناطق الانتقال في العمارة الدينية بالجزائر خلال العصر العثماني»**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد:06، العدد:01، ص.216. ص ص. 213 -239.

- بوقاعدة البشير، **« التخريب الهلالي لقلعة بني حماد مقاربة بين عوامل الازدهار وأسباب التراجع والاندثار»**، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، المجلد:04، العدد:08، ص ص. 71-112.

- بونابي الطاهر، **«الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط الزياني من خلال نص المناقب»**، مجلة الناصرية، مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخية، العدد: 04، 2013م، ص ص.165-211.

- بويحياوي عز الدين، **«تأثير الطرق في إنشاء مدن المغرب الأوسط»**، مجلة الخلدونية، المجلد:06، العدد:01، ص ص.23 -37.

- تشيش نبيل وعطية عبد الكامل، **« الجزائريين من التحالف مع الإخوة بربروس لطرد الصليبيين إلى تشكيل نظام سياسي جديد مع مطلع القرن 16م»**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد:13، العدد:02، 2022م، ص ص. 287 - 308.

- حاجيات عبد الحميد، **«حول شخصية عقبة بن نافع الفهري»**، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد:01، العدد:01، 01-01-1986م. ص ص 35-41.

- حروز عبد الغني،«**الخوارج نشأتهم وانتقالهم إلى بلاد المغرب الإسلامي»**، المجلة التاريخية، العدد: 6-7، جانفي 2018م، ص ص.35-53.

- حموم خالد، **«انتقال الحماديين من القلعة إلى بجاية دراسة في الأسباب والنتائج»**، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد:33، العدد:04، ديسمبر 2022م، ص ص.533- 542.

- خلف الجبوري خليل، **«معالم من الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس الحمامات أنموذجا»**، مجلة كان التاريخية، العدد:32، يونيو 2016م، السنة التاسعة، ص ص. 162 - 167.

- خليفي رفيق، «**الأندلسيون وتنشيط حركية الواجهة البحرية للمغرب الأوسط**»، أعمال الملتقى الدولي "الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر) إلى نهاية العهد العثماني، جامعة الجزائر 2، 7- 8 ديسمبر 2009م، ص ص.131 - 157.

- زيرار رضوان وبن داود نصر الدين، «**الدور الاقتصادي لمدينة هنين خلال العهد الزياني**»، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد:08، العدد:03- ديسمبر 2022م، ص ص.21-34.

- ساحد عزيز طارق، «**آثار ما قبل التاريخ وفجره بمنطقة تلمسان**»، تلمسان بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، ج.1، أعمال الملتقى الدولي بتلمسان أيام 3-4-5 أكتوبر 2011م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011م.

- شلغوم نبيلة، « **الحيوية التجارية لموانئ المغرب الأوسط إلى غاية نهاية القرن 04هـ/ 10م، ميناء تنس أنموذجا**»، مجلة عصور، المجلد:20، العدد: 03، ديسمبر، ص ص.11-32.

- صفار محمد، « **في أن الظلم مؤذن بخراب العمران**»، أوراق نماء، مركز نماء للبحوث والدراسات، ص ص.2 -16.

- طويلب عبد الله، « **بجاية تت حكم بني غانية**»، مجلة القرطاس، العدد:03، جانفي 2017م، ص ص.106-116.

- عداد تسعديت، « **دور الموقع الجغرافي لجمهورية البندقية في توجيه اقتصادها إلى إنتاج وتجارة الملح في العصر الوسيط**»، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد:05، العدد:02، 2021، ص ص473 -485.

- عزوق عبد الكريم، «**التحصينات الدفاعية الإسلامية ببجاية**»، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد:5، العدد: 12، ص ص. 75 - 95.

- عشي علي، «**استغلال المياه في بلاد المغرب الأوسط " نظرة تاريخية أنثروبولوجية**»، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد:32، العدد:03، ديسمبر 2021، ص ص.567 -584.

- عمیار خلیل وغرداوي نور الدین، «**منشآت السقي وأهميتها ببلاد المغرب في القرن (9هـ/15م) من خلال النوازل**»، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال أفريقيا، المجلد:04، العدد:02، سبتمبر 2021، ص ص. 363 - 398.

- عياش محمد، «**مدينة أشير**»، المجلة المغاربية للمخطوطات، المجلد:06، العدد:01، 2010م، ص 35- 52.

- فيلالي عبد العزيز، **« قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ/11م»**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد:05، العدد:01، 2006م، ص ص.07 -22 .

- لعرج عبد العزيز، **« مدينة هنين تاريخها وآثارها»**، الملتقى الدولي الخامس حول التراث العلمي والثقافي لمدينة ندرومة ونواحيها، دار السبيل للنشر والتوزيع، 2006م، ص ص.141.

- لعرج عبد العزيز، **«المساجد الزيانية بتلمسان عمارتها وخصائصها»**، حوليات، جامعة الجزائر، المجلد:06، العدد:01، ص ص.101 - 125.

- مطهري فاطمة، **«ظهور الخوارج ببلاد المغرب ودورهم في قيام الدويلات المستقلة خلال القرنين 2-3هـ/8-9م (وإباضية الدولة الرستمية نموذجا) »**، مجلة كان التاريخية، السنة الرابعة، العدد الرابع عشر، ديسمبر، 2011م، ص ص.91 -101.

- مطهري فطيمة، **« مدينة تنس ثغر الأندلسيين ومحطة تجارتهم وعبورها إلى بلاد المغرب الإسلامي»**، مجلة القرطاس، العدد:03، جانفي 2017.ص ص.147 -158).

- ملكاوي فتحي حسن، **« العمران في منظومة القَيم الحَاكِمة »**، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الخامسة عشرة، العدد: 59، شتاء 1431هـ/2010م، ص ص.05 -24.

- موشموش محمد، **«أثر عمارة مسجد قرطبة على عمارة المساجد المرابطية بالمغرب الأوسط القرنين الخامس والسادس للهجرة»**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد:03، العدد:01، ص ص.270 -291.

- موشموش محمد، **«مدينة أشير عاصمة الإمارة الزيرية بالمغرب الأوسط 324 هـ/935م»**، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد:06، العدد:01، 2022م، ص ص.212 - 230.

- نفيدسة عبد القادر، **«الرمزية الدينية في العمارة الإسلامية»**، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، المجلد:05، العدد:02، أفريل 2022م، ص ص.570 -580.

- نقادي سيدي محمد، **«التهيئة العمرانية بمدينة تلمسان من المرابطين إلى بداية الإحتلال الفرنسي دراسة ميدانية»**، أفكار وأفاق، ع.03، جامعة الجزائر 2، 2012م، ص ص.167- 178.

- نقادي محمد سيدي، **«وظائف أسوار مدينة تلمسان العتيقة»**، دراسات تراثية، ج.1، العدد:05، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2014م، ص ص.345- 355.

- هرباش زاجية، **«نتائج ثورة بني غانية 580هـ-633هـ/ 1184م-1237م»**، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد:04، العدد:01، ص ص.123-127.

- هيصام موسى، **«أشير المدينة والعاصمة تأثيرها السياسي وإشعاعها الحضاري على ما جاورها»**، المجلة المغاربية للمخطوطات، المجلد:06، العدد:01، ص ص. 53- 64.

6- المعاجم:

- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري، **لسان العرب**، ج.13،11،10،9،5،،4،3،2،1،6، دار صادر، بيروت.

- أبي الحسن أحمد بن فارس زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج.4، دار الفكر، مجمع العامي العربي الإسلامي، محمد الداية، 1499هـ/1979م، ص141.

- الزركلي خير الدين، **الأعلام قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط.7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، مايو 1986م.

- الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقوسي، ط.8، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م.

- **المعجم العربي الأساسي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم**، طبعة لاروس، 1989م.

- مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، **المعجم الوسيط**، ط.4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1425هـ/2004م.

4- المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

4-1- الكتب:

- Basset (R), **Nedroma et les traras**, Paris, Leroux, 1901.

-Basset (R) **, Mélange africain et Orient eaux**, Paris, 1945.

- Benseddik (N), **Les troupes auxiliaires de l'armée en Romaine en Mauritanie Césarienne sous le haut empire**, société nationale d'édition et de diffusion, Alger, 1979.

- Bergue(A) , **L'Algérie terre d'art et d'histoire**, Alger, 1937.

-Belhamissi (M), **Histoire de Mostaganem, (des origines à l'occupation française)**, S.N.E.D, Alger,1976.

- Bouayed Agha (M**), Le port de Hunayn, trait d'union entre le Maghreb central et l'Espagne au Moyen Age**, dans: Relaciones de la Peninsula Iberica con El Maghreb siglos XII–XVI ; Aatacd elcoloqui (Madrid,17-18 décembre 1987), Madrid, Instituto Hispano- Arabe de cultura, 1988.

- Bourouiba (R), **Apports de L'Algérie a l'architecture religieuse arabo-islamique**, Entreprise nationale du livre et office des publications universitaires, Alger, 1986.
- BRIVES(A), **Matériaux Pour la Carte Géologique de L'Algérie, Les terrains Miocènes du bassin du Chélif et du Dahra**,imprimerie P. Fontana - & C, Rue d'Orléans, Alger, 29,1897.
- Chaibi (K), **De Sitifis à Sétif, éditions dalimen**, Algérie, 2010.
- Esterhazy (W), **De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger**, Paris, 1840.
- Gsell (S) , **Histoire ancienne de l'Afrique du Nord éd Hachette**, Paris, 1913-1928.
- Hanifi (N) et Kadik (L) et Guittonneau (G)**, Analyse de la végétation des dunes littorales Zemmouri** (Boumerdès , algérie), Acta Botanica Gallica, 26 Apr 2013.
- Marçais (G), **L'Architecture musulman d'occident, Tunisie, Algérie, Maroc**, Espagne et Sicile, arts et métiers graphiques, Paris, 1954.
- Marçais (W) et Marçais (G), **Les monuments arabes de Tlemcen**, Paris, Albert Fonteoing Éditeur, 1903
-Monsonégo (J**) , L'Activité Economique de Mostaganem de 1830 à nos Jours,** Ed, la Rose, Paris, 1950.
-Priou (L), **Mostaganem et son arrondissement**, imprimerie de l'Indépendant, Mostaganem, 1892.
-Thireau (L), **Mostaganem et ses environs, Historique**, administration, description, renseignements, généraux, imprimerie, eugéneprim, Mostaganem, 1912 .

4-2- الرسائل الجامعية:

- Abdi Souad (A) et Harmouch (N), **Notes sur quelques genres de plantes déterminants le long du littoral Mostaganem**, Synthèse bibliographique et appui avec quelques sorties, Master en sciences Biologiques, Biodiversité et L'environnement, Université Abdelhamid Iben Badis, Mostaganem, 2020/2021.

- Benamour (A) et Benrali (O), **Renouvellement urbain dans la ville de Ténès, Rapport de Projet de Fin d'étude PFE**, architecture en Zone Urbaine Littorale, institut d'architecture et d'urbanisme, Université Saad Dahlab blida 1, 2016/2017.

- Benmahiddine (R) , **Littoralisation, écologie urbaine et tourisme durable- cas de la commune de Zemmouri**, Présenté pour l'obtention du diplôme de magister, faculté des STGAT, USTHB, 2013.
- Mersali (S), **étdude de la réhabilitation de la Mosquée Sidi maiza de la ville Ténès**, Mémoire de master Académique, structure, Génie Civil,

Civil engineering et d'architecture département, Université Abdelhamid Ibn Badis, Mostaganem, 2021/2022.
- Souliaman (K), **Etude des orthoptères au niveau du littorale de Honaine région de Tlemcen matière écologie et environnement,** Université de Tlemcen, 2011.

3-4- المقالات:

- Allaoua (A), **« La mer et les milieux mystiques d'après la production hagiographique du Maghreb occidental (XIIe-XVe siècle) »,** Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée, 2012, Pp. 33-52.
-André (J), **« Histoire de l'Afrique du Nord Tunisie – Algérie-Maroc»**, Revue d'histoire de l'Église de France, T2, Payot, Paris, 1972, Pp.488-489.
- Ben-el-Khaznadji (M), **« La Mosquée de Sidi Maiza dans le Vieux Ténès»**, In Athar, association algérienne pour la sauvegarde et la promotion du patrimoine archéologique, bulletin N°02, Janvier 1990, Pp.7-8.
- Berbrugger (A) ,**« Antiquités du cercle de Ténès»** , in Revue Africaine, N°2 : Année 1857,1858, office des publications, Alger,1986, Pp.4-13.
- Canal (J), **«Tiaret monographie ancienne et moderne»,** Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran, Tome 20, 1900.
- Dessus (L) et Marçais (G), **« Recherches d'Archéologie musulmane, La Mosquée du vieux Ténès »**, in Revue Africaine , 1924,T.65, Alger, Pp. 530-540.
- Gesell (S)**, « Coonia Augusti legio II »,** Atlas Archéologique, T1, Pp 12-20.
- Gseel (S), **«Atlas archéologique de l'Algérie»**, T.1, 2em ed, Alger, 1997.
-Khalifa (A)**, « Honaine ancien port de royaume de Tlemcen édition dalma»** , Alger, 2007.
- Lorcin (J), **« Les Stations préhistoriques du Cap Ténès »,** in Revue
- Marçais (G), **« Recherches d'archéologie musulmane Honain »**, in revue Africane, T. 69, 1928, Pp.333-350.
- Nora (Y), **«les confins occidentaux de la Mauritanie césrinne sujet** de doctorat», 2003.
-Camps (G),**«Chronologie absolue et succession des civilisations préhistoriques dans le Nord de L'Afrique»,** in Revue libyca, N° 21, 1968, Pp 9-28.
-Mac (C), **« Algeria Romana, Recherche sur L'occupation et La colonisation de L'Algérie par Les romains 2ème partie »**, in Revue

Africaine, Volume 01, Arnolet Imprimeur Libraire, Constantine, Algérie, 1856 -1962 , Pp.165-180.
-Marçais (G),«**Tlemcen ville d'Art et d'histoire»**, publié par les soins de la société historique Algérienne, Tome1, Alger,1936.
-Marçais (G), **« Mèlanges d' histoire et d'archéologie de L'occident Musulmane »**, Tom 1 (Articles et conférences), Alger,1957, Pp.384-386.
- Priou (N), **« Oran et L Algérie en 1889 »**, notice historique, Scientifique et économique, T.2, Oran, 1888
-Sari (D), **« Honaine passé et transformation en cours »,** office de publication universitaire, Alger du patrimoine archéologique , bulletin N°02, Janvier 1990.
- Souidi (D)**, « Histoire d'Achir, Cahiers d'Achir**», n°1, 1992.

الفهارس:

1- فهرس الآيات القرآنية

2- فهرس الخرائط

3- فهرس المخططات

4- فهرس الأشكال

5- فهرس الصور

6- فهرس الأعلام

7- فهرس المدن والأماكن

8- فهرس القبائل والجماعات

9- فهرس المواضيع

فهرس الآيات القرآنية			
الآية 9	قال الله تعالى:" أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"	سورة الروم	ص.71.
الآية 123	قال الله تعالى: " قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ "	سورة الأعراف	ص.74.
الآية 101	يقول الله تعالى: " وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ "	سورة التوبة	ص.74.
الآية 30	يقول الله تعالى: " وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"	سورة يوسف	ص.75.
الآية 112	قال الله تعالى: " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً"	سورة النحل	ص.75.
الآية 15	قال الله تعالى:" لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ" سورة سبإ"	سور سبأ	ص.80–81.
الآية 36	قال الله تعالى: " وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ"	سورة غافر	ص.82.
الآية 126	قال الله تعالى:" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا "	سورة البقرة	ص.87.
الآية 14	وقال الله تعالى: " لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ"	سورة الحشر	ص87.

الآية 30	قول الله تعالى: " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"	سورة الأنبياء	ص.91.
الآية 9	فقال الله تعالى:" أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"	سورة الروم	ص.104.
الآية 26	قال الله تعالى: " قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ"	سورة النحل	ص.104.
الآية 45	قال الله تعالى: " فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَــطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ"	سورة الحج	ص.104.
الآية 74	لقوله تعالى: " وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ"	سورة الأعراف	ص.105.

فهرس الخرائط		
الرقم:	عنوان الخريطة	الصفحة
01	خريطة تمثل الدويلات الأولى في المغرب الإسلامي(الرستمية –الأغلبية– الإدريسية).	ص.308.
02	خريطة توسع الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي.	ص.309.
03	تمثل أقصى توسعات الدولة الحمادية في المغرب الإسلامي.	ص.310.
04	خريطة تمثل توسعات الدولة المرابطية في المغرب الإسلامي	ص.311.
05	خريطة تمثل توسعات الدولة الموحدية في المغرب الإسلامي.	ص.312.
06	تمثل توسعات الدول الحفصية والزيانية والمرينية في المغرب الإسلامي.	ص.313.
07	توضح المسالك التجارية الرابطة بين مدن المغرب الأوسط خلال القرن الخامس الهجري(11م)	ص.314.

فهرس المخططات		
مدينة تنس		
رقم المخطط	عنوان المخطط	الصفحة
01	المخطط العام لمدينة تنس	315
02	المخطط العام لمسجد سيدي بلعباس	316
03	المخطط العام لمسجد سيدي معيزة عن دسوس لامار ومارسي	317
04	المخطط العام لمسجد سيدي معيزة عن إسماعيل بن نعمان	318

فهرس المخططات		
مدينة مرسى الدجاج		
رقم المخطط	عنوان المخطط	الصفحة
05	المخطط العام لموقع مرسى الدجاج(أرشيف الحفرية)	319
06	المخطط العام للموقع الأثري لمدينة مرسى الدجاج عن وزارة الثقافة	320
07	المبني المعماري في القطاع الثاني مرسى الدجاج	321

فهرس المخططات		
مدينة مستغانم		
رقم المخطط	عنوان المخطط	الصفحة
08	المخطط العام لمسجد الجامع ابي الحسن المريني بمستغانم	321

فهرس المخططات		
مدينة هنين		
رقم المخطط	عنوان المخطط	الصفحة
09	المخطط العام لمدينة هنين عن جورج مارسي	322
10	مخطط تقريبي لمدينة هنين عن مصطفى سالم	
11	مخطط المنزل الأول مكتشف بمدينة هنين عن عبد الرحمن خليفة	323
12	مخطط المنزل الثاني مكتشف بمدينة هنين عن عبد الرحمن خليفة	324

فهرس الأشكال		
مدينة تنس		
رقم الشكل	عنوان الشكل	الصفحة
01	رسم تقريبي لمدينة تنس	325
02	واجهة محراب سيدي معيزة	326
03	الأوتار الخشبية بمسجدي تنس والقيروان	
04	واجهة باب البحر لمدينة تنس	327

فهرس الأشكال		
مدينة هنين		
رقم الشكل	عنوان الشكل	الصفحة
05	مخطط باب البحر	327

فهرس الصور		
مدينة تنس		
رقم الصورة	عنوان الصورة	الصفحة
01	صورة جوية لموضع مدينة تنس	328
03–02	وادي علالة الذي يحصن المدينة	329
04	جبال قصار وسيدي عبد الرحمن في الجهة الجنوبية الغربية لتنس	
05	سلسلة جبال الظهرة من الجهة الشرقية لتنس	330
06	الجهة الشمالية المفتوحة عن المدينة	
14	منظر عام للمدينة	334
15	الواجهة الرئيسية لمسجد سيدي بلعباس	
16	السقف الجمالوني من الخارج للمسجد سيدي بلعباس	335
17	بيت الصلاة لمسجد سيدي بلعباس	
18	أحد أعمدة بيت الصلاة	336
20–19	نماذج من تيجان المسجد	
21	عقد متجاوز منكسر	
22	محراب مسجدي سيدي بلعباس	337
24–23	السقف الجمالوني لمسجد سيدي بلعباس	
25	الواجهة الرئيسية لمسجد سيدي معيزة	338
26	نماذج من الأعمدة	
29–28–27	نماذج من التيجان	339
30	نماذج من العقود المتجاوزة المنكسرة	
31	التسقيف الخشبي المسطح للمسجد الجامع	
32	محراب المسجد الجامع سيدي معيزة	340
33	مئذنة المسجد الجامع	
34	العوارض الخشبية بمسجد سيدي بلعباس	341
35	موضع دار الإمارة المفترض	
36	التسقيف المائل للمنازل	

38–37	نماذج لمداخل المساكن حديثة	342
40–39	شارعين الرئيسين للمدينة	
42–41	نماذج من الدروب بقصبة تنس	343
44–43	خزان مائي	
46–45	بقايا الأسوار تنس	
47	جزء من السور المخرب	344
48	أحد أبراج الغولة	
49	بقايا الجدران لأحد الأبراج في الجهة الشرقية الجنوبية	345
50	برج باب البحر	
51	القبة ذات الحنايا المتقاطعة للبرج باب البحر	346
52	قبة البرج	
55–54–53	مظاهر التلف التي تظهر على البرج	
56	مدخل باب البحر	347

فهرس الصور

مدينة مرسى الدجاج

رقم الصورة	عنوان الصورة	الصفحة
07	موضع مدينة مرسى الدجاج تنس بواسطة Google Maps	331
58–57	بقايا أسوار مدنية مرسى الدجاج	347
59	بقايا القرميد بمرسى الدجاج حفرية 2007	
61–60	الدوليوم	348
62	دوليوم	
63	المد (الصاع) نفذت عليه كتابة بالخط الكوفي	349
64	للقطاع الثاني المكتشف (المبني السكني)	
65	القطاع الأول المكتشف سنة 2023	350
67–66	أجزاء من الأسوار شيدت بالحجارة المشذبة والغير مشذبة	
70–69–68	بقايا أجزاء الأسوار من الآجر	451

74–73–72–71	بقايا الأسوار الداخلية للمبنى المشيدة بالأجر	351
75	الدعامات المدمجة في الأسوار	352
78–77–76	الدعامات المنفردة بالمبني	
79	تبليط الأرضية بمادة الأجر تقنية السنبلة	353
80	تبليط الأرضية بالأجر المربع والمستطيل بتقنية السنبلة والمنتظمة	
81	البئر الأول بالقطاع الأول	354
83–82	البئر المربع بالقطاع الأول	
84	البئر الأول بالقطاع الثاني (المبني المعماري)	355
85	البئر الثاني بالقطاع الثاني (المبني المعماري)	
86	الدرج بالمبني المعماري	356
89–88–87	قناة المياه بالمبني المعماري	
90	قناة المياه بالقطاع الأول	357
91	حوض المياه بالمبني المعماري	
93–92	المرحاض المبني المعماري	358
95–94	مجرى المياه للكنيف	
96	الجدار الشمالي للكنيف	
98–97	مبني معماري يعتقد أنه كنيف	359
99	مدخل الغرفة الكبيرة	
100	الغرفة الكبيرة	
101	المدخل والبهو المنكسر	360
102	الرواق الثاني	
103	مدخل ساحة المبني	
104	التصميم العام للمبني المعماري في القطاع الأول photogrammétrie	361
105	التصميم العام للمبني المعماري photogrammétrie	

فهرس الصور		
مدينة مستغانم		
رقم الصورة	عنوان الصورة	الصفحة
08	موضع مدينة مستغانم تنس بواسطة Google Maps	331
106	الواجهة الرئيسية المسجد الجامع المريني بمدينة مستغانم	362
107	صورة قديمة المسجد المريني بمستغانم (عن متحف برج الترك)	
108	اللوحة التأسيسية للمسجد الجامع المريني	363
109	المدخل الرئيسي للمسجد المريني	
110	برج أمحال المرابطي بمستغانم(عن متحف برج الترك)	364

فهرس الصور		
مدينة هنين		
رقم الصورة	عنوان الصورة	الصفحة
09	موضع مدينة هنين	332
10–11–12	السلسلة الجبلية التي تحيط بالمدينة	
13	وادي هنين	333
111	ضريح سيدي إبراهيم الأبلي	364
112	بقايا المنازل المكتشفة القطاع الأول	365
113	بقايا المنازل المكتشفة القطاع الثاني	
114	خزان الماء بقلعة هنين	366
115	منظر عام لقلعة هنين	
116–117–118–119	أجزاء من الأسوار الدفاعية الباقية بهنين	367
120–121	أبراج القلعة	
122–123–124–125	أبراج المراقبة بمدينة هنين	368
126	برج سيدي إبراهيم الإبلي	
127	باب البحر	369
128	باب البحر ببجاية شبيه باب البحر بهنين	
129	الباب الشمالي	370

130	الباب الشرقي (باب السنون)	
131	الباب الغربي	371
132–133–134	مواد وتقنيات البناء	

فهرس الأعلام	
حرف الألف	
بن أبي أرطأة	28
إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر	37
الأغلب بن سالم	38
إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني	42
إدريس الثاني	44–178
إبراهيم بن الأغلب	44–45
أبي بكر اللمتوني	55
أرسطو	258
إبراهيم الأبلي	286
حرف الباء	
بلكين بن زيري	48–49–59–51–97
بشر بن صفوان الكلبي	37
بربروس	202–203
سيدي بلعباس	189–232–233–235–236–237–239–242–243–244–248–249–257–258–265–299
حرف الباء	
أبو تاشفين عبد الرحمان الأول	65
حرف الجيم	
جرجير	28

جعفر بن علي بن حمدون	50
حرف الحاء	
حسان بن النعمان	34–35
حنظلة بن صفوان الكلبي	37
الحسن بن علي بن أبي طالب	43
الحلواني	46
حماد بن بلكين بن زيري	51–146–150–154–166–178
أبي الحسن المريني	65–66–92–222–278–286
أبو حمو موسى الثاني	65–94
حميد العبد	278
حرف الخاء	
خير الدين	147–202
خالد بن يزيد القيسي	35
أبي الخطاب المعافري	39
حرف الدال	
دهيا بنت ماتية	34–35–103
حرف الراء	
روح بن حاتم	38
حرف الزاي	
زيري بن مناد الصنهاجي	51– 116–119
حرف السين	
أبي سفيان	46
أبو سعيد عثمان	65
حرف الصاد	
صولات المغراوي	42–43
صهيب	145
حرف الطاء	
طارق بن زياد	36–38

حرف العين	
علي بن يحي الإدريسي	145
عمرو بن العاص	139–28–28–27
عمر بن الخطاب	62–28–27
عثمان بن عفان	27
عقبة بن نافع	32–32–30–28–27
عبد الله بن سعد بن أبي سرح	28
عبد العزيز بن مروان	35
عبيد بن عبد الرحمن السلمي	37
عبيد الله بن الحبحاب	37
عبيد الله المهدي	178–47–46
عمر بن حفص هزار مرد	24
عبد الرحمن بن رستم	50–49
عبد الملك بن مروان	34
عبد الله الشيعي	47–46
عبد المؤمن بن علي	228–222–221–182–179–66–52–61–60–59
عبد الله بن ياسين	55
عبد الحق بن محيو	65
ابن عائـــشـــة	145
حرف الفاء	
الفضل بن روح	38
شريك بن سمى المرادي	28
حرف اللام	
الباي لحمر	189
حرف الكاف	
كسيلة بن ملزم	34–33–31
الكركدن	145
كونت ألكاوديت	217
كلتوم بن عياض	37

حرف القاف	
أبي القاسم القائم بأمر الله	117
حرف الميم	
مسلمة بن مخلد	32–31–30
معاوية بن أبي سفيان	32–31
معاوية بن حديج الكندي	28
موسى بن نصير	38–37–36–35
محمد بن يزيد	37
محمد بن الأشعث الخزاعي	38
محمد بم مقاتل	38
محمد بن عبد الله بن تومرت	–60–59–58
محمد بن خزر	43–42
محمد بن مردنيش	61
مزدلي اللمثوني	56
معلي بن يعلي المغراوي	47
ماركيس دو كوماري	146
سيدي معيزة	–298–265–258–249–248–247–246–244–242–300
مصطفى بوشلاغم	164
المعز لدين الله الفاطمي	48
المعز بن باديس	50
أبي المهاجر دينار	39–37–33–32–31–30
حرف النون	
نصر بن حبيب	38
ناصر بن علناس	155–154–125–123-54
حرف الهاء	
هرثمة بن أعين	38
حرف الياء	
يغمراسن بن زيان	225–167–64–63

يحي بن مزدلي	56
يوسف بن تاشفين	56–57–58–60-99–128–131–134–170–178–182
يزيد بن أبي مسلم	37
يزيد بن حاتم بن قبيصة بن أبي المهلب	38
يزيد بن مخلد الأنصاري	97
يعقوب يوسف	132

فهرس المدن والأماكن

حرف الألف

الإسكندرية	16
إفريقية	28–29–30–31–32–33–34–96–97–98–116–117–120–123
الأغواط	41
أشير	51–52–125–133–138–139–150–154
الأوارس	35
الأندلس	36–38–44–50–56–58–59–61–62–100–110–115–131–132–188
أغادير	64–127–128–131
إيكجان	24
أرشقون	221

حرف الباء

بجاية	16–17–18–19–20–21–22–53–54–55–57–58–64–93–99–102–112–116–123–124–150–152–153–154–155–293–297
برشك	63–197
برقة	23–27–28–29–31
البطحاء	24–63
البصرة	53

بوماريا	127–53
بومرداس	164
بودواو	164
	حرف التاء
تلمسان	17–18–20–20–21–22–42–43–48–50–53–56–58–59–60–63–64–66–67–84–146–165–180–194–227–235–286
تونس	16
تنس	19–20–24–48–57–61–87–90–91/ معظم الفصل الثالث والرابع والخامس
تازة	17–18–19–206
تاهرت /تيهرت	17–24–39–40–48–83–97–112–113–115–116–133–186–187
تاكيروان	30–32
تهودة	32–33–34
تازروت	48
تلـــموت	63
تامزدكت	64
التيطري	117
تاغرارت	132–135
تاجموت	143
تامدفوس	208
	حرف الثاء
الثنية	212
	حرف الجيم
جزائر بني مزغنة	20–57–60–99–145–155–169–178
جيجل	24
الجزائر	22–65–67–121–147–148–152–156–160–162–198–204–205–241–249

الجريد	49–53
جربة	53
جيبساريا	188
	حرف الحاء
حمزة/ سوق حمزة	37–38–87–142
الحجاج	174
	حرف الخاء
مدينة الخرز	23–156
الخضراء	100
خروبة	162
بني خلاد	170
	حرف الدال
دلس	62
دلول	212–213
	حرف الطاء
طرابلس	41–49–59–62–99
	حرف الزاي
زويلة	49
الزاب	31–44–66
الزيتونة	45
	حرف السين
سبتة	19
سيو سيرات	19
سطيف	24–44–47–49–162
سوق إبراهيم	24–142–191
السوس	43
سوق جمار	46
السنغال	55–59–101

سيدي سعيد	113
سيدي مروان	136
سيدي مصطفى	149
سكيكدة	153
سيدي لخضر	164
سيدي أمحمد بن علي	165
سيدي علي	165
سيدي عبد الرحمان	136
حرف الشين	
شلف	24- 53-57-59-66-136-138-157-158-159-166-167-212-213
الشارات	59-98
شرشال	64-153
شتوان	126
الشعايبية	164
حرف الطاء	
طبنة	23-32-41-97-116-117-155
طنجة	36-42
حرف العين	
عنابة	23-62
عراق	31-120
العباسية	45-50-98
قرية العباد	126
عين الحنش	163
حرف الغين	
غدامس	28
غليزان	42-158

غرناطة	132–170
الغزة	139
الغزوات	173
حرف الفاء	
فكان (إيفكان)	24
الفسطاط	27–141
فاس	43–44–53–58–66–76–130–204
فرندة	31
حرف القاف	
قسنطينة	18–20–49–62
قسطنطينة	19
قلعة بني حماد	19–54–60–87–99–100–119–122–123–125–134–168–172
القيروان	28–29–30–32–33–40–99–108–109–119–120–122
قرطاجنة	34
قابس	35
قرطبة	116
قورصو	150
قشتالة	170
حرف الكاف	
الكوفة	47
كيانة	51
كارتينا	143
حرف اللام	
لالة سيتي	127
لقاطة	140
لمبيز	155
حرف الميم	
ملوية	17–155–181
مستغانم	20–63–66–/ معظم الفصل الثالث والرابع والخامس

مرسى الدجاج	24–101/ معظم الفصل الثالث والرابع والخامس
مديونة	21–167
ملیانة	18–51–63–140–167
دار ملول	23
مقرة	24
مصر	16–27—28–30–31–32–33–34–35–46–48–49–50–120–251
میلة	31
مكناسة	35–41–139
منداس	41
مراغة	46
المهدية	46–47–49
المسيلة	48–49–51–52–99–106–117–118–119–120–121–122–156
المحمدية	48
المعاضيد	51
معسكر	63–158
مازونة	64
المدية	64
مراكش	56–60–72–148
المنصورة	66–67–122– 127
مغنية	128
موريطانيا القيصرية	155
ميورقة	212
متيجة	168
مزغران	169–172–226–228–282
حرف النون	
ندرومة	63–182–222–227–229
نوميديا	155

حرف الهاء	
هنين	60–61–66–88–91/ معظم الفصل الثالث والرابع والخامس
حرف الواو	
وهران	19–66–100–158–161–166–169–170–172–173–174–181–182–183–184–185–230–232–282–200
واريفن	24
ويللي	32
وانشريس	57–63
وجدة	43–57–60–172
ورقلة	41–62
ويليس	166

فهرس القبائل والجماعات

حرف الألف	
أوربة	31–32
الأكاديين	73
الآشوريين	73
الإيـــطاليين	127
الإسبان	62–127–205–230
حرف الباء	
البرانس	47
البتر	47–66
البيزنطيين	26–29–37
أهل البيرة	190
حرف التاء	
توجين	22
تلكانة	49–117

أهل تدمير	190
حرف الجيم	
جراوة	120–52
بني جليداش	139
بني جناد	201–152
حرف الحاء	
حمير	54
بني حماد	24–29–30–54–57–60–61–118–119–121–122–123–124–125–134–148–152–169–180–182–197–237
بني حمدون	121–52
بنو حفص	61–64–101–298
حرف الراء	
الرومان	26–29–113–116–127–128–146–155–162–172–184
بني رستم	40–49–115–116
حرف الزاي	
زناتة	21–22–36–50–52–55–63–66–98–117–119–148–202
بني زيري	49–51–52–119–120–181
بني زيان	51–64–66–91–101–102–128–130–131–171
بني زاريفن	139
زواغة	139
زواوة	156
حرف السين	
بني سليم	60
سويد	171–119
حرف الصاد	
صنهاجة	22–49–50–54–99–117–120–148
حرف الفاء	
الفينيقيين	29–116–124–145–178

حرف العين	
العثمانيين	184
بني عبيد	43–46–47–48–49–98–103
حرف الغين	
بني غانية	60–100–157
كومية	21–168–222–226
كتامة	36–45–46–47–50–211–213
حرف اللام	
لمتونة	54–55
لواته	29–114
لماية	114
حرف الميم	
مغراوة	21–42–57– 64–128–148–149–167–170–217–219–226–282
مطماطة	21–139
مصمودة	52
مطغرة	21–139
مغيلة	21
بني مادين	22
مجاهر	169
بني مرين	51–67–83–91–92–184
حرف النون	
نفوسة	41
حرف الهاء	
هنتاتة	62
هوارة	36–113–167
بني هلال	54–60–98–99–124–169
حرف الواو	
الوندال	26–145–146

بني عبد الواد	149–130–91–66–64–61–21
بني ومانوا	21
بني واطيل	139
حرف الياء	
بني يلومي	21
بني يفرن	41–21

الفهرس:

المقدمة:.....أ – ذ.

الفصل الأول: الإطار الجغرافي والتاريخي للمغرب الأوسط.....15 – 68.

تقديم:.....16.

1- الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة.....16.

2- لمحة تاريخية للمغرب الأوسط.....26-68.

2-1- الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط.....26.

2-2- عصر الولاة.....36.

2-3- الدويلات المستقلة ببلاد المغرب الأوسط.....39-68.

3-1-الدولة الرستمية.....39.

3-2- الدولة الإدريسية.....42.

3-3- الدولة الأغلبية.....44.

3-4- الدولة العبيدية.....46.

3-5- الدولة الزيرية.....49.

3-6-الدولة الحمادية.....51.

3-7-الدولة المرابطية.....54.

3-8- الدولة الموحدية.....59.

3-9-الدولة الحفصية.....62.

3-10- الدولة الزيانية.....63.

3-11- الدولة المرينية.....66.

2-4- خلاصة الفصل:.....67.

الفصل الثاني:العمران الإسلامي.....69-133.

1 - مفاهيم بحثية:.....70-89.

1-1- تعريف العمران.....70.

1-1-1- لغة:.....70.

1-1-2- اصطلاحا:.....70.

1-2- تعريف المدينة:.....72.

1-3- المدينة من خلال القرآن الكريم:.....74.

1-4- المدينة من خلال الأحاديث النبوية:.....76.

1- 5- أراء المصادر الجغرافية والتاريخية في المدينة الإسلامية.....77.

1-6- شروط اختيار بناء المدينة الإسلامية.....78.

1-7- ضوابط وأسس تنظيم المدينة الإسلامية:.....83.

2- عوامل خراب العمران الإسلامي:.....89.

2-1- العامل الطبيعي:.....89.

2-1-1-سطح الأرض:.....90.

2-1-2-تغير المناخ:.....91.

2-1-3-تأثير الماء:.....91.

2-1-4-الجفاف:.....93.

2-1-5- الزلازل:.....93.

2-2- العامل البشري:.....94.

2-2-1- الحروب:.....96.

2-2-2- الظلم:.....103.

2-2-3- العصبية:.....106.

2-3- الركود الاقتصاد:.....107.

2-4- مفاسد الأوبئة على العمران الإسلامي:.....109.

3- نماذج للعمران الإسلامي بالمغرب الأوسط:.....112.

3-1- مدينة تيهرت:.....112.

3-2- مدينة أشير:.....116.

3-3- مدينة قلعة بن حماد:.....119.

3-4- مدينة بجاية:.....124.

3-5- مدينة تلمسان:.....127.

4- خلاصة الفصل:.....132.

الفصل الثالث: الإطار الجغرافي والتاريخي لمدن أقاليم المغرب الأوسط.....135-183.

تقديم:.....136.

أولا: مدينة تنس:.....136.

1- الإطار الجغرافي لمدينة تنس:.....136.

2- الخصائص الطبيعية:.....137.

2-1- الموقع:.....138.

2-2- الموضع:.....139.

2-1- مساحة المدينة:.....142.

3- الإطار التاريخي للمدينة:.....142.

3-1- أصل التسمية:.....142.

3-2- أهم المراحل التاريخية:.....143.
3-2-1- فترة ما قبل التاريخ:.....143.
3-2-2- الفترة القديمة:.....143.
3-2-3- الفترة الإسلامية:.....145.
4- خلاصة:.....147.
ثانيا: مدينة مرسى الدجاج:.....148.
1- الإطار الجغرافي لمدينة مرسى الدجاج:.....148.
2- الخصائص الطبيعية للمدينة :.....149.
2-1- الموقع:.....150.
2-1- الموضع:.....151.
2-1- مساحة المدينة:.....151.
3- الإطار التاريخي للمدينة:.....151.
3-1- أصل التسمية:.....151.
3-2- أهم المراحل التاريخية:.....152.
3-2-1- فترة ما قبل التاريخ:.....152.
3-2- الفترة القديمة:.....152.
3-2-الفترة الإسلامية:.....153.
4- خلاصة:.....156.
ثالثا: مدينة مستغانم:.....156.
1- الإطار الجغرافي لمدينة مستغانم:.....156.
2- الخصائص الطبيعية للمدينة:.....157.
2-1- الموقع:.....158.
2-1- الموضع:.....159.
2-1- مساحة المدينة:.....159.
3- الإطار التاريخي للمدينة:.....160.
3-1- أصل التسمية:.....160.
3-2- أهم المراحل التاريخية:.....162.
3-2-1- فترة ما قبل التاريخ:.....162.
3-2- الفترة القديمة:.....163.
3-2-الفترة الإسلامية:.....165.

4- خلاصة:.....170.
رابعا: مدينة هنين:.....170.
1- الإطار الجغرافي لمدينة هنين:.....170.
2- الخصائص الطبيعية:.....171.
2-1- الموقع:.....173.
2-2- الموضع:.....173.
2-3- مساحة المدينة:.....174.
3- الإطار التاريخي للمدينة:.....174.
3-1- أصل التسمية:.....174.
3-2- أهم المراحل التاريخية للمدينة:.....175.
3-2-1- فترة ما قبل التاريخ:.....175.
3-2-2- الفترة القديمة:.....176.
3-2-3- الفترة الإسلامية:.....177.
4- خلاصة:.....181.
خامسا: خلاصة الفصل:.....182.
الفصل الرابع: مدن الأقاليم من خلال المصادر المكتوبة:.....184-230.
تقديم:.....185.
أولا: تنس من خلال المصادر المكتوبة:.....185.
1- أبي إسحاق الأصطخري:.....185.
2- أبو القاسم ابن حوقل:.....185.
3- شمس الدين المقدسي:.....186.
4- أبو عبيد الله البكري:.....187.
5- أبو عبيد الله الإدريسي:.....194.
6- صاحب الاستبصار:.....196.
7- ياقوت الحموي:.....197.
8- عبد الواحد المراكشي:.....198.
9- زكريا بن محمد القزويني:.....198.
10- ابن سعيد المغربي:.....200.
11- صفي الدين البغدادي:.....200.

12- أحمد بن يحي بن فضل العمري:.....201.
13- عبد المنعم الحميري:.....201.
14- حسن الوزان:.....202.
14- مارمول كربخال:.....204.
15- خلاصة:.....206.
ثانيا- مرسى الدجاج من خلال المصادر المكتوبة:.....207.
1- أبو القاسم ابن حوقل:.....207.
2- شمس الدين المقدسي:.....207.
2-3- أبو عبيد الله البكري:.....208.
4- الشريف الإدريسي:.....209.
5- مؤلف مراكشي:.....210.
6- ياقوت الحموي:.....211.
7- خلاصة:.....212.
ثالثا- مستغانم من خلال المصادر المكتوبة:.....212.
1- أبو عبيد الله البكري:.....213.
2- الشريف الإدريسي:.....213.
3- أبي سعيد المغربي:.....214.
4- عبد المنعم الحميري:.....214.
5- محمد بن علي البروسوي سباهي:.....215.
6- حسن الوزان:.....215.
7- مارمول كربخال:.....216.
8- خلاصة:.....218.
رابعا- هنين من خلال المصادر المكتوبة:.....218
1- أبو عبيد الله البكري:.....219.
2- الشريف الإدريسي:.....220.
3- مؤلف مراكشي:.....221.
4- ياقوت الحموي:.....221.
5- ابن سعيد المغربي:.....222.
6- ابن أبي زرع:.....222.
7- محمد ابن مرزوق التلمساني:.....223.

8- عبد الرحمن بن خلدون:.....223.
9-عبد المنعم الحميري:.....224.
10-حسن الوزان:.....224.
11-مارمول كربخال:.....228.
12- خلاصة:.....228.
خامسًا: خلاصة الفصل: .....229.
الفصل الخامس: الدراسة الأثرية لمدن أقاليم المغرب الأوسط .....231-300.
تقديم:.....232.
أولا: الدراسة الأثرية لمدينة تنس:.....232.
1- المعالم الأثرية الباقية:.....232.
1-1- العمارة الدينية:.....233.
1-1-1- مسجد سيدي بلعباس:.....235.
1-1-1-1- الوصف الخارجي:.....236.
1-1-1-2- الوصف الداخلي:.....236.
1-1-2-مسجد سيدي معيزة:.....239.
1-1-2-1- الوصف الخارجي:.....241.
1-1-2-2- الوصف الداخلي:.....242.
1-1-3- خلاصة:.....247.
1-2- العمارة المدنية:.....250.
1-2-1- دار الإمارة (دار الحكم):.....250.
1-2-2- المساكن:.....252.
1-2-3-مداخل المساكن:.....253.
1-2-4-الحمام:.....254.

1-2-5- السوق:.....256.

1-2-6- الشوارع والدروب:.....258.

1-2-7- الخزان المائي:.....259.

1-3- العمارة العسكرية:.....259.

1-2-1- الأسوار:.....261.

1-2-2- الأبراج:.....262.

1-2-3- مداخل المدينة:.....264.

1-4- خلاصة:.....265.

ثانيا : الدراسة الأثرية لمدينة مرسى الدجاج:.....266.

1- أهم البقايا الأثرية:.....266.

1-1- نتائج الحفريات الأثرية:.....266.

1-1-1- الأسوار:.....268.

1-1-2- الأرضية:.....269.

1-1-3- الآبار:.....270.

1-1-4- السلم:.....271.

1-1-5- قنوات المياه:.....271.

1-1-6- حوض الماء:.....272.

1-1-7- الكنيف:.....273.

1-1-8- القاعة:.....274.

1-1-9- المدخل:.....274.

1-2- خلاصة:.....275.

ثالثا: الدراسة الأثرية لمدينة مستغانم:.....277.

1- أهم المعالم الأثرية الباقية:.....277.

1-1- المسجد الجامع لأبي الحسن المريني:.....278.

1-1-1- الكتابة التأسيسية للجامع:.....279.

1-1-2- المئذنة:.....281.

1-1-3-مداخل المسجد الجامع:.....281.

1-1-4- بيت الصلاة:.....281.

1-2- برج أمحال:.....283.

1-3- خلاصة:.....284.

رابعا: الدراسة الأثرية لمدينة هنين:.....285.

1- نتائج الحفريات الأثرية:.....285.

2- أهم المعالم الأثرية الباقية:.....286.

2-1- العمارة الدينية:.....286.

2-1-1- ضريح إبراهيم الأبلي:.....286.

2-2- العمارة المدنية:.....287.

2-2-1- المساكن:.....287.

2-2-2-خزان الماء:.....289.

2-3- العمارة العسكرية:.....289.

2-3-1- حصن هنين (القلعة):.....290.

2-3-2- الأسوار:.....290.

2-3-3- الأبراج:.....290.

2-3-4- مداخل المدينة:.....292.

2-3-4-1- باب البحر:.....292.

2-3-4-2- الباب الشمالي (باب السانية):.....293.

2-3-4-3- الباب الشرقي (باب السنون أو تاسنون):.....293.

2-3-4-4- الباب الغربي:.....293.

2-3-4-5- الباب الجنوبي (باب الخرجة):.....294.

3-خلاصة:.....294.

خامسا: خلاصة الفصل:.....295.

الخاتمة:.....301-306.

الملاحق:.....307.

ملحق الخرائط:.....308.

ملحق المخططات:.....315.

ملحق الأشكال:.....325.

ملحق الصور.....328.

قائمة المصادر والمراجع.....372.

الفهارس:.....406.

فهرس الآيات القرآنية:.....407.

فهرس الخرائط:.....409.

فهرس المخططات:.....409.

فهرس الأشكال:.....410.

فهرس الصور:.....411.

فهرس الأعلام:.....415.

فهرس المدن والأماكن:.....419.

فهرس القبائل والجماعات:.....425.

فهرس المواضيع:.....429.

Peoples Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research

Algiers University 02 **Institute of Archaeology**
Abou Al- Qacem Saadallah

The Islamic Urbanism in the Cities of the Central Maghreb through Written and Material Sources: The Cities of Tenes, Marsa al-Dajaj, Mostaganem, and Honaine (2nd–9th Century AH / 8th–15th Century AD) as Case Studies, a Historical and Archaeological Study

A dissertation to obtain a third-year doctorate in Islamic Archaeology

Prepared bu the Student:
Hakim kaddour tahri

Under the supervision of Dr
Ali Boutchicha

University year 2023/2024

Peoples Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research

Algiers University 02 **Institute of Archaeology**
Abou Al- Qacem Saadallah

The Islamic Urbanism in the Cities of the Central Maghreb through Written and Material Sources: The Cities of Tenes, Marsa al-Dajaj, Mostaganem, and Honaine (2nd–9th Century AH / 8th–15th Century AD) as Case Studies, a Historical and Archaeological Study

A dissertation to obtain a third-year doctorate in Islamic Archaeology

Prepared bu the Student: **Hakim kaddour tahri**

Under the supervision of Dr **Ali Boutchicha**

Discussion Committee

Pr/Ismil Bennamane	professor	University of alger2	President
Dr/ Ali Boutchicha	p.lecturer A	University of alger2	Rapporteur
Pr/Aicha Hanafi	professor	University of alger2	Exminer
Dr/ Mahfoud Bouteba	p.lecturer A	University of alger2	Exminer
Dr/ Nadir Kouadria	p.lecturer A	University Mohamed Boudiaf M'sila	Exminer
Dr/ Fouad Bouzid	p.lecturer A	University of 8 Mai 1945 Guelma	Exminer

University year 2023/2024

الملخص بالعربية:

لقد شهد المغرب الأوسط نهضة عمرانية واسعة بداية من الفتح الإسلامي إلى نهاية آخر دولة مستقلة به، وقد برزت معه العدد من المدن تنافس مدن المغربين الأدنى والأقصى وحتى المشرق الإسلامي، فهذه الحواضر تعددت وظيفتها ودورها بين العواصم والمدن الصغرى، وعليه كانت دراستنا تتمحور حول العمران الإسلامي لمدن أقاليم المغرب الأوسط بين المصادر المكتوبة والبقايا الأثرية، بحيث اخترنا مجموعة من النماذج والمتمثلة في تنس ومرسى الدجاج ومستغانم وهنين، فهذه النماذج تم تصنيفها في خانة المدن المندثرة باعتبار أنها فقدت جزء كبير من عمائرها، مع العلم أن المصادر الجغرافية والتاريخية أولتها عناية كبرى من خلال ذكرها لمجموعة من السمات والخصائص المعمارية والعمرانية، وعليه فالموضوع هام جدا في ظل وضع مقارنة بين ما تم وصفه وما هو موجود لحد الساعة، خاصة موقعهما وموضعهما الساحلي على البحر المتوسط، فمن الطبيعي أن يزدهر ويتطور عمرانهم ويتأثر ويؤثر على الحواضر الأخرى.

الكلمات المفتاحية:

العمران الإسلامي، مدن الأقاليم، المغرب الأوسط، الخراب، المصادر المكتوبة، البقايا الأثرية، تنس، مرسى الدجاج، مستغانم، هنين.

Summary in English:

The central Maghreb witnessed a wide urban renaissance, beginning with the Islamic conquest until the end of its last independent state. During this era some cities competing the cities of the Near and the Far Maghreb even the Islamic East. These cities had multiple functions and roles between the capitals and the small cities, therefore our study was centered on Islamic Urbanism of the cities of the Middle Maghreb Regions betbetween the written sources and the archaeological remains. So that, we chose a group of examples that are named: Tennis, Marsa El-djaje, Mostaganem and Honain. These cities were classified in the category of vanished cities because they lost a large part of their buildings, knowing that the geographical and historical sources gave a great attention to them through the architectural and urban characteristics. Therefore, the topic is very important in the light of comparison between what has been described and what exists so far, especially their location and coastal position n the Mediterranean Sea which helped for their urbanization to flourish and develop and to be affected and influenced by other cities.

key words:

Islamic Urbanism, City of Regions, Written Sources, Middle Maghreb, Ruins, Archaeological Remains, Tennis, Marsa El- djaje, Mostaganem, Honain.

Résumé en français:

Le Magherb central a connu une vaste renaissance urbaine, commençant avec la conquête islamique jusqu'à la fin de son dernier état indépendant. A cette époque certaines villes rivalisaient avec les villes du Maghreb proche et lointain voire de l'orient Islamique. Ces villes avaient des multiples fonctions et rôles entre les capitales et les petites villes. Notre étude c'est donc entrée sur l'urbanisme Islamique

des villes des régions du Maghreb central entre les sources écrites et vestiges archéologiques. Pour cela, nous avons choisi un groupe d'exemple qui sont nommés: Tennis, Marsa El Dejaje, Mostaganem et Honain. Ces villes ont été classées dans la catégorie de villes disparues car ont perdu une grande partie de leurs bâtiments, sachant que les sources géographiques et historiques ont accordé une grande attention à travers les caractéristiques architecturales et urbaines. Par conséquent, le sujet est très important à la lumière de la comparaison entre ce que a été décrit et ce qui existe jusqu' à présent, en particulier leur emplacement et leur position côtière dans la mer Méditerranée qui ont contribué à leur urbanisation à prospérer et à se développer et à être affectée et influencée par d'autres villes.
Mots clés:
Urbanisme Islamique, Villes de régions, Sources écrites,Maghreb central, Ruines, Vestiges archéologiques, Tennis, Marsa El-dejaje, mostaganem, Honain.

.